

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة أدرار

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والإسلامية

قسم العلوم الإنسانية

التكوين الاجتماعي والثقافي والوطني لأبرز قادة الحركة الوطنية الجزائرية
الشيخ محمد الحميد بن باديس - أحمد مصالي الحاج - فرحات عباس - عمار أوزقان نموذجا

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الاجتماعي والثقافي عبر العصور

إشراف الأستاذ الدكتور
عبد الكريم بوالصفصاف

إعداد الطالبة
وفاء بوالصفصاف

لجنة المناقشة

الجامعة الأصلية	الصفة	الأستاذة
جامعة أدرار	رئيسا	الأستاذ الدكتور دراع الطاهر
جامعة أدرار	مشرفا ومقررا	الأستاذ الدكتور عبد الكريم بوالصفصاف
جامعة أدرار	عضوا مناقشا	الأستاذ الدكتور عيسى قرقب
جامعة قلمة	عضوا مناقشا	الأستاذ الدكتور قدارة شايب

نوقشت بتاريخ: 16 محرم 1436هـ الموافق ل: 09 نوفمبر 2014م

السنة الجامعية: 1935/1936هـ الموافق ل: 2014م/2015م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَالَّذِي يُضَوِّبُ الْمَوْتَى
إِنَّ رَبَّهُ لَسَدِيدٌ
إِلَىٰ عَرْشِهِ الرَّحِيمُ
الَّذِي يُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ
وَيُدْخِلُهُمْ فِي الْأَرْوَاحِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَالَّذِي يُضَوِّبُ الْمَوْتَى
إِنَّ رَبَّهُ لَسَدِيدٌ
إِلَىٰ عَرْشِهِ الرَّحِيمُ
الَّذِي يُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ
وَيُدْخِلُهُمْ فِي الْأَرْوَاحِ

قال الله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

”اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم.“

صدق الله العظيم

سورة العلق الآية من (1) إلى (6)

شكر وتقدير

الحمد لله الذي وفقني لإنجاز هذا العمل وإذنا كان لابد
للإعتراف لذوي الفضل بفضلمه فإنني أقدم شكري
وامتناني باديء ذي بدء إلى أستاذي المشرف الأستاذ
الدكتور: عبد الكريم بوصفصافه الذي أدين له بعظيم
الشكر والعرفان من لحظة إختياري للموضوع وقبول
الإشراف عليه وعلى كل ماقدمه لي من نصائح وتوجيهات
وملاحظات وإن كان شكري هذا لا يفیه حقه سائلة الله
الكريم أن يجزيه عنّي خير الجزاء وأن يثيبه الأجر وأن يطيل
عمره ويديم صحته إن شاء الله.

إهداء

الحمد لله الذي لا تطيب اللغات إلا بذكره، ولا تطيب الآخرة إلا بعفوه

الله جل جلاله

إلى من بلغ الرسالة، ونصح الأمة، إلى نبي الرحمة ونور العالمين، سيدنا محمد

صلى الله عليه وسلم

إلى روح الشهداء والعلماء والمصلحين، وكل من سار على نهجهم وفاء لهم

إلى الرجال ورثة العلم والعمل، تقديراً لهم.

إلى الوالدين الكريمين برا بهما.

إلى أخي وأخواتي: محمد أيمن، عائشة، حسينة، آية.

إلى حياة وسامية وعائلتيهما سدي في الحياة الدنيا.

إلى كل من ساعدني في بحثي: عادل، بوفنارة شبيلة (مركز الإعلام الإقليمي)

إلى أستاذة قسم التاريخ بجامعة أدرار علي وأسمم الأستاذ الدكتور دراع

الطاهر (رئيس قسم التاريخ)

إلى الأستاذة عيسوق خيرة علي نصائحتها القيمة، والأستاذة بونانم خزالة.

مقدمة

مقدمة:

كانت إنعكاسات جرائم الإستعمار الفرنسي السلبية على الجزائر إجتماعية وثقافية وإقتصادية بالدرجة الأولى قبل أن تكون سياسية لأنها مست الإنسان ومحيطه وما يحمله من رصيد فكري ومعرفي، فقد تعرض الشعب الجزائري بمختلف فئاته إلى قدر كبير من الاضطهاد فكانت أشنع الجرائم التي مارسها المستعمر وأخطرها على الإطلاق جرائم ثقافية وأخرى إجتماعية وإقتصادية خاصة وأن المجتمع الجزائري بعيد كل البعد عن فرنسا ثقافيا وعرقيا وفكريا. وبمرور الذكرى المئوية على إحتلال الجزائر أقامت فرنسا إحتفالات كبرى على هذه الأرض مثلت في نظر البعض إنتصار المسيحية على الإسلام، بالإضافة إلى تأثيرات الحربين العالميتين الأولى والثانية على الساحة السياسية والإقتصادية وكذا الإجتماعية والثقافية، كل ذلك كان حافزا لبروز الحركة الوطنية السياسية التي تميزت بتنوع النضال بين موالي ومعارض للسياسة الفرنسية فكان الإتجاه السياسي الليبرالي المرتبط بفرنسا والإتجاه السياسي الشيوعي الذي كان مرتبطا بالنظرية الشيوعية العالمية، والتيار الوطني الثوري الذي كانت قناعته الحرية والإستقلال والتيار الوطني الإسلامي. وفي هذا السياق قمت بالبحث في: الحياة الإجتماعية والثقافية والسياسية التي تكوّن فيها قادة الحركة الوطنية وأبرز شخصياتها: الشيخ عبد الحميد بن باديس، مصالي الحاج، فرحات عباس، وعمار أوزقان نموذجاً.

1- دوافع إختيار الموضوع:

لدراسة أي بحث تاريخي أكاديمي، توجد أسباب ذاتية وأخرى موضوعية لإختياره، ومن أسباب إختيار هذا الموضوع:

أولاً: الرغبة في دراسة تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، وخاصة مسار الحركة الوطنية.

ثانياً: كشف الغموض عن الجوانب الإجتماعية والثقافية لأبرز القادة السياسيين، وخاصة وأن جل الدراسات ركزت بالأساس على البحث في الجوانب السياسية والإيديولوجية.

ثالثا: تماشيا مع موضوع التخصص في الماجستير وهو: " التاريخ الإجتماعي والثقافي للمغرب الكبير عبر العصور".

رابعا: البحث عن الحقيقة التاريخية في آثار كل شخصية من هذه الشخصيات.

خامسا: أهمية موضوع الحركة الوطنية والجدل القائم حول قادتها وميولاتهم الثقافية والسياسية.

2- إشكالية البحث:

أما إشكالية هذه الرسالة فتكمن في البحث عن حقيقة تكوين قادة الحركة الوطنية من الناحية الإجتماعية والثقافية والسياسية وحتى تكون هذه الإشكالية أكثر وضوحا يمكن طرح التساؤلات الآتية:

- 1- كيف كان التكوين الإجتماعي لقادة الحركة الوطنية؟
- 2- ماهو دور المجتمع في تكوين قادة الحركة الوطنية؟.
- 3- كيف كان الواقع الثقافي لقادة المقاومة السياسية؟.
- 4- إلى أي مدى أثرت فيهم الثقافة المشرقية والثقافة الغربية خاصة الفرنسية؟.
- 5- كيف كان تعليم النخبة السياسية في الجزائر؟.
- 6- ماهي الميولات السياسية لرؤساء الحركة الوطنية؟ وما هو دورهم في تطورها؟.

3- إطار البحث:

تقع هذه الدراسة في الفترة الممتدة من 1925م إلى 1954م وتعد هذه المرحلة من أهم وأبرز المحطات التاريخية الحساسة لأنها عرفت تحولات جوهرية، وبرزت زعامات سياسية وثقافية وإجتماعية قوية، لم يسبق لها مثيل في الجزائر ثم ظهور أحزاب وجمعيات كأسلوب جديد للنضال ضد الاحتلال الفرنسي وعملائه المحليين، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على تبلور الفكر الوطني للمجتمع الجزائري عامة وللنخبة المثقفة خاصة والتي مثلت هذه التيارات السياسية، رغم أن الشخصيات التي إخترتها للدراسة قد ولدت قبل هذا التاريخ بكثير واستمرت إلى ما بعد الإستقلال،

ولهذا فقد درست في الفصل الأول أوضاع الجزائر في الفترة ما بين 1925م - 1954م أما بقية الفصول والتي تعتبر صلب المذكرة توسعت نوعا ما في التاريخ.

4- المناهج العلمية المتبعة في هذا البحث:

اتبعت في هذه الدراسة ثلاث مناهج علمية:

- 1- المنهج التاريخي الوصفي: لوصف الحقائق والأحداث التاريخية المتمثلة في الواقع الثقافي والإجتماعي لقادة الحركة الوطنية وكشف الغموض عن بعض جوانب حياة أهم قادتها وإتجاهاتهم السياسية.
 - 2- المنهج التحليلي النقدي: وقد استعملته في دراسة المادة العلمية وتحليلها ونقدها وتركيبها.
 - 3- المنهج المقارن: وهو مقارنة الأحزاب الوطنية في تلك الفترة ومعرفة أوجه التشابه والاختلاف وإبراز مدى التقارب بينها.
- وقد حاولت المزج بين هذه المناهج بهدف الوصول إلى الحقيقة المنشودة والنتائج العميقة.

5- أهداف البحث:

من بين الأهداف التي سطرت لهذا البحث:

- 1- معرفة ما مدى تأثير المجتمع على تكوين القادة السياسيين.
 - 2- الوصول إلى مدى تأثير الثقافة الوافدة الشرقية والغربية على قادة الحركة الوطنية.
 - 3- التعرف على أهم شخصيات الحركة الوطنية المتمثلة في الشيخ عبد الحميد بن باديس، مصالي الحاج، فرحات عباس، عمار أوزقان.
 - 4- دور هذه الشخصيات في تطور الحركة الوطنية والوصول إلى ثورة نوفمبر 1954.
- بالإضافة إلى أهداف أخرى يمكن الوقوف عندها أثناء البحث.

6- صعوبات البحث:

لا يخلو أي بحث من الصعوبات المادية والمعنوية حسب طبيعة الموضوع، ولقد حاولت بقدر الإمكان تخطي هذه الصعوبات للوصول إلى الغاية المنشودة، ومن أهم هذه الصعوبات:

1- قلة المصادر التي تتناول الحياة الاجتماعية والثقافية لشخصيات الحركة الوطنية وتركيز معظمها على الناحية السياسية.

2- صعوبة الترجمة من اللغات الأجنبية إلى العربية والتي تتطلب متسع من الوقت .

3- صعوبة العثور على الأرشيف المتعلق بما خفي من حياة هذه الشخصيات البارزة في الحركة الوطنية.

7- نقد أهم مصادر البحث ومراجعته:

من المراجع الأساسية في هذا البحث، مؤلفات الدكتور أبو القاسم سعد الله:

1- تاريخ الجزائر الثقافي: وهي موسوعة تاريخية مهمة للبحث تتكون من 10 أجزاء، سلطت الأضواء على الثقافة الجزائرية خلال العهدين العثماني والفرنسي.

2- الحركة الوطنية الجزائرية وتقع في أربعة أجزاء: إتمدت على جزئين منها الثاني والثالث يتناول الجزء الثاني البيئة الثقافية في الجزائر قبيل ظهور الحركة الوطنية، أما الجزء الثالث: فيعالج التوتر الاجتماعي وأسبابه ونتائجه وأثره على المجتمع وعلى أبرز قادة الأحزاب السياسية: جمعية العلماء وحزب الشعب في الفترة الممتدة من 1930م إلى 1945م.

3- "كتاب الجزائر" لمؤلفه أحمد توفيق المدني الذي استعرض فيه تاريخ الجزائر منذ العصور القديمة إلى الفتح الإسلامي كما عرف بالجزائر وسكانها وأكمل إلى الوجود العثماني والإحتلال الفرنسي، وأهم المحطات التاريخية الحديثة والمعاصرة.

4- كتاب منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945 لمؤلفه خثير عبد النور، حيث يتناول الانبعاث الثقافي الجزائري في بداية القرن العشرين 20م، وإفرازات حركة

التعليم العربي والغربي والعناصر الفعالة في هذا الانبعاث منذ 1920م إلى 1954م، كما تطرق أيضا إلى بعض الأحزاب السياسية.

5- كتاب مذكرات مصالي الحاج 1898-1938م لمؤلفه بن يامين سطور، ترجمة محمد المعراجي الذي يتناول أهم محطات حياة مصالي الحاج وآرائه وميولاته السياسية.

8- الدراسات السابقة:

أهم الدراسات التي اطلعت عليها في هذا الموضوع هي دراسات متخصصة في التراجم ولكنها تناولت الأدوار السياسية والأدبية والعلمية بصفة عامة ومن أبرز هذه الشخصيات هي:

- أ- فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية وموقفه من الاستقلال (1899-1985م) للطالب: عز الدين معزة، وإشراف الأستاذ الدكتور عبد الكريم بوصفصاف.
- ب- فرحات عباس والحبيب بورقيبة دراسة تاريخية وفكرية مقارنة (1899م- 2000م) للطالب: عز الدين معزة، وإشراف الأستاذ الدكتور عبد الكريم بوصفصاف.

9 -خطة البحث:

تتكون الرسالة من مقدمة وخمسة فصول وخاتمة كالاتي:

مقدمة. تناولت في المقدمة خطة البحث، وإشكاليته، وأهم المصادر والمراجع التي إستعملتها في هذه المذكرة، وأهم الصعوبات التي واجهتني.

الفصل الأول: الوضع السياسي والثقافي والاجتماعي في الجزائر 1925-1954

تطرق في هذا الفصل إلى الأوضاع العامة للجزائر في الفترة المدروسة وهو المحيط الذي نشأ فيه قادة الحركة الوطنية في المجال السياسي والاجتماعي والواقع الثقافي، ويتضمن هذا الفصل ثلاثة مباحث هي:



المبحث الأول: الأوضاع الاجتماعية في الجزائر منذ 1925م إلى 1954م، حيث تعتبر البيئة الاجتماعية التي عاش فيها قادة الحركة الوطنية.

المبحث الثاني: الأوضاع الثقافية في الجزائر من 1925م إلى 1954م، عالجت فيها ميدان التربية والتعليم الإستعماريين.

المبحث الثالث: الأوضاع السياسية في الجزائر من 1925م إلى 1954م، وقد تناولت فيه البيئة السياسية في الجزائر التي ساهمت في تبلور الوعي الوطني لدى القادة السياسيين.

الفصل الثاني: التكوين الاجتماعي لقادة الحركة الوطنية

تناولت في هذا الجزء أثر الواقع الاجتماعي على قادة الحركة الوطنية في مختلف التيارات الحزبية، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: النشأة الأولى لقادة الحركة الوطنية، وفيه تطرقت إلى التعريف بالطبقات التي ينتمي إليها القادة السياسيون وحالتها الاجتماعية.

المبحث الثاني: أسر القادة، تناول هذا المبحث أهم أسر القادة السياسيين وانتماءاتهم الاجتماعية.

المبحث الثالث: تأثير الهجرة على الحالة الاجتماعية للقادة السياسيين.

الفصل الثالث: التكوين الثقافي لقادة الحركة الوطنية.

تطرقت في هذا الفصل إلى تأثير الثقافة الوافدة من الشرق والغرب على شخصيات الحركة الوطنية ومحاوله معرفة كيف كان تعليم هؤلاء القادة السياسيين، وفيه ثلاثة مباحث هي:

المبحث الأول: تأثير الثقافة العربية الإسلامية على القادة السياسيين، حيث تناول هجرة النخبة السياسية إلى المشرق العربي وتأثرها باللغة العربية والدين الإسلامي.

المبحث الثاني: تأثير الثقافة الفرنسية الغربية على القادة السياسيين، حيث تطرقت في هذا المبحث إلى تأثير اللغة الفرنسية والثقافة الغربية على القادة السياسيين.

المبحث الثالث: قادة الحركة الوطنية بين الهوية الوطنية والتأثيرات الفرنسية، ومما جاء في هذا المبحث تأثير أهم القادة السياسيين بالثقافات العربية والفرنسية.

الفصل الرابع: التكوين السياسي لقادة الحركة الوطنية

وقد عالجنا في هذا الفصل الميولات السياسية لقادة الأحزاب الوطنية وأهم آرائهم على الحياة السياسية والتي عبروا عنها بمطالب الأحزاب والتيارات، وفيه أربعة مباحث: المبحث الأول: التكوين السياسي لقادة الإصلاح، تناول أهم الأفكار السياسية التي تأثر بها القادة السياسيون للتيار الإصلاحي.

المبحث الثاني: التكوين السياسي لقادة التيار الإدماجي، وأهم ما تأثر أصحاب هذا التيار. المبحث الثالث: التكوين السياسي للتيار الشيوعي، والأفكار الشيوعية التي تأثر بها السياسيون.

المبحث الرابع: التكوين السياسي لقادة الحزب الإستقلالي، تناول هذا المبحث الأفكار الإستقلالية التي تأثر بها القادة.

الفصل الخامس: نماذج من شخصيات الحركة الوطنية.

في هذا الفصل درست أهم شخصيات الحركة الوطنية والتوقف أمام أهم محطات حياتهم السياسية والإجتماعية والثقافية وهم: الشيخ عبد الحميد بن باديس، مصالي الحاج، فرحات عباس، عمار أوزقان.

المبحث الأول: تناول التكوين الإجتماعي والثقافي والسياسي للشيخ عبد الحميد بن باديس. المبحث الثاني: تطرق إلى التكوين الإجتماعي والثقافي والسياسي لمصالي الحاج. المبحث الثالث: بعنوان التكوين الإجتماعي والثقافي والسياسي لفرحات عباس. المبحث الرابع: تناول التكوين الإجتماعي والثقافي والسياسي لعمار أوزقان.

خاتمة البحث:

وفيها تم عرض النتائج المتوصل إليها وأهم النقاط حسب الأهمية.

وقد أشفعت المذكرة بملاحق وبيبلوغرافية حسب ما توصلت إليه في مجالات مختلفة.

الفصل الأول

الأوضاع العامة للجزائر (1925م-1954م)

المبحث الأول: الأوضاع الإجتماعية في الجزائر .

المبحث الثاني: الأوضاع الثقافية في الجزائر .

المبحث الثالث: الأوضاع السياسية في الجزائر .

خاتمة الفصل

الفصل الأول:**الأوضاع العامة في الجزائر 1925م-1954م**

يعالج هذا الفصل الأوضاع السياسية والإجتماعية والثقافية التي كان المجتمع الجزائري يعاني فيها القهر الإستعماري منذ أكثر من قرن، دون الرضوخ للإدارة الفرنسية، حيث وصلت سياستها إلى ذروتها بعمليات تجزئة المجتمع الجزائري، كما حطمت وفككت أطره الثقافية، فبعد مقاومات الإحتلال التي قادها الأمير عبد القادر وأحمد باي ومختلف الإنتفاضات الإقليمية خاصة منها ثورة 1871م، وثورة بوعمامة (1881م-1904م) التي استطاعت أن تنشر الرعب في الأوساط الفرنسية، حيث قامت الإدارة الإستعمارية تتفنن في سن القوانين الزجرية، بهدف منع المجتمع الجزائري من التفكير في التمرد أو العصيان، فساد بعدها بعض الهدوء قبل أن تدخل الجزائر مرحلة جديدة من النضال الذي سيحدث تحولاً عظيماً في تاريخ المقاومة الجزائرية، ألا وهو النضال السياسي.

وقد تأثر قادة النضال السياسي بالبيئة الجديدة وسياسة الإحتلال القمعية، والمشاريع الفرنسية المجحفة في حق أبناء الجزائر والتي تخدم بالدرجة الأولى مصالح المستوطنين الأوروبيين الذين وفرت لهم كل سبل الراحة والرفاهية على حساب الأهالي، بالإضافة إلى الإصلاحات التي مست كل الميادين فقد ازدهر حال المواطن الفرنسي وارتفع مستوى دخله على حساب السكان الأصليين أو الأهالي، كل هذا أدى إلى إنتشار نوع من الكراهية والسخط على هذه الأوضاع المزرية في أوساط الأهالي، والتي ستعبر عنها النخبة الجزائرية في شكل أحزاب سياسية، حيث ستلجأ هذه الفئة إلى المطالبة بالحقوق السياسية والإجتماعية وحتى الثقافية عن طريق العمل السياسي.

تعتبر نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين فترة حساسة، حيث ظهرت فيها تحولات في جميع الميادين أدت إلى ظهور الوعي الوطني والسياسي، ولهذا يتطرق هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث، حيث يتناول المبحث الأول: الأوضاع السياسية في الجزائر 1925م-1954م، ويتطرق المبحث الثاني إلى الأوضاع الإجتماعية في الجزائر 1925م-1954م، ويعالج المبحث الثالث: الأوضاع الثقافية في الجزائر 1925م-1954م.

المبحث الأول:

الأوضاع الاجتماعية في الجزائر

يتحدث هذا المبحث عن البيئة الاجتماعية في الجزائر، والتي تعتبر بيئة مناسبة لبلورة أفكار الأفراد خاصة قادة الحركة الوطنية وتوفير الظروف المناسبة للتغيير نحو الأحسن، حيث يعالج البيئة الاجتماعية الجزائرية وأهم ميزات المجتمع الجزائري وحركته السكانية (النمو الديمغرافي)، أما إشكالية المبحث هي: كيف كانت الحياة الاجتماعية في الجزائر في الفترة المدروسة؟ وهل كانت تحمل بذور الوعي الوطني؟

تتمثل طوائف المجتمع الجزائري في: الجزائريين (ويكونون 99% من مجموع السكان في الجزائر وهم العرب والشاوية والقبائل...) بالإضافة إلى الأتراك واليهود والمسيحيين (الذين يمثلون 1% من مجموع السكان)¹، وقد استطاعت هذه العناصر على الرغم من إختلافها العرقي والديني أن تنسجم وتتعايش إجتماعيا، حيث كان المجتمع الجزائري ومازال يقبل الإختلاف ولذلك عاشت الجزائر في هدوء تام².

وكان عدد سكان الجزائر سنة 1830م حوالي 3 ملايين نسمة*، تتراوح نسبة الساكنين بالمدن 6.62% (الحضر)³، أما سكان الأرياف فيهم ما بين 90% و95% وينقسمون بدورهم إلى قسمين هما:

¹ – Pierre Bourdieu: Sociologie de l'Algérie Que sais je?, éditions PUF, Paris: 1980, p80.

² – عبد الكريم بوالصفصاف: تاريخ الفكر العربي الحديث والمعاصر محمد عبده وعبد الحميد بن باديس نموذجاً، ج1، دار الهدى، الجزائر: 2005، ص99.

* – يذكر حمدان خوجة في كتابه المرأة أن عدد سكان الجزائر غداة الاستعمار كان يقدر بـ10 ملايين نسمة وهو عدد مبالغ فيه لأن معظم الكتب والمراجع التاريخية أجمعت على أن عدد سكان الجزائر كان 3 ملايين نسمة. أنظر: (عثمان حمدان خوجة: المرأة، ترجمة محمد العربي الزبيري، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر: 1982، ص29).

³ – إسماعيل العربي: المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر: دت، ص24.

المستقرون: كانوا في الأصل رحل ثم استقروا واحتفظوا بنشاطهم الفلاحي المرتبط بزراعة الحبوب وتربية الحيوانات.

البدو الرحل وأنصاف الرحل: حيث كانت العوامل الطبيعية تتحكم في حياتهم خاصة التساقط، ويعتمد نشاطهم على تربية الماعز والأغنام والجمال¹.

وعلى الرغم من الاختلاف بين سكان المدن والأرياف إلا أنهم يشتركون كلهم في احترام العادات وتقاليد الأجداد كما يذكر المثل "إتبع طريق والدك، وطريق جدك"، فمن الصعوبة أن يتقبل مجتمع كهذا أفكار النخبة التي قضت سنوات في الدراسة، ووجدوا صعوبة في نشر أفكارهم في هذا المجتمع الرفض لأي فكر لا يتماشى مع عادات أجداده، وبالتالي العامل الإيجابي الذي جعل الإنسان الجزائري يثور ضد الإحتلال هي تمسكه بأرضه²، بالإضافة إلى تعلقه بتاريخه الأمازيغي والعربي الإسلامي.

لقد كان المجتمع الجزائري في السنوات الأولى من القرن العشرين مجتمعا متأرجحا بعد أن عمل فيه بعمق تطور الإستعمار الفرنسي، مجتمع يحكمه قانون التبعية الأهلية، مجتمع مكون من مدن وأرياف تراقبها الثكنات العسكرية فتحول الجزائريين إلى مساكين تائهين عن الطرقات³.

الحركة السكانية في الجزائر:

إن الخسائر المرتفعة في الأرواح، والإستنزافات الديمغرافية في القرن التاسع عشر، المتمثلة في الخسائر الناتجة عن المقاومات الشعبية والأوبئة والأمراض التي كانت آخرها سنتي 1866م-1868م، والكوارث الطبيعية وما انجر عنها من الجفاف والجراد (1867م-1868م) كان لها التأثير الواضح على

¹ -Pierre Bourdieu:op.cit, p 54-58.

² -ibid. , pp 80,82.

³ - عبد القادر جغلول: الإستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر، ترجمة سليم قسطون، ط1، دار الحداثة، بيروت، لبنان: 1984م، ص61.

عدد السكان في تلك الفترة¹، بالإضافة إلى عمل الإستعمار الفرنسي قي تزييف هذه الأرقام، وقد كانت عمليات الإحصاء السكاني صعبة جدا وغير دقيقة لكنها أصبحت مريحة بعد سنة 1919م²، يصاحبه زيادة طفيفة للأوروبيين بفضل تشجيع الهجرة إلى الجزائر³، حيث أن سياسة تعمير الجزائر كانت ترمي بالضبط إلى إستعمال جميع الوسائل لجعل هذا الإلحاق إدماجا شرعيا، ويقول في هذا الصدد الدكتور بوديشون (Bodichon)⁴ في كتابه "خاطر عن الجزائر 1954م": "لا يهم فرنسا أن تحرق في سياستها الإستعمارية المقاييس الأخلاقية وقيمها، ولكن الذي يهمنا قبل كل شيء تأسيس مستعمرة نملكها بصفة نهائية وننشر على الشواطئ البربرية المدنية الأوروبية".

الجدول رقم 501: يمثل النمو الديمغرافي في الجزائر للأوروبيين والجزائريين*

السنوات	عدد السكان الجزائريين	عدد السكان الأوروبيين
1921	4923186	791370
1926	5150756	833359
1936	6201140	946013
1948	7679078	922272
1953	8232000	1019000

¹-صاري الجيلالي، محفوظ قداش: الجزائر في التاريخ: المقاومة السياسية 1900م-1954م الطريق الإصلاحي والطريق

الثوري، ترجمة: عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر: 1987م، ص ص 189، 196.

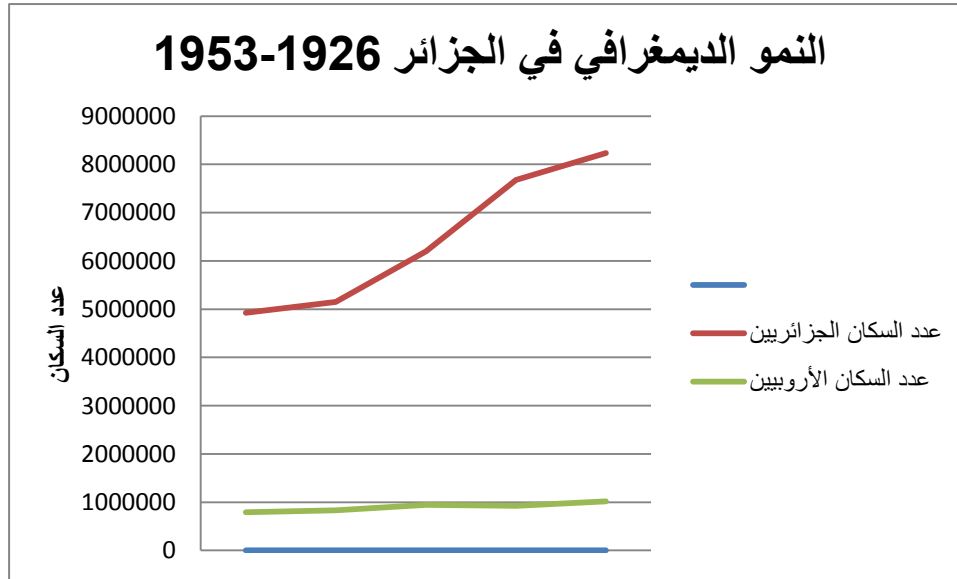
²- شارل رويبر أجرون: تاريخ الجزائر المعاصر من الإنتفاضة 1871م إلى إندلاع حرب التحرير 1954م، ج2، ط1، دار الأمة، الجزائر: 2008م، ص 761.

³- أحمد محساس: الحقائق الاستعمارية والمقاومة، دار الهدى، الجزائر: دت، ص 25.

⁴ - فرحات عباس: المصدر السابق، ص ص: 72، 73.

⁵ - محمد العربي الزبيرى: تاريخ الجزائر المعاصرة، ج1، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق: 1999م، ص 28.

*- كما يذكر شارل رويبر أجرون في كتابه تاريخ الجزائر المعاصرة، أنه حسب المعطيات الإجمالية المتعاقبة، أن عدد سكان الجزائر في سنة 1921م كان 5804275 أما سنة 1926م هو 6064865 نسمة وفي سنة 1936م صار العدد 6553451 نسمة، وسنة 1936م كان العدد 7234684 نسمة أما سنة 1948م فارتفع إلى 8681785 نسمة وفي سنة 1954م كان العدد حوالي 9529726 نسمة بنسبة زيادة تقدر ب 64%، أنظر: (شارل رويبر أجرون: المرجع السابق، ص 762).



تضاعف عدد الجزائريين المسلمين بالمقارنة مع عدد الأوروبيين في الجزائر، حيث أن زيادتهم كانت طفيفة بالنظر إلى زيادة الجزائريين، كما أن الإستعمار الفرنسي عمل على تحطيم البنية الاجتماعية للشعب الجزائري، فجعلهم يعانون الفقر والمجاعات والأمراض بالإضافة إلى تعرضهم للقتل والإبادة الجماعية، كما شجعت على الإستيطان في الجزائر عن طريق الهجرة، فتكونت بذلك طبقة برجوازية من المستوطنين في المدن وأخرى في الأرياف.

هؤلاء السكان أو أبناء الوطن الذين تسميهم الإدارة الفرنسية بأسماء متعددة، فأحيانا هم الأهالي وهم العرب في نظر الكولون، والمسلمون في نظر بعض المؤرخين أمثال شارل روبرت أجرون (Charle Robert Ageron)، وهم يمثلون عشرة أضعاف الجالية الأروبية، لكنهم لا يملكون شيئا بالمقارنة مع ما هو موجود عند الكولون، وهو يشتمل على فئتين إجتماعيتين، تتشكل الأولى من العائلات المقربة من السلطات الفرنسية نتيجة ماتقدمه لها من بعض الخدمات، وهي رغم ماتملكه من متاع وإمميزات لا ترقى إلا إلى مستوى أحط من الأوروبيين شأننا وثروة، أما من الناحية العددية، فهذه الفئة قليلة جدا عندما تضم إليهم من كانوا يسمون بالنخبة، أما الفئة الاجتماعية الثانية فتتشكل من

باقي السكان الذين يعيشون أوضاعا متقاربة ويتعرضون لنفس أنواع الإستغلال والإضطهاد والتعسف¹.

أما التركيب العمري للجزائريين فحسب الجدول رقم 202².

العمر	النسبة المئوية
من الولادة إلى 19 سنة	48.9
من 20 إلى 59 سنة	45.7
أكثر من 60 سنة	5.4

نلاحظ أن معظم سكان الجزائر في مطلع القرن العشرين، يغلب عليهم فئة الشباب (0-19 سنة) وهي فئة ريفية عاشت الجمود الفكري وإنعدام خبرتها في المقاومة ضد الإحتلال الفرنسي أما الفئة الثانية (20-59 سنة) فئة أنهكها الفقر والمرض والقهر، وتبقى الفئة الأخيرة وعددهم قليل نتيجة الموت المبكر بسبب الأمراض والأوبئة.

الهجرة:

وقعت في هذه السنوات حركات هجرة للسكان على نطاق واسع داخل الجزائر نفسها، وبين الجزائر ومختلف البلدان الإسلامية وكذا فرنسا، فرغم أن الجزائر بلد زراعي، إلا أن عدد سكان المدن كان أضعاف سكان الريف عكس ما كان قبل إحتلال فرنسا للجزائر³. هناك نوعان من الهجرة:

الهجرة الداخلية:

¹ - محمد العربي الزبيدي: المرجع السابق، ص ص 24، 25.

² - Charles Robert Ageron: **Les Algériens Musulmans et la France**, t2, p.u.f. Paris: 1968,p816.

³ - جوان غليسي: الجزائر النائرة، تعريب: خيري حماد، ط1، منشورات دار الطليعة، بيروت: 1961م، ص 43.

بعد عام 1830م باشر الإحتلال الفرنسي بنزع الأراضي وطرده أصحابها الوطنيين من السهول الساحلية الخصبة إلى الداخل والهضاب الأقل خصوبة وإنتاجا، فاضطروا إلى الإشتغال في الرعي أو الهجرة إلى المدن التجارية الساحلية للعمل، وكان الأوروبيون يرحبون بهذه اليد العاملة الرخيصة¹. كما كانت الحرب العالمية الأولى حافزا لهجرة جماعية واسعة النطاق²، كما أطلق عليها البعض أنها حركات الجائعين المهاجرين، حركات أشخاص اضطروا إلى مغادرة الدوار طلبا لعمل وملجأ في كبريات المدن في الشمال³.

وكتب أندري نوشي (André Nouchi)⁴ معلقا على هذه الظاهرة خلال عشرينية

1926م-1936م قائلا: " من سنة لأخرى، يتزايد المجتمع الجزائري (في الشمال)، زاد من 5.412.000 ساكنا إلى 6.592.000 ساكنا أي مايعادل 1.180.000 ساكنا خلال عشر سنوات، وإزداد عدد الأوروبيين (بما فيهم الإسرائيليين) من 828.500 إلى 978.300 أي مايعادل أكثر من 179.800 ساكن، وتزايد الأهالي من الرعايا الفرنسيين على مايفوق المليون ... سنة 1936م. ويبقى التزايد الكبير هو لحصة الأهالي أي (87.2%) ".⁵

الجدول رقم 03 تمثل تطور عدد السكان في الريف والمدينة لمدينة الجزائر العاصمة⁵

السكان	1936		1948		1954	
	الأعداد	النسبة	الأعداد	النسبة	الأعداد	النسبة
الحضريون	720	%12.9	1090	%14.8	1430	%18.2
الريفيون	4850	%87.1	5570	%85.2	6410	%81.8

¹ - فيليب رفل: الجزائر، إشراف عز الدين فريد، ط2، مؤسسة المطبوعات الحديثة، دت، ص61.

² - جوان غليسي: المصدر السابق، ص35.

³ - صاري الجيلالي، محفوظ قداش: المرجع السابق، ص212.

⁴ - أحمد محساس: المرجع السابق، ص28.

⁵ - صاري الجيلالي، محفوظ قداش: المرجع السابق، ص213.

وهكذا عرفت جميع المدن الصغيرة منها والكبيرة والقديمة والحديثة تطورا مضطربا، حيث كان الوصل الغير منقطع للجماهير الريفية، الذي قلب المحتوى الإجتماعي والعنصري للمدن ووفر شروط زوال النظام الإستعماري سواء من المدن أو الأرياف¹، فقد تغيرت العلاقة بين المستعمّر والمستعمر فضيق الخناق على الإستعمار وأصبح يشغل مكانا دفاعيا بينما سيمر الجزائريون إلى الهجوم السياسي².

الهجرة الخارجية:

تعتبر ظاهرة هجرة الجزائريين إلى فرنسا أغرب وأعجب تصرف، حيث أن فرنسا تحتل أرضا وتشجع هجرة أبنائها إليها وتسمح في نفس الوقت بدخول الآلاف إلى بلادها، أليست هنا فرنسا أولى بأبنائها ولماذا هذا التعقيد؟ لأجل إدماج الجزائر في فرنسا؟³.

إن هجرة الجزائريين لخارج الجزائر لم تكن مرافقة بالتنكر للوطن سواء تعلق الأمر بالهجرات الناتجة عن التوغل الإستعماري، أو أثناء المقاومات المسلحة*، فالإغتراب في جميع الأحوال لم يكن نهائيا بل هو فرصة جديدة لتأكيد التعلق بمسقط الرأس⁴، واستمرت الهجرة حتى عام 1924م ثم بدأت نسبة المهاجرين في التراجع بإقتراب سنة 1929م بسبب حلول الأزمة الإقتصادية في العالم، ثم استأنفت الهجرة مرة أخرى في عام 1936م لتتوقف في فترة الحرب العالمية الثانية، لكن فرنسا شعرت بالحاجة لليد العاملة بعد هذه الحرب، وكان عدد الجزائريين في فرنسا عام 1954م يتراوح بين ثلاثمئة ألف وأربعمئة ألف جزائري⁵.

¹ - صاري الجيلالي، محفوظ قداش: المرجع السابق، ص218.

² - أحمد محساس: المرجع السابق، ص29.

³ - فيليب رفل: المرجع السابق، ص55.

*- أثناء العشرينات الأولى التي تلت العدوان الاستعماري غادرت أسر عديدة وقبائل الحدود إلى المملكة المغربية والإيالة التونسية وبلدان إسلامية أخرى خاصة سوريا وشبه الجزيرة العربية وفلسطين، لتفر قبل كل شيء من المجازر وتطبيق تجريد محتمل من الديانة الإسلامية. أنظر: (صاري الجيلالي، محفوظ قداش: المرجع السابق، ص219).

⁴ - المكان نفسه

⁵ - جوان غليسي: المصدر السابق، ص35.

ويمكن القول أن الحركة الوطنية الجزائرية نشأت بين طوائف العمال الذين خدموا في المصانع والمناجم في فرنسا، وشعروا بإنخفاض رواتبهم بالنسبة للأوروبيين رغم أدائهم لأعمال أصعب من التي يقوم بها هؤلاء¹.

الجدول رقم 204² يمثل صافي عدد المهاجرين لفرنسا من 1925م - 1949م.

السنة	الراحلون لفرنسا	العائدون للجزائر	صافي عدد المهاجرين
1925	24753	363228	11575-
1929	42498	42227	721+
1936	27200	11222	15978+
1937	46562	25622	20940+
1939	24419	32674	8255-
1940	13974	27824	13850-
1945	577	؟	؟
1947	66234	22251	43983+
1948	80714	54209	26505+
1949	83377	75257	8120+

أما عن أسباب هجرة الجزائريين إلى فرنسا فيمكن أن نلخصها فيما يلي:

- 1- حالة البؤس التي يعاني منها الجزائري: حيث استولى الفرنسيون على أخصب الأراضي بالإضافة إلى أن الإحتكاك بين الطرفين يشعر أحدهما بأن الآخر قد اغتصب أرضه وماله وعرضه وحرته مع الفوارق الدينية واللغوية³، بالإضافة إلى إستغلال الفلاح وسوء حاله، كما

¹ - جلال يحيى: المغرب الكبير الفترة المعاصرة وحركات التحرر والإستقلال، ج4، دار النهضة، بيروت، لبنان: 1981م، ص 282، 283.

² - يحيى بوعزيز: السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري (1830م-1954م)، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص ص 203، 204.

³ - فيليب رفل: المرجع السابق، ص ص 55، 56.

نذكر أن المعيشة في الجزائر كانت أعلى منها في فرنسا بإعتراف البيانات الرسمية، بالإضافة إلى تفشي البطالة مع العلم أن الجزائري إذا وجد نفس الظروف تنتظره في فرنسا فسيكون مصيره العودة إلى الوطن¹.

2- رغبة فرنسا تسهيل عملية الهجرة لإمتصاص العناصر النشيطة، وتشغيلهم في المناطق القاسية في فرنسا، خاصة وأنها بحاجة ماسة إلى اليد العاملة²، وقد بدأوا في تطبيق هذه السياسة منذ 1913م، لكنها توقفت وحررت منذ سنة 1936م، ثم عادوا لتطبيقها بعد تحرير فرنسا عام 1944م، والواقع أن المستعمرين في الجزائر كانوا دائما ضد تشجيع الهجرة، لأن مصلحتهم في بقاء الأجور منخفضة نتيجة التعطل والفقر الشديد وإليهم يعود الفضل في حركة الهجرة (التسهيل أو العرقلة)³.

3- يشجع الفرنسيون الهجرة إلى بلادهم حتى يتشبع الجزائريون بالروح الفرنسية فيتخلوا عن الجزائر للفرنسيين فيجعلوها فرنسية في السكان كما جعلوها فرنسية في الإدارة والسياسية، وقد صدر قانون 1946م الذي ينص على منح الجنسية الفرنسية لجميع المهاجرين إلى فرنسا محاولين بذلك فرنسة الجزائريين⁴.

وبالتالي فإن الشعور بسوء الحياة في الجزائر هو الذي جعل المهاجر يضيق بموطنه الأصلي، خاصة وأن الجيل الجديد في الجزائر يصبو إلى حياة تتفق وروح العصر، كما لا ننسى من يهاجر هربا من الغضب الذي يجيش في أعماقه ضد العدوان الفرنسي خوفا من ارتكاب الجرائم⁵.

¹ - يحي بوعزيز:، ص ص 237، 241.

² - فيليب رفل: المرجع السابق، ص 56.

³ - يحي بوعزيز:، المرجع السابق، ص ص 241، 242.

⁴ - فيليب رفل: المرجع السابق، ص ص 56، 57.

⁵ - يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص ص 243، 244.

لكن الغالبية العظمى من هؤلاء الذين أجبرهم الإستعمار على الخروج من ديارهم فرارا من الموت، لا تزال جزائرية دينا وعقيدة، وقد حاولت العودة إلى أرض الوطن أيام الثورة لكن الإدارة الفرنسية حالت بينهم وبين ذلك، خشية إنضمامهم إلى جانب إخوانهم الثائرين¹.

الحالة الإجتماعية للشعب الجزائري:

عاش المجتمع الجزائري في الفقر المرير والجهل المقصود كان الإستعمار يهدفون من ورائه إلى السيطرة الدائمة والإحتياج المستمر لهم، مما يجعل التفكير في التحرر ضربا من ضروب المحال، تجعل الجزائري يدقق في حال أمته وأحوال شعبه، ويضع له كشوفات لحالات كلها مخلفات العهد المظلم، فهناك من الصغار من يعس من نيل قطعة خبز في الشوارع وهو يتسول* بعد أن جرب مسح الأحذية وبيع السجائر فهذا مثال عن النواشز الإجتماعية التي خلفها ليل الإستعمار، فكل جزائري تواجهه عشرون مشكلة فالكمل يطالب بالعمل والسكن والدراسة...، أما القرية الجزائرية فبدائية العيش وتكاد تكون وسائلها متحفا لمشاهد بقايا العصور الحجرية، فالعائلة الفلاحية في القرية هي عبدة بجميع أفرادها للمعمر مقابل لقمة العيش التي تحفظ لهم الحياة المسخرة للأرض والمعمر، وتبقى هذه العائلة مدينة مدى الحياة له حتى لا تفكر في الرحيل والبحث عن عمل آخر²، فقد أحب سكان الريف وهم الأغلبية الحياة الضنكاء، يكتفون بالماء والخبز والثياب الرثة، لم تكن قيمة الإنسان الجزائري أفضل من قيمة البهائم فالإدارة الفرنسية لا توليه أي إهتمام إلا عندما يتعلق الأمر بفرض مختلف أنواع الضرائب، لأن الجزائريين آنذاك لم يحكمهم القانون بل أن حياتهم اليومية تسير وفقا لمشيئة المعمر ومصالحه، لذلك كثيرا ما نرى فلاحا جزائريا غرم لأنه ركب حماره، أو لأنه وجد يأكل خبزا وعنبا في

¹ - أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر، منشورات مخبر الدراسات العليا التاريخية والفلسفية، قسنطينة 2008، ص 137.

* - وفي سنة 1945 صار الخبز مقنن التوزيع وحتى السكر والقهوة والزيت، وقد تضررت العائلات الفقيرة من الوضع وغلاء المعيشة والسوق السوداء، أنظر: (محفوظ قداش: المرجع السابق، ص 337).

² - محمد منيع: قصص من فضائح الإستعمار في الجزائر، منشورات مكتبة دار الكتاب البلدية: الجزائر: دت، ص ص 46-48.

الغابة، ولهذا فإن معظمهم فضل حياة العزلة ووكلوا كل ما يتعلق بمصيرهم للقضاء والقدر¹، أما المرأة فقد انحصرت واجباتها في العمل والإنجاب والطبخ وكان تعليمها معرة ومسبة للواحد منهم². إضافة إلى ذلك فإذا كان الأوروبيون كافة يسكنون الدور والقصور، فإن الجزائريين المسلمين يتيهون في البادية الجزائرية القاحلة، أو في البيوت القصدية الرهيبة على مقربة من المدن، حيث تقسم عائلتين الغرفة الواحدة فتصبح كالقبر الجماعي، الذي يحسد فيه الأحياء الأموات على قبورهم الإفرادية³.

العمال في الجزائر:

لطالما كانت للمهن دور كبير في تكوين الفكر خاصة وأن العمال يتجمعون في مكان واحد يتشاركون فيه الأفكار والهموم والآمال، لذلك يجب معرفة القطاعات التي اشتغلها الجزائريون وأهم المشاكل التي يواجهونها في أعمالهم، خاصة الأجور. لقد حرص الإستعمار الفرنسي على أن تكون البطالة في الجزائر مزمنة، ليكثر عرض العمل وتحتفظ الأجور بمستواها المنخفض، وقد سجلت هذه الحقيقة إحصائيات الحكومة الفرنسية ذاتها حيث ذكرت: "أن عدد العمال العاطلين يبلغ 1110000 كلهم جزائريون وذلك عام 1949م، دون أن تكون هناك ثورة أو حرب"⁴، فقد حاول المستعمر إبعاد الجزائريين عن الأرض، وعن الوظائف الحكومية والإدارية، بالإضافة إلى عدم وجود صناعة في البلاد وهذا كان كافياً لنشأة طبقة كثيفة من العمال العاطلين عن العمل، والتي تعتبر حياتهم معجزة من معجزات العالم الحديث⁵. هد الإستعمار الفرنسي كيان المجتمع الجزائري وأوهن حيويته، واعتصر موارده إلى آخر قطرة، حتى تحول المجتمع إلى جمع من الرقيق الإقتصادي ظل يسخره لفائدته طيلة سنين لجلب الرفاهية والثروة، إن

¹ - محمد العربي الزبيري: الثورة الجزائرية في عامها الأول، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر: 1984م، ص ص 47، 48.

² - محمد العربي الزبيري: تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق، ص 26.

³ - أحمد توفيق المدني: المصدر السابق، ص ص 132، 133.

⁴ - سعد زغلول فؤاد: الجزائر في معركة التحرير، ط 1، توزيع دار الكتب الشرقية، تونس: 1957م، ص 17.

⁵ - أحمد توفيق المدني: المصدر السابق، ص ص 131، 132.

ملايين العمال الزراعيين الذين يكدحون في أراضي الإقطاعيين الفرنسيين مالا يقل عن 11 ساعة كل يوم يتقاضون أجورا لم تعرف بعد في أحط المستويات المعيشية، حيث يتراوح أجر العامل الجزائري في الأسبوع من ألفين وخمسمئة إلى ثلاثة آلاف وثمانمئة فرنك، كما أنهم محرومون من أبسط الحقوق والضمانات العالمية، وليس هناك من يدافع عن حقوقهم أو يهب لنجدتهم في حالات الإصابة أو العجز والمرض، وليس لديهم الحق في تكوين النقابات الخاصة بهم، والموجودة هي نقابات يمينية صفراء تدين للإستعمار بوجودها وهي: الإتحاد الفرنسي للعمال المسيحيين، والإتحاد العام للعمال الكادحين ويدير شؤون هذا الإتحاد المستخدمون الأوروبيون، أعداء الطبقة العاملة الجزائرية .

وقد وردت إحصائيات رسمية في كتاب الأستاذ شفالبيه (Chevalier) "مشكلة السكان في شمال إفريقيا" وذلك بعد دراسة إجتماعية لسكان بلدة قالمة وبيان إيرادات سبع آلاف وستمئة وخمسون عائلة كالتالي:

1- عائلات فقيرة: 448 عائلة دخلها السنوي 6000 فرنك (3.4% من مجموع السكان).

2- عائلات أكثر فقرا: 623 عائلة دخلها بين 5000 و6000 فرنك (8% من مجموع السكان).

3- عائلات أكثر فقرا: 934 عائلة دخلها السنوي من 2000 إلى 4000 فرنك (12% من مجموع السكان).

4- عائلات في أقصى درجات الفقر: 1655 عائلة دخلها بين 1000 و2000 فرنك (21% من مجموع السكان).

5- عائلات يأكلها الإملاق: 3990 عائلة دخلها أقل من 1000 فرنك سنويا (25% من مجموع السكان)¹.

وبعد نهاية الحرب العالمية الأولى، نزح السكان الجزائريون المسلمون نحو المدن الصناعية، لغياب اليد العاملة الأوروبية، وأكثرهم كانوا يشتغلون في المقاهي والنقل الحديدي، وأعوان إداريين، ومراقبين

¹ - سعد زغلول فؤاد: المصدر السابق، ص 35-44.

داخليين في الثانويات، وأئمة وبوابون، كما شهد الريف إستقرار أنصاف البدو للعمل في مزارع المحتلين¹.

كما قامت فرنسا بمصادرة الأراضي الزراعية وملكتها لأبنائها المعمرين، وقضت على التجارة الوطنية الخارجية والداخلية بسيطرة رجالها عليها بإستثناء الأجزاء الصغيرة منها فقد تركت لأهل البلاد. وتم الإستيلاء على جميع وظائف الدولة وأقصي منها الجزائريون، وبين عشية وضحاها تحول ملاك الأراضي إلى عمال أجراء لدى الملاك الجدد الفرنسيين، واستمرت الأمور على ذلك إلى غاية إكتشاف الثروة المعدنية وسخروا المعدمين من الأهالي لإستخراجها، كما سخروا المواطنين لخدمة وصيانة القطارات والسيارات، وبهذا أصبح المجتمع الجزائري خلال قرن وربع مكونا من طبقتين هما: الطبقة العاملة الصناعية والزراعية، والطبقة البرجوازية².

أما إسهام الجزائريين في مختلف القطاعات الإقتصادية في البلاد خاصة في إحصاء عام 1954م حيث كان 75% من السكان العاملين يشتغلون بالزراعة، والفئة الثانية تعمل في ميدان التعدين والصناعات المنسقة وهم حوالي 62% من مجموع العاملين بهذا القطاع، أما الفئة الثالثة من الجزائريين وهي تؤلف الغالبية بالنسبة لمجموع العاملين بالقطاع (الإدارة والخدمات)، فيبلغ ثلاثة وسبعون ألف من مجموع مائة وسبعة وخمسون ألف عامل. وأشار الإحصاء إلى وجود أربعة وخمسين ألف عامل عاطل من مجموع ثمانية وستين ألف عامل، وكانت جميع الإقتراحات لإصلاح الأحوال في الجزائر تشتمل على خلق أعمال جديدة وإقتراح مشروع برنامج ديغول لعام 1958م لتوفير مناصب شغل لأربعمئة ألف شخص جديد في السنوات الخمس التالية، وهو عدد غير كاف إذا أخذنا بعين الإعتبار الأرقام الراهنة للعاطلين عن العمل الذي وصل عددهم إلى مليون عاطل³.

¹ -Charles Robert Ageron: **Les Algériens musulmans et la France**, op.cit, p1167.

² -سعد زغلول فؤاد: المصدر السابق، ص 47.

³ -جوان غليسي: المصدر السابق، ص 46، 47.

عمل الإستعمار الفرنسي على تقوية إقتصاد المعمرين على حساب الجزائريين، الذين أصبحوا فريسة للفقر والجوع وزيادة على ذلك نشر المخدرات والخمور¹، والحق أن السياسة الاستعمارية قد تمثلت في كلمتين لخصها الجنرال بوجو (Peugeot) هي التعمير والمعمرين، أما العرب فسيتم خضوعهم بعد تعرضهم للذعر والفقر ونزع الممتلكات وسيعملون كخدم عند الأوروبيين².

الحالة الصحية في الجزائر:

خلقت الظروف السيئة سابقة الذكر، حالة صحية متدهورة للأهالي، فكثرت الأمراض والأوبئة وانتشرت الوفيات بشكل خطير³، بسبب الإملاق والعوز والجهل والمرض، فانتشر السل الذي وصفه الكاتب الفرنسي لويس شفالبيه (Louis Chevalier) في كتابه "مشكلة السكان في شمال إفريقيا" بـ "مرض الجوع"، والذي ذكر إنتشاره الواسع في شمال إفريقيا بعد وصول الفرنسيين إلى المنطقة، كما أكد هذه الجريمة الإستعمارية القائمة على سوء التغذية الدكتور ليفي فالانس (Liffi Valanse)⁴ في محاضرة له عن الجزائر في باريس 1946م بقوله: "عدد الجزائريين المصابين بالسل يبلغ خمسة أضعاف المصابين به من الأوروبيين المستوطنين بالجزائر، ويفوق بكثير عدد المصابين به في فرنسا..."، وقد اعترف أطبائهم بأن البلاد كانت خالية أو شبه خالية منه، كما نقل الإستعمار معه أمراضا فتاكة كالزهري والسيلان التي لم تكن معروفة في الجزائر لأن مناخ الجزائر من أصح أجواء العالم، بالإضافة إلى انتشار بعض الأوبئة كالكوليرا والتيفوس والذي أدى إلى إرتفاع نسبة الوفيات⁵.

¹-فيليب رفل: المرجع السابق، ص 156.

²-فرحات عباس: المصدر السابق، ص 76.

³- يحي بوعزيز: سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية من 1830م إلى 1954م، دار البصائر، الجزائر، 2009م، ص 75.

⁴-سعد زغلول فؤاد: المصدر السابق، ص 10، 11.

⁵-فيليب رفل: المرجع السابق، ص 73.

ويوضح الجدول رقم 105¹ نسبة الوفيات عند المسلمين والأوروبيين في مختلف الأعمار.

السنوات	1949	1950	1951
نسبة الوفيات عند الأوروبيين بالألف	11	9	9
نسبة الوفيات عند المسلمين بالألف	14-8	14-7	14-0

نلاحظ أن تناقص نسبة الوفيات عند الأوروبيين كبيرة وهذا دليل على العناية الصحية الجيدة

التي يوليها الإستعمار لأهاليه، بينما كان العكس عند المسلمين.

أما متوسط مواليد الجزائريين كل سنة يصل إلى ثلاثمئة ألف مولود، ويصل عدد المواليد عند

الأوروبيين حوالي تسع آلاف وتسعمئة مولود، وهنا نلاحظ كثرة المواليد عند المسلمين دليل على

حيوية هذا المجتمع وهذا أمر يرجع للوراثة وسلامة بنية العنصر، وجودة المناخ وتأثيره على السكان.

ويمثل الجدول رقم 206² نسبة وفيات الأطفال دون السنة عند المسلمين والأوروبيين.

السنوات	1924-1920	1934-1930	1939-1935	1951
وفيات الأطفال عند الأوروبيين بالألف	120	122	111	60
وفيات الأطفال عند المسلمين بالألف	91	87	84	83

نلاحظ أن العناية بطب الأطفال أدى إلى تناقص نسبة الوفيات عند الأوروبيين عكس

المسلمين. ولا يمكن القول أن تزايد السكان يرجع للظروف الملائمة التي وفرها الإستعمار، مثلما زعم

مدافعوا النظام الإستعماري بل كما ذكر سابقا أنه راجع لحيوية العنصر الجزائري.

¹ - فيليب رفل: المرجع السابق، ص 74.

² - المرجع نفسه، ص ص 74، 75.

أما ما حققه الإستعمار في المجال الصحي فكان في الدرجة الأولى لخدمة مصالحه¹، كما ذكر السيد ألبير سارو (Albert Saros)* أن الأمراض والأوبئة التي تفتك بالمستعمرات ماهي إلا وسيلة للحفاظ على الرأسمال البشري لكي نستطيع أن نشغل الرأسمال المالي ونستثمره². ومن ناحية أخرى فرغم أن عدد سكان الجزائر يزيد عن عشرة ملايين، إلا أنه لا يوجد سوى ألف وثمانمئة وخمسون طبيب**، وستمئة وستون مولدة (قابلية)، وستمئة وواحد وستون صيدلاني، وأربعمئة وإثنان وستون طبيب أسنان، ويوجد من بين 1851 طبيب 1145 في المدن الثلاثة الكبرى: الجزائر، قسنطينة، وهران، وباقي المدن السبعة الكبيرة بها من خمسين إلى ثلاثمئة وخمسين طبيب موزعة بنسبة 4 إلى 6 أطباء لكل مئة ألف شخص³. ولدينا بعض الأمثلة عن مدينتي وهران والجزائر، حيث ثمة طبيب واحد لكل ألف وأربعمئة شخص في حين ثمة طبيب واحد لكل ألف ومئة شخص في مجموع المناطق الفرنسية، أما في سائر مناطق الجزائر فيصل العدد إلى طبيب واحد لكل عشرة آلاف شخص، وحتى ثمانون ألف شخص في بعض الأقاليم الجنوبية⁴.

أما المنشآت الصحية فمن المعروف أنه يجب أن تتوفر في كل بلدية مستشفى (مستشفى لكل خمسين ألف نسمة)، وفي كل دوار مستوصف (لكل ثلاث آلاف نسمة مستوصف)⁵، وليس في الجزائر كلها سوى مئة وتسعة وأربعون مستشفى منها إثنا عشر مستشفى عسكري، وثمانين وعشرون مستوصف غير أن غالبيتها يفتقر إلى وسائل العلاج، هذا كله في المدن والقرى الصغيرة والقرية، أما

¹ - أحمد محساس: المرجع السابق، ص 33.

* - كان حاكم عام للهند الصينية، ووزيرا للمستعمرات ووزيرا للدخالية، وبهذا كان مسؤولا عن إدارة الجزائر، أنظر: (المكان نفسه).

² - ليون فيكس: الجزائر حتف الإستعمار، ترجمة: محمد عيتاني، ط2، مكتبة المعارف، بيروت: دت، ص 18.

** - ذكر في هذا الصدد م إغروتو (M.Egretaud) أن عدد الأطباء سنة 1939م كان 1033 طبيب وسنة 1946م وصل إلى 1356 طبيب، ووصل عددهم سنة 1954م حوالي 5137 طبيب لكل السكان. أنظر: (أحمد مهساس: المرجع السابق، ص 34).

³ - يحي بوعزيز: سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية من 1830م إلى 1954م، المرجع السابق، ص 75.

⁴ - ليون فيكس: المصدر السابق، ص 19.

⁵ - محفوظ قداش: المرجع السابق، ص 283.

الأرياف فكل شيء منعدم فالمريض ينتظر الموت حتى يأخذه إلى ربه¹، فأصبح الأهالي في الأرياف يستعملون الطرق التقليدية في التداوي كالأعشاب، واللجوء إلى الرقية والنار والتمائم، فأصبحوا يؤمنون بفعالية هذه الطرق وابتعدوا عن الطب الحديث².

وعلى غرار الحالة الصحية، يعاني سكان الريف كذلك من انعدام وسائل الحياة الضرورية، فلا مدارس ولا طرق ومواصلات، ولا مكاتب بريد ولا عيون كافية للشرب...، ولولا أن السكان انتشر بينهم الوعي الكافي لكانت هناك كوارث إجتماعية خطيرة، غير أنهم لحسن حظهم تعلموا خدمة أنفسهم بمفردهم³.

المبحث الثاني:

الأوضاع الثقافية في الجزائر

يتناول هذا المبحث الحياة الثقافية الجزائرية في الفترة الممتدة من 1925م إلى 1954م، خاصة ميدان التربية والتعليم الذين يتشدق بهما المستعمر بالإضافة إلى الثقافة* والتمدين الذي يدعي الإستعمار الفرنسي أنه حملهما للجزائر، وستكون إشكالية المبحث كالتالي: كيف كان التعليم في الجزائر في الفترة المدروسة؟ ما هو مصير اللغة العربية والثقافة العربية آنذاك؟ ماهي الإجراءات التي إتخذتها الإدارة الفرنسية من أجل القضاء على الدين الإسلامي؟ .

تتمثل الثقافة الروحية للمجتمع الجزائري في مجموعة القيم والمعارف التي تميز بها قبل وبعد الإستعمار الفرنسي للجزائر، والذي حاول هدم البنية الثقافية وتشويهها وذلك بإدخال ثقافة أجنبية

¹ - يحي بوعزيز: سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية من 1830م إلى 1954م، المرجع السابق، ص 75، 76.

² - محمد العربي الزبيري: الثورة الجزائرية في عامها الأول، المرجع السابق، ص 47.

³ - يحي بوعزيز: سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية من 1830م إلى 1954م، المرجع السابق، ص 76.

* - تتمثل الثقافة في مجموعة القيم المادية والروحية التي يكونها أي مجتمع من خلال مساره التاريخي. أنظر: (م روزنتال وآخرون: الموسوعة الفلسفية، ترجمة: سمر كرم، ط5، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت: 1985، ص153).

إستعمارية، ومن المعروف أن الدين الإسلامي هو الإسمنت الذي يشد ويوحد الجزائريين وهذا ما جعلهم يتمسكون بقوة بثقافتهم وأصولهم¹.

كان التعليم في الجزائر قبل الإستعمار الفرنسي في المدارس والزوايا والكتاتيب القرآنية، وقد ذكر بعضهم أن الأمية كانت منعدمة تقريبا في الجزائر، وأن سكان الجزائر كانوا أكثر ثقافة من سكان فرنسا، ونسبة الأمية في الجزائر أقل منها في فرنسا وأن المدارس كانت منتشرة في القرى والأرياف²، وقد انبهر جول فيري (Jule Ferry) بما اكتشف في الجزائر من ديمقراطية في التعليم*، أما أسلوب المدرسة الفرنسية واضحا هو ضمان الإستقرار الفرنسي في الجزائر، ولهذا عملت الإدارة الفرنسية على تحويل المدرسة الجزائرية إلى خراب، وقد ذكر أحدهم: "بناء مدرسة خير من تجهيز فيلق من الجيش"، والواضح أن هدف صاحب هذا التصريح هو الوصول إلى بسط النفوذ والسلطة على نفسية الجزائريين وذهنهم، وجعل الجزائر فرنسية بشعبها وثرواتها³.

المدارس والتعليم في الجزائر:

كانت أوضاع الجزائريين الإقتصادية السيئة سببا في إفتقار الأهالي إلى التعليم وإنتشار الأمية⁴، ولهذا لا بد من الإشارة في البداية أن نسبة المتعلمين في الجزائر عشية الإحتلال كانت 85% من

¹ -Pierre Bourdieu:op-cit ,p96.

² - عبد الكريم بوالصنصاف: تاريخ الفكر العربي الحديث والمعاصر محمد عبده وعبد الحميد بن باديس نموذجاً، ج1، المرجع السابق، ص127.

* - مجانية التعليم الابتدائي وإجباريته إلى غاية بلوغ الطفل 14 سنة. أنظر: (الوزير يقده: المدرسة الاستعمارية في الجزائر، مجلة المعيار، العدد10، سبتمبر 2005م، ص63).

³ - المرجع نفسه، ص ص61-67.

⁴ - جوان غليسي: المصدر السابق، ص49.

مجموع السكان، هذه النسبة التي أدهشت المستعمر*، الأمر الذي جعله ينتبه إلى هذه الحقيقة ويجارها منذ الوهلة الأولى، فهدم المدرسة الجزائرية بكل أشكالها من المدرسة القرآنية إلى الزوايا في كامل القطر الجزائري¹، كما اعتمدت الإدارة الفرنسية سياسة تجهيل الأهالي، فقامت بهدم معظم المدارس وأغلقت الكثير منها، وراقبت الباقي²، وهذا ما سمي بأسلوب "التغريب والتجهيل"، كما قامت بتشجيع بعض شيوخ الزوايا الدينية الذين إشتهروهم بأجنس الأثمن على بث الخرافات بين الناس وإلهائهم بأمر بعيدة كل البعد عن دينهم³، قاصدة بذلك إلى قمع الشخصية الجزائرية وتحطيم المجتمع⁴، فأصبحت نسبة الأمية عشية الحرب التحريرية 1954م حوالي 86% لدى الذكور و95% لدى الإناث⁵.

كما حولت معظم المدارس العربية إلى معاهد للثقافة الفرنسية، وبعضهم سلم إلى الهيئات التبشيرية المسيحية التي اتخذتها مراكز لنشاطها في هدم عقيدة الجزائريين، والبعض الآخر هدم من أجل إعادة تخطيط المدن الجزائرية وعلى سبيل المثال فإن مدينة قسنطينة قبل إحتلالها سنة 1837م كان بها حوالي ثمانون مدرسة** وسبعة معاهد وثلاثمئة زاوية، لم يبق منها سوى ثلاثون مدرسة. أما في عنابة فكان بها تسع وثلاثون مدرسة وسبعة وثلاثون مسجد وزاويتان، لم يبق منها سوى ثلاث 3

* - وقد سجل الجنرال هوتبول (Hotpool) في مذكرة بعث بها سنة 1850 إلى رئيس الجمهورية الثانية، يذكر فيها أن الثقافة الإسلامية كانت منتشرة قبل الإحتلال، وشاملة الفروع:- المرحلة الابتدائية التي تشمل الأطفال بين الثالثة والعاشر، أما الثانوية فتشمل الأعمار بين العاشرة والخامسة عشرة، أما التعليم العالي ففيه إختصاصات الطب والحقوق والفقهاء والرياضيات وعلم الفلك والتاريخ والجغرافيا، ومن أهم الجامعات: جامعة قسنطينة، الجزائر، تلمسان، مازونة وجامعة بسكرة. أنظر: (مصطفى الطلاس، بسام العسيلي: الثورة الجزائرية، ط1، دار الشورى، بيروت، 1982، ص 55)

¹ - يقده الزبير: المدرسة الاستعمارية في الجزائر، مجلة المعيار، المرجع السابق، ص 59.

² - يحي بوعزيز: سياسة التسلط الإستعماري والحركة الوطنية من 1830م إلى 1954م، المرجع السابق، ص 55.

³ - عمار قليل: ملحمة الجزائر الجديدة، ج1، ط1، دار البعث، قسنطينة، قسنطينة، 1991م، ص 100.

⁴ - أحمد محساس: المرجع السابق، ص 38.

⁵ - شارل رويبر أجرون: المرجع السابق، ص 869.

** - 90 مدرسة يحضرها أكثر من 1400 تلميذ. أنظر: (عبد الرحمان محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج4، ط7، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994م، ص 175).

مدارس وكذا الحال في بقية ربوع الوطن، وهكذا بدأت محاربة التعليم الحر، حيث أصدرت السلطات الفرنسية قانون 8 مارس 1938م والذي نص على وجوب الرخصة من إدارة الإحتلال قبل مباشرة التعليم بها، ووضعت شروط لإعطاء هذه الرخصة ككفاءة المعلم العلمية ولياقته البدنية، وصلاحيه محل التعليم وتوفر الشروط الصحية فيه¹، وعلى سبيل المثال يتبين من التقارير المرفقة للرخصة الممنوحة للسيد عبد الله بلقاسم ولد محمد في مدينة وهران عام 1915م بأنه مخلص لفرنسا، وأنه ينتمي إلى الطريقة الدرقاوية ومن أهم الشروط: "...عدم قبول أكثر من ثمانية تلاميذ في مدرسته، وأن تجري الدروس خارج أوقات التعليم في المدارس العامة..."²، والغرض من هذا القانون القضاء على بقايا التعليم الحر في الجزائر الذي انتشر إنتشارا واسعا بفضل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وقد إقتصر هذا القانون على التعليم العربي دون التعليم الفرنسي³.

كما تم نهب التراث الثقافي العربي الإسلامي الذي كان موجودا في المكتبات الجزائرية من مخطوطات ووثائق وكتب، وتم بيعها لتجار الكتب الأوروبيين، بالإضافة إلى الكتب التي تم إحراقها مثل مكتبة الأمير عبد القادر⁴، أما فيما يخص المعلم والمربي العربي قامت الإدارة الفرنسية بتشويه صورته فجعلته كالمجرم المطارد، وسلطت له عقوبات شديدة كالنفي إلى المناطق النائية أو الصحراء، مثلما حدث مع الشيخ البشير الإبراهيمي الذي نفي إلى آفلو مدة ثلاث سنوات⁵، أما المثقفين الجزائريين فمنهم من زج به في السجون، ومنهم من قتل⁶.

¹ - سطحي سعاد: وسائل المشروع الثقافي الإستعماري في القضاء على الهوية الوطنية (سياسة الفرنسة ومحاربة اللغة العربية)، مجلة المعيار، المرجع السابق، ص55.

² - أحمد الخطيب: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر: 1985م، ص63.

³ - سطحي سعاد: وسائل المشروع الثقافي الإستعماري في القضاء على الهوية الوطنية (سياسة الفرنسة ومحاربة اللغة العربية)، مجلة المعيار، المرجع السابق، ص55.

⁴ - المرجع نفسه، ص 56-57.

⁵ - كريمة عجرود: المشروع اللاتقافي الإستعماري في الجزائر، مجلة المعيار، المرجع السابق، ص137.

⁶ - محمد العربي الزبيرى: تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق، ص20.

لكن كل ما ذكر سابقا ليس هو وجهة نظر المؤرخين الغربيين، الذين يشيدون بما عملته فرنسا في الجزائر من شبكات الطرقات والسكك الحديدية، عكس مجال التعليم¹، حيث يلقنون الجزائري ثقافة فرنسية تجعله سهل الإدماج في فرنسا وهذا هو هدفهم وهو إعطاء التعليم الصحيح لأبنائهم، وقشور التعليم للوطنيين ليخلق منهم أجراء وعمال لإستغلالهم، وهذا ما صرح به برنار (Bernad)² مدير مدرسة المعلمين: "أن التعليم يتيح للأهالي معرفة عظمة فرنسا وقوتها وأن مركزنا يقوى لو استطعنا أن ندع الأهالي يفكرون من تلقاء أنفسهم في قوة وكرم الفرنسيين"، فكأن المدرسة في نظرهم وسيلة لسيطرة الثقافة الفرنسية وتكوين ساعد مخلص لفرنسا (حيث أن تاريخ الجزائر وجغرافيتها يدرسان في شهر واحد طيلة ست سنوات، أما تاريخ فرنسا وجغرافيتها يدرسان طيلة سنين الدراسة).

التعليم الابتدائي:

إن الحكومة الفرنسية قد تجاهلت في بادئ الأمر قضية التعليم، واهتمت بإفناء العنصر الجزائري، وتحطيم قواه وإخماد حركاته، فما كاد ينتهي ذلك الدور الأحمر الفظيع، حتى فرغت البلاد من العلم، وأصبح الناس يتعلمون سرا في ديارهم كأنهم يرتكبون جريمة، وبهذا أكدت فرنسا شعارها في الجزائر (سياسة "التجهيل" وسياسة "التفكير")³.

ولكن الإدارة الفرنسية واجهت بعد ذلك مشكلة إيجاد أعوان لها من بين الجزائريين يتولون ترجمة أوامرها للشعب، لكي تكون النواة الأولى لمجتمع مندمج⁴، ولهذا كان عليها تعليم البعض منهم أساسيات اللغة الفرنسية من أجل التواصل.

¹ - محمد العربي الزبيري: تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق، ص 21.

² - فيليب رفل: المرجع السابق، ص 64.

³ - أحمد توفيق المدني: المصدر السابق، ص 140.

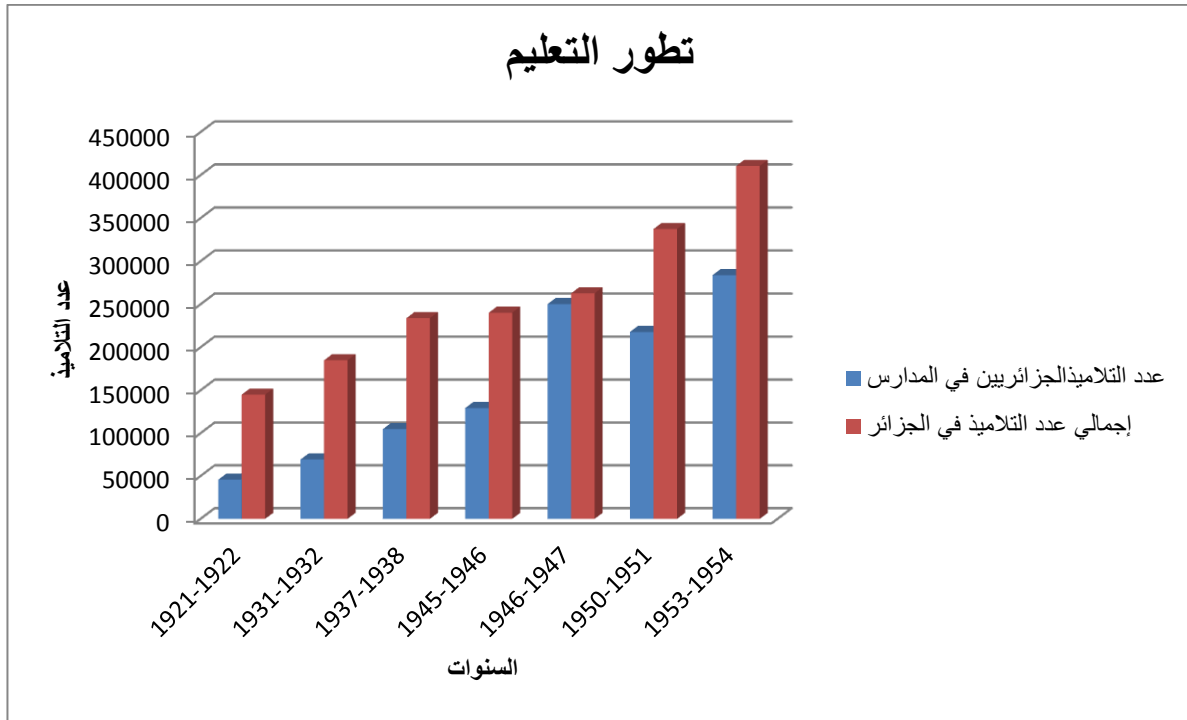
⁴ - أحمد الخطيب: المرجع السابق، ص 63.

أما أطفال الأهالي البالغين السن القانوني للدراسة، فكان لا يتوفر لهم سوى مقعد واحد لكل خمسة ذكور، ومقعد آخر لكل ست عشرة إلى ست وسبعين فتاة، إضافة إلى نسبة الفشل والعجز عن مواصلة الدراسة التي كانت مرتفعة جدا نتيجة الفقر¹.
والجدول رقم 207² يمثل تطوير التعليم عند الجزائريين.

السنة	التلاميذ الجزائريون			النسبة %	مجموع التلاميذ
	البنين	البنات	المجموع		
1922-1921	41215	4455	45670	31	144952
1932-1931	61996	7260	69256	37	184870
1938-1937	87462	17286	104748	44	233830
1946-1945	100025	29276	129301	54	240128
1947-1946	114300	35848	250148	57	262672
1951-1950	164371	53374	217745	64	337330
1954-1953	210123	73685	283808	69	410627

¹ - محمد العربي الزبيري: تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق، ص 21.

² - الصاري الجيلالي، محفوظ قداش: المرجع السابق، ص 236.



بينما يمثل عدد الأطفال الجزائريين الأغلبية الساحقة للسكان إلا أننا نلاحظ أن عددهم في

المدارس كان قليلا إلى غاية الحرب العالمية الثانية، لكن رغم ذلك نقول عن تعليم الجزائريين أنه محدود¹، كما أن المدارس الجزائرية فصولها خربة وغير صحية أما أدواتها الرياضية نادرة، وخالية من الأثاث، والمدرسون من حملة الشهادة الابتدائية، حيث وصلت الإعتمادات المخصصة للمدارس الجزائرية ثمانية وثمانون مليون فرنك، أما المدارس الفرنسية فيخصص لها ثلاثمئة وتسعة وثلاثون مليون فرنك، حيث تتميز بأثاث فاخر ومبنى جميل تحيط به الحدائق، ويحتوي الفصل من عشرين إلى خمسة وعشرين تلميذا².

وهنا يتضح جليا عدم إهتمام الحكومة الفرنسية بالتعليم في الجزائر كما تبين ذلك في ميزانية الدولة ونذكر عل سبيل المثال ميزانية سنة 1938م، لإعتبارها أهدأ سنة عرفت فيها فرنسا في الجزائر بعد الحرب العالمية الأولى، وقبل الحرب العالمية الثانية:

1- إعتمادات أنفقت على تعليم الفرنسيين: 178.453.473 فرنك

¹ - الصاري الجيلالي، محفوظ قداش: المرجع السابق، ص236.

² - فيليب رفل: المرجع السابق، ص68.

2- إعمادات أنفقت على تعليم الجزائريين: 40.088.497 فرنك

3- إعمادات أنفقت على الأمن العام: 11000000 فرنك

4- إعمادات أنفقت على الحرس الإداري: 11000000 فرنك

5- إعمادات أنفقت على البوليس: 37000000 فرنك

ومن ذلك نرى أن حكومة فرنسا قد خصصت من ميزانيتها بالجزائر مبلغا ضخما لأعمال القمع والقهر والإرهاب البوليسي، وقد فاق بثلاث أضعاف ما تنفقه على التعليم، على أن هذا المبلغ قد إختفى تماما عام 1955م-1956م حيث أغلق الاستعمار جميع المدارس الجزائرية وحولها إلى ثكنات عسكرية تنشر الرعب والموت¹.

وقد استمر الوضع على حاله رغم الإصلاحات التي كان ينادي بها بعض الحكام، فبتاريخ 07 مارس سنة 1944م صدر قرار يسمح للجزائريين بالدخول إلى المدارس العليا، إلا أن المعمرين إجتهدوا في منع الجزائريين للدخول لها²، حيث أن برامج الإبتدائي للجزائريين لا تؤدي إلى دراسات تكميلية، فتعد خريجها لمناصب صغار الموظفين، كما تعقد المدارس الثانوية إمتحان للإلتحاق بها، بالإضافة إلى العقبات المالية التي تعترض الطالب الجزائري³، ولهذا نجد إنخفاض عدد الجزائريين الملتحقين بالمدارس الثانوية بالنسبة للفرنسيين.

التعليم الثانوي:

لم يكن التعليم الثانوي منقسما كالتعليم الإبتدائي إلى مدارس خاصة بالأوروبيين، وأخرى خاصة بالجزائريين بل كان مخصصا للأوروبيين فقط مع الإذن للمحوظين بدخول هذه الكليات⁴.

¹ - سعد زغلول فؤاد: المصدر السابق، ص32.

² - يحي بوعزيز: السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري (1830م-1954م)، المرجع السابق، ص103.

³ - سعد زغلول فؤاد: المصدر السابق، ص34.

⁴ - أحمد الخطيب: المرجع السابق، ص63.

الجدول رقم 108¹ يمثل عدد الجزائريين والفرنسيين الملتحقين بالمدارس الثانوية

السنة	عدد الطلبة الفرنسيين	عدد الطلبة الجزائريين
1940-1939	15415	1358
1941-1940	15984	1260
1942-1941	16228	1342
1943-1942	16003	1309
1944-1943	15248	1219
1951	25500	3615

تدل الإحصائيات أن عدد الطلاب الجزائريين يتضاءل لأن معظم المدارس كانت وقفا على

أبناء الأوروبيين، ولا تقبل الجزائريين منهم².

فقد كان التعليم مقسم إلى قسمين، تعليم الفرنسيين والأوروبيين، وهو تعليم واسع ومنتشر في

كامل المناطق التي توجد فيها هذه العناصر وكان التعليم إجباريا حيث تنعدم الأمية عند الفرنسيين³.

وتنحدر نسبة تعلم المسلمين بإرتفاع درجة التعليم⁴، ففي سنة 1950م أعلن أحد جنرالات فرنسا في

الجزائر بأن الظروف مواتية لفرنسا للقيام برسالتها الحضارية. فأنشأت فرنسا في بعض المدن الجزائرية

وقراها المدارس العربية-الفرنسية، والتي كانت تحتوي في قسم واحد معلما أحدهما للغة العربية والآخر

لتعليم اللغة الفرنسية⁵.

¹ - يحي بوعزيز: السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري (1830م-1954م)، المرجع السابق، ص 149.

² - مصطفى طلاس، بسام العسيلي: المرجع السابق، ص 56.

³ - عمار هلال: أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830م-1962م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر: 1995م، ص 112.

⁴ - أحمد توفيق المدني: المصدر السابق، ص 143.

⁵ - عمار هلال: المرجع السابق، ص 112.

أما تلاميذ المدارس الرسمية الثلاثة التي أصبحت تسمى بالثانويات الفرنسية الإسلامية (إثنتان (2) في الجزائر، واحدة في قسنطينة، وأخرى في تلمسان)، والتي كان يوجد بها أربعمئة وثلاثون تلميذ في البكالوريا سنة 1953م، وفي تلك الأثناء كان التعليم الثانوي يقدم في المتوسط مئة ناجح في البكالوريا من المسلمين¹.

التعليم العالي:

ما يجب الإشارة إليه أن الوصول إلى البكالوريا والجامعة لا يسمح لأي طالب من الأهالي الجزائريين، ما لم يخضع ملفه وملف عائلته إلى فحص دقيق من طرف السلطات الإستعمارية، فإذا كانت سيرة هذه العائلات وسوابقها الذاتية لا تتعارض والمصالح الإستعمارية كان القبول ميسرا، أما إذا كان العكس فبوابات الحياة العامة هي أولى بإحتضان هؤلاء الطلبة².
والأمر الأدهى أنه توجد جامعة واحدة فقط على مستوى الشمال الإفريقي (بالجزائر العاصمة)³.
يمثل الجدول رقم 409 الإحصاء السنوي لعدد الطلبة الجزائريين والفرنسيين في التعليم العالي.

السنة	عدد الطلبة الجزائريين	عدد الطلبة الفرنسيين
1939-1940	89	1777
1940-1941	147	3626
1941-1942	147	3732
1942-1943	144	3068
1943-1944	189	3287
1944-1945	231	3897

¹ - شارل رويبر آجرون: المرجع السابق، ص 874، 875.

² - عبد الله حمادي: الحركة الطلابية الجزائرية (1871-1962) - مشارب ثقافية وإيديولوجية -، ط2، المؤسسة الوطنية

للنشر والإشهار، الجزائر: 1995م، ص: 32-34.

³ - أحمد محساس: المرجع السابق، ص 57.

⁴ - يحي بوعزيز: السياسة الإستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري (1830م-1954م)، المرجع السابق، ص 148.

4618	360	1946-1945
4474	228	1947-1946
4305	253	1948-1947
4280	306	1950
4006	398	1951

والجدول رقم 10¹ يمثل التخصصات في جامعة الجزائر وعدد الطلبة في كل تخصص

السنة	التخصص (المهنة)	عدد الطلبة
1929-1919	ليسانس حقوق	42
1940-1930	ليسانس حقوق	21
1942	محامي	70
	طبيب	41
	صيدلي	22
	أطباء أسنان	9
	مهندسين	3
	أساتذة التعليم الثانوي	10
1950	طبيب	75
	صيدلي	36
	طبيب أسنان	11

وهكذا فإن عدد الطلبة الجزائريين في الجامعات يكاد لا يذكر وزيادة على ذلك فإن الظروف

التي يمرون بها في دراستهم صعبة².

¹ - شارل رويبر آجرون: المرجع السابق، ص 877، 878.

² - يحي بوعزيز: السياسة الإستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري (1830م-1954م)، المرجع السابق، ص 177.

وكان التعليم الجامعي بالأساس حكرا على المعمرين، والحق أن المنظومة التربوية في الجزائر المستعمرة تميزت بسمات كثيرة، مقتها المجتمع الدولي وهي:

- أ- منظومة تفرقة، حيث فرقوا بين المسلمين وغير المسلمين.
- ب- منظومة غير منصفة، حيث لم يتوفر التعليم لكل الطلبة.
- ت- منظومة ظالمة، حيث تم التدريس بلغة غير لغة الأهالي.
- ث- منظومة عنصرية، حيث اتهم المسلمون بأنهم أقل ذكاء من الأوروبيين¹.

التعليم الفني والمهني:

تعتبر المدرسة المهنية المكمل اللازم للتعليم، من أجل إعداد الحرفي والبناء والنجار والميكانيكي...²، وقد هدفت السياسة الإستعمارية إلى الإحتفاظ بعدد كبير من الأيدي العاملة نظير أجور زهيدة، أما العمال المتخصصون فيتم إستدعائهم من فرنسا من ذوي الخبرات الفنية والأجور العالية، فيوجد حوالي ثلاثمئة فرنسي مقابل أربعون جزائري في المدارس المهنية³، وكان الهدف من ذلك إبعاد الجزائريين عن التقنية وإبقاؤهم يد عاملة رخيصة⁴، ومن ناحية أخرى فإن إنعدام الصناعة في الجزائر أدى إلى تحديد عدد الفنيين والمتخصصين الذين يمكن الإستعانة بهم⁵. ونسجل إلى غاية 1931م بالجزائر عدة مدارس إبتدائية زراعية منها ما هو مخصص للزهور والرياحين⁶، وقد كان في عمالة قسنطينة مدرسة ثانوية فلاحية: وهي مدرسة سكيكدة، بالإضافة إلى مدرسة عين تيموشنت وسيدي بلعباس بالغرب⁷، أما على المستوى العالي فقد سمي بالمعهد الفلاحي الجزائري، ويحتوي هذا

¹ - عبد الكريم بن أعراب: المنظومة التربوية للجزائر المستعمرة، مجلة المعيار، المرجع السابق، ص 572.

² - محفوظ قداش: المرجع السابق، ص 282.

³ - فيليب رفل: المرجع السابق، ص 66.

⁴ - أحمد محساس: المرجع السابق، ص 58.

⁵ - يحي بوعزيز: السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري (1830م-1954م)، المرجع السابق، ص 177.

⁶ - أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، ط2، دار المعارف، الجزائر، 1963، ص 387.

⁷ - مصطفى الطلاس، بسام العسيلي: المرجع السابق، ص 57.

المعهد عدة أقسام منها: قسم التجارب، قسم للنشر، وقسم لإجراء الإختبارات، كما كان له فرع ثانوي بالمضاب القسنطينية، يتلقى فيه طلبة التعليم الفلاحي النظري والتطبيقي، ولم يكن مخصص للجزائريين فقط بل يأتيه الطلبة من أوروبا والمشرق¹.

وتتكرر الظاهرة في التعليم الصناعي حيث يلاحظ تناقص عدد الجزائريين كلما إرتفع مستوى التعليم²، كما يلحق حسب الأطوار التعليمية الثلاثة: التعليم الصناعي الإبتدائي ومن أهم مدارسه المتواجدة في غرداية، وهران، وقسنطينة بالإضافة إلى مدرسة تسمى "دار الصناع الأهالي" لتعليم النقوش العربية والأندلسية والخطوط الجميلة العربية...، أما بالنسبة للتعليم الثانوي الصناعي فكان يلحق بواسطة المدارس التطبيقية الصناعية وهي ثلاث مدارس في كل من: الجزائر، قسنطينة، وهران، بالإضافة إلى التعليم العالي الصناعي فله معهد الصناعي العالي في مدينة الحراش، يحصل المتخرجون منه على شهادة مهندس³.

أما النوع الأخير من التعليم الفني والمهني هو التعليم التجاري وله مدرستان خاصتان به وهما: مدرسة الجزائر العليا، ومدرسة وهران الثانوية، كما أن هناك مدرسة تجارية ثالثة ملحقة بالمدرسة الثعالبية⁴.

وتجدر الإشارة إلى أن إقبال الجزائريين على المدارس المهنية والفنية كان ضعيفا⁵، ويمكن القول أن عدد هذه المعاهد لا يكفي بالحاجة الضرورية للنهضة الإقتصادية، خاصة بسبب المعارضة التي تبديها المدارس الوطنية الفرنسية التي تخشى أن تفقد ميادين العمل لخريجها⁶.

¹ - أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، المصدر السابق، ص 388.

² - مصطفى طلاس، بسام العسيلي: المرجع السابق، ص 58.

³ - أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، المصدر السابق، ص 388، 389.

⁴ - المكان نفسه.

⁵ - المكان نفسه.

⁶ - يحي بوعزيز: السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري (1830م-1954م)، المرجع السابق، ص 180.

أما تعليم المرأة، فمن الجزائريين رغم كل شيء من يوفر لبناته تعليماً قرآنياً، وقلة قليلة منهم من يرضى بإرسالهن إلى المدرسة الفرنسية، وسواء تعلمت الجزائرية في المدرسة العربية أو الفرنسية، فإنها تلازم البيت، نزولاً عند رغبة العائلة ووفقاً لما تنص عليه العادات والتقاليد¹، وقد استغل الإستعمار الفرنسي عدم إهتمام المجتمع الجزائري بتعليم المرأة، وعدم السماح لها بالخروج وممارسة المهنة الحرة² لإستغلالها إقتصادياً، ففتحوا لها المجال على التعليم المهني فكانت تتلقى فيه الجزائريات اللغة العربية والفرنسية، وبعض الأعمال، وأشغال الإبرة، وفي سنة 1861م فتحت لهن ورشة لتعليم النسيج، والأشغال اليدوية في الجزائر وقسنطينة³.

وتتضح لنا سياسة فرنسا التعليمية من الأفكار التي يحملها حكامها حيث ذكر تيرمان (Tirmane): "لا يزال يتبين لنا من الإختبارات أن المواطنين الذين نعلمهم هم الذين يبدون لنا الكثير من العداوة"، كما ذكر أن التعليم لا يفيد الجزائري لإختلاف عقليته عن الفرنسي، وأنه يجلب الخسارة لفرنسا، ولهذا عملت هذه الأخيرة على تحطيم التراث الجزائري، فأباحت تحطيم وهدم الدور والمساجد...⁴، للقضاء على الدين الإسلامي والثقافة العربية.

اللغة والثقافة:

من أهم مقومات الشخصية الوطنية لأي أمة من الأمم، الدين واللغة المشتركة بين أفرادها، خاصة وأن المجتمع الجزائري متمسك بعرويته وإسلامه⁵، فكانت الثقافة السلاح الرئيسي الذي إستخدمته فرنسا لتدمير الجزائر وفصلها عن تاريخها وحاضرها ومستقبلها، وعزلها عن محيطها⁶ فطبقت الإدارة الإستعمارية مشروعاً ثقافياً تهدف من خلاله إلى القضاء على كينونة المجتمع الجزائري فحاولت

¹ - محمد العربي الزبيدي: تاريخ الجزائر المعاصرة، المرجع السابق، ص26.

² - أمحمد عميروبي: فواصل من الفكر والتاريخ، دار البعث للطباعة والنشر، الجزائر: 2002م، ص101.

³ - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان: 1998م، ص444.

⁴ - فيليب رفل: المرجع السابق، ص67.

⁵ - عمار قليل: المرجع السابق، ص95.

⁶ - مصطفى طلاس، بسام العسيلي: المرجع السابق، ص54.

بكل الطرق استبدال اللغة والثقافة العربية بالثقافة الفرنسية، كما حصل في عدد من البلدان في شتى القارات التي تعرضت للإحتلال المصحوب بالغزو الثقافي من أجل القضاء على مقومات الشخصية القومية، مثلما حدث مع الهنود الحمر في أمريكا الشمالية، ومعظم شعوب أمريكا اللاتينية وبعض شعوب القارة الإفريقية¹.

ولما كان المجتمع الجزائري يعتر بثقافته ودينه وعاداته، فقد رفض في بادئ الأمر أن يرسل أبناءه إلى المدارس الفرنسية، وبعد مرور ثلاثون سنة أو يزيد من الإحتلال أصبح الأمر منحصرًا في حالات معدودة، حيث طبقوا سياسة تهدف إلى التأثير على فئة قليلة تدعى "أبناء الأعيان" ولكن نسبة هؤلاء المثقفين كانت قليلة²، وقد ذكر جون بول سارتر (Jon Pol Sarter)³ في كتابه عارنا في الجزائر: "أما ثقافتنا العظيمة، فمن يدري إذا كان الجزائريون راغبين حقا في إكتسابها؟ على أن ما هو مؤكد، أننا منعناها عنهم، ولن أذهب إلى أننا كنا في مثل وقاحة تلك الدولة من دول جنوبي الولايات المتحدة التي شرع فيها قانون ظل ساريا حتى مطلع القرن التاسع عشر، وكان يجرم (تحت طائلة الجزاء) تعليم العبيد الزوج القراءة"، فقد استهل المجتمع الجزائري السنوات الأولى من القرن العشرين، الخطوة الأولى من نهضته التاريخية بعناصر جديدة أو ما يسمى بالأنتلجنسيا* في الجهاز الثقافي الاستعماري، حيث كان في الجزائر عشية الحرب العالمية الأولى حوالي مئتان وأربعون مدرسا وأربعون من حملة الشهادة الثانوية وخمسة وعشرون محاميا وطيبيا، لقد كانت أنتلجنسيا هشة تتكون من نخبة صغيرة دون قاعدة إجتماعية مهمة، والتي توشك أن تندمج بشكل فردي في المجتمع الفرنسي، وهنا تكونت لنا ثقافة ذات قطبين يتكاملان أكثر مما يتناقضان: قطب ناطق بالفرنسية يحاول التعبير بلغة المحتل،

¹ - سعاد سطحي: وسائل المشروع الثقافي الإستعماري في القضاء على الهوية الوطنية (سياسة الفرنسية ومحاربة اللغة العربية نموذجًا)، مجلة المعيار، المرجع السابق، صص 42، 43.

² - مصطفى الأشرف: الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة: حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب: الجزائر: 1983م، ص 414.

³ - جان بول سارتر: عارنا في الجزائر، ترجمة: عابدة سهيل إدريس، ط2، دار الآداب، 1958م، ص 22.

*- الأنتلجنسيا: يجاور هذا المصطلح مفهوم المثقف، ويصبح أحيانا مرادفا له، ومصطلح أنتلجنسيا (intelligensia) إستعمل من طرف الأوروبيين الشرقيين ويعني المفكر ذو النزعة التقدمية، وباختصار فإن المثقفون الأنتلجنسيا هم فئة اجتماعية قريبة من فئة الموظفين، وهي شريحة اجتماعية من الناس الذين يمتنون العمل الذهني المعقد والإبداعي. أنظر: (www.aljsad.net)

وقطب آخر ناطق بالعربية يحاول إخراج اللغة العربية والثقافة من وضع الجمود للوصول إلى التعبير عن حاجات المجتمع الجزائري العربي والإسلامي¹.

وقد ذكر الدكتور رابح تركي أن الإدارة الإستعمارية عمدت إلى نهب التراث الثقافي القومي في الجزائر، ومحاربة الثقافة العربية، والعمل على طمس معالمها والقضاء عليها بجميع الوسائل²، وكانت وسيلتها في ذلك المدرسة الفرنسية وهدفها على المدى القريب والبعيد هو: الوصول إلى التعايش الثقافي كمرحلة أولى، ثم الإنسلاخ الثقافي، وصولاً إلى إقصاء الإسلام فكراً وسلوكاً ومشاعراً وبالتالي الوصول إلى الردة الدينية، ثم التشبه أو التقليد ثم الإندماج³، وبمأن المجتمع الجزائري عريق في ثقافته لا يتحمل الفراغ الثقافي، ولكي يشبع هذه الحاجة فهو لا يرى مانعاً من إستعارة لغة أخرى بدلا من لغته خاصة وأن هذه الأخيرة قد حرمت كأداة للتخاطب والكتابة والتأليف وحتى التعبير، فكانت له ثقافة دخيلة ومستعارة بحكم الضرورة من أجل المنفعة العلمية والعملية، ورغم ذلك بقي الجزائري متمسكا ببعض قيمه الأخلاقية التي ورثها من القرون الوسطى، وخاصة ديانته التي لم تخمد جذوتها في قلبه أبداً⁴.

حاول الإستعمار الفرنسي تزييف التاريخ فركزت المدرسة الفرنسية في مقرراتها الدراسية حول عظمة فرنسا، وعلى قوتها وقوة حضورها التاريخي، وتجاهلت تماما تاريخ الجزائر خاصة فترة الفتوحات الإسلامية واهتمت بالحقبة التاريخية الرومانية، واعتبرت حضارتها إستكمال مزايا العهد الروماني⁵. أما اللغة العربية فهي اللسان الذي ينطق به عشرة ملايين من الجزائريين، وهي لغة دينهم ولكنهم لا يستطيعون تعلمها وإشباع هذه الرغبة بسبب إعتراض السلطات الفرنسية¹، فكانت تعلم علم اليقين

¹ - عبد القادر جغلول: المرجع السابق، ص ص 61، 81، 82.

² - سعاد سطحي: وسائل المشروع الثقافي الاستعماري في القضاء على الهوية الوطنية (سياسة الفرنسة ومحاربة اللغة العربية نموذجاً)، مجلة المعيار، المرجع السابق، ص: 58.

³ - الزبير يقدح: المدرسة الاستعمارية الفرنسية، مجلة المعيار، المرجع نفسه، ص 73.

⁴ - مصطفى الأشرف، المرجع السابق، ص 416.

⁵ - بن عمرة السعيد: دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في التصدي للمشروع الثقافي الاستعماري، مجلة المعيار، المرجع السابق، ص 368.

أن القضاء على اللغة العربية له دوره الفعال في التبعية الثقافية، فأرادت أن تجعل من الفرد الجزائري غريبا في أرضه، وينطبق عليه قول المتنبي²:

مغاني الشعب طيبا في المغاني
ولكن الفتى العربي في—ها
بمنزلة الربيع من الزمان
غريب الوجه واليد واللسان

ومن الإجراءات التي إتبعتها فرنسا من أجل تحطيم الشخصية الجزائرية، إحلال اللغة الفرنسية محل اللغة العربية³، فقد ورد في أحد التعليمات الصادرة إلى الحاكم الجزائري غداة الاحتلال: "أن إيالة الجزائر لن تصبح حقيقة مملكة فرنسية إلا عندما تصبح لغتنا هناك قومية والعمل الذي يترتب علينا إنجازه هو السعي وراء نشر اللغة الفرنسية بين الأهالي إلى أن تقوم مقام اللغة العربية الدارجة بينهم الآن"⁴، فالضرر الذي ألحق باللغة العربية في الفترة الإستعمارية ليس هو إنخفاض المستوى في تعلمها، بل هو نوع العلاقات القائمة بين الغالب والمغلوب، وهو حرمان الناس من حريتهم، وزوال مكان لغتهم والإضطراب الذي حصل في الوسط الإجتماعي والإقتصادي، وهو الوسط الذي يوفر للغة أسباب النماء والتطور⁵، وقد أصدر وزير الداخلية الفرنسي عام 1838م قرارا يعتبر بموجبه اللغة العربية لغة أجنبية، وبالتالي لا يجوز تعليمها في المدارس الحكومية أو الشعبية إلا على أساس أنها أجنبية⁶، وقد ذكر في هذا الصدد عبد الله بوخلخال: "إن أعظم مؤسسات في أية أمة هي لغتها لأنها وسيلة تفكيرها، ومستودع تراثها المشترك قديمه وحديثه، ومصدر وحدتها وقوتها"، ولذا نجد أن التعليم الإبتدائي في الجزائر طبقا لمرسوم 13 فيفري 1883م قد نظم منهجه في اللغة فكان التعليم باللغة

¹ - يحي بوعزيز: السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري (1830م-1954م)، المرجع السابق، ص183.

² - سعاد سطحي: وسائل المشروع الثقافي الإستعماري في القضاء على الهوية الوطنية (سياسة الفرنسة ومحاربة اللغة العربية نموذجاً)، مجلة المعيار، المرجع السابق، ص43.

³ - عمار قليل: المرجع السابق، ص97.

⁴ - كريمة عجرود: المشروع اللاتقاني الاستعماري في الجزائر، مجلة المعيار، المرجع السابق، ص136.

⁵ - مصطفى الأشرف: المرجع السابق، ص429.

⁶ - عمار قليل: المرجع السابق، ص97.

الفرنسية، حيث يذكر أحمد توفيق المدني في كتابه جغرافية القطر الجزائري: "كان التعليم أيام الحكومة الفرنسية إستعماريا بحثا لا يعترف باللغة العربية، ولا يقيم لوجودها أي حساب، فاللغة الفرنسية لوحدها هي لغة التدريس في كل مراحل التعليم"¹، فلو تسنى للجزائري الدخول إلى هذه المدارس لما خرج منها إلا فرنسيا وكان ذلك سلبيا على الجزائريين من ناحية، أما من الناحية الإيجابية فقد حاربت السلطات الفرنسية اللغة العربية عن طريق إحياء اللهجة البربرية²، ولكن هذا لا يعني أنها قد استغنت عن اللغة العربية نهائيا وهنا يظهر التناقض حيث قد أهملت تدريس اللغة العربية الفصحى في المدارس ومنعت عنها أموال الأوقاف، لكنها قامت من جهة أخرى بتدريس العربية الدارجة لضباط الجيش والراغبين في العمل الإداري من المدنيين الفرنسيين من أجل تسهيل التعامل مع الأهالي، وقد فهموا ذلك رغم غيرتهم على لغتهم التي يعتبرونها لغة الأسياد.

وقد سمحوا بتحفيظ القرآن الكريم في الكتاتيب دون دراسة العلوم المساعدة على فهمه، ودون تطبيق معلمه في الحياة اليومية³، ومن جهة أخرى قد عملت فرنسا خطة محكمة من أجل نشر اللغة العربية العامة وإسناد تدريسها إلى معلمين يجهلون آداب العربية وتاريخها وقواعدها فكان الطلبة ينفرون منهم لضعف مستواهم وكفائتهم⁴.

ولكن لا يمكن أن نقول عن المشروع اللاتقاني في الجزائر أنه إستلاب ثقافي*، وذلك أن الجزائريين لم يتوقفوا أبدا عن إستعمال لغتهم الدارجة، وبقي لديهم رصيد كبير من القيم الإنسانية المتناقلة بالسماع، أما الفكرة الخاطئة التي أخذها عنا رجال الفكر في البلدان الشقيقة أننا قد فقدنا

¹ - سعاد سطحي: وسائل المشروع الثقافي الإستعماري في القضاء على الهوية الوطنية (سياسة الفرنسية ومحاربة اللغة العربية نموذجاً)، مجلة المعيار، المرجع السابق، ص ص: 43، 44.

² - محمد يحي الدين سالم: إبن باديس فارس الإصلاح والتنوير، ط1، دار الشروق، مصر: 1999م، ص 24.

³ - أبو القاسم سعد الله: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج5، دار البصائر، الجزائر: 2007م، ص ص 140-143.

⁴ - سعاد سطحي: وسائل المشروع الثقافي الإستعماري في القضاء على الهوية الوطنية (سياسة الفرنسية ومحاربة اللغة العربية نموذجاً)، مجلة المعيار، المرجع السابق، ص ص 49-51.

*-الإستلاب: هو وقوع الكائن العاقل، الذي يمتلك حيزا من التفكير العادي والمتفاعل مع محيطه بالضرورة، في موقع الأسر الكلي والشبه المطلق، لفكرة ما. أنظر: (<http://www.alhewar.org>)

لغتنا العربية وقيمنا الإسلامية فهذا راجع إلى بعض أصحاب الثقافة العربية من الجزائريين المغتربين في المشرق، الذين عملوا على إيهامهم بأن الإستعمار الفرنسي أفقد الجزائر كل شيء، وأن لغة المهدي لدى الجزائريين المسلمين هي الفرنسية¹.

وفي الأخير فكل ما فعلته فرنسا لم ينفذ شيئا بل قام الجزائريون المسلمون وعلماء الدين والجمعيات الإسلامية وأسسوا المدارس الأهلية لتعليم اللغة العربية، وهكذا استطاع الجزائريون العرب أن ينفذوا أنفسهم من أشراك الجهالة التي نصبها لهم الفرنسيون، رغم أن تلك المدارس لم تكن لتفني بالعرض لأن تعليمها إقتصر على اللغة والدين، لكن الإسلام ظل الحصن المنيع للغة العربية في قلوب الجزائريين، يمارسون به شعائر صلاتهم ويتعلمون عن طريقه لغتهم، ومن هنا حمل العلماء العبء الأكبر في المحافظة على اللغة طوال سنوات الإستعمار².

ومن هؤلاء العلماء أخذت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على عاتقها حماية اللغة والثقافة العربية، ويمكن القول لولا جهود رجال الجمعية لما بقي في هذا الوطن حرف عربي واحد، كما أن تأسيس الجمعية في حد ذاتها يعتبر مشروع ثقافي إجتماعي متكامل وأصيل يسعى للحفاظ على هوية الشعب الجزائري خاصة بتبنيها شعار الشهير "الإسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا"، ومن أهم أعمال الجمعية:

أ- التربية والتعليم³، حيث وصل عدد التلاميذ الذين يزاولون دراستهم في المدارس التابعة للإصلاح حوالي ثلاثون ألف تلميذ بين سنتي 1934م-1935م، وقد إستقبلت هذه المدارس الأطفال من أعمار مختلفة، وحتى الكهول حيث تابعوا الدروس مساءا للتمكن من الإحاطة بالواقع⁴.

¹ - مصطفى الأشرف: المرجع السابق، ص 430.

² - محمد يحيى الدين سالم: المرجع السابق، ص 24، 26.

³ - بن عمرة السعيد: دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في التصدي للمشروع الثقافي الإستعماري، مجلة المعيار، المرجع السابق، ص 367-371.

⁴ - الصاري الجيلالي، محفوظ قداش: المرجع السابق، ص 248.

- ب- تأسيس الصحف المختلفة.
- ت- توظيف مؤسسة المسجد وإحياء رسالتها.
- ث- تأسيس الجمعيات الخيرية وتقديم الخدمات الخيرية.
- ج- تكوين النوادي الثقافية¹.

تعتبر النوادي الثقافية والجمعيات من أهم الوسائل التي حافظت على الثقافة العربية الإسلامية من خلال توعية الأفراد، وقد زاد تعدادها بعد إحتفال فرنسا بالذكرى المئوية وكذا بعد تأسيس الجمعية سنة 1931م، فقد أدركت هذه الأخيرة أهمية النوادي الثقافية ودورها في النهضة الوطنية والتوعية، أما عن هدف الجمعية من تأسيس النوادي الثقافية، حيث يوضح أحد التقارير الإدارية: "تشكل النوادي التي تخضع لقانون 1901م، المرحلة الأولى في طريق إنشاء الجمعية الدينية والمدرسة الحرة. ففي إطار النادي تكون الإتصالات سهلة، وتحت مظهر الشرعية يمكن من عقد الإجتماعات..."².

بالإضافة إلى ذلك فقد كانت الأشكال التعبيرية الوسيلة الوحيدة بعد سحق الإنتفاضات والثورات لمواجهة الإستعمار، وقد قام عليها من استطاعوا كسب نصيب من العلم غير القليل إما في المدرسة الفرنسية العمومية أو في المدارس الخاصة باللغة العربية، فكانت الصحافة ومختلف المنشورات التي تمجد هويتنا الوطنية شكلا من أشكال الكفاح، كما ساعدت على توعية القراء وإحاطتهم علما بالمشاكل التي طرحتها سيطرة النظام الاستعماري، ومن أهم المنشورات التي طرحت عشية الإحتفالات بالذكرى المئوية لغزو سيدي فرج بعض المؤلفات للكتاب مبارك الميلي، وتوفيق المدني، وعبد الرحمان الجيلالي، كل هذه الكتب والمؤلفات أعلنت قطيعتها للنظام الإستعماري، وأدانت سياسة الإندماج، كما كان المسرح رغم الصعوبات العديدة التي واجهته وسيلة ممتازة للتعرض

¹ - بن عمرة السعيد: دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في التصدي للمشروع الثقافي الإستعماري، مجلة المعيار، المرجع السابق، ص 371.

² - الصاري الجيلالي، محفوظ قداش: المرجع السابق، ص 117، 118.

للإستعمار الفرنسي، فقد خاطب الفئات الشعبية التي كانت تتسع أكثر فأكثر على الصعيدين التربوي والثقافي.

أما الصحافة فكان لها دور كبير لا ينكر حيث ساهمت خاصة أثناء فترة ما بين الحربين في نشر أفكار النهضة، بكفاحها ضد النظام الإستعماري، كذلك فقد ساهمت في بعث مبادئ الإسلام وفي توعية الأجيال الشابة¹، رغم أن الصحافة الأهلية كانت مقيدة وضئيلة ومن أهم الجرائد الوطنية الصادرة: جريدة "الجزائر" لعمر راسم عام 1908م، لكنها أوقفت بعد صدور عدد من لها، بالإضافة إلى جريدة "الفاروق" لعمر بن قدور عام 1913م...، بالإضافة إلى جرائد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين²، ومن أهم جرائدها "المنتقد والشهاب" بالإضافة إلى جريدة "البصائر" التي بقيت إلى إندلاع الثورة التحريرية الكبرى وقد كان مستواها الثقافي ممتاز، وكادت كل هذه الجرائد تندد بشدة سياسة الاندماج التي تدعو لها صحافة المثقفين الفرنسيين وعلى رأسهم فيدرالية المنتخبين مثل جريدة "الانتانت"³.

وكذلك عزمت السلطات الاستعمارية على تضيق الخناق على التعليم العربي، فتولت غلق المدارس، ومنع اللغة العربية التي تعتبر عماد الإسلام.

الوضع الديني:

بمجرد إستقرار الإسلام في البلدان التي دخلها، حتى أقبل الناس على العلم ونهر المعرفة الإسلامية عكس باقي الديانات السماوية التي صاحبته ظلمات وجهل نتيجة تعصب رجال الدين وقد كانت المساجد في البلاد الإسلامية متعددة المهام بين التعليم والعبادات وغيرها⁴، كما علمت

¹- الصاري الجيلالي، محفوظ قداش: المرجع السابق، ص ص 252، 254، 261.

²- أحمد الخطيب: المرجع السابق، ص ص 69، 70.

³- الصاري الجيلالي، محفوظ قداش: المرجع السابق، ص 260.

⁴- نجيب بن خيرة: الزوايا في الجزائر... وفريضة التعليم الغائب، مجلة الأمير عبد القادر، العدد 11، دار البعث، قسنطينة: سبتمبر

2002، ص ص 157، 158.

الدولة الإستعمارية أن الدين الإسلامي هو موحد الجزائريين وقاهر الصليب في مختلف المواجهات ولهذا عازمت فرنسا على محاربة الدين¹، فكان هدفها إجراء تحويل ديني إن لم يكن للمسيحية فليكن إلى الإنحلال والتميع، ولهذا فقد شنت إلى جانب حربها الإستعمارية حربا صليبية ربما كانت إستكمالا للحروب الصليبية المشهورة، أو لكسب تعاطف وتضامن الكنيسة²، ولهذا عملت الإدارة الفرنسية على مصادرة دين العرب لكي تبقيهم في التجزئة والتفتت³.

لقد تردت الحالة الدينية للجزائريين حسب ما ذكره إسماعيل حامت: "كان للإلحاد الغربي مبلغ كبير من التأثير في جمهور ليس بالقليل من مسلمي الجزائر، الذين إن كانوا ما برحوا مسلمين في الظاهر فهم يجهلون إلى حد ما وصلت إليه روحهم الدينية من التلاشي"، ولهذا رسمت فرنسا للقضاء على الدين الإسلامي خطة مدروسة⁴، تمثلت فيما يلي:

القضاء على المساجد:

كانت القوات الفرنسية بمجرد إحتلالها المدن تهرع إلى مساجدها فتهدم بعضها كما فعلت في الجزائر العاصمة، حيث أغلقت السلطات حوالي ثلاثة عشر مسجدا كبيرا، مئة وثمانية مسجدا صغيرا وإثنين وثلاثون جامع وإثنا عشرة زاوية، ففي عام 1862م لم يبق سوى أربعة مساجد كبيرة وثمانية مساجد صغيرة وتسعة جوامع، كما قامت بتحويل بعض المساجد إلى كاتدرائيات*، مثل مسجد كتشاوة الذي حول إلى كاتدرائية "سيدة الجزائر" وقد قتل الجنود الفرنسيين حوالي أربعة آلاف جزائري

¹- بن خليف مالك: الفكر السياسي عند الإمام عبد الحميد بن باديس، ط1، دار طليطلة، الجزائر 2010م، ص58.

²- أحمد الخطيب: المرجع السابق، ص ص: 48، 49.

³- جان بول سارتر: المصدر السابق، ص23.

⁴- بن خليف مالك: المرجع السابق، ص ص 58، 59.

*- الكاتدرائية: الكاتدرائية هي كنيسة مسيحية (بالإنجليزية Cathedral) تستخدم كمقر لمطران البرشية. المصطلح مستخدم في الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة الانغليكانية وبعض الكنائس اللوثرية، المصطلح غير مستخدم في الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية، حيث ان كنيسة المطران تسمى بـ "الكنيسة العظمى" ولكن لطلما استخدم مصطلح كاتدرائية في الترجمة إلى اللغة الإنكليزية، أنظر:

(<http://ar.wikipedia.org>)

من الذين إعتصموا بداخله منعا لتحويله، كما حول مسجد صالح باي بقسنطينة إلى كنيسة،
ومسجد السيدة الذي بني مكانه فندق "دي لاريجانس"¹.

أما بقيت المساجد والجوامع فقد حولت بعضها إلى ثكنات وإسطبلات ومستوصفات ومراكز
إدارية²، وكان يرافق كل تحويل للمساجد خطابات إستفزازية عنيفة مثل الذي ألقاه السكرتير العام
لحاكم قسنطينة يوم تحويل مسجد صالح باي حيث قال: "إن آخر أيام الإسلام قد دنت، وفي خلال
عشرين عاما لن يكون للجزائر إله غير المسيح، ونحن إذا أمكننا أن نشك في أن هذه الأرض تملكها
فرنسا فلا يمكننا أن نشك على أي حال أنها قد ضاعت من الإسلام إلى الأبد، أما العرب فلن
يكونوا مواطنين لفرنسا إلا إذا أصبحوا مسيحيين جميعا"³، وفي المقابل فقد أكثرت فرنسا من بناء
الكنائس والمعابد اليهودية حيث بلغ عددها حوالي ثلاثمئة وسبع وعشرون كنيسة وخمسة وأربعون معبد
بينما لم يكن لستة ملايين مسلم سوى مئة وستة وستون مسجدا، كما خصصت للديانة الإسلامية
أضعف ميزانية⁴.

الجدول رقم 11⁵ يبين الميزانية المخصصة للدين الإسلامي مقارنة مع باقي الديانات.

الأديان	النفقات السنوية	عدد السكان	المعدل الفردي
المسيحية	884000	623000	حوالي 9 فرنكات
اليهودية	13000	64000	50 سنتيما
الإسلام	337000	4500000	7 سنتيمات

¹ - أحمد الخطيب: المرجع السابق، ص 49، 50.

² - نصر سلمان: نماذج حية لطرق الإستعمار الفرنسي في القضاء على الشخصية الوطنية، مجلة المعيار، المرجع السابق، ص 80.

³ - أحمد الخطيب: المرجع السابق، ص 50.

⁴ - بن خليف مالك: المرجع السابق، ص 60، 61.

⁵ - بن خليف مالك: المرجع السابق، ص 61.

بالمقارنة مع بقية الأديان فإن الميزانية المخصصة للدين الإسلامي هي من أضعف الميزانيات، دليل واضح على التمييز ومحاولة القضاء على الدين الإسلامي خاصة بعد الإستيلاء على أموال الأوقاف خاصة وأن المساجد كانت تتحصل على نفقاتها من أموالها.

الإستيلاء على الأوقاف:

بدأت السيطرة على أموال الأوقاف الإسلامية في عهد دي بورمون، وهو بنفسه الذي وقع على معاهدة الإستسلام والتي نصت على إحترام الشعائر الدينية، ففي 8 سبتمبر 1830م أصدر أمرا بالإستيلاء على الأوقاف الإسلامية، وفي 7 ديسمبر 1830م أصبح للحاكم الحرية في التصرف في الأملاك الدينية¹، حيث جاء في تقرير اللجنة الإستطلاعية التي بعث بها ملك فرنسا إلى الجزائر يوم 7 جويلية 1833م ما يلي: "ضممنا إلى أملاك الدولة سائر العقارات التي كانت من أملاك الأوقاف، وإستولينا على أملاك طبقة من السكان، كنا تعهدنا برعايتها وحمايتها... لقد إنتهكنا حرمت المعاهد الدينية ونبشنا القبور، واقتحمنا المنازل التي لها حرمتها عند المسلمين"²، وهنا أمسكت الإدارة الفرنسية برقاب المفاتي والأئمة والقضاة وبعض الموظفين في السلك الديني الذين يتقاضون أجورهم من عائدات تلك الأوقاف، وبلغ الأمر أن لا يعين إماما أو فقيها إلا إذا شارك في أعمال الجاسوسية الفرنسية، ثم عليه لكي يرتقي في الرتبة أن يبدي اهتماما وحماسا وإخلاصا للإدارة الفرنسية، أما قانون فصل الدين عن الدولة عام الذي صدر عام 1905م والذي بدأ تطبيقه في الجزائر في 27 سبتمبر 1907م، فقد طبق فعليا بالنسبة للدين المسيحي واليهودي لكنه لم يشمل الدين الإسلامي، وقد حرصت فرنسا على تعدد الجمعيات الدينية المسؤولة عن المساجد والموظفين، واحتفظت لنفسها بالأوقاف، ولما طالب الأمير خالد الهاشمي بأموال الأوقاف بدعوى فصل الدين عن الدولة كبقية

¹ - أحمد الخطيب: المرجع السابق، ص 51.

² - دار النفيس: سلسلة المشاهير الوطنية: الإمام عبد الحميد بن باديس، الجزائر: 2007م، ص 13.

الأديان، تحججت فرنسا بكثرة الجمعيات الإسلامية وتعددها ولا تعلم أي منها ستمثل المسلمين أكثر¹.

الحملة التبشيرية والتنصيرية:

قال الجنرال الفرنسي بيجو (Peugeot)²: "أن الجزائريين لن يكونوا فرنسيين إلا إذا كانوا نصارى"، وهكذا منذ البداية شجعت فرنسا على التنصير وأنشأت أديرة للآباء البيض عبر التراب الجزائري³، فقد رافق الجيش العسكري في احتلاله الجزائر جيشا آخر من المبشرين، فالجيش الأول يقتل الأرواح ويدمر المساكن ويرمل النساء ويهتم الأطفال، أما الجيش الثاني فيكمل المهمة فيحمل الخبز والدواء والكساء بيد والصليب والإنجيل باليد الثانية، وتحت وطأة الجوع والبؤس والحرمان تخلى الكثيرون عن الدين الإسلامي خاصة الأطفال اليتامى، وقد كان الجنرال بيجو (Peugeot) الحاكم العام للجزائر يسلم الأطفال اليتامى إلى القسيس بريمو (Primo) ويقول له: "حاول يا أبي أن تجعلهم مسيحيين، وإذا فعلت فلن يعودوا إلى دينهم ليطلقوا علينا النار"⁴.

وقد إستغل الكاردينال لافيغري (Cardinal Lavigerie) المجاعة الكبرى التي تعرضت لها البلاد عام 1867م والتي قضت على نصف مليون جزائري، حيث جعل لجماعة الآباء البيض مركزا رسميا ببلدة الحراش القريبة من العاصمة، وحتى سنة 1930م أصبح هناك 133 مركزا للتبشير الديني يعمل فيه حوالي 500 راهب وراهبة، وأقيمت دور للأيتام برعاية المبشرين في أحياء بن عكنون وبوزريعة في العاصمة وبطيوة بمدينة أرزيو، حيث ذكر الكاردينال (Cardinale)⁵: "علينا أن نجعل من الأرض الجزائرية مهدا لدولة مسيحية تضاء أرجاؤها بنور مدنية منبع وحيها الإنجيل... تلك هي رسالتنا الإلاهية...".

¹ - أحمد الخطيب: المرجع السابق، ص 52.

² - عمار قليل: المرجع السابق، ص 99.

³ - المكان نفسه.

⁴ - بن خليف مالك: المرجع السابق، ص 62، 63.

⁵ - أحمد الخطيب: المرجع السابق، ص 55.

هذا مثال من الأمثلة العديدة التي قامت بها فرنسا من أجل تنصير المجتمع الجزائري، ودفعه للتخلي عن الدين الإسلامي، لكنها لم تنفع مع الجزائريين الذين فضلوا الموت جوعا على أن يتركوا دينهم الذي هو عماد حياتهم، وتحملوا القهر والظلم والجوع والمرض وبقوا غصّة في حلق المستعمرين، الذين ذهب كل محاولاتهم لجعل الجزائر أرض مسيحية أدراج الرياح¹.

إستغلال الطرق الصوفية والزوايا:

تكونت الطرق الصوفية في المغرب العربي في بعض الرباطات الجهادية التي أقامها العلماء والقادة لحماية الثغور* والممرات المؤدية لأرض الإسلام، وعرفت هذه الرباطات فيما بعد بالزوايا، التي لعبت دورا كبيرا في نشر الإسلام²، واللغة العربية، كما تلعب دورا اجتماعيا في إيواء العاجزين وأبناء السبيل³.

ونظرا لأهمية هذه الزوايا أو الطرق أو كما يسميهم دونوفو (De neveu) الإخوان أو الجماعات الشعبية حيث قام هذا الأخير ببحث كشف فيه عن القليل من الضوء عن هذه الجماعات الشعبية وعن الأشخاص الذين يسيرونها، وعلى التأثير الكبير لهؤلاء على أتباع طرقهم، حيث يرى أن الحكومة الفرنسية ستنال الكثير إذا عرفت إستعمال ذلك لصالحها، خاصة وأن هذه الجماعات أصبحت تتدخل بشكل كبير في الجانب السياسي حيث قال دو نوفو (De neveu) في كتابه الإخوان: "...هذه الدراسة توجهنا لمعرفة الرجال الذين يمسكون بأيديهم الخيوط التي تسمح عند الضرورة بتحريك السكان، وعليه فاهتمامنا بهؤلاء الرياس ومنحهم الرعاية والمعاملة الخاصة يمكننا

¹ - عمار قليل: المرجع السابق، ص 100.

* - الثغر: هو مكان على حدود أي بلد يخشى دخول العدو من جهته كأن يكون ممر مائتا صغيرا أو ممر بين جبلين أو أي شيء مشابه يسمح بدخول الغزاة للبلد دون علم حراس الحدود، لذلك تقوم الحكومات بتأمين تلك الثغور ومراقبتها، أنظر: (

<http://ar.wikipedia.org>)

² - نجيب بن خيرة: الزوايا في الجزائر... وفريضة التعليم الغائبية، مجلة الأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص 160.

³ - بن خليف مالك: المرجع السابق، ص 64.

من الحصول على متعاونين أقوياء يساعدوننا على إطفاء الحماس الذي ينشط روح القبائل العربية الخاضعة لنا"¹.

هذه الجماعات تختلف في الأسماء وفي الشكل بينما تتفق في المضمون بانتمائها إلى الدين الإسلامي السني، وهذه الجمعيات ذات الطابع الشعبي يحملون اسم المؤسس ويختلفون في الدعاء والذكر من هذه الطرق العيساوة*، التي لها أتباع يطلق عليهم اسم الإخوان²، بالإضافة إلى طرق أخرى كالرحمانية، التيجانية، القادرية، الشاذلية، السنوسية، الطيبية، العليوية³، كانت هذه الزوايا مقرا للتدريس خاصة أبواب الجهاد في الفقه الإسلامي وتفسير القرآن، ومبادئ العقيدة، لكن كل ذلك منع بعد الاحتلال وأمر بمصادرة أملاكها الوقفية كما حصل مع زاوية الشيخ حداد عام 1871م، وقد أنشأت فرنسا زاوية مكانها ظنا منها أنها ستستطيع التحكم فيها والسيطرة على أتباعها⁴.
لكن بزوال المؤسسين الأوائل لهذه الزوايا انخرقت عن مسارها الديني والوطني الأصيل لتتحول إلى زوايا ذات أفكار شركية مثل قدرة ولي الزاوية على إشفاء المرضى، كما يبرزق الأولاد للمرأة العاقر، حتى أصبح الحلف بالولي الصالح مكان الحلف بالله عز وجل⁵، فأقيمت الولائم من أجل نشر الخرافات، وقد أدى ذلك إلى نفور عدد من المثقفين باللغة الفرنسية من الدين الإسلامي⁶، وكان هؤلاء الطريقين هم الوسيلة التي اعتمدها السلطات الفرنسية لمحاربة رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين⁷.

¹ - إدوارد دو نوفو: الإخوان دراسة إثنولوجية حول الجماعات الدينية عند مسلمي الجزائر، ترجمة وتحقيق: كمال فيلاي، دار الهدى، الجزائر: 2003، ص ص 23، 24.

* - العيساوة: طريقة صوفية مشهورة في إقليم قسنطينة تنسب لمؤسسها محمد بن عيسى، للمزيد عن الطرق الصوفية في الشرق الجزائري، أنظر: (المكان نفسه).

² - المكان نفسه.

³ - بن خليف مالك: المرجع السابق، ص 64.

⁴ - نصر سلمان: نماذج حية لطرق الاستعمار الفرنسي في القضاء على الشخصية الوطنية، مجلة المعيار، المرجع السابق، ص 82.

⁵ - بن خليف مالك: المرجع السابق، ص 64.

⁶ - أحمد الخطيب: المرجع السابق، ص 61.

⁷ - بن خليف مالك: المرجع السابق، ص 65.

ورغم ذلك بقيت بعض الزوايا محافظة على الدين الإسلامي وقيمه، خاصة بعد تخريب وتدمير المدارس، فكانت منبرا للعلم وتدريس اللغة العربية، والمحافظة على القرآن الكريم وحفظه حتى لا تمتد له يد التحريف، وكان تمسك الجزائري بكتاب الله ودينه سببا في بقاء هذه الزوايا، ومن أشهرها: زاوية سيدي صدوق ببلاد القبائل، وزاوية عبد الرحمان باش تارزي بقسنطينة، وزاوية طولقة ببسكرة وزاوية الهامل ببوسعادة...¹.

أما القضاء الإسلامي فقد حاولت فرنسا القضاء عليه بمجرد دخولها الجزائر، عن طريق مرسوم 10 أبريل 1834م الذي يقضي باستئناف الأحكام التي تصدر على القاضي المسلم أمام مجلس استئناف فرنسي²، لقد وضع القانون لخدمة المستعمر من الفرنسيين وتوضع نصوصه في الجمعية الوطنية بباريس للإبقاء على المستعمرة والمحافظة على حقوق المستعمرين، أما القضاء الجزائري الشرعي فقد أصدرت القوانين للتضييق عليه ومنذ سنة 1841م انحصرت سلطاتهم في أضيق نطاق لا تتجاوز الدعاوى المتعلقة بالميراث وبالأحوال الشخصية، وجرودوا من الحق الذي يخول لهم النظر في الدعاوى³.

المبحث الثالث:

الأوضاع السياسية في الجزائر

يتناول هذا المبحث البيئة السياسية للجزائر في الفترة المدروسة، وذلك للوصول إلى أهم الأحداث التي سبقت وواكبت النضال السياسي في الجزائر، والتي ستساعد بشكل كبير على تبلور الوعي الوطني لدى القادة السياسيين، وأما إشكالية المبحث هي: كيف كانت الأوضاع السياسية للجزائر في الفترة 1925م-1954م؟ وما هي أهم الأحداث والقوانين الجزيرية التي قامت بها الإدارة الفرنسية في الجزائر؟

¹ - نجيب بن خيرة: الزوايا في الجزائر... وفريضة التعليم الغائبة، مجلة الأمير عبد القادر، المرجع السابق، 161، 162.

² - بن خليف مالك: المرجع السابق، ص 66.

³ - فيليب رفله: المرجع السابق، ص 75.

لقد كانت الجزائر من أولى ضحايا المد الإستعماري الذي طبع مطلع القرن التاسع عشر وذلك بسبب غنى المنطقة وأهمية موقعها... فكان إلحاق الجزائر بفرنسا عملا عدوانيا إغتصابيا¹، حيث خاضت أكثر من أربعين سنة من 1830م إلى 1871م حربا ضروسا لا رحمة فيها ولا هوادة فقتلوا وأحرقوا الزرع والضرع حتى كادت تكون قاعا صفصفا²، وقد ناضل الجزائريون ضد هذا العدوان في ظروف غير متكافئة حيث لم يتمكن من طرد المستعمرين³، فقد كان هناك صدام بين حضارتين إحداهما حضارة صناعية وتقنية متطورة والأخرى حضارة قيم وثقافة إنسانية، وقد كان التفوق للحضارة الأوروبية منذ الوهلة الأولى ولكن هذا لم يؤدي إلى الإستسلام، فحاول المقاومون سد هذا النقص إعتمادا على القوة الفردية⁴، ورغم إستماتة الجزائريين في المقاومات كمقاومة الأمير عبد القادر 1830م-1847م، الحاج أحمد باي 1836م-1848م، وكذا مقاومة أولاد سيدي الشيخ 1864م-1871م، وثورة 1871م في بلاد القبائل والشرق الجزائري، وثورة بوعمامة 1881م-1904م، بالإضافة الى ثورة الأوراس عام 1916م، والتي اتخذت جلها طابع المحلية* بإستثناء مقاومة الأمير عبد القادر التي غطت سائر البلاد⁵، وقد أبرز هذا الفشل حقيقة هامة وهي أنه لا سبيل للفرد أن يقف أمام الآلة منفردا، ولكي يستطيع ضمان النجاح يجب أن تتوفر فيه القوة والصلابة من جهة والوعي من جهة أخرى⁶، حيث استخدم المستعمر الفرنسي للقضاء على المقاومة طريقة الأرض

¹ -مصطفى الطلاس، بسام العسيلي: المرجع السابق، ص 45.

² -فرحات عباس: حرب الجزائر وثورتها (1): ليل الإستعمار، نقله إلى العربية: أبو بكر الرحال، المحمدية، المغرب: دت، ص 69.

³ - مصطفى الطلاس، بسام العسيلي: المرجع السابق، ص 45.

⁴ - جمال قنان: قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر: 1991م، ص 179.

*كما قد تساءل المؤرخ الفرنسي شارل روبر أجرون عن إنعدام ظهور مقاومة وطنية موحدة بدلا من المقاومات المحلية، انظر: (Charles Robert Ageron: Histoire de l'Algerie contemporaine , t2, P.U.F, Paris:1977, p9.)

⁵ -عمار قليل: المرجع السابق، ص ص: 32-61.

⁶ - جمال قنان: المرجع السابق، ص 180.

المحرقة وحملات الإبادة¹، بالإضافة إلى سن القوانين الجائرة وانتزاع لقمة العيش ونفي السكان من مواطنهم الأصلية وتشجيع فئة الأعيان والعملاء ليكونوا أعوانا مع المحتل ضد المواطنين².

سياسة الإدارة الفرنسية في الجزائر:

كانت سياسة الإدارة الفرنسية منذ أن وطأت أقدامها الجزائر تهدف على الصعيد السياسي إلى إزالة جميع مؤسسات البلاد الوطنية وجميع الأجهزة الإدارية التقليدية، وجاءت الإدارة الفرنسية التي أعلنت منذ 22 جويلية 1834م إلحاق الجزائر بفرنسا³، وبداية الهجرة الأوروبية للإستقرار في المنطقة، لتستولي على أراضي البايك وأراضي العرش فور دخولها إلى الجزائر خاصة بعد ثورة المقراني سنة 1871م⁴، وفي هذه السنة تغيرت السياسة الداخلية الفرنسية حيث جاءت الجمهورية الثالثة بعد حرب البروسية - الفرنسية سنة 1870م، وهنا قسمت الجزائر إلى ثلاث مقاطعات فرنسية ممثلة من قبل حاكم عام فرنسي، لكن ذلك لم يحمل أي تحسين في الأوضاع وشروط الحياة بالنسبة للجزائريين، فرغم أنهم اعتبروا رعايا فرنسيون لكنهم كانوا مجردين من جميع حقوقهم السياسية والإدارية حيث طبق عليهم قانون خاص المعروف بقانون الأهالي*(code d'indigène)، أما الجالية الجزائرية الوحيدة التي ظفرت بالمساواة مع الفرنسيين هي الجالية اليهودية¹.

¹ - مصطفى الطلاس، بسام العسيلي: المرجع السابق، ص 45.

² - الجنيد خليفة: حوار حول الثورة، المركز الوطني للتوثيق، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر: 1986م، ص 169.

³ - المرجع نفسه، ص 45.

⁴ - عمار قليل: المرجع السابق، ص 63-67.

* - صدر قانون الأنديجينا يوم 26 جوان 1881م وهو مجموعة من النصوص الإستثنائية التي فرضت على الشعب الجزائري منذ 1847م، وبقي هذا القانون ساري المفعول حتى عام 1944م، وتشمل أحكام الأنديجينا أربعة أصناف من السلطات:
- سلطة الوالي العام الفرنسي ويوقع العقوبة على الأهالي دون محاكمة.

وقد تم تقسيم البلاد على الصعيد الإداري إلى ثلاث عمالات، وكل عمالة إلى دوائر وكل دائرة إلى بلديات، وهناك نوعان من البلديات: بلديات ذات الصلاحيات الكاملة في المناطق التي يكون فيها عدد الأوروبيين كثيرا، وتطبق فيها القوانين المدنية والإدارية المتبعة في فرنسا، أما الجزائريون فلا يشاكون في إنتخابات رئيس البلدية الفرنسي، والنوع الثاني من البلديات فهي بلديات مختلطة وفيها نسبة ضئيلة من الأوروبيين، أما بقية البلاد في الجنوب فتخضع للنظام العسكري².

التجنيد الإجباري:

في 4 فيفري 1912م أصدرت فرنسا مرسوم الخدمة العسكرية الإجبارية على الأهالي من الشباب للإلتحاق بالجيش الفرنسي³، وأدى ذلك إلى إستياء العائلات الإسلامية وقد فضل الكثير منهم ترك الديار والهجرة إلى بعض البلدان الإسلامية، خصوصا من تلمسان والجزائر وبلاد جرجرة⁴ إلى الحجاز وسوريا وتركيا، ونظم عدد من المظاهرات الإحتجاجية ضد الحكومة الفرنسية، رغم قبول النخبة المثقفة بقانون الخدمة العسكرية، إلا أنها اشترطت المساواة في الحقوق السياسية مع المعمرين الأوروبيين، وهذا ما رفضته الحكومة الفرنسية، وكان رد فعل الجزائريين واضحا في انتفاضة بني شقران عام 1914م، حيث كادت أن تتحول إلى ثورة كبيرة لولا تدخل الجيش الفرنسي، بالإضافة إلى ثورة الأوراس في نوفمبر 1916م والتي لم يقض عليها الإحتلال الفرنسي إلا بعد الحرب العالمية الأولى⁵.

- سلطة المسؤولين الإداريين بسجن الأفراد ومصادرة ممتلكاتهم دون محاكمة.

- سلطة المديرية ذات الصلاحيات المطلقة وسلطة قضاة الصلح بسجن الأفراد ومصادرة ممتلكاتهم.

- سلطة المحاكم الزجرية المختصة بالمسلمين. أنظر: (صالح فرкос: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر (1830م-1925م)، مديرية النشر لجامعة قلمة، قلمة: 2010م، ص ص 166، 165).

¹ - مصطفى الطلاس، بسام العسيلي: المرجع السابق، ص 46.

² - أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية 1930-1945، ج 3، ط 4، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان: 1992م، ص ص 15، 16.

³ - عمار عمورة: موجز في تاريخ الجزائر، ط 1، دار الريحانة للنشر والتوزيع، الجزائر: 2002م، ص 162.

⁴ - أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، المرجع السابق، ص 66.

⁵ - عمار عمورة: المرجع السابق، ص 162.

- وقد أصدرت فرنسا قرارا في سبتمبر عام 1912م، هدفه تهدئة الجزائريين المتأثرين بقانون التجنيد الإلجباري خاصة منهم المهاجرين أو المختفين، وقد نص على أن:
- 4- لا يخضع المجدون لقانون الأهالي والقوانين الاستثنائية الأخرى.
 - 5- عدم محاكمتهم في المحاكم الرادعة إذا ارتكبوا جرائم.
 - 6- مشاركتهم في مجالس انتخابات البلدية بعد الخدمة العسكرية.
 - 7- إذا توفرت فيهم الشروط المطلوبة يمكنهم الحصول على وظيفة¹.

بداية الوعي الوطني في الجزائر:

يقراً المرء في الكتابات الفرنسية أن الجزائريين لم يكونوا ليعرفوا ولا ليشعروا بالوطنية، لولا هجرتهم إلى فرنسا واحتكاكهم بالمجتمع الفرنسي من جهة، وثقافتهم الفرنسية من جهة أخرى، أي أن وجود الإحتلال الفرنسي في أرض الجزائر هو الذي جعلهم يعرفون معناها، على الرغم من أنها كانت موجودة في النفوس، والخلفية التاريخية شاهدة على ذلك فالإحتلال الفرنسي ليس هو الإحتلال الوحيد الذي تعرضت له الجزائر وتخلصت منه بفضل تحديات وبطولات أبنائها، بل تعرضت البلاد إلى كثير من المعتدين عبر العصور، كما أن الثقافة الفرنسية ليست هي التي ساعدت على بعث العاطفة الوطنية في نفوس الجزائريين، بل بالعكس فإن هذه الثقافة التي حاولت أن تقضي على الإنتماء العربي للشعب الجزائري، ولولا الثقافة العربية الإسلامية التي كانت المحرك الفعال للروح الجهادية في نفوس المجتمع الجزائري لما وجدنا من يسمع صوتنا بعد الإحتفالات المئوية الفرنسية في الجزائر.

لقد خلق فشل المقاومة الشعبية حالة من الذهول والتذبذب والإرتباك في وسط المجتمع الجزائري، لكنها لم تسجل حالة الاستسلام التام وهذا أدى إلى محاولة البحث عن طريق يؤدي إلى

¹ - أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية 1900م-1930م، ج1، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان: 1992م، ص186.

قلب الموازين لصالح الجزائريين¹، ولهذا فإن النضال السياسي في الجزائر بدأ بظهور نخبتين في مطلع القرن العشرين وهي نخبة محافظة ذات ثقافة إسلامية، وأخرى تقدمية ذات ثقافة فرنسية.

النخبة المحافظة:

استمدت هذه النخبة ثقافتها ومبادئها من الدين الإسلامي، وضمت عناصر من الريف والمدينة لكنها كانت تنشط بشكل واسع في المدن القديمة كقسنطينة وتلمسان والجزائر العاصمة، فقد طالبوا بمحاربة الذوبان في العادات الفرنسية والمحافظة على النظم والشخصية الإسلامية، وكان الإتجاه المحافظ بزعامة ابن الموهوب، وعبد الحليم بن سماية، وعبد القادر المجاوي²، حيث يقول "آجرون"³ (Ageron) عن هذه النخبة: "هذه الفئة محافظة على الأصول، ومرتبطة بالتقاليد، وترفض كل تجديد"، لكن الحقيقة أن هذا الإتجاه كان يدعو إلى معارضة قضية التجنيس بالجنسية الفرنسية، والتجنيد الإجباري وكل القضايا التي من شأنها أن تبعد المجتمع الجزائري عن جذوره وإتتماءاته العربية الإسلامية، وعمل على التمسك بالنظم الإسلامية والتعليم العربي، والقيم القديمة⁴.

ومثال ذلك ما قام به المحافظون بنشر بعض الدعايات في مطلع القرن العشرين بين الأوساط الشعبية أن إدارة الاحتلال ستحاول غلق المساجد، بعد مطلب الجزائريين بفصل الدين الإسلامي عن الحكومة كما تم فصل المسيحية عن السلطة، فانتشر بذلك الإحباط بين العائلات المحافظة وفكروا في الهجرة إلى بلاد الإسلام لممارسة شعائرهم الدينية⁵. وكان هدف المحافظين من هذه الدعاية اختبار

¹ - جمال قنان: المرجع السابق، ص 180.

² - عبد الكريم بوالصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية (1931م-1945م)، ط 1، الجزائر، 1981م، ص 68.

³ - Charles Robert Ageron: Les Algériens musulmans et la France 1871-1919, op.cit, pp 1025-1026.

⁴ - عبد الكريم بوالصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية (1931م-1945م)، المرجع السابق، ص 68.

⁵ - Ageron: op.cit, p:1026.

إيمان المجتمع الجزائري وتمسكه بالدين الإسلامي خاصة وأن فرنسا قد مارست سياسة التجهيل والتنصير ضد الجزائريين وذلك من أجل القضاء على مقومات الشخصية الجزائرية. إن الفئة المحافظة والمتقفة بالثقافة العربية الإسلامية، قد جعلت شغلها الشاغل التقرب من أوساط المجتمع الجزائري والتعرف على ميولاته السياسية والدينية، ورفع اللبس عن مختلف القضايا الحساسة التي تقف في طريقه وذلك عن الطريق نقدها أو أخذ مواقف منها.

جماعة النخبة:

ظهرت في مطلع القرن العشرين كتلة أخرى منافسة للمحافظين في برنامجها ونظرياتهم الخاصة في السياسة الجزائرية¹، هذه الفئة التي قادت العملية السياسية وتصدت للإستعمار بطرق مختلفة حملت معها نهضة ثقافية وإجتماعية جديدة، والجدير بالذكر أن الكتابات الإستعمارية الفرنسية قد حصرت مفهوم النخبة في تلك الفئة التي ربطتها علاقة حميمة ومميزة مع المستعمر والتي ساهمت بشكل إيجابي في بقائه على أرض الجزائر، وهي الجماعة التي غلبت عليهم الثقافة الفرنسية فكانت بذلك عدوا للثقافة العربية الإسلامية²، وكان أغلبيتهم من الشبان والكتاب ومساعدى الصيدليين وأغلبيتهم من الشبان الجزائريين الذين حصلوا على التعليم الجيد في المدارس والجامعات الفرنسية كالمعلمين والصيدلة والأطباء والقضاة والمحامين والذين احتلوا مناصب في الخدمة الوطنية والتعليم، وقد وصفهم بعض الكتاب الفرنسيين أمثال: المستعرب جورج ماسي (George Massi) - مدير المدرسة الجزائرية الإسلامية بتلمسان - أنهم الشبان الذين جمعوا بين الثقافتين العربية والفرنسية، أما هم فقد اعتبروا أنفسهم النخبة الممتازة التي تطفو فوق سطح بحر من غوغاء الجهلة والمشاغبين، والحق أن هؤلاء قد شعروا بعقدة الكمال بالنظر إلى المجتمع الجزائري وبعقدة النقص بالنسبة إلى المجتمع

¹ - أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية 1900-1930، ج1، المرجع السابق، ص159.

² - قريري سليمان: تطور الإتجاه الثوري والوحدوي في الحركة الوطنية الجزائرية (1940م-1954م)، بحث لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، تحت إشراف: مناصرة يوسف، السنة الجامعية: 2010م-2011م، ص42.

الفرنسي ونتيجة ذلك ضاعوا بين المجتمعين كما أشار إلى ذلك جون جوريس (Jean Joris)، وبالتالي فقد أضاعوا الكثير من القيم الوطنية الجزائرية، وكثيرا منهم تزوجوا بفرنسيات وأرسلوا أبنائهم إلى المدارس الفرنسية، وعاشوا مع الأوروبيين وبينهم وأكلوا على موائدهم وإرتدوا أزيائهم ولم يبق لديهم من الشخصية الجزائرية إلا الإسلام والشعور بالإنتماء إلى الحضارة الإسلامية، ولاشك أن هذه الجماعة وعلى الرغم من تقليدها لكثير من القيم الفرنسية فإنها لم تفقد الإنتماء الذاتي ومن ثمة فقد كان دورهم إيجابيا في نقل المجتمع الجزائري التقليدي المتخلف إلى مجتمع حديث يواكب العصر غير أن طبيعة النظام الإستعماري الإستيطاني لم يفسح المجال واسعا أمام تطور الجزائريين وإندفاعهم في الحضارة الحديثة¹.

وقد أطلق بعض الكتاب على هذه المجموعة المثقفة المتخرجة من الجامعات والمعاهد الفرنسية اسم "الشبان الجزائريين" ومنهم من أطلق عليهم اسم المتنورين نوار الدفلة بل فإن بعضهم قد اعتبرهم الحلقة التي تربط الجزائر بفرنسا إلى الأبد.

أما طريقتهم في تطبيق برنامجهم بسيطة، فقد حاولوا التفريق بين فرنسا الديمقراطية وفرنسا الاستبدادية، فاستنجدوا بالأولى ضد الثانية، كما وجهوا إنتقاداتهم حملتهم ضد المستوطنين وكذلك العلماء والأعيان والمرابطين، و طالبوا بالمساواة بين الجزائريين والفرنسيين في الحقوق والواجبات، وإلغاء قانون الأهالي، والحق في التمثيل النيابي للجزائريين والمساواة في التعليم، والمساواة في الضرائب وفرص العمل، وكذا إلغاء قانون السيناتوس كونسولت* (Sinatus Consulte) 1856م الذي يمنح الجنسية الفرنسية شرط التخلي على الشخصية الإسلامية¹.

¹ - أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية 1900-1930، ج1، المرجع السابق، ص ص 159-162.

* - صدر قانون السيناتوس وهو اول قانون يخص تجنيس الجزائريين المسلمين بتاريخ 14 جويلية 1865م والذي ينص في مادته الأولى " بأن الأهلي المسلم فرنسي، غير أنه يخضع للقانون الإسلامي، ويمكنه إذا طلب ذلك أن يتمتع بحقوق المواطن الفرنسي، في هذه الحالة فإنه يخضع للقوانين المدنية والسياسية الفرنسية"، وهذا القانون لم يكن يعني الأهالي المسلمين فقط بل خص في مادته الثانية وبنفس الصيغة الأهالي اليهود، وفي مادته الثالثة يخص الأجانب في الجزائر ولكن بشروط أخرى. أنظر: (عبد العزيز فيلاي،

ورغم ذلك فإن الثقافة الفرنسية التي تلقاها الجزائريون في مطلع القرن العشرين في المدارس اللائكية* الفرنسية سببا في اليقظة السياسية والوعي الوطني، عكس ما اعتقده الفرنسيون أن الأفكار السياسية المعارضة تأتي من الفئة المحافظة المثقفة باللغة العربية².
اختلفت هذه الفئة في تكوينها الثقافي عن مجتمعتها، ومعظم أفرادها ينتمون إلى الطبقة البرجوازية المتوسطة، لكنهم جعلوا ثقافتهم في خدمة إخوانهم والدفاع عنهم، ولعبوا دورا أساسيا في اندفاع الحركة الوطنية في الجزائر.

وتذكر بعض المراجع التاريخية أن أول تجربة سياسية في الجزائر المعروفة بإسم "حزب الجزائر الفتاة" أو "حركة الشبان الجزائريين"، والتي بدأت إتصالاتها مع المسؤولين الفرنسيين منذ 1892م، لكي تنقل هموم المواطن الجزائري وانشغالاته، وقد تزعم هذه الحركة مجموعة من العاملين في الترجمة والتعليم والتجارة والسياسة والطب، لكن إنعدام خطة مشتركة لمحاربة هذا التعسف والظلم والإستبداد كان عائقا أمام تحقيق الأهداف المرجوة، حيث تركزت نشاطاتهم الثقافية في المدن الكبرى لأنهم كانوا يجيدون اللغة الفرنسية، وفي عام 1904م أنشؤوا جريدة "المشعل" وحاولوا من خلالها نشر أفكارهم التقدمية مع تمسكهم بالقيم الإسلامية والتقاليد الجزائرية، وقد ظهرت معارضتهم العلنية للسياسة الفرنسية عام 1908م، بعد مرسوم 17 جويلية الصادر في نفس السنة الذي ينص على إحصاء الشبان الجزائريين من أجل تجنيدهم³.

أحمد صاري، الطاهر بوناني: البيت الباديسي مسيرة علم ودين وسياسة، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، 2012م، ص152).

¹ - أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية 1900-1930، ج1، المرجع السابق، ص163.

* - اللائكية: مصطلح منقول عن المصطلح الفرنسي (laïcité) وأصله في اللاتينية (laicus) وفي اليونانية (laikos) بمعنى المنتمي إلى الشعب أي عامة الناس وليس لطبقة الكهنوت، ويتجلى أساس الفكر اللائكي في فصل الدين عن الدولة، الذي ينبغي أن يكون لها فكر حيادي منه، أما باللغة الإنجليزية (sécularisme) ويقابلها بالعربية العلمانية. أنظر:

(user/ w/ desktop/ lai-ar.htm)

² - Ageron: op.cit, p1025.

³ -عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية لغاية 1962، ط3، دار البصائر، الجزائر: 2008، ص ص 202، 203.

وفي عام 1911م وافق " الشبان الجزائريون " على إلزامية أداء الخدمة العسكرية دفاعا عن فرنسا، شرط توسيع التمثيل النيابي في المجالس والجمعيات المنتخبة، بالإضافة إلى تطوير التعليم وإنهاء الضرائب المفروضة على الأهالي الجزائريين¹، وبهذه الخطوة سعوا إلى تحقيق مكسب هام وهو التمتع بالجنسية الفرنسية من أجل الحصول على المناصب السياسية المرموقة ومن خلالها الدفاع عن حقوق أبناء وطنهم المهضومة في الجزائر، وطالبوا تعميم اللغة العربية في المدارس واحترام الأعياد الدينية والشعائر الإسلامية، ولعل الملفت للانتباه تزامن بروز حركة الشبان الجزائريين مع وجود حركة الشبان التونسيين²، كما شبه الصحفي والكاتب الفرنسي سيرفي (Sirffi) حركة الشبان الجزائريين بجماعة "تركيا الفتاة" وجماعة "مصر الفتاة" في الطموح والآمال في تولي الزعامة السياسية، لكنهم لم يرفعوا مطلب الجزائر للجزائريين كما قامت به مصر (مصر للمصريين) ولا مثل أعضاء تركيا الفتاة الذين كانوا يحاولون إستعادة أمجاد الإمبراطورية العثمانية³.

الحرب العالمية الأولى: 1914م-1918م:

جاءت الحرب العالمية الأولى عام 1914م فجهزت فرنسا كل قواتها، وجمعت كل الرجال الذين يتراوح سنهم بين ثمانية عشر عاما (18) وخمسون عاما (50) حتى الأهالي الذين لم يخدموا الجندية من قبل قانون عام 1912م، فوصل عددهم إلى أربعمئة ألف مقاتل (400000) منهم: مئتان وخمسون ألف من المسلمين ومئة وخمسون ألف من الفرنسيين*، مات منهم حوالي ثمانية عشر ألف من الفرنسيين وثمانون ألف من الجزائريين⁴، وقد بدل الجزائريون مجهودا حريبا عظيما (إجباريا) في المعامل الحربية الفرنسية والمعامل المدنية، وفي هذه الأثناء عملت النخبة جاهدة تطالب برفع المظالم

¹ - جوان غليسي: المصدر السابق، ص34.

² - عمار بوحوش: المرجع السابق، ص205.

³ - أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية 1900-1930م، المرجع السابق، ص161.

* ذكر شارل روبر أجرون أن عدد المجندين الجزائريين في الحرب الكونية الأولى 173019 مجندا، أنظر:

(Ageron:op.cit, p1165.)

⁴ - أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، المصدر السابق، ص66.

وبتسوية الحقوق وتندد بمساوئ النظام الإستعماري، وكان منهم: عمر بوضربة، وعباس حمانة، الذي اغتاله الإستعمار غدرا¹، بالإضافة إلى بن التهامي والأمير خالد الهاشمي، والسيد مصطفى الحاج موسى، والحاج أحمد بهلول، والشيخ محمد بن رحال، لكنهم لم يجدوا أذنا صاغية، أما الأهالي الجزائريين فلم يرضوا بالتجنيد الإجباري ولا بالدفاع عن فرنسا ولهذا قام بمجموعات وإعتداءات على فرنسا تمثلت في إنتفاضة بركة وذلك في ليلة 11 نوفمبر 1916م حيث هاجموا مقر بلدية عين توتة، وفي الغد تم اغتيال رئيس دائرة باتنة الذي حاول التدخل لتهدئة الأوضاع، فقامت فرنسا بإرسال تعزيزات ضخمة لمحاصرة المتمردين في المنطقة².

كما نال الأهالي وعودا لا حساب لها من قبل فرنسا، منها رسالة 25 نوفمبر 1915م التي يقول فيها جورج كليمنصو (George Climensou) رئيس لجنة الأمور الخارجية بمجلس الشيوخ ما فادها: "القيام بسياسة أهلية حرة تعتمد على الثقة المتبادلة وتوافق رغبة البلاد عامة"³. وفي هذه الحرب تبنى أبناء الشعب الجزائري من ضباط وزعماء سياسيين، فكرة توحيد الشمال الإفريقي وربطه سياسيا واجتماعيا ببعضه⁴، حيث ساهمت عملية تجنيد عدد كبير من الجزائريين في صفوف القوات الفرنسية أثناء الحرب العالمية الأولى، بإلتقاء أبناء الوطن الواحد من شماله إلى جنوبه ومن شرقه إلى غربه، وحتى سكان المدن والأرياف، فتوحدت أفكارهم وأهدافهم وتلاشت فكرة القبيلة القائمة على تشتيت المجتمع الجزائري، كما احتكوا بالمجتمع الفرنسي ومختلف التغيرات الحاصلة في العالم إقتصاديا، إجتماعيا، وسياسيا، وانتشرت فكرة المناذاة بحقوق الإنسان، وحق الشعوب في تقرير مصيرها (مبادئ ويلسون 14)، وهنا بدأ يظهر الوعي الوطني الشامل.

الإصلاحات بعد الحرب العالمية الأولى:

¹ - أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر، المصدر السابق، ص ص 109، 110.

² - Ageron:op.cit,p1165.

³ - أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، المصدر السابق، ص 67.

⁴ - عبد الرحمان محمد الجيلالي: المرجع السابق، ص 335.

انتهت الحرب العالمية الأولى بالنصر الفرنسي، وكانت آمال الجزائريين عريضة وواسعة في المساواة وتحسين ظروف معيشتهم الإجتماعية والسياسية، فلما أعياهم الإنتظار وسئمو سياسة التسوية، كانت ترضية طفيفة للمسلمين تمثلت في إصلاحات 4 فيفري 1919م، حيث ألغيت قوانين الأنديجينا وتساوى السكان في دفع الضرائب. أما من ناحية الحقوق السياسية فاكتفت بزيادة عدد الناخبين الجزائريين¹، ثم أن هذه القوانين التي أوجدت التسوية في الضرائب، التي كان الأهلي فيها يدفع على أرضه الصغيرة أضعاف ما يدفعه الأوروبي المتفرنس على أرضه الكبيرة²، أما الناخبون للمجلس المالي، بعدما كان عددهم خمسة عشر ألف أصبحوا مئة وثلاثة آلاف، وفي المجلس البلدي أربعمئة ألف، إلا أن النواب المسلمين أقلية لا تصل إلى الثلث لا تستطيع أن تغير شيئاً.

لقد خيبت هذه الإصلاحات آمال الجميع وخلقت إحباطاً في أوساط المثقفين الجزائريين، فظهرت وطنية الأمير خالد الهاشمي ومحاولاته الرامية إلى توحيد صفوف المناضلين الجزائريين في حزب جزائري موحد، قبل مشاركته في الإنتخابات البلدية التي أجريت في نوفمبر 1919م، حيث نجح فيها الأمير خالد لكن نتيجة الإنتخابات ألغيت بسبب التعصب الإسلامي، وتكررت نفس الظاهرة في إنتخابات (أفريل، جوان) 1920م، حيث فاز الأمير خالد بالأغلبية الساحقة أمام المترشح المدعوم من طرف السلطات الفرنسية*، فاغتاظ الأوروبيون من ذلك وإتهموا الأمير خالد بأنه زعيم ديني يقوم بتحريض المسلمين ضد الأوروبيين، وبدأوا يبحثون عن الطريقة المثلى للتخلص من هذا المناضل الجزائري³، وفي شهر سبتمبر 1922م جاءت الموجة المضادة التي ستقضي على طموحات الأمير خالد، وحسب بعض المفكرين الجزائريين المعاصرين لتلك الفترة العصبية أمثال الشيخ توفيق المدني، الذي أكد تواطؤ السلطات الفرنسية لنفي الأمير خالد، وبالفعل فقد اضطر إلى الانسحاب من

¹ - أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر، المصدر السابق، ص 110.

² - أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، المصدر السابق، ص 68.

* - منافسه زروق محي الدين الذي حصل على 2500 صوت في حين حصل الأمير خالد على 7000 صوت، أنظر: (عمار بوحوش: المرجع السابق، ص 221).

³ - عمار بوحوش: المرجع السابق، ص 219-228.

الميدان السياسي، في سنة 1923م بعدما شعر بمضايقات وأن بقاءه في الجزائر عديم الجدوى، وتوجه إلى سوريا في 11 أبريل 1923م حيث كتب رسالة لصديقه صرح فيها: "إننا لا نستطيع أن نعيش في الجزائر حيث أن الحياة أصبحت لا تطاق بالنسبة إلي، إنني أنسحب إلى بلد أكثر هدوءاً".
 وخلاصة القول حول الأمير خالد أنه كما قال توفيق المدني: "صريحاً إلى أقصى درجات الصراحة... يحسن قيادة الجموع ولا يحسن قيادة الأفراد وكان ذلك من أهم أسباب فشله..."¹، وقد ذكرت بعض المراجع التاريخية: أن الجهود التي بذلها الأمير خالد وأنصاره، هي بداية الشعور الوطني في الجزائر والبعض منهم يرفض هذا الرأي². يمكن القول أن بداية العمل السياسي للأمير خالد، كان بمغادرته للجزائر وانتقاله إلى سوريا ثم بعدها إلى فرنسا حيث سيكون الرئيس الشرقي لحزب نجم شمال إفريقيا.

أما ما جاءت به إصلاحات كليمنصو (Kliminsou) المتمثلة في السماح للمتعلمين الجزائريين الحصول على الجنسية الفرنسية شريطة التخلي عن حقوقهم الخاصة بموجب القانون المدني الإسلامي، فقد قامت السلطات الفرنسية بتعقيد الإجراءات من أجل الحصول على الجنسية فصار بذلك أمراً مستحيلاً³، وتجلى ذلك في قرار 06 فيفري 1919م الذي وضع شروط الحصول على الجنسية الفرنسية منها:

- 1- أداء الخدمة العسكرية.
- 2- أن يملك أرضاً أو تاجر مستقراً ودافعاً للضرائب.
- 3- أن يكون موظفاً عند الدولة أو الولاية أو البلدية أو متقاعداً.
- 4- أن يكون عضواً في غرفة التجارة أو الفلاحة.
- 5- أن يكون حاملاً للشهادة الجامعية أو دبلوماً جامعياً.

¹ - المرجع نفسه، 228.

² - جمال قنان: المرجع السابق، ص 182.

³ - جوان غليسي: المصدر السابق، ص 35.

6- أن يكون متحصل على وسام.

7- أن يكون قد تحصل على جائزة في مسابقة فلاحية¹.

كما أحدث صدور قانون 1919م خيبة أمل للنخبة الجزائرية، حيث كانوا يتوقعون منحهم المواطنة الفرنسية مع إحتفاظهم بأحوالهم الشخصية كمسلمين نظرا للتضحيات التي قدمتها الجزائر خلال الحرب العالمية الأولى². كما أعطت هذه الحرب الفرصة للجزائريين أن يلتقوا بأبناء فرنسا الحقيقيين، ويعملوا معهم جنبا إلى جنب في مصانع الذخيرة والمعامل الحربية، وكان لهذا الإختلاط أثرا كبيرا في نفوس الجزائريين الذين اكتشفوا أن الفرنسيين في أوروبا أقل غطرسة من الأوروبيين المقيمين في الجزائر³.

الإحتفال بمرور مئة سنة من إحتلال فرنسا للجزائر:

إحتفل الإستعمار الفرنسي بالذكرى المئوية عام 1930م، الذي سيطر في قرن من الزمن على مجمل الأراضي الجزائرية بما في ذلك الجزء الأساسي من الصحراء، حيث أرسى بقوة قواعده المتعددة الأشكال على الجزائريين وإستقلالهم الذاتي السياسي⁴. وقبل التكلم عن الإحتفالات ينبغي المرور بالتحضيرات التي قامت بها الإدارة الإستعمارية بالجزائر وما رصد لها من إمكانيات، والتي بدأت منذ سنة 1927م وخصصت لها سبعة ملايين فرنك* أي ما يقارب ثمانون مليون دينار جزائري⁵، وقد تمت هذه الإحتفالات الإستعمارية في أبهة الإستعراضات العسكرية ومهرجانات الفرسان والسهرات

¹ -Ageron: op.cit, p1218.

² - جمال قنان: المرجع السابق، ص 181.

³ - عمار بوحوش: المرجع السابق، ص 215.

⁴ - عبد القادر جغلول: المرجع السابق، ص ص 22، 23-90.

* - كانت هذه الإحتفالات ضرورة للدعاية إلى فكرة الإمبراطورية، فتم التحضير لهذه الإحتفالات بدقة، حيث بادر بالتحضيرات الحاكم العام "ستيف" عام 1923م ثم خلفه "فيوليت" وخصصت لهذه الإحتفالات 39 مليون فرنك، أنظر: (شارل رويبر أجرون:

تاريخ الجزائر المعاصرة من إنتفاضة 1871 إلى إندلاع حرب التحرير 1954، المرجع السابق، ص 255).

⁵ - عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون: الكفاح القومي السياسي من خلال مذكرات معاصر، الفترة الأولى 1920م-

1936م، ج 1، منشورات السائح، الجزائر: 2008م، ص 363.

الراقصة، حيث أرادت الأقلية الإستعمارية أن ترى في الصمت العام للجماهير الجزائرية، التي تشكل الأكثرية الساحقة، إشارة القبول بالأمر الواقع، وفكرة "الاستعمار = الحضارة"، وفي هذا الحفل تم توزيع التعويضات والأوسمة على الوجهاء ذوو العمامة، وقد لخص الجنرال ريبيل (Rebel) رأيه الواضح والصريح لجزائري تلك الحقبة فيقول: "عربي الذكرى المثوية موال وراض، دينه مترسخ جيدا وينحني أمام قوة متفوقة، إن أراد أن يصبح مواطنا فرنسيا فليتنجنس هذا شأنه فهو يصبح فرنسيا عندما يريد"¹.

كما أقيمت حملات دعائية للجزائر من أجل أن يعرفها الرأي العام الفرنسي ويجبها، فوزعت الملصقات والبطاقات البريدية، كما قدم الكتاب الذهبي للذكرى المثوية للجزائر الفرنسية، حيث وصف تاريخ إفريقيا الشمالية منذ إستقرار الإسلام إلى غاية مجيء الفرنسيين، وهاجم فيه الدين الإسلامي واللغة العربية، وإعتبرها أفقر وأحق لغات العالم، خاصة وأن الفرنسيين كانت لهم أحقاد دفيئة اتجه العنصر الأهلي². وبالمقابل ألقى خطاب عديدة التي نوهت بالإنجاز الحضاري الذي حققته فرنسا في الجزائر منذ قرن من الزمن، كما ضمت الكنيسة صوتها لهذا الجوق مبينة العلاقة المتينة بين الكنيسة وفرنسا والمستقبل الزاهر الذي ينتظر المسيحية في شمال إفريقيا³، وقد استدعي آلاف الشخصيات والهيئات من بينها رئيس الجمهورية الفرنسية غاستون دومارق (Gaston Doumergue)⁴.

كانت أجراً تظاهرة أعرب فيها المستعمرون عن منتهى حمقهم وإحتقارهم الفظيع للجزائريين في هذه الإحتفالات، هي تظاهرة الهجوم البحري التي جددوا بها ذكرى نزول الأسطول البحري الفرنسي بشاطئ سيدي فرج يوم 24 جوان 1830م، ومثلت العملية بكل مآسيها ومظاهرها الجارحة

¹ - عبد القادر جغلول: المرجع السابق، ص 90.

² - شارل رويبر أجرون: المرجع السابق، ص 256، 257.

³ - أحمد صاري: شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر، تقديم: أبو القاسم سعد الله، المطبعة العربية غرداية، الجزائر: 2004، ص 122، 123.

⁴ - أحمد صاري: المرجع السابق، ص 125.

للعواطف، وأتت بآلاتها ومعداتها التاريخية ولباس جندها التاريخي، وقد كانت العملية إستفزازية بالنسبة للشعب الجزائري¹، وهكذا بدل أن توطد هذه الإحتفالات العلاقة بين الأوروبيين والمسلمين وتدعم بذلك الوجود الفرنسي في الجزائر، زادت من الهوة بين الطرفين إلا أن السلطات الفرنسية لم تأخذ العبرة من ذلك وراحت تعاود الكرة بإحيائها مرة أخرى في مدينة قسنطينة سنة 1937م².

أما رد فعل الجزائريين حول هذه الإحتفالات كان واضحا عن طريق التصريحات التي جاءت بها الشخصيات الجزائرية والمنظمات الشعبية (عبد الحميد بن باديس، بن جلول) الذين رفضوا أولا وأخيرا هذه التظاهرات المقينة والإحتفالات المخزية³.

وعقب الإحتفالات بالذكرى المئوية، ترأس موريس فيوليت (Morris Violette) مجموعة من مجلس الشيوخ الفرنسي عهد إليها بدراسة الأوضاع الجزائرية، وتقديم توصيات عن الإصلاحات التي يجب اتخاذها، وفعلا قدمت اللجنة مشروع المعروف بإسم مشروع فيوليت، الذي لم يؤخذ بعين الإعتبار، فأدى فشله إلى خيبة آمال الكثير من المثقفين الجزائريين الذين كانوا مخلصين لثقافتهم الفرنسية⁴، وقد ذكر جمال قنان أن الروح الوطنية في الجزائر تولدت بسبب رفض الكولون لكل إصلاح، وأنه لو قدر لهذا المشروع النجاح لما ظهرت الوطنية في الجزائر⁵.

والحق أن الإحتفالات بالذكرى المئوية لإحتلال الجزائر وماحدث فيها قد ساهم بقدر كبير في بروز الوعي الوطني لدى الجزائريين، والذي أدى إلى بلورة الأحزاب السياسية والجمعيات الوطنية.

الأحزاب السياسية في الجزائر:

يعتبر الزعيم خالد بن الهاشمي حفيد الأمير عبد القادر أول زعيم سياسي تعرفه الجزائر في التاريخ الحديث، الذي شارك فرنسا في حروبها وآلامها رفقة أبناء وطنه، لكن سرعان ما تنكرت فرنسا

¹ - عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون: المرجع السابق، ص 364.

² - أحمد صاري: المرجع السابق، ص 122، 123.

³ - عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون: المرجع السابق، ص 364.

⁴ - جوان غليسي: المصدر السابق، ص 32.

⁵ - جمال قنان: المرجع السابق، ص 183.

لمبدأ تقرير المصير، فخابت آماله فجمع هيئة سياسية أسماها "وحدة النواب المسلمين"، وأسس لها صحيفة "الإقدام"، فكان ينادي بضرورة إصلاح حال الجزائريين، وتسويتهم بالفرنسيين في كل شيء، ودخولهم لمجلس النواب الفرنسي وإلغاء سائر الأحكام الإستثنائية، واستمر يطالب بهذه الحقوق إلى غاية قيام الحركات الوطنية الكبرى¹.

الحزب الشيوعي:

بعد الحرب العالمية الأولى لم يعرف الشيوعيون السياسة المتبعة في الجزائر، حيث إعتقدوا أن تحرير الجزائر سيكون بعد إنتهاء الحرب العالمية الأولى وتحقيق فرنسا لوعودها²، ولهذا كانت إضطرابات بين الحزب الشيوعي الفرنسي والسلطة بسبب تأييد الشيوعيين لثورة الأمير عبد الكريم الخطابي في الريف المغربي، وقد تأسس هذا الحزب في سنة 1924م³، وساند الحركة الوطنية ضد البرجوازية الأهلية في الجزائر، حيث نادى بضرورة إزالة كل التمثيليات المالية وتعويضها ببرلمان جزائري منتخب بالإقتراع العام والمباشر من طرف كل سكان هذا البلد، كما ندد بالإصلاحيين سواء كانوا مسلمين أو أوروبيين في حالة عدم دعمهم لقضية الإستقلال، أما في سنة 1930 م رأى الشيوعيون أن الإحتفالات بالذكرى المئوية هي تظاهرة إمبريالية، فوزعوا المناشير ضد التظاهرة بعنوان مئة سنة من الإستعباد⁴.

وقد إستقل الشيوعيون الجزائريون عن الحزب الشيوعي الفرنسي بعد سنة 1935م بقيادة عمار أوزقان، حيث ساهم الحزب الشيوعي الجزائري بنشر الوعي السياسي بين أفراد المجتمع الجزائري، وخاصة طبقة العمال وقد شارك الحزب في فعاليات المؤتمر الإسلامي سنة 1936م، وجراء ذلك تعرض للمضايقات من طرف الإدارة الإستعمارية⁵، ولكنه لم يحض بالتأييد الشعبي نتيجة تمسك

¹ - أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر، المصدر السابق، ص 122، 123.

² - محفوظ قداش: جزائر الجزائريين 1830-1954م، ترجمة: محمد معراجي، الجزائر: 2008م، ص 287، 288.

³ - بن خليف مالك: المرجع السابق، ص 46.

⁴ - محفوظ قداش: المرجع السابق، ص 288.

⁵ - بن خليف مالك: المرجع السابق، ص 46.

الجزائريين بدينهم الإسلامي، ورفضهم للفكر الشيوعي الذي لا ينسجم مع عقيدة المجتمع الجزائري¹، بالإضافة إلى سياسة التجهيل التي فرضها الإستعمار الفرنسي على الجزائريين والتي جعلتهم لا يعلمون شيئاً عن الفكر الشيوعي الحديث².

حزب نجم شمال إفريقيا وحزب الشعب:

ماتزال جذور نجم شمال إفريقيا غير معروفة، وبحسب مصادر الشرطة الفرنسية فإن الحركة قد حضر لها بين 1924م-1925م في باريس بتحفيظ من الأمية الشيوعية وأول رئيس لها عبد القادر حاج علي*، أما ميلاد النجم فكان في 20 مارس 1926م³، ويذكر الدكتور عبد الكريم بوالصفا⁴ في كتابه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الوطنية الأخرى أن منظمة نجم شمال إفريقيا من بنات أفكار الأمير خالد الذي دعا إلى تكوين جمعية بإسم الشمال الإفريقي في منطقة لابوش ديرون (الولاية الثالثة عشر في أقصى جنوب فرنسا وتضم مدينة مارسيليا، وآرل، وإكس بروفونس).

ومن العوامل التي أثرت على ميلاد هذه المنظمة، التوعية السياسية خاصة بعد الحرب العالمية الأولى، بالإضافة إلى أفكار الأمير خالد الإستقلالية ونشاطه في فرنسا بعد نفيه من الجزائر، وقد أنتخب رئيساً شرفياً للحزب، وقد كانت للحزب جريدة تعرف باسم "الإقدام" التي عبرت عن أفكار

¹ - المكان نفسه.

² - عبد الكريم بوالصفا: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الوطنية الأخرى 1931-1945م، المرجع السابق، ص 387.

* - وهو أول رئيس للنجم، كان تاجرا بغيليزان وهو شيوعي، وكان عضواً في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفرنسي، أنظر: (عبد الكريم بوالصفا: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الوطنية الأخرى 1931-1945م، المرجع نفسه، ص 284).

³ - شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ص 566.

⁴ - عبد الكريم بوالصفا: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الوطنية الأخرى 1931-1945م، المرجع السابق، ص 284.

النجم، كما كانت له جريدة "الأمة" في 1930م، وقد عقد تجمعا جماهيريا في أوت 1936م وهذا ما كانت تخشاه الإدارة الاستعمارية فقامت بحله في جانفي 1937م¹.

بعد حل حزب نجم شمال إفريقيا الذي كانت له عدة تسميات منذ نشأته سنة 1926م:

كـ"النجم المجيد" سنة 1934م، الإتحاد الوطني لمسلمي شمال إفريقيا سنة 1935م، تأسس حزب الشعب في 11 مارس 1937م² برئاسة مصالي الحاج، وتميز الحزب بطابعه الإستقلالي والثوري منذ تأسيسه إلى ما بعد حله وقد استجاب الجزائريون لنداء هذا الحزب استجابة منقطعة النظير، وكان رد فعل الحكومة الفرنسية من إعلان هذا الحزب أن ألقت القبض على زعمائه كمصالي الحاج³. أصدر الحزب عدة صحف لنشر أفكاره ومبادئه مثل: "الأمة"، "الشعب" التي كان يديرها مفدي زكرياء، وتم حل الحزب يوم 26 سبتمبر 1939م⁴، ثم حركة إنتصار الحريات الديمقراطية سنة 1946م.

حركة إتحاد المنتخبين المسلمين "دعاة الإدماج والتجنيس":

كانت هذه المبادرة من طرف مجموعة من شبان الجزائر العاصمة في 11 سبتمبر 1927م*

تحت رئاسة الدكتور "ابن تومي"، الذي عبر بكلمات عامة عن مطالب مئة وخمسون منتخب جزائري، والذين حضروا في المؤتمر التأسيسي⁵، ويتلخص برنامج هذه الحركة في المطالبة بالمساواة بين الجزائريين والفرنسيين في جميع الحقوق، وهو ما يقصدونه بالإدماج مع المحافظة على الشخصية الإسلامية، وقد فشلت فكرة الإدماج لرفض المستوطنين هذا المطلب من جهة، حيث رأوا أن إعطاء

¹ - بن خليف مالك: المرجع السابق، ص 44، 45.

² - عبد الكريم بوالصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الوطنية الأخرى 1931-1945م، المرجع السابق، ص 293.

³ - أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر، المصدر السابق، ص 128، 129.

⁴ - بن خليف مالك: المرجع السابق، ص 45.

* - نشأت هذه الحركة في سنة 1930م وهي امتداد للهيئة التي أسسها الأمير خالد بعد الحرب العالمية الأولى ومن أبرز زعمائها:

الدكتور محمود بن جلول، والصيدلي فرحات عباس، والدكتور ربيع الزناتي، أنظر: (بن خليف مالك: المرجع السابق، ص 42).

⁵ - عبد الكريم بوالصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الوطنية الأخرى 1931-1945م، المرجع السابق، ص 326.

الجزائريين بعض الحقوق والإمميزات لا يخدم مصالحهم، ورفض الجزائريون بدورهم فكرة التجنيس بفضل التوعية التي قام بها الشيخ عبد الحميد بن باديس¹.

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين يوم الثلاثاء 05 ماي 1931م، بمدينة الجزائر العاصمة في نادي الترقى بساحة الشهداء حاليا²، ويقول أحمد توفيق المدني أنه بنفسه قام بكتابة مئة وعشرون دعوة لعلماء الجزائر، فلبى الدعوة إثنا وسبعون عالما واجتمعوا في المؤتمر التأسيسي الذي ترأسه عمر إسماعيل في شكل جمعية عمومية لتحديد القوانين الأساسية للجمعية وقد أقرتها بالإجماع كل الأعضاء³، وكان الهدف منها جمعية إرشادية تهيئية⁴، وقد أنتخب غيايبا عبد الحميد بن باديس* رئيسا ومحمد البشير الإبراهيمي نائبا له، والأمين العمودي كاتباً عاماً، ومساعدته الطيب العقبي، أما مبارك الملي فأمينا للمال ومساعدته إبراهيم البيوض، وباقي الأعضاء للإستشارة والعضوية⁵، بالإضافة إلى بعض العلماء والأعيان والطرقين ومنهم: الصديق الحافظي الأزهري، ومولاي بن الشريف، حسن الطرابلسي، عبد القادر القاسمي...⁶.

¹ - بن خليف مالك: المرجع السابق، ص ص42، 43.

² - عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون: المرجع السابق، ص215.

³ - عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الوطنية الأخرى 1931م-1945م،

المرجع السابق، ص134.

⁴ - عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون: المرجع السابق، ص134.

* - تم الانتخاب عن طريق عملية الاقتراح، وهي طريقة تكنيكية ولاسيما أن العلماء المصلحين المجددين قد عزموا على إنقاذ البلاد من تسلط شيوخ الزوايا والطرق الصوفية المتعاونين مع الإدارة الفرنسية، أما غياب عبد الحميد بن باديس لأنه رفض رئاسة الجمعية لاعتبارات منها أن والده من عمد الحكومة الواهين، وكونه كان يريد محاربة الأعداء باسمه الخاص، أنظر: (عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الوطنية الأخرى 1931-1945م، المرجع السابق، ص136).

⁵ - عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون: المرجع السابق، ص135.

⁶ - المرجع نفسه، ص134.

وقد ذكر عبد الحميد بن باديس يرد على الحركة الاندماجية ومبيناً بذلك القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين: "إن هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا، ولا يمكن أن تكون فرنسا، ولا تستطيع أن تكون فرنسا ولو أرادت، بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها وفي أخلاقها وفي عنصرها، وفي دينها ولا تريد أن تندمج، ولها وطن محدود معين هو الوطن الجزائري بحدوده الحالية المعروفة"¹.

بعد أن واجهت دعاة الإدماج قامت الجمعية بمحاربة البدع والخرافات الدينية وذلك بمواجهة الطريقة، فظهرت الدين من الشوائب، ثم أخذت في الحملة التعليمية العربية الإسلامية²، وقد ترأس الجمعية البشير الإبراهيمي بعد وفاة عبد الحميد بن باديس في 16 أبريل 1941م وحاول السير على خطى مؤسسها والتمسك بمبادئها.

الحرب العالمية الثانية 1939م-1945م:

يعيد التاريخ سيناريو الأحداث التاريخية المتمثلة في الحرب الكونية الثانية عام 1939م، ولا ينكر أحد أن كثيراً من المسلمين الجزائريين كانوا رغم عاطفتهم الديمقراطية، يتمنون من صميم قلبهم أن تنتصر ألمانيا، لاجبا فيها بل طمعا في الانتقام من فرنسا المستعمرة، وإستطاع هتلر أن يشتت جنود فرنسا، فلم تثبت بسلاحها وجنودها نصف شهر أمام الجحافل الألمانية، فاستسلمت وذقت الكأس المرير الذي جرعه للشعوب وخاصة الشعب الجزائري³، وبدأت الإدارة الفرنسية بإصدار قانون جديد في 28 أوت سنة 1939م يعطي الحق في مراقبة جميع المطبوعات، وبالتالي الحصول على رخصة من أجل إصدار جريدة أو نحوها⁴.

¹ - عبد الله شريط، محمد الميلي: الجزائر في مرآة التاريخ، ط1، مكتبة البعث، قسنطينة: 1965م، ص278.

² - أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر، المصدر السابق، ص ص127.

³ - أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر، المصدر السابق، ص ص172، 173.

⁴ - أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية 1930م-1945م، ج2، المرجع السابق، ص33.

وكاد الجزائريون ينقلبون ضد فرنسا المستعمرة لولا دخول الحلفاء ونزولهم في الشمال الإفريقي في نوفمبر 1942م، لكنها لم تنصف المسلمين واعتبرت قضية الجزائر من شؤون فرنسا الداخلية¹ وعندئذ نظم قادة أهم الأحزاب السياسية إجتماعا عاما في منزل المحامي علي بومنجل في الجزائر العاصمة في ديسمبر 1942م*، واتفقوا على نشر ميثاق كلف فرحات عباس بتحريره في مدينة سطيف وقد صودق عليه في فيفري 1943م، ووصف البيان حالة الجزائر والجزائريين طيلة العهد الإستعماري وعبر عن مطامحهم في التحرر وتطلعهم إلى الإستقلال والرفاهية في جو من الثقة والأمن والسلم، وفي يوم 31 مارس 1943م سلمت نسخة من البيان إلى الوالي العام "بيروطن"، وإلى ممثلي الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا وإنجلترا ونسخة أخرى إلى الجنرال "دوغول" وحكومة القاهرة²، وقد إلتف الجزائريون حول البيان للمطالبة بإصلاحات في إطار الوطن الجزائري ولكن سرعان ماتحطمت آمالهم مع مجازر 8 ماي 1945م³.

غضت الإدارة الفرنسية الطرف عن أحباب البيان والحرية لوجود الحلفاء وتظاهرت بالإهتمام بهذه المطالب، ولكن الإستجابة كانت منقوصة دائما وتمثلت في قانون 7 مارس 1944م الذي منح حق الإنتخاب لكل المسلمين الجزائريين البالغين واحد وعشرين سنة (21)، وكذا منح الجنسية الفرنسية لعدد كبير من الجزائريين فكانت هذه الإصلاحات كالعادة متأخرة عن وقتها وتافهة لاترضي أحد⁴، خاصة وأن هذا القانون غير منسجم مع الأوضاع العالمية الجديدة وهي تجربة الشعوب طوال

¹ - أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر، المصدر السابق، ص 173، 174.

* - حضره كل من: الدكتور بن جلول، فرحات عباس، الدكتور تامزالي النائب المالي، الدكتور سعدان، محمد الهادي حمام، غريسي أحمد، قاضي عبد القادر، الدكتور الأمين دباغين، حسين عسلة، والشيوخ: العربي التبسي، خير الدين وتوفيق المدني، أنظر: (يحي بوعزيز: سياسة التسلط الإستعماري والحركة الوطنية الجزائرية من 1830م إلى 1954م، المرجع السابق، ص 139).

² - يحي بوعزيز: سياسة التسلط الإستعماري والحركة الوطنية الجزائرية من 1830م إلى 1954م، المرجع نفسه، ص 137، 141.

³ - محفوظ قداش: المرجع السابق، ص 337.

⁴ - عبد الله شريط، محمد الميلي: المرجع السابق، ص 224.

الحرب العالمية الثانية واشتداد ساعد الحركات الثورية بالإضافة إلى حصول بعض بلدان المشرق على استقلالها¹.

كان كل هذا أرضية مناسبة لغيلان الأمة الجزائرية والذي أندر بانفجار شديد، وكان حينذاك الأستاذ فرحات عباس قد خرج من سجنه وعاد إلى العمل والإجتماع من أجل الإستعداد للمعارك السياسية بعد أن وضعت الحرب أوزارها بإخترام ألمانيا²، فاغتنم زعماء الحركة الوطنية فرصة الإحتفال باليوم العالمي للشغل، وكذا الإحتفال بالهدنة بعد الحرب العالمية الثانية في 8 ماي 1945م، ونظموا مظاهرات سلمية تندد بالقمع الإستعماري وتؤكد للعالم مشروعية الطموحات الوطنية، وتنفي فكرة "الجزائر أرض فرنسية"، وبالتالي التخلص من الإمبريالية الفرنسية³، فكانت الجزائر مسرحاً لأحداث دامية وخطيرة جداً، سالت فيها الدماء أنهاراً وسقط الضحايا بالآلاف، بدأت في أول ماي 1945م⁴، لا لسبب إلا أنهم طالبوا بإطلاق صراح مصالي الحاج وإستقلال الجزائر⁵. أسبوع بعد ذلك كانت المأساة المروعة حيث كتب عنها فرحات عباس: "08 ماي 1945 كان يوم الثلاثاء، وهو يوم سوق أسبوعية تستقبل مدينة سطيف في مثل هذا اليوم ما بين 5 و15 ألف شخص من الفلاحين والتجار القادمين من المناطق المجاورة".

ولقد سلمت رخصة من طرف عامل عمالة قسنطينة، الذي أذن بالمظاهرة بشرط أن لا يرفع المتظاهرون العلم الجزائري، فإذا رفع العلم ستضطر السلطات الفرنسية أن تطلق النار⁶. وقد خرج الآلاف من الجزائريين بمناسبة إنتصار الحلفاء على المحور للتعبير عن فرحتهم وعن مشاعرهم الوطنية،

¹-مصطفى طلاس، بسام العسيلي: المرجع السابق، ص46.

²- أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر، المصدر السابق، ص 176.

³- فضيل الورتلاني: الجزائر الثائرة، دار الهدى، الجزائر: 1991م، ص236.

⁴- يحي بوعزيز: سياسة التسلط الإستعماري والحركة الوطنية الجزائرية من 1830م إلى 1954م المرجع السابق، ص 150.

⁵- أحمد صاري: المرجع السابق، ص 139.

⁶- فضيل الورتلاني: المصدر السابق، ص238.

وكانت في مدن عديدة من الجزائر: البليدة، سيدي بلعباس، سعيدة، جيجل، عنابة، سطيف، قالمة، خراطة...، وقد خرج في مدينة سطيف لوحدها أكثر من عشرة آلاف، رافعين إلى جانب علم الحلفاء العلم الجزائري، حيث تدخلت فرنسا لإنتزاعه من يد حامله الذي رفض، فأطلقت النار عليه متسببة في مقتل أول شهيد الطفل بوزيد شعال، وتحولت المظاهرات إلى إنتفاضات ضد الفرنسيين، الذين ردوا بقوة متسببين بذلك في مقتل آلاف الجزائريين¹، ووصل العدد إلى أكثر من أربعين ألف شهيد (45 ألف شهيد) وأكثر من خمسة آلاف إعتقال في صفوف الوطنيين المعروفين مقابل ثماني وثمانين قتيل أوروبي وجرح مئة وخمسين منهم، وقد تكونت لجنة للبحث في هذه الفاجعة لكنها سرعان ما تخلوا عن هذه المهمة حتى لا تفضح أسرار المسؤولين الفرنسيين².

وتواصلت الأحداث لأيام عديدة طورد فيها المسلمون في المدن والقرى والمداشر، وصبغت الأرض بلونها الأحمر وقرى أخرى دمرت بالطائرات تدميرا فلم يبق منها شيء، وقد بادرت الحكومة مع ذلك بحل جماعة أحباب البيان والحرية وألقت القبض على رئيسها فرحات عباس وكذلك الشيخ محمد البشير الإبراهيمي وعدد كبير من الوطنيين³، وبعد أن صادق المجلس التأسيسي الفرنسي الأول على قانون مشروع العفو على المساجين، أطلقوا سراح مصالي الحاج وفرحات عباس وغيرهم في يوم 16 مارس 1946م، فقام فرحات عباس ورفاقه بتأسيس "الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري"⁴، وتحول حزب الشعب من ناحيته في نوفمبر من نفس السنة إلى "حركة إنتصار الحريات الديمقراطية" بزعامة مصالي الحاج، واستعد الجميع إلى معركة جديدة من ورائها الموت أو الحياة⁵.

لقد قامت الجمعية الوطنية الفرنسية بدراسة موضوع إصدار قانون خاص للجزائر في عام 1947م، ووجد الجزائريون كالعادة أنهم لا يملكون أية قوة للتأثير على صياغة القانون الجديد، ورفضت

¹- أحمد صاري: المرجع السابق، ص 139.

²- عبد الله شريط، محمد الميلي: المرجع السابق، ص 225.

³- أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر، المصدر السابق، ص ص 177، 178.

⁴- يحي بوعزيز: سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية من 1830م إلى 1954م المرجع السابق، ص 155.

⁵- أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر، المصدر السابق، ص ص 179، 180.

إقتراحاتهم كما رفض السماح لهم في الإقتراع الأخير، وقد نص هذا القانون الأساسي على أن الجزائر مجموعة من المقاطعات تتمتع بشخصية مدنية ومستقلة ماليا، ومن حق من يحمل الجنسية الفرنسية في المقاطعات الجزائرية أن يتمتع بجميع الحقوق دون تمييز بالنسبة للعنصر أو الأصل أو اللغة أو الدين¹. خلفت الأحداث بعد نهاية الحرب العالمية الثانية أثارا عميقة في نفوس الشعب الجزائري وشكلت له منطلقا حاسما لمسيرته النضالية من أجل الحرية والإستقلال، وستجعل القوى الوطنية تجتاز هذه المحن والآثار السلبية التي تركتها مجازر 8 ماي 1945م، لتتابع المسيرة من أجل المرحلة الهامة والحاسمة في تاريخ الجزائر المعاصرة.

خاتمة الفصل

بعد أن فرض الاستعمار الفرنسي سيطرته على كامل التراب الوطني، الذي أدى إلى سوء الأوضاع على كل الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فسلب المستعمر الأراضي وشجع على الاستيطان عن طريق الهجرة من أوروبا إلى الجزائر وتجلي ذلك في قانون 8 سبتمبر 1830م الذي يقضي باستيلاء الفرنسيين على أملاك الدولة الجزائرية والأوقاف والحبوس، كما قام بتدمير البنية الاجتماعية الأساسية للجزائر، هذا المجتمع الذي عانى الأمراض والأوبئة والمجاعات كما شنت الأعراس وأباد القبائل، وحارب الدين واللغة العربية محولا محور الشخصية الوطنية الجزائرية بتشويه تاريخنا وعاداتنا وتقاليدينا، وتحكم في الزوايا ورؤساء الطرق الصوفية حسب مصالحه كما دمرت المساجد، وباشر الاستعمار بالتنصير وتشويه الإسلام والثقافة العربية الإسلامية، فسادت اللغة الفرنسية وحلت محل العربية، وانتشرت الأمية في أوساط الجزائريين.

لقد أثبت التاريخ أن الحروب كلها كانت تلقى للشعوب، وتحديدًا للحياة، ودفعًا للبشرية إلى الأمام، وهنا يصدق المثل القائل: "من الموت توهب أو تستقى الحياة"، وكما قال الصديق الأكبر

¹ - جوان غليسي: المصدر السابق، ص ص: 37، 38.

أبو بكر الصديق رضي الله عنه: "احرص على الموت توهب لك الحياة"¹ كل هذه الحالة المزرية للمجتمع الجزائري جعلته يعيش نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين في جو اجتماعي - ثقافي جديد، هذا التحول الذي مس جميع نواحي الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية، وقد تمثل في إنشاء النوادي الثقافية والصحافة والجمعيات الرياضية والجمعيات الخيرية والاجتماعية...، الذي أدى إلى ظهور مواقف جديدة تجاه السلطة الاستعمارية هذه المواقف مثلها أبرز قادة الحركة الوطنية معتمدين في ذلك على المقاومة بالحوار من أجل الحصول وإنتزاع منها بعض التعديلات والمساواة في الحقوق.

¹ - عبد الرحمان بن إبراهيم العقون: المرجع السابق، ص 69.

الفصل الثاني:

التكوين الإجتماعي لأبرز قادة الحركة الوطنية

المبحث الأول: النشأة الأولى لقادة الحركة الوطنية.

المبحث الثاني: أسر القادة.

المبحث الثالث: تأثير الهجرة على الحالة الإجتماعية للقادة السياسيين.

خاتمة الفصل

الفصل الثاني:

التكوين الإجتماعي لأبرز قادة الحركة الوطنية

تناول الفصل السابق الأوضاع العامة للجزائر في المجال السياسي، الإجتماعي والثقافي، لقد تأثر المجتمع الجزائري بهذه البيئة خاصة منهم قادة الحركة الوطنية، مما أدى إلى إختلاف توجهاتهم السياسية في محاربة الإستعمار الفرنسي أو في الحصول على حقوقهم المدنية والسياسية، حيث سنلاحظ وجود إختلافات جوهرية بين إتجاهات القوى الموجودة داخل المعسكر الوطني نفسه: فهناك الإتجاه الإصلاحى الإسلامى الذى يعتمد على التعليم العربى الحر، والإبقاء على الشريعة الإسلامية وتطبيقها فى الحياة اليومية وكان على رأسهم فى أول الأمر الفقهاء التقليديون ثم العلماء المصلحون المجددون، وإتجاه آخر يحاول تطبيق القانون العام على كل من يسكن البلد سواء أجنب أو أهالى المسلمين، أما اليسار فيظهر جلياً وبوضوح فى حركة النجم الشمال الإفريقي¹، وهذا الإختلاف فى التكوين ناتج عن الظروف الإجتماعية التى ظهر فيها الوعى الوطنى لدى قادة النضال السياسى، بالإضافة إلى إختلاف تكوينهم السياسى والثقافى.

لقد عمل الإستعمار الفرنسى منذ دخوله أرض الجزائر على إحداث تفرقة جهوية، ونعرات قبلية بين الشعب الجزائرى، وقضى على علاقاته الإجتماعية المتينة التى شد وثاقها الإسلام وتاريخ المنطقة الطويل، الذى جعله ينغلق على بنيته الإجتماعية والأسرية، والعلاقات المختلفة التى تشد وترتبط أبناءه وأسرهم، رغم محاولة المستعمر نشر الرذائل الأخلاقية بين أفرادهم². فإزدادت قبضته على السكان فى كل شىء، فكثرت الأمراض الإجتماعية، وتركزت الهجمة الشرسة على الإسلام وقيمه الحضارية، وعششت الخرافات والبدع وشاعت المحرمات وكثرت الفواحش والمنكرات والإجرام، فالتفت

¹ - جلال بيجي: المرجع السابق، ص ص1042،1041.

² - عبد الرشيد زروق: جهاد ابن باديس ضد الإستعمار الفرنسى فى الجزائر(1913م-1940م)، ط1، دار الشهاب، بيروت، لبنان: 1999م، ص ص33-36-43.

الجماهير حول رجال الطرق الصوفية والمرابطين الذين رفعوا على مدى أربعين عاما لواء المقاومة والجهاد، ولكن الإحتلال البغيض عرف كيف يسخرهم ويدجنهم ويجعلهم في خدمته على مدى أكثر من نصف قرن إلا زوايا الجنوب فقد ظلت حرة ومستقلة ومقاومة للمد الإستعماري، حتى أصبحت تشكل مصدر الرعب والهلع للمحتلين¹، وخلال أكثر من سبعين سنة إجتمع على الأمة جهل وفقر ومرض وإستسلام شل حركتها. هكذا كانت عموما حالة المجتمع الجزائري والتي تقاسم مرها جل أفراده.

يعالج هذا الفصل التكوين الإجتماعي لأبرز قادة الحركة الوطنية، كما يتطرق إلى نشأتهم والظروف الإجتماعية التي عاشوها، والتي ساهمت في تكوين شخصيتهم، وأثرت في ميولاتهم السياسية مع إعطاء أمثلة على أهم هؤلاء القادة، ويتضمن هذا الفصل ثلاث مباحث، يتناول المبحث الأول النشأة الأولى لقادة النضال السياسي، أما المبحث الثاني فيعالج أهم أسر القادة، ويتناول المبحث الثالث تأثير الهجرة على الحالة الإجتماعية للقادة السياسيين.

المبحث الأول:

النشأة الأولى لقادة الحركة الوطنية

يتحدث هذا المبحث عن البيئة الأولى لهم وإنتماؤاتهم الأسرية، حيث أن المجتمع الجزائري لم يكن كله من الفلاحين أو عمال الأرض، أو كلهم من المعدومين بل تميز بالتنوع في تركيبته والتي كانت البوتقة التي تكون فيها القادة، أما إشكالية المبحث: كيف كانت الطبقات الأسرية التي ينتمي إليها أبرز قادة الحركة الوطنية؟ وكيف كان مستواهم المعيشي وكيف أثر ذلك على تكوين شخصيتهم السياسية؟

¹ - كمال عجالى: الفكر الإصلاحى فى الجزائر الشيخ الطيب العقبي بين الأصالة والتجديد، صدر عن وزارة الثقافة، 2007م، ص13.

تنتمي الإطارات السياسية الأهلية من الأرسقراطيين*، وكبار ملاك الأراضي والطريقين في الأرياف والأعيان في المدن وهم الناطقون الرسميون باسم الأهالي منذ بداية القرن العشرين لاسيما بعد الحرب العالمية الأولى¹، بالإضافة إلى العمال والباشاوغوات وشيوخ العرب². كما تنتمي إلى عائلات متوسطة سواء كانت في الريف أو المدينة، بالإضافة إلى أخرى فقيرة ومعدومة. ويمكن تقسيم الأسر التي كان ينتمي إليها القادة الوطنيون إلى:

العائلات الكبيرة:

بدأت هذه الطبقة بالزوال تدريجيا بعد الإحتلال الفرنسي ولم يبق لها أساس عقاري مهم (ماعددا القليل منها في الجنوب)، ومن أمثلة ذلك أولاد ملوك وبن رحال في منطقة تلمسان، بالإضافة إلى عائلة أولاد مختار وعائلة الشيخ حداد التي قضى عليها المحتل نهائيا³، وقد حلت محل هذه الفئة البرجوازية الريفية الجديدة، التي تدين بكل شيء للإحتلال الفرنسي نتيجة تصفية الأراضي في شمال الجزائر تدريجيا في حدود سنة 1934م، وبفعل قوانين 1863م و1873-1887م وقانون 1897م، الذي أدى إلى تفاوت كبير في المجتمع الريفي⁴، بالإضافة كذلك إلى فئة قليلة حافظت على مستواها

*- الأرسقراطية: بالإنجليزية (Aristocracy) هي تسمية لطبقة اجتماعية تتمتع بالأصول النبيلة في المجتمعات الأوروبية وينحصر فيها حكم البلاد. وهي كلمة يونانية الأصل وتعني (حكم الأفضل). وهذه الصفة متوارثة حتى هاجمتها الثورة الفرنسية، صارت لفظة الأرسقراطية تشير إلى جميع العوائل الإقطاعية في إنجلترا، فرنسا وروسيا وتشير إلى القوة والسلطة وصارت نمطاً من أنماط الحياة في العالم، تعني أن الحكم يكون بواسطة خير المواطنين (الطبقة الذهبية) لصالح الدولة أي سلطة خواص الناس، وسياسياً تعني طبقة اجتماعية ذات منزلة عليا تتميز بكونها موضع اعتبار المجتمع، وتتكون من الأعيان الذين وصلوا إلى مراتبهم ودورهم في المجتمع عن طريق الوراثة، واستقرت هذه المراتب على أدوار الطبقات الاجتماعية الأخرى، وكانت طبقة الأرسقراطية تتمثل في الأشراف الذين كانوا ضد الملكية في القرون الوسطى، وعندما ثبتت سلطة الملوك بإقامة الدولة الحديثة تقلصت صلاحية هذه الطبقة السياسية واحتفظت بالامتيازات المنفعية، وتتعارض الأرسقراطية مع الديمقراطية. أنظر: (<http://ar.wikipedia.org>)

¹ - محفوظ قداش: تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية (1919م-1939م)، ترجمة: أحمد بن البار، ج1، ط1، دار الأمة، الجزائر: 2008م، ص105.

² - أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية (1919م-1939م)، ج2، المرجع السابق، ص42.

³ - محفوظ قداش: تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية (1919م-1939م)، المرجع السابق، ص105.

⁴ - شارل روبري أجرون: المرجع السابق، ص827.

المعيشي والمتمثلة في عائلات المرابطين القيمين على الزوايا مثل: عائلة بن داينة (أولاد سلطان) وباشطارزي (الأوراس)، وعائلة نذير (بوسعادة)، وبنوعبيد (قرقور) ناحية سطيف، ويرجع إحتفاظ هذه العائلات بمداخيها ونفوذها إلى حماية ورعاية الإدارة الإستعمارية، فقد كان أعضاء عائلة أولاد سيدي مبارك بن كبلوت يمارسون بصفة وراثية وظيفة قاض، حيث إرتبط إسمهم العائلي بـ "قاضي"¹، بالإضافة إلى القياد والأغوات والباش غورات الذين ظلوا محتفظين بمساعدة الإدارة الفرنسية²، وهم من الطبقة الثرية التقليدية التي إكتسبت ثروتها إما بالوراثة وإما بموالاتها للفرنسيين³، نذكر على سبيل المثال عائلة بن بوعلي الذين شغلوا منصب القضاء في الونشريس، وكذا عائلة بن لفقون (بن لفكون) في قسنطينة التي حملت منذ القرن السادس عشر لقب شيخ الإسلام وإنضمت إلى فرنسا قبل أي عائلة وظلت عائلة مرموقة بعد سنة 1900م، إذ عين منها مترجمون ونواب ومندوبون ماليون⁴، بالإضافة إلى النخبة الجديدة "البرجوازية الحديثة" والمتمثلة في كبار تجار الموانئ والمدن والمجموعة القليلة من كبار صناعيي القطاعات الحديثة، وذوي المهن الحرة وكذا الإطارات ذات الرواتب الجيدة هذه النخبة التي خرجت من رحم الطبقات الحضرية⁵ والتي تدعى بالتعبير الدارج "البلدية".*

بضافة إلى أفراد الأتئلجنسيا أي "الشباب الجزائري" الفرنسية التكوين، أو المنتخبين المسلمين الذين وصلوا إلى مستوى البرجوازية الميسورة. وكان يمكن حصوهم: ستون (60) أستاذًا في التعليم

¹ - محفوظ قداش: المرجع السابق، ص105. للمزيد عن أهم العائلات المرابطية في الجزائر، انظر: (شارل روبيير أجرون: المسلمون الجزائريون وفرنسا، ص ص342، 344).

² - شارل روبيير أجرون: المسلمون الجزائريون وفرنسا، المرجع السابق، ص345.

³ - أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية (1919م-1939م)، ج2، المرجع السابق، ص42.

⁴ - شارل روبيير أجرون: المسلمون الجزائريون وفرنسا، المرجع السابق، ص345.

⁵ - شارل روبيير أجرون: الجزائر المعاصرة، المرجع السابق، ص ص843، 844.

* - تتميز هذه الفئة بخصوصيتها في أسلوب العيش وثقافتهم، حيث يعتبرون مستودع التقاليد الحضرية الأندلسية العريقة، كما كانوا شديدي التمسك بالمبادئ الدينية، وكانوا يشتهرون عدائهم للبدع العصرية والذهنية الفرنسية التي تدعو للمساواة والتسوية بين الناس ولسياسة الإدماج، وهم من البرجوازية التقليدية الذين يحسنون اللغة العربية ويتمتعون بمستوى تعليمي مقبول. للمزيد أنظر:

(شارل روبيير أجرون: المسلمون الجزائريون وفرنسا، المرجع السابق، ص ص349، 350).

الثانوي، وثمانية وسبعون (78) محاميا، وخمسة وسبعون (75) طبيبا، وستة وثلاثون (36) صيدليا، وإحدى عشرة (11) طبيب أسنان، وست (6) قابلات مسلمات، وسبعة (7) مهندسين من خريجي المدارس الكبرى، وخمس قضاة ومستشاران إثنان لدى المحكمة، وسفير واحد¹، وقد أطلق عليهم إسم النخبة أو المثقفون أو المتنورون كما يسميهم البعض وهم أبناء الأثرياء، وقليل منهم ينحدر من أصل فقير²، ولهم علاقات حميمة مع الإدارة الإستعمارية.

حاول هؤلاء البرجوازيون تقليد معيشة الأروبيين، ولم يكن هناك مايفصلهم عن الأروبيين ماعدا صيام شهر رمضان والإحتفال بالأعياد الإسلامية³، حيث كانوا مقلدين تقليدا خالصا لطرائق التفكير ونمط الحياة الفرنسية وإحياء بعض الأعياد والمناسبات⁴، كان الطابع الإسلامي قد ترك في أحيانا كثيرة من قبل هذه البرجوازية الجديدة، ولم يعد أي من هؤلاء الأفراد ينتمي منذ الثلاثينات إلى أية جماعة حتى في المدن التقليدية، وقد إنضم بعضهم إلى الماسونية*، أو إلى الأحزاب الفرنسية أحيانا، وقد إبتعدوا في مجموعهم عن التجنس بالجنسية الفرنسية خاصة بعد حملة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على المتجنسين، وكان أول ما تخلوا عنه الزي الشرقي كالعمامة كالشاشية الشرقية التي كانت تلبس في القديم بإعتزاز كرمز من رموز المجتمع الجزائري، حيث كانوا يناضلون منذ فترات طويلة في سبيل التعاون مع الشعب الفرنسي ومتخوفين دائما من تمرد الجموع الريفية، الذين تجاهلوا معاناتهم

¹ - شارل رويبر أجرون: الجزائر المعاصرة، المرجع السابق، ص844.

² - أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية (1919م-1939م)، ج2، المرجع السابق، ص42.

³ - شارل رويبر أجرون: الجزائر المعاصرة، المرجع السابق، ص845.

⁴ - علي مراد: الحركة الإصلاحية في الجزائر (بحث في التاريخ الديني والإجتماعي 1925-1940)، ترجمة: محمد يحياتين،

دار الحكمة، الجزائر: 2007م، ص49.

* - الماسونية أو البناؤون معناها الحرفي هي "البناؤون" (بالإنكليزية: Freemasons أي "البناؤون الأحرار"). هي عبارة عن منظمة أخوية علمية، يتشارك أفرادها عقائد وأفكار واحدة فيما يخص الأخلاق الميتافيزيقيا وتفسير الكون والحياة والإيمان بخالق إلهي. تتصف هذه المنظمة بالسرية والغموض وبالذات في شعائرها في بدايات تأسيسها مما جعلها محط كثير من الأخبار، لذلك يتهم البعض الماسونية بأنها "من محاربي الفكر الديني" و"ناشري الفكر العلماني"، أنظر: (<http://ar. Wikipedia.org>)

فقد كانوا معتدلين في ميولهم السياسي وغير متطرفين¹، بالإضافة إلى الذين إتخذوا من الاعتدال والوسطية منحاهم السياسي، أولئك الذين رفعتهم الشهرة والثروة والشهادات والوضع الاجتماعي فوق الجماهير الشعبية، وجعلتهم يعتبرون رسمياً من النخبة².

العائلات المتوسطة :

سميت هذه الطبقات الاجتماعية بالطبقات المتوسطة الحضرية، والتي كانت تجبر نفسها على بلوغ مستوى معيشة البرجوازية الحديثة، والواقع أن هذه الطبقة المتوسطة المسلمة كانت في الحقيقة بعيدة جدا عن مستوى معيشة البرجوازية الجزائرية التقليدية*، وبعيدة حتى عن مستوى معيشة البرجوازية الشعبية للمجتمع الفرنسي³، وقد كان عدد كبير من الطبقة المتوسطة من سكان الحضر الجدد المنتشرين في البلديات المكتملة الوظائف أو الصلاحيات، الذين كانوا متمسكين بالإسلام لكنهم أقل حنيناً للماضي وإرتباطاً بأوساطهم القديمة⁴، وهم من كبار ومتمسكي رؤساء المؤسسات الحرفية والصناعية والتجارية والتقنيين والطبقة العمالية...، ومع إنفتاح المدرسة الفرنسية وتوسيع القطاع التربوي على سكان المدن بشكل أوسع مما كان عليه في 1919م، كان بإمكان الأهالي الحصول على الشهادات الصغيرة كالإبتدائية أو مايعادلها وهذا يمكن الفرد من الحصول على عمل منتظم⁵، كصغار التجار والموظفين ومن الأعوان المتعاقدين الذين إندمجوا بدرجات متفاوتة في المجتمع الفرنسي⁶.

¹ - شارل روبيير أجرون: الجزائر المعاصرة، المرجع السابق، ص 845، 846.

² - محفوظ قداش: المرجع السابق، ص 116.

* - للمزيد عن المستوى المعيشي لهذه الطبقة ورواتبها، أنظر: (شارل روبيير أجرون: تاريخ الجزائر المعاصرة، المرجع السابق، ص 847).

³ - المرجع نفسه، ص 846.

⁴ - شارل روبيير أجرون: المسلمون الجزائريون وفرنسا، المرجع السابق، ص 350، 351.

⁵ - شارل روبيير أجرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، المرجع السابق، ص 847، 848.

⁶ - شارل روبيير أجرون: المسلمون الجزائريون وفرنسا، المرجع السابق، ص 350، 351.

بالإضافة إلى أبناء الباشاغات، والقياد والقضاة، و مترجمي المحاكم الشرعية الإسلامية والموظفين الرسميين في الإدارة، ومن هؤلاء نذكر صيادلة وأطباء أسنان شرقي الجزائر، وبعض الأطباء* الذين إنخرطوا مع الأحزاب السياسية الفرنسية¹.

هذه البرجوازية الإسلامية الصغيرة الموالية للحضارة الأوروبية والتي كانت تقريبا مفصولة عن المجتمع من حيث وظائفها وملابسها وطريقة حياتها، وكانت تمثل إن قليلا أو كثيرا السلطة فمثلت منضدة للشعب، أما من حيث تنظيم أوقات فراغها فهي لا تشترك في التظاهرات الدينية والفلكلورية الجماعية وذلك للحفاظ على مكانتها، فكانت لها طرائقها الخاصة في الترفيه: كالمطالعة، الصحافة، والإستماع إلى الإذاعة (إنطلاقا من 1930م)، والرحلات السياحية إلى المدن الشمالية (الساحل) أو إلى فرنسا ولم يكن لهذه البرجوازية أي شيء مشترك مع ممثلي الإسلام التقليدي في الجزائر².

العائلات الفقيرة والصغيرة:

أسفرت السياسة الإستعمارية في بلادنا عن ظهور النمط الإجتماعي الذي كان غير معروف في العالم الإسلامي ألا وهو النمط البروليتاري**، كانت الأرياف الجزائرية من قبل عامرة بالفلاحين

* - نذكر مثل: بن شيكو أحمد وبن لموفق علي الشريف وبن جلول علاوة (قسنطينة)، بن تفتيفة محمد (قالمة)، جمال الهادي (جيجل)، سيدي موسى محفوظ (سطيف)، زاوش علي (بجاية). أما أطباء الأسنان: دردور جمال، وزرقين محمد (قسنطينة)، العمراني أحمد الشريف (باتنة)، أما عن الأحزاب التي إنضمت إلى الأحزاب الفرنسية الراديكالية والإشتراكية فنذكر: بن خليل عبد السلام، ولحنحيت محمد الصالح، والدكتور بن قاضي علي، كسوس يوسف أمين. للمزيد أنظر: (علي تابلت: فرحات عباس رجل دولة، منشورات ثالة الأبيار، الجزائر: 2007م، ص 25).

¹ - المكان نفسه

² - علي مراد: المرجع السابق، ص 81.

** - البروليتاريا: (من اللاتينية *proletarius*) هو مصطلح ظهر في القرن التاسع عشر ضمن كتاب بيان الحزب الشيوعي لكارل ماركس وفريدريك أنجلز يشير فيه إلى الطبقة التي ستتولد بعد تحول اقتصاد العالم من اقتصاد تنافسي إلى اقتصاد احتكاري، ويقصد ماركس بالبروليتاريا الطبقة التي لا تملك أي وسائل إنتاج، وتعيش من بيع مجهودها العضلي أو الفكري، ويرى ماركس أن الصراع التنافسي في ظل الرأسمالية، سيتولد عنه سقوط للعديد من الشركات واندماج شركات أخرى، حيث أنها في النهاية تتحول إلى شركات لاقومية وتصبح شركات احتكارية ويصبح نضال شعوب الأرض موحدا لعدو واحد وتسمى هذه الطبقة الناشئة عن

والرعاة وكانوا كلهم ملاك أراضي وكان الخماسون ينحدرون من العائلات الفقيرة، فسمحت السهول الشاسعة الخصبة لهؤلاء الفلاحين بأن يعيشوا على القمح والحليب ويلبسوا الألبسة الصوفية، أما في المدن فكان هناك إلى جانب المثقف والتاجر، الحرفي الذي يعمل بدافع الرغبة في الحرفة لا بعقلية الربح.

غير الغزو الفرنسي كل شيء وأولها ربط الجزائر بفرنسا، الذي ورفع تكلفة العيش فأصبحت الحرف الصغيرة غير كافية لإعالة الحرفي لأسرته، وبعد ذلك قام بالإستيلاء على السهول الساحلية وطردهم الموالين أي مربي الماشية إلى الهضاب العليا وبهذا ضاعف الغزو الفرنسي من الخماسين في الأراضي¹، فكانت هذه العناصر التقليدية بمثابة الطبقة الأجيبة لدى المجتمع الحديث².

أما عمال اليوم فهم المنحدرون في معظمهم من القبائل المحاربة التي كانت غنية وقوية وبالطبع فإن هذه القبائل قد فقدت خيرة رجالها، وعندما أراد من تبقى منهم أن يعيدوا بناء بيوتهم فلم يستطيعوا وأصبحوا غير ماهرين في العمل أمام الطرق الحديثة التي أتت بها الغزاة³.

كانت نسبة العاطلين عن العمل من الحرفيين والتجار عالية جدا والتي تم إحصاؤها سنة 1954م بحوالي 23% من مجموع الممارسين لمهن غير فلاحية، وكان عدد العاطلين يزداد سنة بعد سنة بفعل النزوح الريفي إلى المدن، ولم يكن لهم دخل منتظم ويعتمدون هم وعائلاتهم في سد رمقهم على الأعمال الظرفية، كالبيع على الأرصفة أو حراسة مؤقتة، وقد عانت هذه الفئة من المديونية التي أثقلت كاهلها وأصبحت تمثل الطبقة الأكثر بؤسا⁴.

=الاحتكارات العالمية بطبقة البروليتاريا، وهي تبيع عملها الفكري والثقافي والعضلي ولا تملك أي وسائل إنتاج، ويعتبر ماركس

البروليتاريا هي الطبقة التي ستحرر المجتمع وتبني الاشتراكية بشكل أمين، أنظر: (<http://ar.wikipedia.org>)

¹ - فرحات عباس: المصدر السابق، ص51.

² - شارل روبر آجرون: تاريخ الجزائر المعاصرة، المصدر السابق، ص855.

³ - فرحات عباس: المصدر السابق، ص51.

* - للمزيد عن أجور هذه الطبقة، أنظر: (شارل روبر آجرون: تاريخ الجزائر المعاصرة، المرجع السابق، ص856).

⁴ - المكان نفسه.

أما في الأرياف فقد إستعمل المستوطنون أسلوب المزارعة¹ بأسعار عالية جدا، حيث يعمل الفلاح بالأجرة وهي ظاهرة غير مألوفة في المجتمع الريفي الجزائري، لكن الإستيطان سرعان ما كوّن أنواع من الأجراء الفلاحين: الموسمين، وعمال نصف دائمين، أو مستخدمي دائمين، حيث كانت ظروف العمل صعبة جدا والأجور زهيدة، كما إستعمل المستوطنون نظام الخماسة^{**} مختلف نوعا ما عن مفهومه العام حيث تعطى سلفة من المال أو ما يحتاجه الخماس من مواد مقابل العمل لديه حتى يقضي دينه وهو شكل من أشكال التعاقد الضمني².

أما المعلمون من الأهالي من ضمن المثقفين ثقافة فرنسية الأكثر عددا نسبيا، وكان غالبيتهم من الأصول القروية قبل 1919م (89.5%) وجل هؤلاء القرويين كانوا من القبائل الكبرى، إستقبلت مدرسة المعلمين في بوزريعة من 1920م-1936م مئة وإثنان وتسعون (192) تلميذا معلما من الوسط الحضري مقابل 78 من الوسط الريفي غير أن من ضمن أولئك الحضريين 71% من أوساط فقيرة ومتواضعة مقابل 55% من القرويين وحل محل الممرن القبائل لما قبل 1919م الذي كان إبن الفلاحين الفقراء والأميين الممرن المنحدر من أسرة حضرية ومتعلمة ذات مستوى معيشي متواضع.

كان هؤلاء المعلمون الذين تلقوا تكوينهم على الطريقة الفرنسية، يطالعون الصحافة ويقرأون للكتاب الفرنسيين ويجهلون اللغة العربية، وينتسبون إلى الفرنسيين وتجنس الربع منهم وجلهم من منطقة

* - المزارعة: أسلوب أتى به المستوطنون حيث يقومون بتأجير المستثمرات لمدة سنة واحدة ونادرا ماتؤجر لمدة 3 سنوات أو 6 سنوات وكانت تؤجر بأسعار عالية. للمزيد أنظر: (شارل رويبر آجرون: المسلمون الجزائريون وفرنسا، المرجع السابق، ص370).

¹ - المكان نفسه.

** - تخضع قسمة الغلة بين الخماسة وصاحب الأرض حسب الإتفاقات العرفية، وبعد إستثناء الضريبة تتراوح الحصص عموما من 5/1 إلى 5/2 بالنسبة للحبوب التقليدية، أما بالنسبة للمزروعات الربيعية كالخرطال والذرة والبقول فتكون القسمة أكثر فائدة من 4/1 إلى 3/1، وتقسم الفواكه والتبغ مناصفة مع الخماسة، أنظر: (شارل رويبر آجرون: المسلمون الجزائريون وفرنسا، المرجع السابق، ص382).

² - المرجع نفسه، ص ص370، 371، 381.

القبائل ومنهم من تزوج بفرنسيات، حيث ناضلوا في الأحزاب السياسية ولاسيما الحزب الاشتراكي (الشيوعي)، ويوجد منهم من إنضم إلى الماسونية التي كانت تعرف في الجزائر وغيرها من المستعمرات أنها تمتلك مفاتيح السياسة الفرنسية وإيديولوجياتها¹.

توجد فئة سياسية أخرى لم تتم الإشارة إليها في ماسبق وهي الأمية الشيوعية، والتي يجدر

الذكر أن معظم قادتها وأعضائها من الطبقة العاملة الشعبية وهذا طبقا لتوجهها السياسي.

كانت هذه الفئة بعيدة كل البعد عن الأحزاب الإسلامية وهو شيء طبيعي لأن قادة الحزب

الشيوعي الفرنسي في الجزائر في بداياته كانوا من الفرنسيين الماركسيين، الذين لم يقبلوا أبدا أن تكون الجزائر دولة مستقلة وذات سيادة منفصلة عن فرنسا، ومنذ 1936م حاول القادة إدخال عدة عناصر مسلمة فيه أمثال: الصادق هجرس، مبروك بلحوسين، بوعلام خالفة، عمر أوصديق، وبدأ يطبع في دورية جزائرية بعنوان "الجزائر الجديدة"²، والحق أن عمار أوزقان كان من الأوائل الذين انخرطوا في الحزب الشيوعي الجزائري.

لقد جاء موريس توريز (Mauris Toriz) وقتذاك إلى الجزائر في 11 فيفري 1939م ليوضح

الحدود الصحيحة والوحدة الوثيقة مع فرنسا في وجه التهديدات الفاشية العالمية، وبالنسبة إليه كانت

أمة جزائرية جديدة بصدد التكوين آنذاك، ولن تكون بفضل مساعدة فرنسا أمة عربية وإسلامية

فحسب حيث قال: "توجد أمة جزائرية قصد التكوين تضم مزيجا من عشرين عرقا بشريا"، وراح يعد

الأحد عشر شعبا الذين سينصهرون يوما ما في بوتقة الوطنية: البربر، القرطاجيين، الرومان، العرب،

الأتراك، اليهود، اليونانيين، المالطيين، الإسبان، الإيطاليين، الفرنسيين، ولم يتردد في ذكره لفرنسيي

الجزائر³.

¹ - شارل رويبر آجرون: تاريخ الجزائر المعاصرة، المرجع السابق، ص 511.

² - عمار بوحوش: المرجع السابق، ص ص 248، 288.

³ - شارل رويبر آجرون: تاريخ الجزائر المعاصرة، المرجع السابق، ص 481.

يمكن القول أن التحركات الاشتراكية أو الشيوعية لم تشمل إلا عددا محدودا جدا من المسلمين من عمال أو صغار الموظفين¹، وقد بذلت بعد ذلك جهودا جبارة في جذب العمال الأهالي في الجزائر خاصة منهم العمال القادمون من فرنسا، خاصة وأن الرأسمالية في الجزائر كانت غير مهتمة بمصالح الطبقة الشغيلة الأروبية والأهلية، ففكرت الشيوعية في منح برنامج إصلاحات ضروري فقامت الاشتراكية بإجراء تحقيق بين الأهالي حول عمل فرنسا في الجزائر، وكان المجيئون يشكون من قلة المدارس، ومدة الخدمة العسكرية، بالإضافة إلى القوانين الإستثنائية، وقد استخلصت جريدة "دومان" (Demain) بصفة غريبة النتائج التالية: "نحن فرنسيون، ونريد أن نكون فرنسيون"، وأضافت: "إن الفرد من الأهالي يكن لفرنسا حبا وطنيا، كالطفل تجاه أمه، حب شبيه بالحب الذي كان ينعش الشعب الفرنسي تجاه الشخصية الملكية... لأن فرنسا تحمي الأهالي من القياد الذباحين وكبار الطريقين فهو يجبها إعترافا لها: لأن فرنسا أحلت السلم مكان الفوضى، والعدل محل القوة الوحشية"².

هنا بدأ العمل السياسي في هذا الحزب يتطور في زمن الجبهة الشعبية ومؤتمر المسلمين الجزائريين عامي 1936م - 1937م وبعد الحرب العالمية الثانية ففي أمسية الحرب التحريرية بلغ عدد المنخرطين في الحزب الشيوعي الجزائري 1000 منخرط ينشطون في أفواج الفلاحين، والذين كانوا في الصفوف الأولى للجيش التحريري بعد ذلك، حيث كانت معظم إطارات الحزب أيضا من الأرياف مثل: محمد قروف، الطاهر الغمري، اللذان كانا عضوين في اللجنة المركزية³.

¹ - شارل رويبر آجرون: تاريخ الجزائر المعاصرة، المرجع السابق، ص 481.

² - محفوظ قداش: المرجع السابق، ص ص 209، 210.

³ - نصوص الملتقى الأوراسي: الفكر السياسي الجزائري 1830م-1962م، 26/25 سبتمبر 2005م، المؤسسة الوطنية

للإتصال، رويبة، الجزائر: 2010م، ص 20.

أما الحركة الإستقلالية فقد كانت نشأة معظم قادته بسيطة إجتماعيا فقد عاشوا الفقر، وإقتسموا سوء الأحوال الإقتصادية، وبؤس الأهالي¹، فمن ناحية التركيبة الإجتماعية للحزب يعتبر النجم أول حزب جماهيري غير نخبوي²، شعبي من العائلات الفقيرة. نتيجة لهذه الحالة الإجتماعية شهدت الجزائر أفواجا من هجرة أبنائها إلى الخارج، فاتسمت أولى الهجرات بالدافع السياسي حيث كانت عائلات بأكملها تأتي على نفسها العيش في ظل الإستعمار والقهر فكان البعض يتجه نحو الغرب والبعض الآخر نحو الشرق العربي إلى تركيا وقلّة من توجهوا إلى فرنسا، وكان منهم الأوائل مثل أحمد بوضربة، وحمدان خوجة الذي سافر عام 1833م³.

المبحث الثاني:

أسر القادة

يعالج هذا المبحث أهم الأسر التي ينتمي إليها قادة الحركة الوطنية، هذه الأسر التي ساهمت بقدر كبير في تكوين قادة الحركة الوطنية إجتماعيا، أما إشكالية المبحث: كيف كانت أسر الزعماء السياسيين؟.

أسر القادة البرجوازية:

ومن أهم القادة السياسيين المنتمين إلى إحدى العائلات البرجوازية، وكان من السياسيين المدافعين عن الحضارة العربية والفرنسية في آن واحد أمثال:

¹ - يحي جمال: المرجع السابق، ص 1044.

² - منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة 1 نوفمبر 1954: منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية 1830م-1954م، وزارة المجاهدين، المطبعة الرسمية، الجزائر: 2007م، ص 254.

³ - أحمد الخطيب: حزب الشعب الجزائري جذوره التاريخية والوطنية ونشاطه السياسي والإجتماعي، ج 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر: 1986م، ص 86.

الدكتور محمد الصالح بن جلول: الذي ينتمي إلى أبرز عائلة قسنطينية، ولقد إختلف المؤرخون حول الموطن الذي جاءت منه هذه العائلة فيذهب الأستاذ علي دبور إلى أن هذه العائلة عرفت بشهرتها في المدينة منذ حوالي أربعة قرون كما يؤكد أنها تنتمي إلى قبيلة بني معافر المشهورة بجبال الأوراس، ويانتقال أحد أفرادها إلى قسنطينة في عهد الأتراك حوالي القرن السادس عشر ميلادي وتزوج أميرة تركية وهي جدة العائلة ويقال أنه يرجع نسبهم إلى صالح باي وهذا ما أدلت به زوجة الدكتور محمد الصالح بن جلول "حورية بن تشيكو"، وقد كان عمرها ستة وتسعون سنة، وهذا القول ضعيف بالنسبة للنسب إلى صالح باي¹، لكن هذا لا ينف النسب من الناحية الأم إلى الأتراك².

تذكر الأستاذة فاطمة الزهراء قشي³ أن أفراد عائلة بن جلول جاؤوا من المغرب الأقصى، حوالي القرن السادس عشر وتضيف أن أفراد الأسرة كانت لهم وظائف في القضاء والعدل في عهد صالح باي، وهذا دليل على قرابة عائلة بن جلول إلى الأتراك حقا لأن هذه المناصب في عهد صالح باي كانت حكرا على الأتراك أو الكراغلة.

ولد محمد الصالح بن جلول بمدينة قسنطينة سنة 1896م وترعرع ونشأ وسط عائلة برجوازية⁴، مشهورة وعريقة منذ العهد التركي في الجزائر، وقد تزوج من حورية بن تشيكو وهي الأخرى تنتمي إلى إحدى أكبر العائلات القسنطينية الغنية. كما ساهم بقدر كبير في التكوين الإجتماعي والثقافي والسياسي لابن جلول، ويرجع ذلك في ميوله السياسي وانتمائه إلى فيدرالية المنتخبين المسلمين، والذي لم يمنعه من الدفاع عن ثقافته العربية والفرنسية في آن واحد.

¹ - عبد الكريم بوصفصاف، ... وآخرون: معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ط1، ج1، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية جامعة منتوري، قسنطينة: 2002، ص42.

² - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (1929-1940م)، ط1، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان: 1997م، ص246.

³ - عبد الكريم بوصفصاف، ... وآخرون: معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، المرجع السابق، ص43.

⁴ - شرفي عاشور: قاموس الثورة الجزائرية (1954-1962)، محمد الصالح بن جلول، ترجمة: عالم مختار، دار القصة للنشر، الجزائر: 2007م، ص69.

في هذا الإتجاه ذكرت بعض المراجع أسماء بعض الجزائريين من الذين وضعتهم الشهرة في الصدارة أمثال الشريف بن حبيلس بفرجيو، والدكتور سعدان في بسكرة، والدكتور بشير في البليلة والدكتور الأخضر في قالم، والدكتور تامي الجيلالي في مستغانم، ولكن من يتذكر أسماء منتخبين كان لهم التأثير ذاته مثل الزين بن ثابت والمكي والحاج صالح وسيد قارة في وهران وبوكرندة وسيدي بومدين وشكيكن وتامزالي في الجزائر، ورغم أنهم شاركوا في المؤتمرات الإسلاميين 1936م-1937م إلا أن إندماجهم العميق في الحياة السياسية الفرنكو-إسلامية ساهمت في رفضهم أو نسيانهم.

كان من هؤلاء البرجوازيين المفرنسين ينتمون فعلا إلى عدة أحزاب سياسية الفرنسية أمثال: باش تارزي الذي كان رئيس إتحادية منتخبي منطقة وهران، وكان مسجلا في الفرع الفرنسي لمنظمة العمل العمالية، وكان العلوط المنتخب عن منطقة سيدي بلعباس عضوا في الحزب الراديكالي ، والزين بن ثابت مناضلا في الحزب الشعبي الفرنسي التابع لدوريو (Doriot) ... وغيرهم كثيرون حيث لم يسبق أن شهد أي بلد مسلم مثل تلك الظاهرة، ولعل ذلك يدل على عمق التيار الإندماجي. سواءا كان هؤلاء ذوو نزعة إستقلالية ذاتية أم مناهضين للإستعمار أم إصلاحيين فكلهم كانوا ينتظرون من فرنسا أن تقوم بتطبيق مبادئها¹.

أما بالنسبة إلى الطبقة الثرية التقليدية، والمتمثلة في القياد والأغوات والباشاغوات من القادة

الذين ينتمون إلى هذه العائلات نذكر:

¹ - شارل رويبر آجرون: تاريخ الجزائر المعاصرة، المرجع السابق، ص 518، 519.

الأمير خالد بن الهاشمي: وهو حفيد الأمير عبد القادر* محي الدين ولد بدمشق في 20 فيفري 1875م¹، الذي كان يفتخر بانتسابه لنسل "قايد" عربي²، أجداده من زعماء الطريقة الدرقاوية وجعلت نسبهم الأميرة بديعة الحسيني الجزائري إلى ثلاثين جدا أولهم "مصطفى" وآخرهم "علي بن أبي طالب" والسيدة "فاطمة الزهراء"، فهو من سلسلة الأشراف التي ترتقي إلى سلالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم³، والذي كانت عائلته ميسورة الحال وهذا الوسط الإجتماعي المحافظ ساهم كثيرا في تكوين الأمير خالد فكان أحد زعماء الحركة الإصلاحية المحافظة في الجزائر.

نتقل إلى البرجوازية الإسلامية المحافظة وهم الأعيان الذي يلبس معظمهم الزي الشرقي في حدود العشرينات: السروال والعمامة، فيحسون أنهم محافظون على التقاليد الإسلامية ويجبون التكلم عنها وكانوا يدافعون عنها وينددون بمن يشوهها، فكان حلق الرأس وتعريته في أعينهم مساسا بالتقاليد، ومنهم من عاهد نفسه أن لا يتعلم الفرنسية ولا يتعامل مع الألبسة الفرنسية مثل الشيخ حمدان لونيسي وهو من أعيان مدينة قسنطينة وأعرقها، لكن بعد الحرب العالمية الأولى أدرك أولئك المصلحون أن عليهم التوقف عن رفض بعض المظاهر الحياة الغربية فحافظوا على التكوين الديني والعربي ولكنهم في الوقت نفسه حاولوا التجديد⁴.

أما أحمد توفيق المدني: الذي يقول عن نفسه: "هل كنت حقا صبيا؟ لقد كانت حياتي في منزل فخم جمع الأب والأم والإبن حياة ناعمة سعيدة لا يؤرقني فيها إلا ما أسمع من حديث الأب والجد والخال

* - نفي الأمير عبد القادر إلى المشرق "دمشق" وبعد إستقراره بدأت تتوافد عليه جموع العلماء والمهاجرين ممن هاجروا إلى بلاد الشام وتركيا والحجاز ومصر، وقد خصصت له الحكومة الفرنسية مرتبا سنويا يقدر بـ 1000000 فرنك فرنسي كان ينفق به على عائلته ويوزع بعضه على أتباعه في شكل رواتب... أنظر: (نادية طرشون... وآخرون: الهجرة الجزائرية نحو المشرق العربي - أثناء الإحتلال - سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، 2007م، ص 204).

¹ - محمد قنانش: ذكرياتي مع مشاهير الكفاح، دار القصة للنشر، الجزائر: 2004م، ص 67.

² - محفوظ قداش: المرجع السابق، ص 126.

³ - بوصفصاف عبد الكريم... (آخرون): معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج 1، المرجع السابق، ص ص 205، 206.

⁴ - شارل رويبر آجرون: تاريخ الجزائر المعاصرة، المرجع السابق، ص ص 852، 853.

عندما يزوروننا ليتبادلوا أحاديث السمر، وليجتروا ذكر فضائع الإستعمار في البلاد التونسية والجزائرية..."، ولد بتونس في 01 نوفمبر 1899م سليل عائلتين من المهاجرين المجاهدين الجزائريين، أما الأب فهو محمد بن أحمد بن محمد المدني القبي الغرناطي من السادة الأشراف، أما جده فشيخ بلدية العاصمة الجزائرية، ولد بالحضرة الجزائرية¹. ساعدت الحالة الاجتماعية المرفهة لأحمد توفيق المدني ونشأته في منزل متدين، أن يكره الإستعمار أن يرجع هذا الأخير إلى موطنه الأصلي (الجزائر) ليشارك في إصلاح المجتمع الجزائري في إطار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

أما النخبة المفرنسة التي تنتمي إلى العائلات المتوسطة الحضرية: آل تامزالي وطيار وبن تامي².

ابن تامي: أو تسميته الأصح أبو القاسم ابن التهامي (بإضافة الهاء) ولد في 20 سبتمبر 1873م بمدينة مستغانم³، كان ابن تومي صاحب جريدة التقدم التي حلت محل الإقدام للأمر خالد وهو طبيب عيون ذائع الصيت، ومنتوج بأروبية ذات ثقافة عالية وهي رسامة وله ولدان أكبرهما جراح كبير والثاني طبيب عيون مثل والده⁴. وهو من الشباب الجزائريين الذين لهم مهن حرة والذي صار من وجهاء الأعيان المحافظين في صفوف المنتخبين المسلمين، كما كان رئيس قدامى المحاربين المسلمين⁵، وهم من دعاة الإدماج حيث كتب الماسوني الحاج حمو في عام 1933م على لسانه: "أحلم برؤية الجزائر وقد صارت فرنسية إلى الأبد، إنني من أنصار المساواة والقانون العام المطلقين، على الأقل في صالح نخبتنا ريثما تولد الجزائر من جديد كمنطقة فرنسية بصورة كاملة وشاملة... ولا يرى الإسلام

¹ - بسام العسيلي: عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية، دار النفائس للطباعة والنشر، الجزائر: 2010م، ص 167، 168.

² - شارل رويبر أجرون: المسلمون الجزائريون وفرنسا، المرجع السابق، ص 351.

³ - (<http://ar.wikipedia.org>)

⁴ - فرحات عباس: الشباب الجزائري: الجزائر من المستعمرة إلى الإقليم 1930م، ترجمة: أحمد منور، تقديم: أبو القاسم سعد الله، صدر عن وزارة الثقافة، 2007م، ص 60.

⁵ - شارل رويبر أجرون: تاريخ الجزائر المعاصرة، المرجع السابق، ص 514، 515، 519.

ضرا في فرنستنا نهايا ولا يضع أي مانع لذلك مادام هذا الدين يدعو إلى التطور وليس إلى الجمود"، وقد بقيي معظم هذه الطبقة في هذا الإتجاه الداعي إلى المساواة¹.

وفي نفس الطبقة الاجتماعية نجد عبد الحليم بن علي بن عبد الرحمان بن حسين خوجة، ولد بمدينة الجزائر وهو من عائلة تركية عريقة في الجزائر العاصمة، تنتمي إلى أتراك بلدة أزمير يرجع نسبه إلى "حسن خوجة" قاطع السكة بدار الإمارة الجزائرية في عهد الأتراك، أما أمه فهي خدوجة إبنة "الأمير خوجة" من آل الشيخ مصطفى ابن الكباطي آخر مفاقي المالكية بالجزائر على عهد الأتراك، والذي نفته السلطات الفرنسية خارج الجزائر عام 1833م، بعد رفضه لمصادرة الأوقاف الإسلامية من قبل الإدارة الإستعمارية*.

إبراهيم البيوض: عاش في أسرة عريقة في الفضل والإصلاح، بمدينة القرارة بوادي ميزاب ولاية غرداية في سنة 1899م، وكان هو الولد البكر لأبويه فرباه تربية إسلامية منذ الصغر على عادة بعض الميزابيين من ذوي العلم، وقد كان أبوه عمر البيوض شيخا من مشايخ أعيان المدينة، فكانت داره وقفا لطلاب العلم، الأمر الذي جعل إبراهيم البيوض يحتك بصفوة شباب المنطقة²، كان عبد الحليم بن حسين خوجة وإبراهيم البيوض من القادة المصلحين في الحركة الوطنية آنذاك.

الأسر المتوسطة:

أما الطبقة المتوسطة التي برزت في البلديات الريفية، كما يذكرها لنا شارل روبر آجرون (Ageron) وهي فئة الملاك الصغار وما يميز هذه الطبقة محدودية ما تملكه من قوة وثروة التي لا تتجاوز محراثا أو إثنين (أي من 10 إلى 20 هكتار من الأراضي الزراعية)، ومن الواضح أنه بهذه الأملاك لا مجال للمقارنة بين الأغنياء وبين هذه البرجوازية الريفية الصغيرة، وقد حرص المحققون في إحصائهم هذه الفئة من الأعيان المرشحة لتسخير نفوذها في خدمة الإدارة، فالتحقيق حول هذه الفئة

¹ - شارل روبر آجرون: تاريخ الجزائر المعاصرة، المرجع نفسه، ص 519.

* - وهو دفين الإسكندرية بمصر.

² - عبد الكريم بصفصاف... (وآخرون): معجم الأعلام في القرنين التاسع عشر والعشرين، المرجع السابق، ص 313.

لم يشمل المدن بالقدر الكافي كما شمل الأرياف، لأن المدن لم تكن تشغل إلا حيزاً محدوداً في حياة الجزائر الأهلية، حيث قال المؤرخ ترومليت (Trumelet): "إن القوة الحقيقية للبلد متناثرة في الريف"¹.

في هذه الطبقة الريفية المتوسطة ترعرع محمد البشير الإبراهيمي بن عمر بن محمد السعدي، بن عبد الله بن عمر الإبراهيمي، ولد في يوم 7 جوان 1889م بقبيلة "أولاد براهيم" * بقرية "رأس الوادي" ** بدائرة سطيف آنذاك²، وهو موطن من مواطن بني هلال³، وهي منطقة فلاحية صغيرة⁴، إشتهر بيت الإبراهيمي بالعلم والأدب⁵، كانت أسرة الإبراهيمي مشهورة وعريقة في المنطقة وماجاورها وكانت تستقطب طلاب العلم من مختلف المناطق المجاورة.

أما قادة النجم فمنهم من ينتمي إلى هذه الطبقة وهو بانون أكلي: الذي ولد بقرية "جبله" دوار مزالة ولاية سطيف يوم 27 جوان 1889م، بدأ حياته راعياً ثم فلاحاً شأنه في ذلك شأن أبيه

¹ - شارل روبر أجرون: المسلمون الجزائريون وفرنسا، المرجع السابق، ص 348، 349.

* - هي قبيلة عربية النسب تنتمي في أصولها إلى الأدارسة، وقد قال في هذا الصدد محمد البشير الإبراهيمي: "قبيلتنا تعرف بأولاد براهيم بن مساهل، وترفع نسبها إلى إدريس بن عبد الله الجذم - الجد - الأول للأشراف الأدارسة وإدريس هذا - الأول للأشراف الأدارسة وإدريس هذا - يعرف بإدريس الأكبر - وهو الذي خلص المغرب الأقصى بعد موقعة الفخ بمكة المكرمة بين العلويين والعباسيين وفيه قتل الحسين بن علي في 169هـ، وإليه ترجع أنساب الأشراف الحسينيين في المغربين الأقصى والأوسط. أنظر: (بشير فايد: قضايا العرب والمسلمين في آثار الشيخ البشير الإبراهيمي والأمير شكيب أرسلان - دراسة تاريخية وفكرية مقارنة-، تحت إشراف الأستاذ: عبد الكريم بوصفصاف، رسالة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، ج 1، السنة الجامعية: 2009/2010م، ص 89).

وقد ذكر علي مراد خطأ أنه ولد ببجاية. أنظر: (علي مراد: المرجع السابق، ص 102).

** - دائرة رأس الوادي هي حالياً دائرة تابعة لولاية برج بوعرييج، أنظر: (بشير فايد: المرجع السابق، ص 89).

² - المكان نفسه.

³ - جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية: الشيخ محمد البشير الإبراهيمي العلامة المصلح والداعية الأديب، بمناسبة تخرج الدفعة الثانية والعشرون، جويلية 2009م، ص 24.

⁴ - أحمد الخطيب: المرجع السابق، ص 148.

⁵ - عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائرية وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى - دراسة تاريخية وإيديولوجية مقارنة-، المرجع السابق، ص 89.

ولم تكن عائلته فقيرة بل كانت متوسطة لها أرض ولها ما يكفيها للعيش طوال السنة، ولكن بؤس الحياة كان من نصيب الفلاحين كلهم، ولما بلغ (15) خمس عشرة سنة من عمره ألقى عليه القبض من قبل حاكم الناحية وأودع السجن ولم ينج إلا برشوة الحارس الذي ساعده على الفرار، ثم بقي في القرية تحت وطأة الحاكم وأعوانه من جهة ووطأة التقاليد القبلية والعائلية والتي أصبحت تخلق جوا خانقا للشباب مما يدفعهم إلى الهجرة¹.

الطبقة الفقيرة:

أما قادة الحركة الوطنية الذين ينتمون إلى هذه الطبقة فهم كثر وإختلفت إتجاهاتهم السياسية، نذكر ممن كان الإصلاح الديني والإجتماعي منحاهم السياسي:

العربي بن بلقاسم بن مبارك بن فرحات التبسي: من بلدة "اسطح" بمنطقة تبسة ينسب إلى قبيلة النممامشة الأمازيغية التي تقع في الجنوب الغربي، من مدينة تبسة في عمالة قسنطينة، ولد سنة 1895 في عائلة فلاحية فقيرة فكان والده يشتغل في الزراعة إضافة إلى تعليم أبناء القرية حفظ القرآن الكريم².

الطيب العقبي بن محمد بن إبراهيم بن صالح: من فرقة أولاد عبد الرحمان، والدته من منطقة الزاب الشرقي "قرية ليانة" وتعود أصولها إلى آل الخليفة، وقد صرح الطيب العقبي نفسه بأن أصول عائلته تعود إلى أسرة شريفة وإن لم يجزم بذلك لتعففه عن الإفتخار بالألقاب والأنساب، وقد ولد ببلدة سيدي عقبة في سنة 1889م، غير أن عددا ممن كتب عن العقبي اختلفوا في تحديد السنة الميلادية تحديدا دقيقا وبالرجوع إلى سجلات البلدية حيث وردت سنة ميلاد العقبي سنة 1887م، وهو

¹ - محمد قنانش: المصدر السابق، ص 56.

² - تركي رابح عمارة: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية 1931-1956 ورؤساؤها الثلاثة، المؤسسة الوطنية للكتاب، دت، ص 251.

التاريخ المسجل في سجلات البلدية بدل 1890م كما تورده العديد من الدراسات*، وسبب هذه الاختلافات يرجع إلى أن تسجيل المواليد في السجلات الرسمية الخاصة بالحالة المدنية، لم تعرفه مدينة بسكرة إلا في حدود 1932م فكان السكان يعتمدون على الذاكرة في التقييد أو تسجيل مواليدهم في أوراقهم شخصية، الأمر الذي جعل تحديد سنوات الميلاد أمرا تقريبا¹.

ويذكر أحمد مريوش أن ظروف الطيب العقبي كانت قاسية جدا فعاش أشبه بالسائح لكثرة ترحاله².

مبارك بن محمد الميلبي إبراهيمي الهلالي³: نسبه إلى مدينة ميلية⁴ التي نشأ في إحدى قرى و دوائر وبالتحديد دوار أولاد مبارك ولد في 1898م، وعاش يتيما بعد وفاة والديه وهو في الرابعة من عمره⁵.

والحق أن الحالة الإجتماعية للجزائريين قد أثرت كثيرا على القادة السياسيين، رغم مستواهم المعيشي فنجد زعماء الحركة الوطنية الذين ينتمون للطبقة البرجوازية التي ساندت المجتمع الفقير وطالبت بحقوقه وقاسمته الشقاء والبؤس، كما ساهم أبرز القادة المنتمين للطبقة المتوسطة والفقيرة في الدفاع عن الأهالي المسلمين.

* - كما ذكر ذلك أحمد الخطيب، أنظر: (أحمد الخطيب: المرجع السابق، ص158). ويذكر كمال عجالي أنه ولد سنة 1888م، أنظر: (كمال عجالي: المرجع السابق، ص108).

¹ - كمال عجالي: المرجع السابق، ص22.

² - أحمد مريوش: الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، ط1، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م، ص37.

³ - عبد الكريم بوصفصاف... (وآخرون): معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، المرجع السابق، ص349.

⁴ - أحمد الخطيب: المرجع السابق، ص163.

** - يقول بسام العسيلي أنه ولد في الميلية وليس بمدين ميلية التي حل فيها بعد ذلك وجعلها ميدان جهاده الإصلاحية، أنظر: (بسام العسيلي: المرجع السابق، ص159).

⁵ - المكان نفسه

المبحث الثالث:

تأثير الهجرة على الحالة الاجتماعية للقادة السياسيين

عرف الجزائريون الهجرة منذ الإحتلال الفرنسي للجزائر عام 1830م، ومن أسبابها إنعدام الحرية وسوء الأحوال الإقتصادية بسبب الضرائب الثقيلة المفروضة عليهم والتجنيد الإجباري وفقدان الحقوق السياسية وغيرها من الأسباب التي أدت إلى هجرة الجزائريين إلى دول مختلفة¹. إنطلاقا من الفكرة التي تقول أن المساهمة في أية حركة جماعية تكتسي طابعا إجتماعيا فعلا عند حدوثها كنتيجة لتكون وعيا بالوجود الإجتماعي²، يتبين لنا أنه من الضروري معرفة الحالة الإجتماعية للجماعة التي هاجرت إلى المشرق العربي والغرب الأروبي خاصة وأنها ساهمت في تكوين وعي وطني ساهم في تغيير الوضع القائم في الجزائر بشكل مثير، ولهذا سيتناول هذا المبحث أهم الظروف الإجتماعية التي رافقت بعض الإطارات السياسية في المهجر، وستكون إشكاليات المبحث كالتالي: كيف تطورت هجرة القادة إلى المهجر؟ ماهي الأعمال الممارسة هناك؟ ماهي المناطق التي تركزوا فيها؟ كيف ساهمت هذه البيئة الإجتماعية الغريبة في التأثير على النخبة السياسية في الجزائر؟.

تطور الهجرة:

عرّف مؤتمر الدولي المنعقد في روما عام 1924م "المهاجر" بأنه "كل أجنبي يصل إلى بلد ما طلبا للعمل، ويقصد الإقامة الدائمة... وهذا نقيض العامل الذي يصل إلى بلد للعمل بصفة مؤقتة"، ويبدو من التحقيق الذي أجراه مكتب العالمي للشغل الذي توصل إلى التعريف الشرعي للمهاجر،

¹- إدريس خضير: البحث في تاريخ الجزائر الحديث 1830م-1962م، ج1، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، دت، ص293.

²- جيلالي صاري... (وآخرون): سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، هجرة الجزائريين نحو أوروبا، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة 1 نوفمبر 1954، دت، ص17.

نجد أن هذا الأخير يختلف من بلد إلى آخر*، وإذا راعينا هذا التعريف لا يمكن إطلاق إسم "المهاجر" على الجزائري لأن هذا الأخير من خصائصه أنه كثير السفريات إلى وطنه الأصلي، فهجرته تبقى مؤقتة¹، أما هجرة الجزائري في تلك الحقبة الإستعمارية فكانت لها وجهتان:

الهجرة إلى بلاد المشرق العربي:

كانت الهجرة في الجزائر في بادئ الأمر إلى البلدان العربية كتونس ومصر والحجاز بالإضافة إلى بلاد الشام، وكان ذلك في بداية الإحتلال للجزائر. حيث يرجع المحللون الفرنسيون هجرة الجزائريين إلى المشرق إلى ما حدث من تغيرات في تركيا، ويأتي على رأسها فرض الدستور على السلطان عبد الحميد ثم الثورة عليه، وكان التغيير الذي حدث على تركيا في هذه الفترة تأثير كبير على المسلمين في الجزائر وخاصة بين الشباب الجزائريين، إذ عمل التقارب الألماني والتركي على غرس التفاؤل والأمل لدى النخبة في بلاد المغرب عامة، خاصة وأنها عدوة لفرنسا منذ القديم واتضح لهؤلاء الشباب أن ألمانيا هي القوة الأروبية الوحيدة التي تعطي إهتماما للإسلام والمسلمين وترغب في إقامة تحالفات مع مختلف البلاد الإسلامية، لذلك اتجهت أنظار الجزائريين والتونسيين في هذه المرحلة إلى تركيا التي تساندها ألمانيا، حيث كانت بلاد المغرب تعيش تطورات جديدة حيث تجلت النوايا الإستعمارية الجديدة لكل من فرنسا في المغرب الأقصى، وإيطاليا في طرابلس الغرب، لذلك نجد أنه من أسباب رفض الجزائريين للتجنيد الإجباري، معرفتهم أنهم سينقلون إلى المغرب الأقصى لقتال إخوانهم المسلمين هناك، وكانت الهجرة هي الرد الوحيد الذي يمكن أن ينقد أبنائهم من ذلك، وقد أبدى المسلمون الجزائريون تعاطفا كبيرا مع المسلمين في طرابلس

*-الهجرة في نظر ألمانيا هي الإستقرار بصفة نهائية في البلد المهاجر إليه، وكذلك أستراليا. أما النمسا فتعرف المهاجر أنه هو من سافر إلى الخارج بحثا عن العمل وإتخذ مسكنا له بالخارج، أما كل من بولونيا وفنلندا وإيطاليا والصين واليابان فالمهاجر ذلك الذي يبحث عن عمل في الخارج، أما المهاجر بالنسبة إلى إسبانيا وبلجيكا واليونان فهو ذلك الذي يركب الدرجة الثالثة عند سفره من بلده، وهناك دول أخرى مثل سويسرا ترى أن الإنتقال ضمن مجال القارة الأروبية لا يعتبر هجرة إلا إذا كان خارجها.

(عبد الحميد زوزو: الدور السياسي للهجرة إلى فرنسا ما بين الحربين 1914م-1939م (نجم شمال إفريقيا وحزب الشعب)،

ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر: 2007م، ص11).

¹ - المكان نفسه.

الغرب إثر الحرب التركية الإيطالية عام 1911م، وتجلّى هذا التعاطف في حملة التبرعات وتقديم المساعدة للمجاهدين، في حين وقف الأوروبيون في الجزائر إلى جانب إيطاليا فأظهروا بذلك عداؤهم¹، ومن جهة أخرى كانت السلطات الفرنسية تعمل على تهجير ونفي العائلات الجزائرية التي تقوم بأعمال الشغب، وتألّب القبائل ضدها حتى ولو كان ذلك على نفقة الحكومة الفرنسية، كما فعلت مع عائلة سي الصديق التي تم نفيها إلى الإسكندرية، كما كانت السلطات الفرنسية تتخوف كثيرا من المهاجرين إلى تونس أكثر من غيرهم لأنهم قد يشكلون خطرا على الحدود، لذلك كانت تقوم بمراقبتهم، وقد شملت الهجرة إلى المشرق الأغنياء والعلماء خاصة منهم من المدن والأرياف بمنطقة القبائل ويرجع ذلك إلى التعصب الديني وكره المسيحي هو أهم الدافع يجعل المسلم يتخلى عن أملاكه بفضل الهجرة²، فاعتبروا فكرة أن يكون مسيحي جارا لهم من الكفر، بالإضافة إلى المعاملة الوحشية للمعمرين³، وقد سهلت الإدارة الفرنسية عملية هجرة أولئك السكان لأن ذلك في صالحها من أجل الإستيلاء على ممتلكاتهم، والتخلص من العناصر المتعصبة حسب وجهة نظر المستعمر⁴.

بدأت الهجرة من منطقة القبائل بعد عام 1871م ومن وهران بين 1874م و1875م، ومن مدن تلمسان وسبدوا ومليانة وسطيف وقسنطينة التي إتجهت إلى سوريا وبيروت⁵، إلا أن الهجرة الجماعية الحقيقية كانت من مدينة تلمسان عام 1911م، حيث غادرت أكثر من ألف ومائتين عائلة متجهة نحو سوريا، وبحلول عام 1911م كانت في سوريا وحدها مائتا ألف مهاجر جزائري⁶.

¹ - نادية طرشون... وآخرون: المرجع السابق، ص 239، 240.

² - المرجع نفسه، ص ص 217، 216.

³ - محمد قناش: آفاق مغربية "المسيرة الوطنية وأحداث 8 ماي 1945م"، منشورات دحلب، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر: 2009م، ص 24.

⁴ - نادية طرشون... وآخرون: المرجع السابق، ص ص 217، 233.

⁵ - إبراهيم مهديد: بعض عناصر التفكير لمقارنة الهجرة الجزائرية المعاصرة مشرقيا ومغربيا - الهجرة الجزائرية إبان الإحتلال 1830م-1962م، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007م، ص 63.

⁶ - أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج 1، المرجع السابق، ص ص 141، 144.

ولكنه سرعان ما واجهت سلبيات ومواقف حرجة التي بدأت تثيرها الصحافة الفرنسية عن هذه الظاهرة حيث أبدت هذه الأفلام الحرة رأبها في ما يخص هذه الهجرة وكشفت عن أسباب الهجرة التي كانت داخلية أكثر منها خارجية عكس ما كانت تدعيه الحكومة في تقاريرها، ويمكن القول أن الهجرة حتى عام 1909م كانت نتيجة حتمية للإجراءات المتشددة التي قامت بها السلطات الفرنسية على الحدود الجزائرية التونسية وكذا بالنسبة للحدود الجزائرية المغربية، بالإضافة إلى قانون فصل الدين عن الدولة والتي أصدرته الحكومة الفرنسية بحق الدين الإسلامي في الجزائر عام 1907م وقانون التجنيد الإجباري الذي شرع في تطبيقه عام 1910م، كما لعبت الدعاية لمشروع الجامعة الإسلامية¹، دورا في جلب الجزائريين خاصة منهم العلماء والقادة السياسيين.

والملاحظ أن معظم قادة الإصلاح قد هاجروا إلى المشرق العربي بنية الدراسة، والأخذ من منابع الثقافة العربية الذي كان الحصول عليها في الجزائر أمرا مستعصيا وغير كافيا، كما تمت الإشارة إليه في الفصل الأول، بالإضافة إلى قانون التجنيد الإجباري المتعسف خاصة على أبناء الجزائر دوناً عن المعمرين الأوروبيين والفرنسيين .

ومن هؤلاء القادة السياسيين: محمد البشير الإبراهيمي الذي هاجر عام 1911م إلى مصر ثم المدينة المنورة ثم دمشق²، أما العربي التبسي فقد إنتقل إلى تونس وبعدها إلى مصر وبقي فترة ينتقل بين هذين البلدين³، وأما الطيب العقبي فقد مكث مدة لا بأس بها في مكة المكرمة⁴، أما مبارك المليي فقد هاجر إلى تونس ومكث فيها غلى أن أكمل دراسته، كما يعتبر أحمد توفيق المدني من اللاجئين الجزائريين الذين هاجروا إلى تونس ومكثوا بها وكانت حياته ميسورة والذي تطرقنا لها في المبحث الأول

¹ - نادية طرشون... وآخرون : المرجع السابق، ص233، 234.

² - جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية: المرجع السابق، ص17.

³ - عبد الكريم بوصفصاف... (وآخرون): معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج2، المرجع السابق، ص26، 27.

⁴ - كمال عجالي: المرجع السابق، ص22.

من هذا الفصل، وقد إلتحق بالقاهرة في بعثة علمية سنة 1956م¹، أما إبراهيم البيوض والأمين العمودي فلم يغادرا الجزائر.

الجدير بالذكر أننا لا يمكن أن نعتبر مغادرة هؤلاء العلماء هجرة بالمعنى الصحيح للهجرة وإنما هي عبارة عن رحلات من أجل الدراسة كما ذكرنا سابقا، كما أنها رحلات لبلدان عربية لها نفس العادات والتقاليد الجزائرية، بحكم العروبة والدين الإسلامي الذي وحد هذه البلدان في نطاق القومية العربية، ولهذا فإنه لم يكن هناك تأثير للهجرة إلى المشرق العربي على التكوين الإجتماعي للقادة خاصة وأنهم لم يشعروا بأنهم تركوا بلادهم نهائيا، ولم تكن هناك مضايقات ضدهم من طرف السلطات الحاكمة في تلك البلدان والذي ساعدهم على اكتساب العلم والمعرفة، والرجوع إلى الوطن بأفكار أنارت دربهم ودرّب الجزائريين من أجل إصلاح المجتمع، والعودة بالدين الإسلامي إلى عهده الأول. كما لانسى الأمير خالد الذي قضى طفولته ومرحلة كبيرة من شبابه بين بلاد الشام ومصر والمغرب الأقصى بالإضافة إلى فرنسا.

الهجرة إلى فرنسا:

يتفق جميع الذين كتبوا عن الهجرة بين الجزائر وفرنسا أنها قد تمت في مرحلتها الأولى دون إثارة الإهتمام إليها، لذلك يصعب على الباحث تحديد السنة الأولى لبداية الهجرة إلى فرنسا، لكنها من المؤكد أنها بدأت في سنة 1874م وهي السنة التي صدر فيها مرسوم يقيد الهجرة بالحصول على "إذن سفر"²، كما يذكر محفوظ قداش ذلك ويضيف أن تاريخ الهجرة الجزائرية إلى فرنسا ارتبط بالتشريع الخاص بالتنقل ويمكن تمييز المرحلة الأولى إلى غاية 1905م، خاصة وأنه كان غياب كلي للهجرة إلى فرنسا منذ 1833م، حيث ألغت بمنشور من الحاكم بتاريخ 28 جانفي 1905م رخصة السفر لبعض الفئات هم: الموظفون، القضاة، الأعيان، الخدم والعمال المشتغلون في خدمة الأوروبيين، والعمال المشتغلون عند أرباب العمل الفرنسيين، وبدأوا ينجذبون نحو الأجور المرتفعة التي تساوي على الأقل

¹ - عبد الكريم بوصفصاف... (آخرون): معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج2، المرجع السابق، ص349، 303.

² - عبد الحميد زوزو: المرجع السابق، ص12.

ضعف الأجور المطبقة في الجزائر، وهنا وقعت المعارضة بين إرادتين: إرادة المعمرين المتخوفين من الهجرة الجماعية لليد العاملة، وإرادة الحكومة الراغبة في إتقاط هذه اليد العاملة¹.

قام المستوطنون أمام تصاعد نسبة الهجرة إلى فرنسا بتضخيم الحوادث التي يتورط فيها العمال الجزائريون أمام الصحافة، غير أن رؤساء المقاطعات الفرنسية الذين سألتهم الحكومة الفرنسية في سنة 1923م، لم يؤكدوا الأخبار المفتعلة من الصحافة، وكان رأي قائد شرطة باريس أن الأهالي الجزائريين في مقاطعة "سين" هم عموما عمال جادون ومعتدلون ووديعون، وقد أكد ذلك زميله في مقاطعة بادي كاليه (Pas De Calais) على سيرتهم الحسنة لكنه يعترف ببعض الجنح والجرائم التي يعود سببها الخمر، بالإضافة إلى عدم معرفتهم بالنظافة الذي يصدد عادات سكان الشمال الحريصين على النظافة المتناهية².

يمكن تحديد الفئات المهاجرة إلى فرنسا في فئتين فئة العمال والمجندين وفئة المثقفين الذين يقصدون فرنسا من أجل إستكمال الدراسة وتعتبر هذه الأخيرة قليلة العدد بالمقارنة مع فئة العمال والمجندين.

لقد تم نقل اليد العاملة القبائلية التي رافقت قطعان المواشي إلى غاية مرسيليا، رغم أن المعمرين رفضوا هذه الهجرات، حيث تم إلغاء ترخيص السفر إلى فرنسا بموجب قانون 24 ديسمبر 1904م، ولكن تجار الحيوانات ومن أجل أن تستمر أعمالهم بعد تسهيل مرور المستخدمين المسلمين المرافقين للماشية، نصحوا الحكومة الفرنسية بإستخدام اليد العاملة القبائلية لكسر إضرابات اليد العاملة الإيطالية، وهكذا كانت اليد العاملة في بداية 1906م-1907م تبلغ بضعة مئات من القبائل الذي كان مردودهم جيدا فبادرت المعامل الباريسية بتوظيف عمال جزائريين آخرين³.

وقد كان المهاجرون الجزائريون حتى عام 1923م موزعين في فرنسا على النحو التالي:

¹ - محفوظ قداش: تاريخ الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص ص 241، 242.

² - شارل روبيير آجرون: تاريخ الجزائر المعاصرة، المرجع السابق، ص ص 859، 860.

³ - شارل روبيير آجرون: المسلمون الجزائريون وفرنسا، المرجع السابق، ص ص 399، 400.

- 1- باريس وضواحيها: وتتركز فيها الغالبية العظمى منهم.
- 2- مناطق الشمال: مناطق بادي كالييه (Pas de calais) والأردين (Ardennes) والإيزن (Aisene) والمارن (Marne).
- 3- في الجنوب: ليون (Lyon) وسانت أتيان (St Etienne) ومرسيليا (Merseille) التي كانت تعتبر منطقة العبور والتوزيع¹.

يذكر شارل روبيير آجرون أن صفوف المهاجرين حسب تقارير اللجان المختصة بالهجرة كانت تتكون من القبائل الكبرى فقط²، الذين جاؤوا من البلديات الممتزجة*، مثل بلديات دائرة تيزي وزو مثل: ذراع الميزان وفور ناصيونال، وجرجرة، وتأقي في المرتبة الثانية بجاية ببلديات أقبو وقرفور ووادي المرسي والصومام³، ثم تسارعت وتيرة الهجرة بعد الإلغاء التام لرخصة السفر في 18 جوان 1913م، وتشكيل مؤسسة حقيقية للتهجير، وقد وجد المستخدمون أن عمال القبائل يتميزون بالطاعة والهدوء ولكنهم يفتقرون للخبرة المهنية، وفي مرسيليا سجل عدم إرتياح لأسفارهم المتكررة إلى البلد عدة مرات في السنة، كما أنهم لم يستعملوا في أشغال الردم في المناجم لعدم كفاءتهم المهنية⁴.

يذكر عبد الحميد زوزو أنه جاء في تقرير لجنة كونتها الولاية العامة سنة 1912م حول المهاجرين الأوائل قد بين كيف تحول هؤلاء عن عملهم الأصلي إلى عمال بالمصانع الفرنسية⁵.

¹ - أحمد الخطيب: حزب الشعب الجزائري، المرجع السابق، ص 88، 89.

² - شارل روبيير آجرون: المسلمون الجزائريون وفرنسا، المرجع السابق، ص 401.

* - وهي البلديات التي يقل فيها عدد الأروبيين عن عدد الجزائريين وحيث يكون الأروبيون تكون البلديات التامة الصلاحيات، أنظر: (عبد الحميد زوزو: المرجع السابق، ص 24).

³ - المرجع نفسه، ص 25، 26.

⁴ - شارل روبيير آجرون: المسلمون الجزائريون وفرنسا، المرجع السابق، ص 401.

⁵ - عبد الحميد زوزو: المرجع السابق، ص 13.

يمثل الجدول رقم 01 عددهم وأماكن عملهم ونوع العمل¹:

نوع العمل	المناطق	عدد العمال
المصانين، المرافئ، المصافي.	مرسيليا	2000
مناجم، مصانع تعدينية.	بادي كاليه	1500
مصانع السكر، شركات النقل، ورشات.	باريس	بين 700 و 800

وقد أثنت اللجنة ثناء عطرًا على هؤلاء العمال على لسان من كانوا يستخدمونهم من

أصحاب المصانع، والذين أوصوا بتشجيع الهجرة في المستقبل².

تجب الإشارة إلى أنه خلال تلك الفترة كانت الهجرة خاصة بالذكور، الذين تتراوح أعمارهم بين 40 و60 عامًا، وبعد ذلك مست الهجرة أشخاصًا أصغر سنًا وكانت الهجرة غالبًا ما تكون في إطار جماعي واضح، وعلى أساس ترابط ذي طابع عائلي أبوي وكانت الهجرات محكومة بقوانين شبه قبلية (هجرة بالتناوب بين الدواوير حسب مناطق الوجهة، وليست القبيلة والدوار في الواقع إلا عائلة من العائلات)، أما هجرة النساء والأطفال فكانت إبتداءً من سنة 1950م³، حيث كانت قليلة في السنوات السابقة ففي سنة 1932م شكلت النساء حوالي 1.7% من تعداد المهاجرين المقيمين بفرنسا، ثم إرتفعت هذه النسبة لتصل سنة 1946م 2.2% وإلى 7.1% سنة 1954م⁴. بدأت الهجرة إلى فرنسا من قبل الباعة المتجولون بالإضافة إلى جماعة من المثقفين الذين تم نفيهم إلى باريس، لاتهامهم بالتمرد على الحكم ومنهم حمدان خوجة وحمدان بن أمين وأحمد بوضربة والذين عبروا عن مشاعر الجزائريين واستيائهم مما تقوم به السلطات الفرنسية في الجزائر⁵، بالإضافة إلى طبقة المثقفين الجديدة التي هاجرت من أجل الدراسة، وتنحدر هاتان الطبقتان من أصول إجتماعية

¹ - عبد الحميد زوزو: المرجع السابق، ص 13.

² - المكان نفسه.

³ - محفوظ قداش: تاريخ الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص 244.

⁴ - جيلالي صاري... (وآخرون): سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، هجرة الجزائريين نحو أوروبا، المرجع السابق، ص 27.

⁵ - إدريس خضير: المرجع السابق، ص ص 296، 297.

مختلفة، كما ساهم وجود هذه الطبقات في المهجر وإحتكاكها بالفرنسيين على ظهور أهم الأحزاب السياسية المطالبة للإستقلال من جهة وللإدماج من جهة أخرى (المثقفون والعمال).

طبقة العمال:

لقد تزايدت حجم الهجرة الجزائرية إلى فرنسا خلال الحرب العالمية الأولى (1914م-1918م) بسبب رفع القيد عن الهجرة بصدور قانون 15 جويلية 1914م، مما شجع الهجرة التلقائية إلى فرنسا، فضلا عن الإشراف على تنظيم الهجرة عام 1916م من قبل السلطات، حيث أسست مصلحة عمال المستعمرات التي كانت تشرف عليها وزارة الحربية الفرنسية، وكانت مهمتها تسجيل العمال في الجزائر ثم نقلهم إلى فرنسا والحاقهم بالجيش الفرنسي قبل المدة بسنة، وفي الوقت نفسه فإن السلطات قد جندت عنوة سبعة عشر ألف عامل وبذلك ازدادت الهجرة الجزائرية إلى فرنسا¹ نتيجة الحرب العالمية الأولى، وبعد خسارة فرنسا في الحرب العالمية الأولى أصبح عليها تعويض هذه الخسارة عن طريق تشجيع الهجرة من الجزائر والمستعمرات الأخرى إليها من أجل إعادة بناء الهياكل الإقتصادية والإجتماعية وقيام مشاريع جديدة إلى جانب تلك التي نجت من دمار الحرب².

وينبغي وضع الهجرة ضمن الأسباب التي تشرح تشكل الطبقات المتوسطة، مما تتيح مكانة الجزائريين في إقتصاد فرنسا الكولونيالي، ورغم ذلك قد هدد المجتمع الفرنسي بظهور بروليتاريا جديدة، لكن العمل في فرنسا بلد الأجور المرتفعة والحرية والمغامرات حسب شهادات تلك الفترة، يفسر وحده بعض الترقيات الفردية أو العائلية، والواقع أن طبقة واسعة بقدر كاف من التجار ذوي السعة قد تشكلت في فرنسا من أصحاب الفنادق والمطاعم، وتجار الخضار وتجار المعارض والأسواق، وعندما كان هؤلاء يعودون إلى البلد وينزلون في دورهم ذات الطوابق والشرفات والمبينة في مدن مسقط رأسهم، فكانوا يمثلون الأثرياء الجدد. والبعض منهم ممن بقي في فرنسا بتثبيت ابن أو قريب في الجزائر

¹ - عبد الحميد زوزو: المرجع السابق، ص 14.

² - عمار بوحوش: المرجع السابق، ص 135.

من أصبحوا بدورهم تجارا، أو أصحاب المستودعات، أو بنائين مقاولين، أو مالكي سيارات تاكسي، أو الحافلات، بالإضافة إلى الذين كسبوا الثروة من السوق السوداء¹.

وفي غمرة هذه الأحداث التي تعاقبت على الجزائر وعلى الهجرة فكر العمال الجزائريون كثيرا وتباحثوا طويلا، وأحسوا أنهم القوة الوحيدة والجبارة القادرة على أن تقوم بعمل جبار لإصلاح حالهم وتوعية إخوانهم، حتى يكونوا في مستوى المهمة الملقة على عاتقهم وهي تحرير وطنهم من الإستعمار والعبودية، خاصة وأن الخطوات الأولى للوطنية السياسية قد بدأت فوق أرض فرنسا².

وهنا تشكلت وبمحض صدفة بين أحضان الهجرة الجزائرية بعد الحرب مجموعات من الجزائريين كانت تشتغل كجمعيات صغيرة ذات طابع خيري (التعاون والدعم المعنوي)، حيث كان مصير العمال وأخبار البلد والعالم العربي ومستقبل الوطن وحقوق مسلمي الجزائر تشكل أساس جدول عمل الاجتماعات المنعقدة في النوادي والمقاهي وقد تطرقت شهادات عديدة إلى شركة أعمال خيرية³. في ظل غياب الدراسات حول الطبقات الاجتماعية في الجزائر أثناء الفترة الإستعمارية، كما لا توجد أبحاث حول الهجرة الجزائرية قبل الإستقلال والتدرج الطبقي المطابق، فهذه الفئة ليست إلا نتاجا عن الشروط الإقتصادية والاجتماعية التي عرفتھا الجزائر، فكانت هذه الفئة هي الأولى التي وطأت أرض المتربول وتفحصتها وهي فئة الباعة المتجولون وباعة الأسواق والمعارض، فتدمير الزراعة في الجزائر ومصادرة أراضي العشائر بعد الإنتفاضات والتمردات العشائرية (1830م-1890م) كل هذا سوف يحرر عدد كفاية من الفلاحين الذين سوف يتحولون إلى باعة متجولين، وللإحاطة بهذه الفئة الأكثر أصالة ونموذجية في الهجرة الجزائرية في فترة ما بين الحربين العالميتين، وقد كان البائع المتجول في البلد الأم يقوم بسفرائته الطويلة داخل البلاد، حيث يحمل للنساء التحف والمسحوق والأزرار والمراميا متنقلا من عشيرة إلى أخرى ومن دوار إلى آخر قارعا الأبواب حاملا على ظهره أو ظهر حمارة كل الضروريات، التي يستبدلها بالقطن أو القمح أو الفضة ثم تكيف مع تطورات الرأسمالية

¹ - شارل روبيير أجرون: تاريخ الجزائر المعاصرة، المرجع السابق، ص 849.

² - محمد قناش: آفاق مغاربية"المسيرة الوطنية وأحداث 8ماي 1945م"، المصدر السابق، ص ص 22، 25.

³ - محفوظ قداش: تاريخ الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص 254.

ليتبادل بالعملة، ولكن أمام النمو التجاري العام في مطلع القرن العشرين بدأت تجارة الباعة المتجولون، تتراجع نتيجة تطور وسائل الإتصال وظهور المحلات التجارية الصغيرة في عام 1900م. ولقد استطاع قسم كبير منهم تجنب الإفلاس وهم من يصفهم راجيبه (Rajih) بقوله: " أن الأفواج الأولى التي ترددت على المدارس الفرنسية كانت تعرف القراءة والكتابة والحساب مما سمح للقبائليين (الباعة المتجولون) بالإستقرار بداية في القرى المستوطنة، ثم في مدن هامة، وبالتالي منافسة تجارة اليهود وبني ميزاب"، هؤلاء الباعة الذين سيتجولون في كامل شمال إفريقيا خاصة الجزائر وتونس، حيث سيعرفون إنطلاقة جديدة على الطرف الآخر من حوض البحر الأبيض المتوسط، لذا ليس من الصدفة أن يكون هؤلاء أول المهاجرون الجزائريون والسباقون على الهجرة العمالية، كما ذكر جان موريزو (Jon Morizot) أن أولئك الباعة المتجولون سيوسعون نشاطهم في المدن الساحلية ثم إلى بلدان أوروبا الغربية ثم يندفعون نحو الأمريكيتين وأستراليا¹.

وقد تم تصنيف الباعة المتجولون ضمن الفئتين اللتان تشكلان طبقة التجار، أي فئة أصحاب المقاهي والمطاعم والفنادق من جهة، ومن جهة أخرى التجار المتحركين، والباعة المتجولين، وباعة السلع الباريسية، ويذكر أنه الذي نجح في أعماله أصبح يدير محل خردوات صغير، ومن هؤلاء الباعة من كان يعمل كوسيط بين أصحاب المقاهي الذين يوفرون لهم البضائع مقابل أسعار ربح محددة، ومنهم من يوفرها لنفسه كما يتبع هؤلاء الباعة مسار حركة معين ومحدد بشكل جيد، وإذا كان بعضهم يعمل منفردا فإن أغلبيتهم يعملون بشكل ترابطي، وعندما تضع مجموعة يدها على بعض الأماكن تدافع عنها بشراسة ضد تطلعات وأطماع مجموعات أخرى.

وهكذا فإن باعة الأسواق والباعة المتجولون يشتركون بحركيتهم القصوى، فيجتازون كل الأوساط ويتعرفون ميدانيا على وسطهم المهاجر، وبحكم أوضاعهم وتطلعاتهم فهم موزعون يتجازهم

¹ - كمال بوقصة: مصادر الوطنية الجزائرية إلى منابع الوطنية الجزائرية " الشعبية"، ترجمة: د. ميشيل سطوف، المراجعة اللغوية: صادق بخوش، دار القصة للنشر، الجزائر: 2005م، ص 100، 103.

علمان: عالم رأس المال وعالم العمل، كما أنهم بحكم علاقتهم الوطيدة مع العالمين يشكلون أيضا وسطاء رائعين وهذا مايفسر أن كثيرا منهم قد لعب دورا هاما في الحياة السياسية¹.

إن هذه الفئة الإجتماعية التي تغفلها الدراسات بعض الشيء، لا بد أنها إسترعت إنتباه الأحزاب اليسارية خاصة منها الحزب الشيوعي الفرنسي، حيث لم يفكر مناضلوا الحزب الشيوعي الفرنسي أو مسؤولوا الهيئة الكولونيالية في الحزب، بالعمل وسط هذه الفئة وإستخدامها رغم أن برنامجهم في التحالفات كان قد إتسع حتى البرجوازية الجزائرية، بالمقابل فإن نجم شمال إفريقيا لم يغفل هذا البعد السياسي، حيث أن كثيرا من الباعة المتجولين سيستدعون لمسؤوليات قيادية، حيث أن تقارير الإستخبارات الأمنية في وثائق سلوتفوم (Slotfom) شارع أودينو أشارت إلى أن مصالي الحاج وراحف بلقاسم أعضاء القيادة الوطنية للنجم كان أن مارسا مهنة بائع متجول وبائع في الأسواق، وهناك أيضا من أعضاء القيادة الثانية للنجم أن مارس هذه المهنة أمثال أحمد يحيوي².

وقد كان معظم المنخرطين في نجم شمال إفريقيا من التجار والباعة المتجولون ويمثل الجدول أهم الأعمال التي مارسها قادة نجم شمال إفريقيا في فرنسا³:

الإسم واللقب	المهنة	مسقط الرأس
الحاج علي عبد القادر	تاجر	غليزان
شبيلة الجيلاني	إصلاح المعارج	البليدة
سي الجيلاني محمد السعيد	عامل	أربعاء إيراثن (سيدي عيش)
معروف محمد	مسؤول نقابي	الأصنام
قدور فار	معطوب حرب	الأغواط
سعدون	عامل	بني عباس

¹ - كمال بوقصة: المرجع السابق، ص ص 104، 105.

² - المرجع نفسه، ص ص 106، 110.

³ - محمد قنانش: الحركة الإستقلالية في الجزائر ما بين الحزبين 1919م-1939م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر:

1982م، ص ص 35، 36.

مقروش	عامل	بني عباس
عبد الرحمان السيتي	طالب كتاب	العلمة أو الخروب
آيت طودرت	معطوب حرب	عين الحمام
إيفور محمد	معطوب عمل	الأربعاء نايت إيراثن
قاندي صالح	عامل	بوسعادة
رزقي	عامل	خنشلة
بوطويل	مصنع المترو	جيغل

أما عن الحاج علي عبد القادر* فيقول عبد الحميد زوزو ومحفوظ قداش الذين ذكرا أنه من مواليد مدينة معسكر، أما مصالي الحاج فيعتبره غليزانيا ومعسكريا في آن معا علما أن المدينتين متجاورتين¹، وهو من دوار سعادة فرقة أولاد سيدي ويس² كما كان متزوجا من فرنسية وقد حصل على الجنسية بمحض إرادته، بموجب مرسوم 22 ماي 1911م حيث كان يمتلك محلا لبيع الخردة يقع قرب المخازن الكبرى في الساماريتان (Samaritaine) كان يسكن في شارع L'arbre-see ثم إنتقل إلى برينوي (Brunoy)³، وقد كان كثير الإنشغال بالشراء البرجوازي⁴.

كما أن أكلي بانون الذي تعاقد مع الجيش للعمل في فرنسا في معامل السلاح، كما يقولون ثم عمل في معامل السكر ثم معمل رونو ثم إستقر في باريس كخضار متنقل بعد سنة 1927م⁵.

*- ولد يوم 23 ديسمبر 1883م بسيدي سعادة البلدية القديمة كليشان المطمر قرب غليزان عمالة وهران القديمة، أنظر: (عبد الكريم بوصفصاف... وآخرون: معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، المرجع السابق، ص44).
1 - أحمد الخطيب: حزب الشعب الجزائري، المرجع السابق، ص ص 115، 116.
2 - محمد قناش، محفوظ قداش: نجم الشمال الإفريقي 1926م-1937م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر: 2009م، ص69.

3- أحمد الخطيب: حزب الشعب الجزائري، المرجع السابق، ص116.

4- شارل روبر آجرون: تاريخ الجزائر المعاصرة، المرجع السابق، ص567.

5- محمد قناش: ذكرياتي مع مشاهير الكفاح، المصدر السابق، ص32.

أما عن الجيلالي شبيلة، فقد عمل في صيانة المصاعد الكهربائية¹، كما عمل السي الجيلالي محمد السعيد مفصلا في الخياطة عند بون مارشي، ثم عمل مع الحاج علي عبد القادر في دكانه الخاص وعمل أيضا عند دولا هي صاحب السيارات².
ومما سبق كان أغلب العمال الذين ينتقلون من مكان إلى آخر بحثا عن العمل، ولهذا وبحكم البنية الإجتماعية لأعضائه من عمال كادحين فقد إهتم النجم بالمطالبة بتحسين الأوضاع الإجتماعية³.

طبقة المثقفين:

يذكر جورج غيرفيتش (George Girvitch) أنه لا يمكن فصل المعرفة وإن تعددت أشكالها العلمية والفلسفية والأدبية عن الأطر الإجتماعية التي تنتمي إليها⁴، وبالتالي الإسهام الحقيقي للمجتمع الذي أدى إلى تشكيل أفكار هذه النخبة⁵، خاصة وأن هذه النخبة المثقفة قد تركت أرض الوطن إلى فرنسا.

تعتبر فئة المثقفين (أصحاب المهن الحرة والطلبة) الفئة الإجتماعية الثانية والأكثر تناقضا في المهجر رغم عددهم الطفيف في بداية القرن العشرين⁶، إلا أن هذه الفئة لم تحظ بنفس مقدار الإهتمام العلمي والإعلامي الذي لاقته الهجرة العمالية والهجرة العائلية، فعدد الأبحاث والمنشورات حول هذه الهجرة قليلة ولعل أهمها البحث المنشور الذي قام به قي بيرفلي (Guy Birvely) حول الطلبة الجزائريين في الجامعات الفرنسية من 1889م ولغاية 1962م⁷.

¹ - أحمد الخطيب: حزب الشعب الجزائري، المرجع السابق، ص135.

² - محمد قناش، محفوظ قداش: نجم الشمال الإفريقي 1926م-1937م، المصدر السابق، ص72.

³ - أحمد الخطيب: حزب الشعب الجزائري، المرجع السابق، ص ص 139، 205.

⁴ - بريم روبرت: المثقفون والسياسة، ترجمة: أحمد عاطف فؤاد، دار المعرفة، القاهرة: 1985م، ص182.

⁵ - عبد القادر جغلون: تاريخ الجزائر الحديث دراسة سوسولوجية، ترجمة: فيصل عباس، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م، ص263.

⁶ - كمال بوقصة: المرجع السابق، ص110.

⁷ - منشورات وزارة المجاهدين: أعمال الملتقى الوطني حول الهجرة الجزائرية إبان مرحلة الإحتلال 1830م-1962م، المنعقد بفندق الأوراسي يومي 30-31 أكتوبر 2006م، الجزائر: 2007م، ص127.

وقد تميزت هذه الفئة بميزة المعرفة في وسط مجتمع سادت فيه الأمية كما تميزوا بتمزقهم كونهم قائمين بين ثقافتين وعالمين وحضارتين هذا التمزق سيكون أشد ألما لدى هؤلاء الذين إستطاعوا الهجرة إلى فرنسا، وقد كانت العنصرية الفرنسية في الجزائر على حد قول قي بيرفلي (Guy Birvely) سبب من أسباب هجرة الطلبة الجزائريين نحو فرنسا، كما أنهم حاولوا الإبتعاد عن الجزائر ليتمكنوا من التعرف على فرنسا بعيدا عن المواقف والأفكار الجاهزة التي غالبا ماتميز فرنسيي الجزائر¹. هذه الطبقة التي تمثل صغار الموظفين في فرنسا (بلديات وبريد) يأتون لمتابعة دراستهم في جامعات فرنسا (باريس - مونبليه - أكس - طولون - غرونوبل - وليون)²، ولم تكن هجرة أولئك الطلبة تندرج ضمن سياسة تعليمية مقصودة، بل كانت نتيجة إدراك عدد من الفئات الإجتماعية الجزائرية، أن التعليم هو وسيلة للمطالبة بالحقوق والمساواة. ولم تكن هذه الفئات ممثلة لطبقات معينة بل أن الطلبة المهاجرين كانوا ينتمون إلى مختلف فئات المجتمع الجزائري، فخلافا ما قد يتبادر إلى الذهن فإن هؤلاء الطلبة الجزائريين مثل زملائهم الذين بقوا في الجزائر لمزاولة دراستهم في جامعة الجزائر لا ينتمون كلهم إلى الطبقات الثرية والطبقات الموالية للإستعمار، إذ كما يقول فرحات عباس فإن غالبية الطلبة الجزائريين الذين كانوا يتابعون تعليمهم الجامعي هم من أبناء الجزائر ولا ينتمون إلى طبقة معينة، حيث يقول أن الطلبة الجزائريين لا ينتمون إلى عائلاتهم بل إلى المجتمع الجزائري في مجمله وأن الموارد التي سمحت لهم بمواصلة التعليم لم تنتج تمايزا إجتماعيا وإنما ساهمت في تكوين نخبة هي في خدمة كل الفئات ولي فئة معينة، والسبب الرئيسي هو أن معظم الطلبة هم من أبناء الفقراء ومن عائلات ريفية أو من عائلات ميسورة الحال ولكن ليس من عائلات ثرية كما يذكر ذلك فرحات عباس³.

¹ - كمال بوقصة: المرجع السابق، ص 110.

² - المرجع نفسه، ص 112.

³ - منشورات وزارة المجاهدين: أعمال الملتقى الوطني حول الهجرة الجزائرية إبان مرحلة الإحتلال 1830-1962، المرجع السابق، ص ص 139، 140.

وقد ذكر فرحات عباس تنوع الإنحدار الإجتماعي للطلبة الجزائريين الدارسين في فرنسا حسب الملاحظات التي سجلها المسؤولون الفرنسيون، والتي تبين أن العائلات كانت تعلم أبنائها ليس للمحافظة على مكانتها بل كانت تكتفي بالتعليم الثانوي والإبتدائي، للسماح لأبنائها بإستخلافها في مناصبها، وهو ضمان لتواجدها في الإدارة وليس وسيلة لتغيير مكانتها في المجتمع، ويذهب الشريف بن حبليلس وهو من الجامعيين الجزائريين الأوائل إلى بعد من ذلك في وصفه لعدم وعي الطبقات التقليدية، التي أطلق عليه إسم ولاد البلاد بأهمية التعليم العصري حيث أرجع توقف التمدرس لدى الجزائريين، خلال مرحلة ما قبل الحرب العالمية الأولى إلى انغلاق القياد والبشاغوات والآغات على المزايا، التي تحصلوا عليها بتعاملهم مع الإستعمار الفرنسي وإلى غطرستهم وكسلهم في الوقت الذي ظهرت لدى العديد من عائلات الطبقة المتوسطة وحتى الفقيرة إرادة قوية لتغيير وضعيتها بالإعتماد على توفير لأبنائها شروط مواصلة التعليم في الجامعات وهذا ما سجله أحد القادة العسكريين الفرنسيين وهو الكولونيل شوان (Colonel Schoen) حيث ذكر بعبارات بسيطة التحولات العميقة التي شهدتها البنية الفكرية للعديد من الطبقات والتي انتجت بدورها تغييرات على مستوى التركيبة بالتمييز بين ثلاث فئات:

- 1- فئة أولى يمكن إعتبارها بمثابة طبقة برجوازية، تتكون من المقاولين والتجار ومالكي العقارات والأراضي وتتميز عائلات هذه الطبقات بتشجيع تعليم أبنائها في الفروع والتخصصات التي تسمح بالمحافظة على مكانتها الإجتماعية وهذا ما يفسر نوعا ما ضعف تواجد أبنائها في التعليم العالي.
- 2- فئة ثانية واسعة وغير متجانسة متكونة من البرجوازية الإدارية والنخب الوسطية ومن بعض الأعيان المتعاملين مع الإدارة الإستعمارية. ويعتمد أفرادها على التعليم كوسيلة للإرتقاء في سلم التدرج الإجتماعي وهذا ما يفسر تفضيل التخصصات الجامعية التي تسمح بممارسة مهن حرة بالدرجة الأولى ومهن إدارية بالدرجة الثانية.

3- فئة ثالثة متكونة من الطبقات الفقيرة ومن العمال الأجراء والفلاحين والمالكين الصغار ومن بين هذه الفئة التي أدركت أهمية التعليم بشكل عام والتعليم الجامعي بشكل خاص في تغيير وضعيتها الإجتماعية¹.

وفي ظل هذا التهيكل للمواقف الإجتماعية فإن الأطروحة التي عرضها عديد من الباحثين بشأن الإنحدار الشعبي للطلبة الجزائريين في الجامعات الفرنسية، هذه الأطروحة التي عبر عنها أحد المفكرين الشيوعيين الجزائريين وهو أحمد إينال الذي ينحدر من عائلة فقيرة من مدينة تلمسان، والذي إستطاع أن يتحصل على شهادة الليسانس في التاريخ قبل إندلاع الحرب التحريرية الكبرى، لينضم إلى الثورة ويتعرض إلى أشنع أنواع التعذيب بعد إلقاء القبض عليه، ويمكن التحقق من هذه الأطروحة من خلال فحص البيانات المتوفرة حول الإنحدار الإجتماعي للطلبة الجزائريين كما هي واردة في التحقيق الإجتماعي الذي صدر عام 1950م والذي بيت ان 75% من الطلبة المسلمين ينتمون إلى وسط متواضع (من المالكين الصغار والموظفين والتجار الصغار) و17% من العائلات الثرية والبرجوازية الوسطى المكونة من الأساتذة والمحامين والأطباء ونفس النتيجة تقريبا توصلت إليها سبر قامت به جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا سنة 1954م بجامعة الجزائر حيث تبين أن 37% من الطلبة المسلمين بهذه الجامعة ينتمون إلى عائلات الحرفيين والتجار الصغار، 12% ينتمون إلى عائلات فئة الموظفين و11% ينتمون إلى عائلات المستثمرين الفلاحيين و9% ينتمون إلى المستخدمين الإداريين و8% من عائلات المهن الحرة و8% من عائلات العمال و7% من عائلات الملاك و8% ينتمون إلى عائلات لا ينتمي أربابها إلى مهنة معينة².

ولإثراء التحليل السابق حول المسار الجامعي والإجتماعي بفرنسا والذي سلكه معظم الطلبة الجزائريين في طرقهم لتحويل وعيمهم الوطني إلى ممارسة سياسة فعالة في الحركة الوطنية قبل 1954م أقترح تناول شخصية الدكتور جمال الدين دردور، بإعتبارهم أحد الطلبة الجزائريين الذين اقتحموا الحياة

¹ - منشورات وزارة المجاهدين: أعمال الملتقى الوطني حول الهجرة الجزائرية إبان مرحلة الإحتلال 1830م-1962م، المرجع السابق، ص ص 140، 142.

² - جيلالي صاري... وآخرون: المرجع السابق، ص 42.

السياسية والوطنية تحت تأثير ظروف إقامته بالمهجر، وهو من المناضلين في صفوف نجم شمال إفريقيا وحزب الشعب الجزائري، ولد بعنابة في 1907 ولغاية عودته إلى الوطن كان مساره الإجتماعي نموذجيا لتكوين وعي وطني في ظروف إجتماعية هي الأنسب للولاء الإستعماري والإهتمام بأموره الشخصية من الإنشغال بمحاربة الإستعمار الفرنسي، وقد كان والده قاض في محكمة أما جمال دردور فكان متفوقا في دراسته وفي لعبه كرة القدم وهو الطريق الذي جعله ينتقل إلى فرنسا، فلم يكن ذلك نتيجة إمتلاك والده لأموال تسمح له بتحقيق هذا المشروع، حيث استدعي لإنخراط في نادي "ريد ستار" (Red Star) الباريسي للإستفادة من مؤهلاته الرياضية، ولكن هذا الأخير فضل إكتساب المعارف ومواصلة الدراسة في ميدان جراحة الأسنان على اللعب في ملاعب كرة القدم، ثم انخرط في صفوف نجم شمال إفريقيا من أجل الدفاع عن القضية الجزائرية¹.

ومهما كانت قلة عددهم إلا أن الطلبة المثقفين الجزائريين كَوَّنوا جالية مهاجرة رفيعة القدر، وقد تميزت بدورها بإنتاج بعض الملامح الثقافية للبلد الأصلي، وفي واقع الأمر أن هذه الجالية المثقفة إنما تعيش في المنفى حالة من التمزق المزدوج، وهذا الشيء يميزها ويجعلها مختلفة عن الهجرة العمالية في فرنسا كما في وجدانها فهي معزولة عن الحياة الفرنسية الحقيقية، أما الشروط الحياتية في المهجر فقد اختلفت من طالب إلى آخر حسب وضعه ما إذا كان ممنوحا أو محميا من الإدارة، أو ابن عائلة ميسورة ومقربة من الفرنسيين وحسب منبته ويسر عائلته، وربما كانت هذه الفئة الأخيرة هي التي تعتقد أن حياتها الطلابية متواضعة ولا تسمح لها بالتبرجز حسب كلمة صحيفة "القدير"، كما تعاني كذلك مصاعب مادية وأخرى سكنية وذلك لرفض الفرنسيين تأجير مساكنهم للطلبة².

وكانت حركة هؤلاء المهاجرين دائمة بين الجزائر وفرنسا خاصة العمال منهم، فيعودون للبلاد لتفقد عائلاتهم ثم يعودون لمراكز عملهم بينما كان البعض الآخر يستقر في فرنسا ويتزوج من فرنسيات

¹ - جيلالي صاري... وآخرون: المرجع السابق، ص 72، 74.

² - كمال بوقصة: المرجع السابق، ص 123، 124.

وهذا ما حدث لمعظم مؤسسي نجم شمال إفريقيا¹، حيث أن وضعية العزوبية تلعب دورا في تنشيط التضامانات العرقية -العائلية، وأن هذه العزوبية تشكل لهذه الشبيبة نوعا من الإستعداد للذهاب نحو الآخر، وللبحث عن كسر طوق العزلة ويبقى هذا صحيحا بشكل خاص فيما يعني العلاقات بين الشباب الجزائري والفتيات الفرنسيات فيذكر مونتانييه (Montagne) أن من 20000 إلى 30000 من الجزائريين قد إستقروا في المتروبول منذ 25 سنة بفضل الزيجات المعقودة مع الأروبيات، ومع غض النظر عن واقع الخلط القائم بين الأروبية والفرنسية في التحقيقات الإحصائية القليلة المتوفرة حول هذا الموضوع²، حيث كانت أغلب الزيجات من أروبيات لا من فرنسيات والحق أن الحركة بين الجزائر وفرنسا كانت توفر للعائد شيئا من الجاه³، كما أنها حافظت على الروابط مع مواطنهم، فالعمال الجزائريون في فرنسا سيشكلون منذ ميلاد الحركة الوطنية بل حتى قبل ذلك صوت مطالب ونضالات الأحزاب السياسية عبر نشر أصداؤها، ودعاياتها، وشعاراتها، إلى أقصى زاوية من ربوع الجزائر⁴.

خاتمة الفصل:

مما سبق يتضح لنا تنوع وإختلاف الإنحدار الإجتماعي لقادة الحركة الوطنية عموما وحتى إختلاف تكوينهم الإجتماعي في الحزب الواحد، وكان تأثير الوسط الإجتماعي متباينا على الأفراد وميوهم السياسي خاصة.

كما توصلت إلى أن أغلب زعماء الجمعية من الطبقة الثرية صاحبة الجاه مثل الشيخ محمد خير الدين وغيره من الذين ينتمون إلى الأسر العريقة ولها مكائنها في الإدارة الفرنسية، وهذا لا يمنع إنتماء بقية قادة الجمعية إلى مختلف الطبقات الإجتماعية كالطبقة المتوسطة أمثال محمد البشير الإبراهيمي والطبقات الفقيرة أمثال العربي التبسي والطيب العقبي ومبارك المليي وآخرون.

¹ - أحمد الخطيب: حزب الشعب الجزائري، المرجع السابق، ص 88.

² - كمال بوقصة: المرجع السابق، ص 154.

³ - شارل روبير آجرون: تاريخ الجزائر المعاصرة، المرجع السابق، ص 867.

⁴ - كمال بوقصة: المرجع السابق، ص 169.

أما أعضاء حزب النجم وقادته فقد كانوا من أوساط إجتماعية متواضعة والدليل على ذلك أنهم كانوا عمالا مغتربين في فرنسا يبحثون عن لقمة العيش. كان معظمهم من التجار كما سبقت الإشارة إليه آنفا لكن ظروف العمل في فرنسا كانت أحسن منها في الجزائر خاصة في الأجور وحقوقهم في ميدان العمل فساعدهم ذلك على تحسين مستواهم المعيشي والإستقرار في فرنسا بشكل نهائي.

كما أن إحتكاك العمال الجزائريين بالعمال الفرنسيين في المصانع وإحتكاكهم بمختلف شرائح المجتمع الأوروبي فقد تزايد لديهم الوعي السياسي الذي كانت نتائجه واضحة من خلال التنظيمات والأحزاب التي تشكلت في فرنسا، كما لا ننس أن أغلبية قادة النجم قد تزوج بفرنسيات قصد الإستقرار ورغم ذلك لم يكن ذلك ليؤثر على ميولاتهم السياسية الإستقلالية. عكس النخبة المثقفة أو الشبان الجزائريين الذين كان معظمهم ينتمي إلى الطبقة الثرية امثال بن جلول وآخرون، حيث يرى أحد الباحثين أن الثراء أكبر عامل تقارب بين بعض العلماء والنخبة من حيث الطبقات الإجتماعية، أما عن طبائعهما فهي مختلفة تماما فالعلماء قد نشأوا نشأة عربية بحتة، عكس النخبة الذين عاشوا مع المجموعة الأروبية وتطبعوا بطباع فرنسية، كما قلدوهم في كثير من مظاهر الحياة اليومية كالمأكل والمشرب والملبس، بل أن بعضهم قد تزوج من فرنسيات وأنجبا ذرية مختلطة دماؤها بين العربية والأروبية، وفي ذلك يقول الصحفي الشاعر الأمين العمودي في ولد الدكتور سعدان وهو من النخبة (من زوجته الفرنسية):

حيوا الطبيب ولا تنسوا قرينته	فهو سليمان والمدام بلقيس
له غلام أطل الله مدته	تنازع العرب فيه والفرنسيس
لا تعذله إذا ما خان ملته	فنصفه صالح والنصف مورييس ¹

¹ - عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائرية وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى دراسة تاريخية وإيدولوجية مقارنة، المرجع السابق، ص 345.

إذن فطبائع العلماء وتكوينهم الشخصي والإجتماعي كان عربيا أصيلا بالمعنى الدقيق للكلمة في حين كانت طبائع النخبة وتكوينها عكس ذلك تماما، وذلك نتيجة التباين الثقافي الصارخ بين المجموعتين وما التقارب الذي كان بينهما إلا تكتيكا ظاهريا، إقتضته ظروف الكفاح ضد العدو المشترك.

أما عن أعضاء الحزب الشيوعي فكلهم كانوا من الطبقات الفقيرة والمتوسطة وكانوا عمالا كادحين يسعون لتغيير مجرى السياسة الفرنسية، بالإضافة إلى أن بعضهم كان من الفرنسيين.

الفصل الثالث:

التكوين الثقافي لأبرز قادة الحركة الوطنية

المبحث الأول: تأثير الثقافة العربية على القادة السياسيين

المبحث الثاني: تأثير الثقافة الفرنسية على القادة السياسيين

المبحث الثالث: قادة الحركة الوطنية بين التقاليد الوطنية والتأثيرات

الفرنسية

خاتمة الفصل

الفصل الثالث:

التكوين الثقافي لأبرز قادة الحركة الوطنية

سبق في الفصل الثاني الحديث عن التكوين الإجتماعي للقادة السياسيين، مع إعطاء نماذج عن

أسر القادة وكيف أثرت ظروفهم الإجتماعية على ميولهم السياسي، ورغم ذلك تبقى التربية هي أولى إحتياجات أي شعب بعد الخبز كما صرح بذلك دانتون (Danton) وهو أحد قادة الثورة الفرنسية، لكن هل تخلت فرنسا عن هذا المبدأ في الجزائر؟ وهي التي طالما نادى بحق الشعب في التربية والتعليم، وخاصة بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، حيث انتهت المقاطعة الجزائرية لمدرسة المسيحيين، وبدأ الأعيان والمنتخبون ينادون بصوت عال بـ"المدارس، المدارس" ليس فقط في بلاد القبائل بل في مختلف القطر الجزائري حتى التقليديين أنفسهم، الذين كانوا يقولون: "علموا أطفالنا، بالعربية أو بالفرنسية (لايهم) ولكن علموهم"، ولأسباب سياسية ومالية لم تستجب لذلك فرنسا حيث كان يردد المعمرون: "إذا أرادت فرنسا الذهاب بعيدا في تعليم الأهالي، فكيف سيكون حال مزارعنا؟ أين سنبحث عن اليد العاملة الفلاحية؟"¹.

وهنا يتضح لنا أن الحياة الثقافية في الجزائر كانت صعبة كما سلف الذكر في الفصل الأول، ولهذا سيعالج هذا الفصل: البوادر التي تجلت في بداية الأمر في شكل جهود فردية ونشاطات فكرية في ميادين مختلفة، والتي كانت تجسد حقيقة الوعي الوطني الذي ظل يعيش في أعماق الجزائريين الأحرار وهو أن مقاومة العدو المحتل لا يمكنها أن تتوقف إلا بعد إجلاله من البلاد، كما كانت تعبر عن حقيقة أخرى، وهي أن تعبئة الإنسان الذي هو أساس المعركة النضالية وإعداد المناخ الفكري الذي يغذي وعيه، ويوفر الأرضية الصلبة التي تنطلق منها المعركة، وهكذا تلتف الجماهير حول المعركة ويضمن نجاحها بإعدادهم فكريا وثقافيا وسياسيا فيكونون عدة هذه المواجهة².

¹- شارل رويبر آجرون: تاريخ الجزائر المعاصرة، المرجع السابق، ص 869.

²- عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان: إمام الجزائر: عبد الحميد بن باديس، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر:

تميّزت فترة النصف الثاني من القرن التاسع عشر ميلادي، بوجود الإستعمار في بعض البلدان العربية والإسلامية، والذي خلق واقعا جديدا لم يكن له نظير في هذه البلدان من قبل سياسيا، وإجتماعيا وثقافيا، وقد انقسمت طلائع المجتمع ونخبه إزاء الحضارة الغربية الوافدة إلى ثلاث تيارات: المنبهرون، والرافضون والمجددون، وهم الذين عرفوا بالإصلاحيين المتفتحين على الحضارة، مع عدم التفريط بما جاء به الدين الإسلامي الحنيف، يقول الأستاذ شايف عكاشة¹: " رأينا الفريقين السابقين خضعا لميزان الإفراط والتفريط، فالأول: أهمل حياة العصر وعاد إلى الماضي يرتشف ثمالة أسلافه، في حين أهمل الفريق الثاني ماضي أمجاده وإنكب يرتشف ثمالة أسياده الغربيين، وبمقارنة بسيطة يتجلى لنا أن كلا الفريقين ظل يعيش على الهامش، فالأول عاد ليعيش على أطلال الحضارة الإسلامية، ووثب الثاني إلى هامش الحضارة الغربية".

لهذا سيتناول الفصل الثالث التكوين الثقافي لأبرز قادة الحركة الوطنية، ومدى تأثرهم بالثقافتين الغربية والعربية في ظل الإستعمار الفرنسي، خاصة وأنهم بدأوا يقارنون بين اللغتين والحضارتين ولكن دون أن يفضلوا إختيار واحدة على الأخرى، وكما بدا للبعض منهم بأن الفصحى قد فقدت مكانتها في مجالات كثيرة، وعلى الأخص في مجال التعامل الإجتماعي، فبدأ البعض يفكر في تعليم أبنائهم باللغة الفرنسية، بعد أن فرض الواقع عليهم ذلك رغم أنهم مازالوا متمسكين بلغتهم القومية ومالبت الشعب أن أخذ يعتبر اللغة الفرنسية لغة الدنيا، على عكس العربية التي أصبحت لغة السمو الروحي في الآخرة متمسكين بذلك بالطابع الديني².

ينبغي الإقرار بوجود ثلة من المثقفين والسياسيين الذين كانوا، بحكم المرتبة الإجتماعية والوسط الذي عاشوا فيه، والمثل العليا التي اعتنقوها كانوا معروفين بانحيازهم للغة الفرنسية وما فيها من قيم وأفكار بل كذلك ما فيها من قيم وأحاسيس ونظريات تاريخية وأساليب في التعبير، كما أن القومية الطلائعية التي كانت في بداية أمرها تنتمي إلى الطبقة الكادحة، قاومت بصور تلقائية - بدون وعي وتفكير - هذه

¹ - كمال عجالي: المرجع السابق، ص 37.

² - مصطفى الأشرف: المرجع السابق، ص ص 429، 430.

السيطرة عندما بلغ الإنحياز للفرنسية درجة الذوبان في البوتقة الفرنسية، ومن هنا يظهر تشدها إلى أقصى الحدود، فأخذت تنادي بشعارات قومية أو روحية لمقاومة أثر الفرنسية¹.

لقد أثر التعليم بشقيه العربي الإسلامي، والأوروبي الغربي في تكوين جيل جديد مثقف وواعي الذي أصبح يحس بمعاناة المجتمع الجزائري، في الميادين الإقتصادية والإجتماعية والسياسية والثقافية وبالقهر الإستعماري المسلط عليهم²، ولهنا فقد تناول هذا الفصل ثلاثة مباحث: المبحث الأول بعنوان تأثير الثقافة العربية الإسلامية على أبرز القادة السياسيين، أما المبحث الثاني: تأثير الثقافة الفرنسية الغربية على أبرز القادة السياسيين، ويكون المبحث الثالث بعنوان: قادة الحركة الوطنية بين القيم الوطنية والتأثيرات الفرنسية.

المبحث الأول:

تأثير الثقافة العربية الإسلامية على القادة السياسيين

تغير أسلوب كفاح الشعب الجزائري مع مطلع القرن العشرين، فكان عليه أن يربط دينيا وثقافيا وسياسيا لمقاومة الإستعمار الفرنسي³، والحق أن سياسة فرنسا في الجزائر وفي شمال إفريقيا قد تميّزت بعمدة نفسية إتجاه الحركة العربية في بلدان المشرق العربي وشعرت أن أهم رباط يربط بين المنطقتين هو اللغة، فالتجهت أنظار بعض الطبقة المثقفة الجزائرية إلى المشرق واهتمت باللغة والثقافة العربية والدين الإسلامي⁴.

لهذا ستكون إشكالية المبحث الأول: كيف أثرت الثقافة العربية في القادة السياسيين؟ وكيف كان التكوين الثقافي العربي لأبرز زعماء التيارات السياسية في الجزائر في الفترة المدروسة؟

¹ - مصطفى الأشرف: المرجع السابق، ص ص 426، 427.

² - يحي بوعزيز: الإتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه (1912م-1948م)، دار البصائر، الجزائر: 2009م، ص 11.

³ - عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائرية وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى "دراسة تاريخية وإيديولوجية مقارنة"، المرجع السابق، ص 55.

⁴ - جلال يحي: السياسة الفرنسية في الجزائر من 1830م-1959م، المرجع السابق، ص ص 304، 305.

تم عزل اللغة العربية التي تعتبر رمز الحضارة العربية الإسلامية منذ بداية الإحتلال، حيث استولى هذا الأخير على الأوقاف التي كانت المورد الأساس للتعليم، كما هدموا المساجد والمدارس التابعة لها وتوقف التعليم بالعربية، وكادت الجزائر لا تجد فيها من يقرأ كتابا عن التراث العربي الإسلامي وحتى الزوايا الصوفية، التي كانت آخر معقل للغة العربية طالتها أيادي الإستعمار الفرنسي وأصبحت مكانا لنشر البدع والخرافات¹، إلا الزوايا التي كانت في الجنوب فقد فشل الفرنسيون في محاولة الوصول إليها، وأمام هذه الوضعية المزرية لم يبق أمام الجزائريين الراغبين في الدراسة إلا أن يترقبوا أبواب الزوايا الدينية.

تأثير الزوايا الدينية على قادة الأحزاب السياسية:

لقد سيطرت الطرق الصوفية وزوايا المرابطين على الفكر الإسلامي والمجتمع المغربي في القرن التاسع عشر ميلادي سيطرة مذهلة، فبلغ عدد الزوايا في الجزائر ثلاثمئة وتسع وأربعين زاوية، وعدد الإخوان فيها مئتان وخمسة وتسعون ألف والتي ساد الجمود في معظمها، فأصبح إذا سُئل أحدهم عن حاله أجاب: "نأكل لقوت ونستنى الموت"، وهذه الظاهرة الإجتماعية أدت إلى تعطيل الفكر وشل جميع الطاقات الإجتماعية الأخرى².

وهكذا أحاط بمفهوم الزوايا لفترات طويلة الغموض ولقد نسبت لها أشياء كثيرة كمحاولتها تخدير المجتمع ونشر البدع والخرافات والإيمان بالكرامات وتقديس الأولياء والشيوخ...، والواقع أن الزوايا الدينية في الجزائر قد انقسمت إلى قسمين: القسم الأول الذي طالته يد الإستعمار، حيث اشترطت السلطات الفرنسية على بعضها تدريس القرآن الكريم والعلوم الدينية دون تفسير، فيصبح الطلبة كالبيغاوات يحفظون ولا يفهمون، وكانت تقام الزردات والوعادات والذبائح وإقامة الولائم، والدعاء للشيخ طالبين منه الرضا، وشفاء المرضى وهبة البنين والبنات وشفاء العاقر، وعودة المهاجر...³، وقد كان هؤلاء من رجال الطرق والزوايا يميلون إلى اللامبالاة لما يجري في الحياة الدنيا، رغم أن "طلب

¹ - أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج5، ص160.

² - عمار طالي: آثار ابن باديس، المجلد01، ط1، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، 1968م، ص18.

³ - عمار قليل: المرجع السابق، ص136، 137.

الآخرة وحدها مدموم في الإسلام"، وقد نشأ عن ذلك التواكل وإنتظار أن تمطر السماء ذهباً، والعزوف عن قضايا الوطن، وأن الله الذي جاء بالمحتلين إلى الجزائر قادر هو وحده على إخراجه، والغريب أن هذه الأفكار الإستسلامية، لم تنتشر إلا في القرن العشرين فالتصوفة السابقون هم من كانوا يشعلون فتيل الحروب، ويعبؤون الجيوش ويخوضون المعارك الشرسة ضد المحتلين كإسبان والفرنسيين¹، أما القسم الثاني من الزوايا فقد كان بمثابة خزان يحفظ العقيدة والعادات الإسلامية الأصيلة، ويقوم على مكارم الأخلاق وغرسها في الجيل الجديد، وكان شيوخها يعلمون اللغة العربية والدين الإسلامي ومعامله مجاناً²، وبقيت هذه الزوايا تغالب الموج الإستعماري الجارف، وتشارك في مسيرة النهضة الوطنية مما حفظ لهذا الوطن الدين الإسلامي واللغة العربية، لقد استطاعت الطرق الصوفية التابعة للدقاوية والقادرية والرحمانية، أن تكون مركز إشعاع علمي وديني، ولم تمر فترة طويلة حتى أصبحت الجزائر تزخر بهذا النوع من الزوايا مثل: زاوية صدوق في شلاطة ببلاد القبائل، وزاوية عبد الرحمان باشتارزي في قسنطينة، وزاوية العثمانية طولقة بيسكرة، وزاوية الهامل ببوسعادة... وغيرها³.

رغم الحالة التي آلت إليها بعض الزوايا الدينية في الجزائر، لكن كانت لها أهمية كبيرة جدا آنذاك ولها وظيفة دينية وإجتماعية وثقافية كبيرة، أما الوظيفة الدينية فتمثلت في موقع الزوايا البعيد عن المدن وحياة الضوضاء، الذي ساعدها على توفير الخلوة الروحية بشكل يسمح لأتباعها أن يزاولوا حياة الطهارة الروحية، وهكذا بلورت الزوايا حياة دينية جماعية منظمة بإحكام، فكانت بذلك أماكن سامية للروحانية الإسلامية وقد ساهمت في إشاعة إحساس ديني قوي من باب الحرص الدائم على السمو الأخلاقي في الأوساط الإسلامية، أما الوظيفة الثقافية فهو الدور الذي لعبته الزوايا كمدارس تثابر على بلوغ المعرفة التامة بالنص القرآني وإعطاء أبناء القبيلة تربية إسلامية تقوم على الأخلاق السامية،

¹ - عبد المالك مرتاض: أدب المقاومة الوطنية في الجزائر (1830م-1962م) رصد لصور المقاومة في النثر الفني، ج1، سلسلة منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر: 2009م، ص ص352، 353.

² - عمار قليل: المرجع السابق، ص ص136، 137.

³ - نجيب بن خيرة: الزوايا في الجزائر... وفريضة التعليم الغائبة، مجلة الأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص ص161، 162.

بالإضافة إلى دراسة المصنفات القديمة للفقهاء المالكي، مثل مختصر الشيخ المصري خليل بن إسحاق الذي توفي في عام 1394م المعروف في الجزائر بإسم سيدي خليل، وهذا المصنف يشتمل على الطقوس والأحكام القضائية المفيدة للمسلمين وفي ممارستهم الدينية، وحياتهم الفردية والأسرية الإجتماعية، لكن يبقى عمل الزوايا في الميدان الثقافي محدودا إن استثنينا بعض زوايا الجنوب كالهامل قرب بوسعادة، وبعض الزوايا القبائلية التي كانت توفر في الغالب تعليما للغة العربية ذات المستوى المعترف، فإنه بمقدورنا القول أن جلها لم يكن يهتم بالدراسات الأدبية الكلاسيكية، ناهيك عن الدراسات العربية الحديثة، ومن ثم تعذر عليهم الإطلاع على التطور الفكري والديني للعالم العربي الإسلامي، ذلك أن تكوينهم التقليدي الصنف أبقاهم في عالم قروي بسيط، لكنها رغم ذلك كان لها دور إجتماعي لا يستهان به، حيث لقنت سكان الأرياف والمدن الأخلاق الإجتماعية الضرورية القائمة على الإحترام والتسامح والمساواة، كما ساهمت دائما في تخفيف البؤس عن الناس وآلامهم الجسدية، وكان الدور الذي تقوم به الزاوية سواء كان إجتماعيا أو ثقافيا مرهونا إلى حد بعيد بشخصية شيخها أو قائدها العادل، ولكن للأسف لم تكن كل الزوايا على نفس الحد من العدل والتقوى والإخلاص للوطن والمجتمع.¹

ونتيجة لتفوق الزوايا على نفسها ورفضها للأفكار الدينية ذات المصدر المشرقي (الإصلاحية) ورفض الأدب العربي الحديث، وقبولها الطوعي بالإطار الضيق للكلاسيكية البالية، والموسومة بالخصوصية المحلية، وبإنكارهم كل قيمة تكوينية للأفكار العربية الحديثة بدعوى صدورها من بلدان تعتمد الوهابية، وهكذا إرتكب المرابطون خطأ جسيما برفضهم التطور الفكري الذي شهدته المشرق العربي على يد المصلحين الكبار كالشيخ محمد عبد الوهاب والسيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده والشيخ رشيد رضا والشيخ عبد الحميد بن باديس في الجزائر، ولكن شيئا فشيئا تقبل الناس فكرة هؤلاء الإصلاحيين الذين يدعون إلى الإنفتاح على العالم الإسلامي المعاصر، ويعلنون عن إنتمائهم للأمة ويربطون الإحياء الديني ببعث الثقافة العربية، والشعور الديني بالوعي السياسي والوطني.²

¹ - علي مراد: المرجع السابق، ص ص74، 76.

² - المرجع نفسه، ص79.

ورغم ذلك ساهمت الزوايا في تكوين مجموعة من المثقفين بالعربية، ساعدتهم الروح العصامية والتحدي من أجل الوصول إلى درجة كبيرة من الثقافة العربية¹، وكان الكثير من طلاب هذه الزوايا يمارسون نشاطهم ضمن صفوف الحركة الوطنية، على مسمع ومرأى من شيوخهم عكس طلبة الصنف الموالي للسلطات الإستعمارية -الزوايا-، الذين كانوا يحظرون على طلابهم هذا النوع من الأعمال السياسية بحجة أنها أعمال دنيوية، تبعد الإنسان عن طلب الآخرة ورحمتها²، ولكن بقيت الزوايا والكتاتيب القرآنية هي المنهل العلمي الأول الذي اتجه إليه قادة الحركة الوطنية وخاصة المثقفين بالثقافة العربية وعلى رأسهم رواد الحركة الإصلاحية³.

عودة المثقفين الجزائريين من بلاد المشرق:

كان الجمود الفكري والإجتماعي الذي عانت منه الجزائر قد بدأ ينجلي تدريجيا بعد، إنطلاق النهضة العربية من المشرق العربي، وعودة الإتصال الفكري بين المشرق والمغرب عن طريق الصحافة والكتب والمجلات والحج، وعن طريق الطلبة الذين كانوا يسافرون إلى القرويين بالمغرب الأقصى والزيتونة بتونس والجامع الأزهر بمصر للدراسة، بالإضافة إلى إنشاء المكتبة الثعالبية سنة 1896م من قبل السيد قدور بن مراد التركي الرودوسي، ومطبعته التي طبع فيها الكثير من المؤلفات التاريخية والدينية، فكانت هذه الإتصالات من أهم العوامل التي أدت إلى وجود حركة علمية وثقافية وأدبية في الجزائر⁴.

وكما سبق الذكر أن عددا كبيرا من الجزائريين هاجروا إلى البلدان العربية والإسلامية في المشرق والمغرب العربي، فرارا من بطش الإحتلال الفرنسي واضطهاده، وكانوا من طبقات مختلفة من الناس،

¹ - أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج5، المرجع السابق، ص162.

² - عمار قليل: المرجع السابق، ص138.

³ - أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج5، المرجع السابق، ص162.

⁴ - عمار طالي: المصدر السابق، ص ص 18، 19.

ومن مناطق مختلفة من الوطن، وهناك هجرة* متأخرة كانت خالصة لطلب العلم والمعرفة والإتصال بأكبر رجال العلم في المشرق، والتزود بالثقافة العربية من منابعها الأولى¹.

وقد تمكن بعض الجزائريين من الهجرة إلى مصر أو الحجاز أو الشام، وقصد بعضهم تونس والمغرب الأقصى، وقد استطاعوا بعزيمتهم ووفائهم للغة العربية أن ينالوا حظا وافرا منها وأن يرجعوا إلى بلدهم مدرسين ومستنهضين²، وقد كان وقتئذ جامعتان في إفريقيا الشمالية على جانبي الجزائر، ألا وهما الزيتونة بتونس والقرويين بالمغرب الأقصى، فأخذ الطلبة الجزائريون يقصدونهما ليأخذوا حاجاتهم من الثقافة الإسلامية، فتخرج منها جميع حملة الأقلام والمفكرين الذين ثمروا على سواعدهم وقاوموا الأفكار الهدامة، التي كان الإستعمار يفرغها في أذهان المثقفين بثقافتهم من الجزائريين أبناء البرجوازيين والأعيان³.

أما القرويين والزيتونة فكانتا منارتين كبيرتين لبعث الفكر العربي الإسلامي في المغرب العربي، رغم أنهما تعرضتا للإجتياح الفرنسي، فبدأت حركة اليقظة والبعث والإحياء في ميادين ثلاثة:

1- التجديد في مجال الدين وتحريره من الجمود وفتح باب الإجتهااد.

2- العمل الوطني والسياسي وظهور أدب المقاومة والصحافة .

3- التطور الثقافي والفكري في ميدان التعليم والثقافة وكتابة التاريخ.

وقد جرى التجديد الديني في مجال بعث مفاهيم الإسلام الأولى والعودة إلى المنابع الأساسية والتحرر من الوثنيات والخرافات.

*-والحق أن الهجرة في طلب العلم تقليد جزائري كان قد إبتدأه أبو الشعراء الجزائريين بكر بن حماد التيهري منذ مطلع القرن الثالث للهجرة، أنظر: (عبد المالك مرتاض: المرجع السابق، ص58).

¹ - المكان نفسه.

² - أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج5، المرجع السابق، ص162.

³ - محمد طمار: الروابط الثقافية بين الجزائر والخراج، الشركة الوطنية، الجزائر: 1983م، ص 263.

أما في المجال الثقافي بدأت حركة التطور الثقافي والفكري، من أجل حماية اللغة العربية ومقاومة التغريب وبعث التاريخ وتجديده وتحديد المفاهيم العربية الإسلامية، وإبراز القيم الأساسية إزاء الغزو الفكري الغربي¹.

بالإضافة إلى جامعة الزيتونة والقرويين، كانت المدرسة الخلدونية في تونس والتي تحمل طابع الجمع بين الدراسات العربية الإسلامية البحتة والدراسات الغربية واللغة الفرنسية². هكذا برزت معالم النهضة واليقظة في المغرب العربي مبكرة، واتحدت صورة الحركات الجماعية ذات الطابع الإسلامي، قبل إحتلال فرنسا للجزائر وواصلت ذلك حتى بعد الإحتلال، فكان تفاعل الإنسان مع الأفكار والإتصال بالتجارب الإنسانية المختلفة، تكسبه ثراء فكريا ونمو معرفيا وتزيد في مضاء عزمته³.

أما في المشرق العربي، فرغم أن إختراق الحواجز التي تحول دون الإتصال بروافد الفكر العربي الإسلامي أمرا ليس سهلا في ذلك الوقت، لكنه لم يكن مستحيلا، فالرحلات إلى البقاع المقدسة في مواسم الحج كانت فرصة مناسبة لزيارة عدد من البلدان العربية، والإتصال ببعض علمائها، والإطلاع على أحوال الإسلام فيها والحركات الفكرية التي ظهرت في أعقاب النهضة، فكانت عودة الجزائريين الذين أكملوا دراستهم في الخارج (الحجاز، سوريا، مصر) عاملا من عوامل اليقظة الفكرية ونمو الوعي الديني والوطني⁴.

ومثال هذه المؤسسات التعليمية العريقة الأزهر في القاهرة بمصر الذي قام بدوره في بناء وعي جديد للأمة بإصلاح دينها، وقد اتهم علماءه بالتواطؤ ضد مصلحة الأمة في التقدم والإنبعاث، كما نعت الحكومة المصرية القائمة بالأمر المصري في الثلاثينات، بأنها حكومة طرقية تدعم الطريقة في مصر وباقي البلدان الإسلامية، ومنها الجزائر حيث كان أقطاب الطريقة يستمدون التأييد من علماء الأزهر ومن مشايخ التصوف هناك، أما المنهج الإصلاحي الذي عكف عليه بن باديس في العشرينات، حرص

¹ - عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان: المرجع السابق، ص22.

² - أنور الجندي: الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة: 1965م، ص28.

³ - عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان: المرجع السابق، ص22.

⁴ - المكان نفسه.

على أن يبسط الجوانب الإيجابية التي يراها تميز الدول الإسلامية في ذلك العهد، فكان يسجل المملكتين السعودية واليمنية مثلاً جيداً في توفير الأمن، وتطبيق الشريعة الإسلامية ليحاول تطبيقه في بلاده¹، وأما الذين لم تمكنهم ظروفهم من الإطلاع المباشر على ما يجري خارج بلادهم، فإن هذا لم يمنعهم من تنسم الأخبار التي تطلعهم على بعض مصادر النهضة الفكرية والحركة الإصلاحية، التي بدأت رباحها تهب في كثير من الأحيان على العالم العربي، ثم إن هذا الحصار الذي تعمدته الإدارة الإستعمارية، لم يمنع ذوي الفكر والإحساس الوطني من أن يركزوا تفكيرهم في المعاناة التي يعانها شعبهم، وأوضاع بلادهم ويتأملوا الحالة التي وصلت إليها في المجال السياسي والثقافي والإجتماعي لإستخلاص الحقائق التي تجعلهم يتصورون الطريق الذي يسلكونه مع المستعمر والأساليب التي يعتمدونها لإحداث هزة نفسية للشعب تدفعه للصمود في وجه المستعمر².

لقد ازداد عدد المهاجرين لطلب العلم في المشرق حسب إحصاء سنة 1916م، حيث وصل عدد الطلبة الجزائريين في الأزهر حوالي عشرين طالباً، ولعل ضعف هذا العدد كان يدرس في الزيتونة، ومهما كان الأمر فقد شهدت فترة العشرينات إلى الأربعينات أفواجا من الطلبة الجزائريين، الذين توجهوا خاصة إلى الزيتونة والقرويين رغم أن الإدارة آنذاك كانت فرنسية، وكان أغلب هؤلاء الطلبة من الفقراء³. ولهذا خصصت الحكومة في دمشق للأعيان والطلبة من المهاجرين الجزائريين إلى دمشق مرتبات شهرية ومكان للإقامة فيها⁴.

وهكذا عادت الفئة من أبناء الجزائر البررة المخلصين من الحجاز مهد الإسلام الأول، ومنبت الدعوة إلى الحق ومبعث الإصلاح الإنساني العام، وهذه الفئة التي رجعت بالهدي المحمدي الكامل، قد

¹ - العشيراتي سليمان: ابن باديس "التحول من برزخية القول إلى حضور الفعل ملامسة لفقهاء سياسة الإصلاح وإصلاح

السياسة"، ج2، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر: 2010م، ص52.

² - عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان: المرجع السابق، ص22.

³ - أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج5، المرجع السابق، ص162، 163.

⁴ - نادية طرشون... وآخرون: المرجع السابق، ص198.

تأثرت بالإصلاح تأثراً خاصاً، مستمداً قوته وحرارته من كلام الله وسنة رسوله مباشرة¹، والملاحظ أن جل المثقفين باللغة العربية من المصلحين هم من خريجي الزيتونة المتأثرين بالحياة الفكرية التونسية، فمن المحتمل أنهم قد سعوا إلى تقليد المثقفين التونسيين الذين كان العديد منهم يمارسون مواهبهم في إطار جمعيات ثقافية².

تأثر الزعماء السياسيين بثقافة السلف الإصلاحي:

عمل المثقفون بالثقافة العربية على إحياء اللغة العربية وتقوية الشعور بالشخصية الجزائرية حيث توصلوا إلى أن الأمة الجزائرية موجودة ومتكونة على مثال كسائر أمم الأرض، وهي لا تزال حية ولها تاريخها اللامع ووحدها الدينية واللغوية والثقافية وبتقاليدها الإيجابية والسلبية³، ولهذا ارتبط هؤلاء المثقفون والحركة الإصلاحية والوطنية بالجزائر بالمشرق، وعمقت إنتمائها وشعورها القومي به، حيث كانت الحركة المشرقية تعاش في الجزائر لحظة بلحظة، رغم بعد الدار وشدة المراقبة الإستعمارية والإضطهاد الفرنسي للمثقفين باللغة العربية⁴.

كانت أول صيحة إرتفعت في العالم الإسلامي بلزوم الإصلاح الديني والعلمي في الجيل السابق لجيلنا، هي صيحة إمام المصلحين الأستاذ الشيخ محمد عبده*، الذي كان أندى الأئمة المصلحين صوتاً وأبعدهم صيتاً في عالم الإصلاح، فلقد جاهر بالحقيقة المرة وجهر بدعوة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها للرجوع إلى الدين الصحيح والتماس هديه من كتاب الله وسنة نبيه، مبيناً أن علة المسلمين في

¹ - جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار المعرفة، الجزائر: 2009م، ص 38.

² - علي مراد: المرجع السابق، ص 37.

³ - أنور الجنيدي: المرجع السابق، ص 45.

⁴ - كمال عجالي: المرجع السابق، ص 18.

* - محمد عبده (1849م-1905م) ولد في دلتا مصر، من العلماء المسلمين المعاصرين الداعين إلى الإصلاح إتصل بجمال الدين الأفغاني، حرر جريدة "الوقائع المصرية" له مؤلفات "رسالة التوحيد"، وهي عبارة عن دروس في الدين الإسلامي، ألقاها على تلامذة المدرسة السلطانية في بيروت سنة 1885م طبعت سنة 1897م، واعتبر محمد عبده وهو على قيد الحياة أكبر مصلح مسلم في الفترة المعاصرة، أنظر: (عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية (1931م-1945م)، المرجع السابق، ص 54).

سقوطهم وتأخرهم وإخطاطهم عن تلك المكانة التي كانوا عليها في سالف الزمان، هو بعدهم عن الهدي الروحاني، وإنه لا يرجى لهم فلاح في الدنيا ولا في الآخرة إلا إذا راجعوا بصائرهم واسترجعوا ذلك الهدي الذي لم يغتصبه منهم أحد، وإنما هجروه فباؤوا بالمهانة والصغار والضعفة والخسار، كانت هذه الصيحة من فم ذلك المصلح العظيم ليقطع الطريق على المتربصين ويهدم سلطان المبطلين، وقد كان الأستاذ الإمام أعجوبة في الأملعية وبعد النظر وعمق التفكير وحدة الخاطر واستنارة البصيرة وسرعة الإستنتاج، حكيم بكل ماتؤديه هذه الكلمة من معنى¹.

وقد كانت زيارة الشيخ محمد عبده لتونس والجزائر ذات أثر بعيد المدى في تأكيد هذا الاتجاه السلفي الذي يدعو إليه الإمام محمد عبده، والذي كان واضح الدلالة في العمل الفكري والوطني للمصلحين، وعاملا من عوامل الربط بين الحركات الفكرية والوطنية بين المشرق والمغرب، لتظهر جمعية العلماء الجزائريين لتحمل لواء المقاومة في مجال اللغة العربية والإسلام على تغطية الميادين الفكرية والثقافية التي قصرت عنها المنظمات السياسية الأخرى².

وهنا تبدو مفاهيم الشيخ عبد الحميد بن باديس واضحة في مقاومة الإحتلال الفرنسي بالتعليم، وهي الدعوة التي حمل لواءها الشيخ محمد عبده قبل نهاية القرن التاسع عشر وأذاعها في تونس والجزائر خلال زيارته عام 1903م، فقد آمن ابن باديس بأن العمل الأعظم في مقاومة الإستعمار في الجزائر هو حماية اللغة العربية لغة القرآن، وذلك بإذاعتها ونشر التعليم كوسيلة كبرى لمقاومة الإستعمار، الذي يعيش على الجهل وكانت دعوته مستنيرة ومستبصرة، قائمة على أساس السلفية الواضحة النقية، قوامها العودة بالإسلام إلى منابعه الأولى ومقاومة الخرافات والزيوف ومحاربة الفرق الضالة التي عاونت المستعمر، فكان مؤمنا بأن الإسلام لا يقاوم الحضارة ولا يعارض التطور ولا يقف أمام تيار النهضة والعلم والكشف والإختراع بل إنه يحث عليها وينهض بها، وهنا اجتمع الشيخ محمد عبده عام 1905م بعلماء من الجزائر أمثال: محمد بن خوجة، عبد الحليم بن سماية هذا الأخير الذي قام بتدريس مؤلفاته

¹ - جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: المرجع السابق، ص ص 32، 34.

² - أنور الجنيدي: المرجع السابق، ص 19.

وهي "رسالة التوحيد" في المدرسة الثعالبية بالجزائر العاصمة¹، فاحتكوا به وتأثروا بمبادئه وحاولوا العمل بها.

ترسخت أفكار الإصلاح للشيخ محمد عبده في نفوس المثقفين الجزائريين، الذين أصبحوا يعملون على استنباط البعد الحقيقي للأخذ بهذه الفكرة الإصلاحية الحديثة، ذلك أنهم كانوا يشعرون بان الإسلام في الجزائر يعيش في عزلة جغرافية بعيدا عن كل تأثير جديد يتلاءم مع مبادئه السامية، والحق أنه كان في الجزائر ثلاث مدارس رسمية واحدة بالعاصمة والثانية في تلمسان والأخرى في مدينة قسنطينة، التي كانت تسعى في مجموعها إلى تجديد الدين الإسلامي، ولكن هذه المدارس كانت تفتقر إلى الوسائل الكفيلة للرجوع به إلى الأصالة الحقيقية، حيث كان الإسلام بحاجة إلى دافع تاريخي كي يتحدى سمات القرن التاسع عشر والعشرين كما هو الحال في كل اليقضات القومية، التي تجعل من تاريخ الأمة نقطة الإنطلاق لإنتراع حريتها من المستعمر الأجنبي، وكان ذلك يتطلب رجالا مخلصين في أعمالهم مؤمنين بمبادئهم وأهدافهم، كما أن المسلمين الجزائريين كانوا في حاجة ملحة إلى تكوين معاصر لتحريك الإسلام وتمزيق ركام الجهل وضباب الخرافات، الذي خيم على ربوع الجزائر ردحا من الزمن، فكان محمد عبده الرجل الذي أوقد في أوساط المثقفين التقليديين في الجزائر شعلة الإسلام، وجسد روحه في الدعوة إلى ثورة فكرية تززع أركان الجهل وتقضي على مصادر الجمود، ذلك أنه قد دعا المسلمين للرجوع إلى بساطة الإسلام الأولى، والتأمل في ركيزتين أساسيتين للدين: القرآن والسنة، فبين أن الحقائق التي أتى بها العلم الحديث لا تتناقض والقرآن، فتمكنت بذلك حركة الإصلاح الإسلامية من أخذ جميع مكاسب العلوم بدون التنازل عن تقاليدھا الدينية، وإذا كان المثقفون المسلمون قد تأثروا بأفكار محمد عبده في الجزائر، فإن المهاجرين الجزائريين في المشرق العربي قد وجدوا المناخ مناسباً

¹ - عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان: المرجع السابق، ص28.

لإعتناق أفكار المصلحين، فساعدهم ذلك على التكوين السريع والوعي الموجه نحو ضرورة التجديد والإسلام المعاصر، فكانت دعوة محمد عبده بذلك نقطة إنطلاق لثورة التفكير الحديث¹.

أما العقبات فكانت ذات طابع سياسي حيث عرقله الإدارة الفرنسية تحرك الوسائل المكتوبة كالمجلات والجرائد والكتب، بين مصر والمناطق الإفريقية الشمالية ذات التأثير الفرنسي، ورغم المسافة الثقافية التي جعلت من السكان المغاربة بعيدين كل البعد عن الثقافة العربية الإسلامية السليمة، ولكن زيارة الشيخ محمد عبده للجزائر جعلت له أتباعاً ومؤيدين، والذي كان لهم تأثير فكري وإجتماعي كاف جعلهم يستميلون تعاطف الناس وإنضمامهم إلى النزعة الجديدة².

ظل ذوو الثقافة الغربية والرافضون لها بعيداً عن هذا المنهج السليم الذي تشبث به زعماء الفريق الإصلاحية ولم يكن الشيخ محمد عبده الوحيد الذي تأثرت بثقافته القادة السياسيين، بل غيره كثيرون أمثال: جمال الدين الأفغاني، رشيد رضا، محمد إقبال، الطنطاوي، الجوهري، فريد وجدي، مالك بن نبي، الذين كان لهم دور فعال في بعث النهضة والحركة الإصلاحية الحديثة في أنحاء العالم العربي والإسلامي رغم إختلاف مشارب كل منها³.

أما الشيخ رشيد رضا فهو من حمل لواء الإصلاح بعد موت الشيخ محمد عبده وهو أحد تلامذته وقد كان في حياة الإمام ترجمان أفكاره بإعتراف الشيخ محمد عبده، كما قام بحمل أعباء الإصلاح حين نكل عن حملها أقوام ونكل عن حملها أقلام، فكان في تسيير سفينته ذلك الربان الماهر وحرص على تطبيق مبادئه بإخلاص ووفاء، فواصل التفسير على منهاج الإمام حيث وقف، كما قام

¹ - عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية (1931م-1945م)،

المرجع السابق، ص ص 55، 57.

² - علي مراد: المرجع السابق، ص ص 21، 22.

³ - كمال العجالي: المرجع السابق، ص 37.

* - محمد رشيد رضا (1865م-1935م) ولد في القلمون بلبنان من علماء الدين الإسلامي صاحب مجلة المنار المشهورة بالقاهرة، عرف بالدعوة إلى الإصلاح ونشر تفسير القرآن على مذهب أستاذه محمد عبده، أنظر: (عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية (1931م-1945م))، المرجع السابق، ص 54.

بجمع تاريخ حياة الإمام فكان أضخم عمل استقل به فرد، وكانت له مجلة المنار التي تحوي دروس الإمام وتلك الفتاوي الجميلة، ونشر مؤلفات بعض المصلحين من القدماء مازاد به الإصلاح الحاضر تمكيناً ورسوخاً، فكانت تلك المؤلفات غذاء صالحاً للنهضة العلمية، فساهم بذلك في الإصلاح العلمي والإصلاح السياسي لقومه وبني وطنه¹.

ويبقى موقف الشعوب الإسلامية ومنبه الأفكار وعدو الإستعمار وبأذر بذور الثورة في العالم الإسلامي داعية الجامعة الإسلامية السيد محمد جمال الدين الأفغاني، والذي كان من رواد النهضة الإسلامية في الجزائر، أو الصحوة كما نسميها اليوم، فبعث الثقافة العربية بنشر أفكاره التي تأثر بها المثقفون الجزائريون².

ومن أهم الدلالات والأمارات التي لا تقبل النقاش أن أفكار الشيخ محمد عبده وتلميذه رشيد رضا قد لاقت صداها في الجزائر المحروسة، هو أنه في سنة 1904م قام مثقف من العاصمة ذو أصل قبائلي الذي يدعى محمد السعيد بن الزواوي أو "ابن زكري" كتاباً صغيراً لاشك أنه ذو أهمية من حيث غاياته حيث أوضح في الكتاب ضرورة إصلاح حال الزوايا ببلاد القبائل، وهذا دليل على ذهنية جديدة لدى المثقفين الجزائريين³.

بالإضافة إلى تأثير علماء المشرق العربي على القادة السياسيين في الجزائر، كان تأثير العلماء الجزائريين المصلحين الأوائل في هؤلاء القادة كبيراً.

تأثر جيل المصلحين والقادة السياسيين المثقفين بالثقافة العربية بالمصلحين الأوائل الذين ظهروا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ويبدو أنهم كانوا من السلفية وقد تأثروا بالحركة الإصلاحية المشرقية ومنهم: الشيخ صالح بن مهنا القسنطيني الأزهري المتوفي عام 1907م في مدينة قسنطينة، وقد لقي في سبيل دعوته الإصلاحية الوطنية، النفي والتشريد من قبل الإدارة الفرنسية وصدورت مكتبته التي

¹ - جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: المرجع السابق، ص ص34، 35.

² - عبد الكريم بوالصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائرية وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى - دراسة تاريخية وإيدولوجية

مقارنة-، المرجع السابق، ص ص56، 57.

³ - علي مراد: المرجع السابق، ص23.

لا تقدر بثمن¹، وهو عالم سلفي من رواد الحركة الإصلاحية الذين حاربوا البدع، وأرادوا التغيير الاجتماعي والفكري والثقافي في قسنطينة، علما انه ولد بقريّة "الكركرة" في نواحي القل، ونشأ في قسنطينة، قضى مدة ثلاثين سنة مدرسا وواعظا ومربيا، ينبه الناس إلى مضار البدع التي يفعلونها خصوصا ماشاع آنذاك، وهكذا اجتهد الشيخ في محاربة وثن الطرقية في الزوايا والأضرحة، وقد قام بثورة أيقظت سكان قسنطينة ضد الدراويش والخرافيين، فانتبه له الإستعمار فألقى القبض عليه بعد أن منعتة لسنوات من إلقاء الخطب².

بالإضافة إلى هؤلاء العلماء المجاهدين الذين ساهموا بقسط وافر في تجديد أمر الدين والأمة الإمام عبد القادر المجاوي، حيث ولد عبد القادر بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمان المجاوي بتلمسان وهو من عائلة عريقة في المجد والعلم سنة 1848م، تعلم بكتابها تعاليم الدين الإسلامي ثم انتقل إلى طنجة وتطاوين حيث أكمل تعليمه الإبتدائي والثانوي ثم زاول دراسته العليا في جامع القرويين بالمغرب وهو واحدا من كبار العلماء، عين مدرسا بجامع الكتاني، ثم بالمدرسة الكتانية، ثم انتقل إلى مدينة الجزائر عام 1898م، وولي التدريس في القسم العالي بالمدرسة الثعالبية وقد استقر بقسنطينة لممارسة النشاط الإصلاحي لما رآها المدينة الأنسب بذلك، ونظرا لما اتصفت به من شدة محافظتها على الدين الإسلامي ولما عرفت من وعي فكانت بذلك أحسن جهات الوطن، وقد انحصر عمله في التربية والتعليم فتهافت عليه طلاب العلم من كل الجهات، فتميز بالوعظ كما عمل على تحرير العقول من التخدير الذي طبعها وشلها من أفكار الطرقية وأعمالها المبتدعة، وقد تخرج على يديه جموع من القضاة والمترجمين والمدرسين والأئمة والوعاظ من مدرسة الثعالبية، لكن الإدارة الإستعمارية بقيت ورائه وتنقله من مكان لآخر، خوفا من إنتفاف الناس حوله حتى قيل أنه مات مسموما، حسب رواية أطفيش وهو من تلامذته، وقد ترك كتابات غاية في الأهمية بالنظر إلى مضامينها وموضوعاتها في تلك الفترة التاريخية، وكانت كلها موجهة ضد الآفات الاجتماعية والخرافات والعادات القديمة، حيث كان

¹ - عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان: المرجع السابق، ص 28.

² - عبد الرشيد زروق: المرجع السابق، ص 68، 69.

ينادي بالإصلاح الاجتماعي والتعليم واليقضة، ولم يهتم بالتأليف فقط بل كان يدعو الفئة المثقفة إلى الأخذ بالعلوم العصرية واللغات الأجنبية، وتأثر بثقافته العديد من قادة جمعية العلماء المسلمين عن طريق أحد تلاميذته وهو استاذ عبد الحميد بن باديس الشيخ محمد حمدان لونيبي¹، توفي سنة 1913م ومن أهم مؤلفاته الثقافية رسالته الشهيرة "إرشاد المتعلمين" نشرت في القاهرة عام 1877م². ومن هذا الرعيل كذلك الشيخ عبد الحليم بن سماية الذي يعتبر من أهم مؤسسي الحركة الإصلاحية في الجزائر، وكان مشهورا بشجاعته النادرة في إبداء الرأي وقول الحق مهما كان الموقف، وموقفه من قضية التجنيد الإجباري معروف، ويعد من العلماء القلائل الذين نشروا الفكرة السلفية في الجزائر عن طريق التدريس، الذي أفاد به جيل من طلاب العلم، وهو ممن اجتمعوا بالشيخ محمد عبده حين زار الجزائر سنة 1903م، وقد ذكر ذلك رشيد رضا في كتابه: "تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده"، ومن أهم مؤلفاته "فلسفة الإسلام" وفيه يعرض النظرة الإصلاحية السلفية، وهناك غيره من العلماء الذين يحملون بين جوانحهم وعيا وطنيا صادقا وفكرا جينيا صحيحا، أمثال الشيخ عمر بن قدور صاحب جريدة الفاروق الذي يعتبر من آخر أتباع الإصلاح الإسلامي المتأثرة بالشيخ محمد عبده، والأستاذ عمر راسم صاحب مجلة ذو الفقار، الذي كان يبدو عاياه التأثير الشديد بالإمام محمد عبده والشيخ جمال الدين الأفغاني هؤلاء وغيرهم ممن يمكن إعتبارهم النواة التي مهدت الطريق للحركة الإصلاحية في الجزائر التي اكتمل بنائها في مطلع العقد الرابع من القرن العشرين³.

كما لا ننسى تأثر المصلحين بثقافة وكتابات الجيل الأول من الأدباء المصلحين أمثال: أبو القاسم الحفناوي (1852م-1942م) المفتي المالكي وصاحب الكتاب الشهير "تعريف الخلف برجال السلف"^{*}، والذي درس في الجامع الكبير في الجزائر العاصمة، حيث قام بتوضيح صورة الماضي في

¹ - عبد الرشيد زروق: المرجع السابق، ص 66، 67.

² - كمال عجالي: المرجع السابق، ص 40.

³ - عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان: المرجع السابق، ص 28.

^{*} - الصادر جزؤه الأول في الجزائر سنة 1905، وأما الجزء الثاني سنة 1907م، أنظر: (كمال عجالي: المرجع السابق، ص 40).

أذهان الجزائريين وخاصة في المحافظة على التراث الثقافي، والشيخ مصطفى بن خوجة* (1865م-1915م)، والذي اهتم كثيرا بشؤون المرأة الجزائرية وبنشر أعمال المفكرين المسلمين وتحقيقها، وهو صاحب كتاب "الإكتراث بحقوق الإناث" الصادر في الجزائر عام 1897م¹.

تأثير الصحافة والنوادي الثقافية في بعث اليقظة الوطنية:

تطرقت إلى أهم رواد الإصلاح قبل جمعية العلماء في المشرق العربي وفي الجزائر، والتي أثرت في مؤسسيها ويمكن القول أن بعض الزوايا والمساجد والنوادي الفكرية، لعبت دورا هاما في التكوين الثقافي للمصلحين في الجزائر، لكنها عجزت على إعطاء روح جديدة للإسلام²، ورغم أن الإدارة الإستعمارية قامت بتعقب هؤلاء العلماء والزعماء، خاصة أولئك الذين لا يقبلون المهادنة والرضوخ، ولا يرضون ببريق الوعود الكاذبة، وكان همها الوحيد هو وضع الحواجز التي لا تسمح بدخول هذه الأفكار الواردة من المشرق العربي وانتشارها بين المواطنين، ومع ذلك ورغم الحواجز الكثيرة كانت الجرائد والمجلات العربية تتسرب إلى الجزائر، بطريق أو بآخر من مصر وبقية الدول العربية سواءا بطريقة مباشرة أو غير مباشرة³. ففي مجال الصحافة انفتح طريق الإتصال بين الجزائر وبين العالمين العربي والإسلامي، فكانت الجرائد والمجلات العربية تتسرب إلى الجزائر من مصر وغيرها من البلدان العربية الأخرى خفية أو بصورة علنية عن طريق تونس، التي كانت تتمتع نسبيا بحرية أفضل من الجزائر، وكذا عن طريق المغرب الأقصى

*- يذكر عبد القادر فضيل ومحمد الصالح رمضان أن محمد بن خوجة من مواليد 1865م وتوفي سنة 1917م ويعتبر أكثر الجزائريين تقريبا من الإمام محمد عبده، وأشدهم تأثرا بأفكاره الإصلاحية فكان يكتبه باستمرار ولم يأبه في هذا السبيل لقرار طرده من وظيفته كمدرس في أحد مساجد العاصمة إهتم ابن خوجة بالحياة الإجتماعية والأخلاقية كذلك إهتم بالإجتهد ورفض الجمود والتقليد، أنظر: (عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان: المرجع السابق، ص28).

¹ - كمال عجالي: المرجع السابق، ص40.

² - عبد الرشيد زروق: المرجع السابق، ص73.

³ - عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان: المرجع السابق، ص24.

الذي لم يكن إذ ذاك مستعمرة فرنسية أو عن طريق أوروبا، كما كانت هذه الجرائد تصل إلى الجزائر بواسطة الحجاج الذين يعودون من البقاع المقدسة بعد أداء فريضة الحج¹.

ومن أهم الجرائد والمجلات التي ساهمت بنصيب وافر في بعث اليقظة الجزائرية وأثرت على قرائها، مجلة "العروى الوثقى" التي أسسها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده بباريس، صدر أول عدد لها بتاريخ 13 مارس 1884م، والتي صدر منها 18 عدد فقط، وتوقفت عن الصدور نهائيا نتيجة محاربة الإستعمار لها، وكانت تستهدف يقظة العرب والمسلمين بصفة خاصة والمشاركة بصفة عامة، ورغم قصر عمرها فقد لعبت دورا هاما في حركة البعث العربي الإسلامي العام في العصر الحديث، وأيقضت الضمير الوطني في النفوس، وكانت هذه المجلة تتسرب إلى الجزائر عن طريق فرنسا، وكان المثقفون من الجزائريين يتهافتون على إقتنائها²، أما مجلة المنار التي كانت تصل الجزائر خفية قد ساهمت في إيصال فكرة محمد عبده إلى الجزائر وإلى غيرها من البلدان الإسلامية، وكان لها أثر بالغ في تهيئة الأجواء لإعتناق الدعوة الإصلاحية وبناء أفكارها³، وقد أسست بالقاهرة عام 1898م لصاحبها الشيخ محمد رشيد رضا كانت صحيفة أسبوعية وقد توقفت عن الصدور في عام 1935م، وبذلك ماتت بموت مؤسسها في سنة واحدة وكان هدفها نشر الإصلاحات الاجتماعية والدينية والإقتصادية، وبجانب المنار كانت جريدة "المؤيد" صدرت كصحيفة يومية عام 1889م، وتوقفت عن الصدور عام 1913م كان يصدرها الشيخ علي يوسف بالقاهرة، وكانت دعوتها مركزة أساسا حول اليقظة العامة وتصحيح الأوضاع الداخلية في البلاد العربية، ومقاومة الإستعمار والإستبداد السياسي والإنحطاط الإجتماعي، كما انتشرت في ربوع المغرب العربي⁴.

¹ - عبد الكريم بوالصفا: جمعية العلماء المسلمين الجزائرية وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى - دراسة تاريخية وإيدولوجية

مقارنة-، المرجع السابق، ص 63.

² - المرجع نفسه، ص ص 63، 64.

³ - عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان: المرجع السابق، ص 25.

⁴ - عبد الكريم بوالصفا: جمعية العلماء المسلمين الجزائرية وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى - دراسة تاريخية وإيدولوجية

مقارنة-، المرجع السابق، ص ص 64، 65.

هذا بالنسبة للجرائد والمجلات التي كان الجزائريون يقومون بإقتنائها من البلدان العربية الإسلامية وإضافة إلى ذلك كانت هناك بعض المجلات الجزائرية والتي كان لها بالغ التأثير على النخب المثقفة عامة والقادة السياسيين خاصة.

بعد سنوات من وفاة الشيخ محمد عبده تجلّى تأثيره المعنوي والديني على النخبة الجزائرية، ذات الثقافة العربية بشكل جلي في عام 1913م، ظهرت للوجود جريدة أسبوعية ذات مظهر متواضع للغاية إسمها "ذو الفقار" تيمنا بإسم سيف الرسول الذي ورثه صهره علي كرم الله وجهه، وقد صدر العدد الأول منها في 1913م كانت تدون باليد من قبل مؤلف واحد وهو ابن المنصور الصنهاجي، كان هدفها الدفاع عن السنة المحمدية ومحاربة البدع الشيطانية، كما تلتزم مبدئيا بالإبتعاد عن السياسة وعارضت فرنسة الشبيبة الإسلامية¹.

أما الدور الذي لعبته الصحافة العربية الإصلاحية في الجزائر، هو تحضير الرأي العام لتقبل الحركة الإصلاحية، ومن هذه الجرائد جريدة "الجزائر" و"ذو الفقار" للفنان التقدمي الإشتراكي عمر راسم، و"الفاروق" لعمر بن قدور، الذي تأثر بمحمد عبده فكان ينقل بعض مقالات المنار في جريدته، و"الإقدام" للأمير خالد، و"المنتقد" ثم "الشهاب" لعبد الحميد بن باديس، و"الجزائر" للزاهري، و"صدى الصحراء" ثم "الإصلاح" للطيب العقبي، و"وادي ميزاب" ثم "ميزاب" لأبي يقضان²، وغيرها من المجلات التي كان لها دور إصلاحي كبير في الأوساط الجزائرية بدءا بالقادة السياسيين إلى باقي أفراد المجتمع.

ومن بين هذه الجرائد جريدة الرسام الكبير الأستاذ عمر راسم "الجزائر" والتي صدرت عام 1908م ولكن السلطات الفرنسية سارعت إلى وقفها بعد صدور عددين منها، ثم عادت للصدور سنة 1911م، وكانت تسعى لتوعية الجزائريين وتثقيفهم وتعليمهم وإطلاعهم على مايجري في الخارج، ومن

¹ - علي مراد: المرجع السابق، ص24.

² - أحمد الخطيب: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، ص91، 92.

هذه الجرائد أيضا صحيفة "المغرب" التي صدرت عام 1903م وتوقفت عام 1913م، وهي جريدة كانت تصدر بالقلم العربي ذات إتجاه قومي وإسلامي¹.

أما جريدة "الفاروق" والتي صدرت عام 1913م فقد كانت دورية أسبوعية إسلامية، وطنية، تربوية، أخلاقية، إقتصادية وإجتماعية، وإنطلاقا من عام 1921م أصبحت المجلة تتباهى بكونها منبرا حرا لكتاب المذهب الإصلاحية.

ساهمت الصحافة الإسلامية رغم أنها كانت محتشمة وذات سحب محدود جدا، بنشر المصطلحات والمفاهيم الأساسية للحركة الإصلاحية، وطرحت المجالات بشكل واضح وصريح مسائل هامة مثل نقد السلوكات ومكافحة البدع والخرافات وإنحلال الأخلاق أمام الرأي العام الإسلامي، وصل التطور الديني والثقافي الذي شرع فيه جمال الدين الأفغاني ثم محمد عبده، والذي امتد إلى الجزائر في العقد الثاني من القرن العشرين، وأخذت فكرة الإصلاح الأخلاقي والديني الضروري تتكيف في الجزائر، وقد عجلت الحرب العالمية الأولى بانتشار الوعي الثقافي والديني في آن واحد².

تعتبر النوادي والجمعيات الثقافية وليدة القرن العشرين في الجزائر وقد كانت في البداية مختلطة أهلية-فرنسية، أما تاريخ بداية ظهور هذه الجمعيات فيعود إلى سنة 1897م، وكانت أولها هي الجمعية التعاونية في الجزائر العاصمة تحت رئاسة السيد علي الشريف، لكنها حلت لعدم مبالاة مجلسها الإداري وبقية أعضائه، أما الجمعية الحقيقية فهي الرشيدية وهي جمعية ودادية لقدماء تلاميذ المدارس العربية والفرنسية أسست عام 1902م، فكانت الدروس والمحاضرات تعطى باللغتين العربية والفرنسية، وهي مفتوحة على روح العصر فتنوعت مواضيع محاضرات روادها (أدب، قانون، سياسة، علوم..)، ومن أهم محاضريها بن سماية والمجاوي وبن التهامي، وسبب نجاح هذه الجمعية هو عدم وجود جمعيات منافسة لها فقامت بتوسيع نشاطها إلى عدة فروع.

¹ - عبد الكريم بوالصفا: جمعية العلماء المسلمين الجزائرية وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى -دراسة تاريخية وإيديولوجية مقارنة-، المرجع السابق، ص 64.

² -علي مراد: المرجع السابق، ص ص 40، 41.

والجدول أدناه يمثل أهم المحاضرين في الجمعية الرشيدية¹.

اللغة	المحاضر	عنوان المحاضرة
العربية	إبراهيم فاتح	حسن التعليم وفوائده
الفرنسية	الحكيم بلقاسم بن التهامي	السل الرئوي
الفرنسية	الضابط لوجلاي	آلات الحرب الحديثة وقوة فرنسا العسكرية
العربية	الشيخ عبد الحليم بن سماية	الأدب العربي
العربية	القاضي عبد الرزاق الأشرف	النظام الشرعي في الجزائر
العربية	الشيخ محمد السعيد بن زكري	الإسلام يسمح بدراسة اللغات والعلوم
العربية	الشيخ عبد القادر المجاوي	حضارة العرب قبل الإسلام وبعده
الفرنسية	شارل دي جلان	الفن العربي
العربية	المحامي بن الحاج	النظام السياسي الفرنسي
العربية	المعلم حاج عمر قندوز	إختصاصات النور وتطبيقها

الملاحظ من الجدول أعلاه أن موضوعات المحاضرات التي كانت تلقى في هذه الجمعية مفيدة وثقافية بالدرجة الأولى، تقوم بنشر الوعي في أوساط المجتمع وهذا ما أخذته النخبة المثقفة، فساهمت بشكل واضح وصريح في التكوين الثقافي للقادة السياسيين.

وينطبق ذلك على نادي صالح باي الذي أسس سنة 1907م بقسنطينة، وهذا النادي عبارة عن ملتقى للدراسات الأدبية والعلمية والإقتصادية والإجتماعية، ومجال مفتوح لإلقاء المحاضرات والدروس، وكان يشرف على هذا النادي مجموعة من النخبة والأعيان أمثال: المولود بن موهوب، ومصطفى باش تارزي، ومحمد بن باديس، بالإضافة إلى الجمعية التوفيقية التي تأسست عام 1908م وترأسها بن تهامي وغيرها، هذه النوادي والجمعيات كانت تلقى فيها محاضرات تحاكي تطورات العالم

¹ - أحمد صاري: المرجع السابق، ص 108، 110.

الخارجي، وبذلك قضت على العزلة التي كان يعاني منها الجزائري المسلم، وقد ساهمت في ظهور الصحافة واليقظة الوطنية.

بالإضافة إلى نادي الترقّي الذي كان له دور أساسي في تبلور أفكار المثقفين والقادة السياسيين وظهور الحركة الوطنية، حيث شكل منارة ثقافية ومركز إشعاع حضاري ذو بعد عربي-إسلامي¹. لقد كان المثقفون باللغة العربية، فكان لهم إرتباط وثيق بالنهضة العربية والإسلامية، حيث كانت عقيدة هذا التيار ترتكز أساسا على الإسلام والعروبة، ومن الناحية النظرية نجد في عقيدتهم روحا وطنية واضحة، أما في الميدان العلمي فقد كانت تعلن إبتعادها عن السياسة كما كان يحتم عليها ذلك القانون الفرنسي².

المبحث الثاني:

تأثير الثقافة الفرنسية الغربية على القادة السياسيين

كان التعليم في الجزائر ذو الطابع الثنائي المتعارض، وليس الطابع المتكامل بين الفرنسية والعربية وكان من الملحوظ أنه لم يتكيف كما وكيفا، ولم يستجيب لمتطلبات التعليم الحقيقي، وعلى الرغم من أن المدرسة الفرنسية جاءت بنوع من التفتح على الخارج ونوعا من التقنية، إلا أن ما أتت به تشوه بسبب فكرة الإندماج، وذلك لأنهم أرادوا إنشاء مواطن مفرنس ومتدبدب بين الثقافتين العربية والفرنسية، فلا يعرف نفسه وسط المجتمع المستعمر، ولا يملك نفس الصفة التي يملكها، وكان يمثل هذا النوع في شكله الأكثر تقدما في فئة الأنتلجنسيا الجديدة والذي كان أغلبهم من الشباب الجزائري والمنتخبين³.

ولهذا ستكون إشكالية المبحث الثاني: كيف كان تأثير الثقافة الفرنسية الغربية على النخبة

المثقفة وخاصة القادة السياسيين؟

¹ - أحمد صاري: المرجع السابق، ص ص111، 116.

² - الجندي خليفة: المرجع السابق، ص181.

³ - أحمد مهساس: المرجع السابق، ص72.

التعليم الفرنسي وأثره على النخبة السياسية:

مهما كانت حدود تدرّس المسلمين، فإنه يبدو من الصعب نكران تأثير الثقافة الفرنسية في النخبة الجزائرية، فقد ساعد عالم المدرسة على إعطاء صورة مثالية لفرنسا، وقد كتب فرحات عباس في هذا السياق قائلاً: "كانت كتبنا تصور فرنسا كرمز للحرية. وكنا ننسى في المدرسة جراح الشارع وبؤس الدواوير لنسير مع رجال الثورة الفرنسيين، وجنود السنة الثانية (للثورة الفرنسية) في شوارع التاريخ الكبرى"، وإذا كانت المدرسة والجامعة الفرنسيّتان قد صنعنا مثقفين خجلين من عادات وتقاليدهم، فقد أحييت لديهم كذلك أمزجة من العزة، إذ أن أخذ الثقافة أجنبية لا يعني الإندماج فيها، فالتاريخ الفرنسي مثل أدبها يعلمان حسنات الحرية والمقاومة الوطنية أكثر مما يتغنيان بحسنات الأدب والخضوع¹.

أما عن تكوين النخبة، فالجدول التالي يبين النخبة الجزائرية ذات التكوين الفرنسي²:

354 محامي أو محامي مكلف	النخبة الجزائرية ذات التكوين الفرنسي
28 مهندس أو مایعاده	
185 معلم في الثانوي	
165 طبيب صيدلي وطبيب أسنان	

¹ - شارل روبير آجرون: تاريخ الجزائر المعاصرة، المصدر السابق، ص 883.

² - أحمد مهساس: المرجع السابق، ص 70.

وحسب مؤرخ آخر، كان الجدول التالي¹:

300	المهن الحرة والتعليم
20 إلى 25	الموظفون والإطارات السامية
12	المهندسون... (من بينهم 2 تقنيين)
100	الضباط
6	القضاة

لقد تبين لنا أن فرنسا كانت تريد أن تصنع من المدرسة نخبة تخدم مصالحها على حساب المجتمع الذي تنتمي إليه، كما أنها كانت تسعى من جهة أخرى أن تجعل من النخبة التي صنعتها جسر أو همزة وصل بين إدارتها الإستعمارية والأهالي، الذي مازال يقاوم ويقاوم إلى أن يسترجع ما انتزع منه بالقوة والمكر والخديعة. ومازالت المدرسة الفرنسية تلك المؤسسة الإستعمارية التي لا تختلف في تعاملها مع الأطفال الجزائريين، عن بقية الأجهزة الأخرى، لقد لاحظ سادة الإستعمار الفرنسي في الجزائر أن أبناء الجزائريين متفوقون على أبناء الشعوب الأوروبية الأخرى المتواجدين في الجزائر، فكانت تعاملهم على أساس عنصري، ولم تكن تسمح لهم أن يسبقوا أبناء الفرنسيين في الترتيب ووضعت لهم قانونا خاصا بهم وبالشهادات التي يحصلون عليها فأعلى شهادة يحصلون عليها هي الشهادة الابتدائية². كما فرض على أبناء الجزائريين للنجاح أن يحصلوا على المعدلات في كل المواد، ويذكر فرحات عباس عن تحصيل النخبة المثقفة بالثقافة الفرنسية ومن بينهم بعض القادة السياسيين: "أنا دعينا إلى تحصيل معارف في لغة ليست هي لغة طفولتنا، حيث أن اللغة الفرنسية لم تكن قد دخلت بيوت المسلمين بعد. ومن الطبيعي أن تقابلنا صعوبات لم يكن رفاقنا الفرنسيون يلقونها، لقد كانت المدرسة الأهلية تبحث بجد عن دواء لهذه الوضعية، ولكنها لم تتمكن من الوصول إلى ذلك. كان التلميذ يتحدث لغته خارج فصله، ويتحدث بها في ساحة المدرسة وفي الشارع ومع عائلته، وكان التلميذ

¹ - أحمد مهساس: المرجع السابق، ص70.

² - مجلة المعيار: المرجع السابق، ص74.

الأهلي إذا لم يتمكن من العناصر الأولى للغة الفرنسية، فإن تعليمه لأي مادة أخرى يبقى بالنسبة إليه عديم الجدوى وهنا ضياع وقت معتبر، لنفكر لحظة واحدة في السن الذي يبدأ فيه الطفل الأهلي دراسته، إن هذه السن تتراوح بين ثماني سنوات وإثنا عشر سنة، وهو الوقت الذي يجتاز فيه الطفل الفرنسي شهادة الدروس الابتدائية، يضاف إلى هذه النقائص المتعددة من جهل الأولياء حيث أن المساعدة والتوجيه اللذين يتلقاهما صغار فرنسيين من ذويهم لا وجود لهما بتاتا لتلميذ الأهلي، فليس له إلا معلمه، وبالرغم من هذا فقد توصلنا إلى أن نكون تلاميذ متوسطين. لقد عثرت في الكشف الفصلي على ملاحظات ذات مغزى مثل: نتيجة مرضية جدا، له معارف أدبية، نضج فكري، مؤكد أنه سينجح.

أما في الكلية كان من بين الخمسين طالبا من المسلمين ستة رفاق، تحصلوا على شهادات الدراسات العليا في الرياضيات العامة، وفي الفيزياء العامة، وحساب التكامل والتفاضل، والفلك. ويوجد هؤلاء الطلبة اليوم في باريس لإعداد شهادة التبريز، إن هذه النسبة هي أفضل رد يمكن أن نرد به، غير أننا لم نكن إلا خمسين طالبا فلو أن الإستعمار أراد لكنا خمسة آلاف من بينهم ستمائة في العلوم الدقيقة، حتى أن الدراسة الثانوية التي هي قاعدة التعليم العالي لا يمكن الدخول إليها إلا لعدد قليل من أبناء الأغنياء أو لمن يحصلون على منحة.

أما عن رأي الأساتذة الأوروبيين حول هؤلاء المثقفين، فقد كتب لوي برتران (Loy Bertrane)¹ أحد الأساتذة في ثانوية الجزائر، مرافعة في جريدة الفيكاروا بعنوان "إعتذارات إلى الأفارقة" يوم 19 أوت 1926م، ويقصد بالأفارقة هنا المستوطنين في الجزائر، وهنا قد وضع تلامذته من الأهليين في وضع حرج. فقد سمحت له المستعمرة الأروبية أن يسخر من تطور الشعوب ومن الشعب الجزائري المسلم حيث يقول: "يكون لدى القادم الجديد إلى الجزائر يقين أن هذا التطور الجميل قد بدأ في المقابل في طريقه شبانا من الأهالي ذوي السنة طلقة وجريئة، هي نتاج مدارسنا الابتدائية بل نتاج ثانوياتنا وكلياتنا، ويحدث أن يأخذ هؤلاء الماجنون والأطفال الماكرون بعقل هذا الرجل عندما يسردون

¹ - فرحات عباس: المصدر السابق، ص ص 67، 65.

عليه مقاطع بأكملها من مآثورات فرنسية هي ذكرى من دروس كانوا قد حفظوها على المقاعد الدراسية، وكان بمقدورهم أن يأتوا بمقاطع بأكملها قد تكون طويلة أو قصيرة من مصنف كلاسيكياتنا القديم،¹ ويضيف نفس الكاتب في مرافته أنه لاطالما كانت المقاهي الأهلية هي بؤر الثقافة العالية حيث كانت أماكن لتجمع الأهالي، يقرؤون المجلات الفرنسية والروايات والمسرحيات والإطلاع على أحكام النقاد فيها¹.

كانت المدرسة الفرنسية تعنى في تدريسها باللغة الفرنسية، وتاريخ فرنسا وجغرافيتها، وتراجم رجالها، أما ما يدرس لهم من التاريخ العربي الإسلامي فلا تعدو أن تكون صوراً الهدف منها تحقير الماضي، والخط من قيمة أبطال العرب والإسلام²، حيث أراد المستوطنون والإدارة أن يفصلوا هذه النخبة بكل ما لها من صلة عائلية ودينية ولكنهم لم يفلحوا في ذلك³.

أفرز إنتشار التعليم الفرنسي في الأوساط الإجتماعية، موقفين أحدهما مؤيد والآخر معارض، فاعتبر المؤيدون أن هذه السياسة هي عبارة عن وسيلة للإندماج والتحكم في المجتمع الجزائري، أما الراضون فيؤكدون على الخطر الذي يحدق بالفرنسيين بعد فتح التعليم أمام الجزائريين، وذلك بتكوين أفواج من الوطنيين الذين سيؤثرون لاحقاً على السيادة الفرنسية⁴.

وهناك نقطة أخرى تطرق لها فرحات عباس في كتابه "الشباب الجزائري" وهي الوفاق والصدقة بين الأهلي والأوروبي ممن يتكلمون لغة واحدة (الفرنسية)، هو الدليل القاطع على أن المتعلمين المسلمين يعتبرون في نظر إخوانهم مساوين لهم، أو أعلى درجة منهم على حسب تعلم هؤلاء وأولئك، إن الجمهور سيقول معي إن هذه الملاحظة التي أخذت من الواقع الحي، هي أصدق من ذلك النثر ذي القيمة الأدبية التي لاجدال حولها الذي ذكره لوي برتران⁵.

¹ - فرحات عباس: المصدر السابق، ص 66.

² - كمال عجالي: المرجع السابق، ص 16.

³ - علي تابليت: المرجع السابق، ص 21.

⁴ - جيلالي صاري: المرجع السابق، ص 266.

⁵ - فرحات عباس: المصدر السابق، ص 66.

ولهذا يبقى القول الذي قالته لافريك لاتين¹ (L'afrique Latin) "أن المسلم الجزائري وسخ وكسول ونوعيته سيئة، فلماذا نجده؟"، وهنا يظهر التناقض في الأفكار وهو دليل واضح على الإعتماد الكلي على العنصر الأهلي، وخاصة منها النخبة المثقفة بالثقافة الفرنسية.

ولهذا يصف الكاتب الفرنسي الاشتراكي جون جوريس (Jhon Joriss)² النخبة المثقفة ثقافة

فرنسية، أنهم نخبة ضائعة بين الحضارتين العربية والأوروبية، ويقال إنه قال عنهم: "إننا مزقنا الشبان الجزائريين بين حضارتين، وسرعان ما فقدوا الإتصال بحضارتهم ولكنهم غير قادرين على الدخول في حضارتنا إلا بصعوبة..."، ويضيف أن هذه الجماعة لم "يتبينوا أفكار الغرب ووسائل عيشه وطريقته في العمل... وثقافته وتعليمه فقط، بل أيضا أرادوا أن يحولوا المجتمع الجزائري إلى مجتمع أروبي".

علاوة على ذلك ونظرا لتعليمهم، فقد شعروا بأنهم لا ينتمون إلى بقية المجتمع الذي كان غريبا عنهم، لقد كانوا يشعرون بعقدة الكمال بالنظر إلى المجتمع الفرنسي وبعقدة النقص بالنظر إلى المجتمع الجزائري، ونتيجة لذلك ضاعوا كما قال جوريس بين المجتمعين³.

كانت وظيفة التعليم إندماجية من أجل إيجاد نخبة تقوم عمل الوسيط بين السلطات الإستعمارية والأهالي، لكن ليس لتحسين مستواهم المعيشي والثقافي، بل لتدعيم السيطرة الإستعمارية⁴. بعد أن تبين أن فتح جامعة الجزائر أمام الأهالي، لم يكن موجها سوى لخلق وهم المساواة وترقية الأهالي، وتكوين النخبة الإستعمارية وهذا مادعى بعض الجزائريين إلى الهجرة نحو الجامعات الفرنسية بحثا عن وسط لا يقيم تمييزا بين الذين يطلبونه على أساس العرق، أو الدين، أو الوضعية الإجتماعية، وأكد ذلك أحد الطلبة الجزائريين وهو إبراهيم بن عبد الله، ويرى فرحات عباس أن التعليم العصري في

¹ - المصدر نفسه، ص 48.

² - عبد الرشيد زروق: المرجع السابق، ص 61.

³ - المكان نفسه.

⁴ - أعمال الملتقى الوطني حول الهجرة الجزائرية: المرجع السابق، ص 133.

المدارس وما يتضمنه من قراءة الكتب حول الحضارة العالمية هو أداة لتكوين ثقافة عالمية، تسمح بتحرير الإنسان الجزائري وتوفير له شروط التكفل بمصيره بنفسه¹.

وحسب رأي قي برفيلي (Guy Pérvillé)² أن الطلبة الجزائريين المهاجرين بفرنسا كانت لهم مساهمة في الحركة الوطنية وكذا الثورة التحريرية رغم مشاركتهم المتأخرة لأن منهم من بقي لفترة طويلة متمسكا بفكرة أن الجزائر فرنسية أو الجزائر الفرنكوإسلامية، أو كما ذكر عمر كارليي³ في بحث حول الهجرات والحياة الجموعية بين التعبئة والمشاركة حيث وصف مشاركة النخبة المثقفة والطلبة الجزائريين بالتنوع والتعلق بفكرة الاندماج الجمهوري.

لقد أخرجت المدارس الفرنسية جيلا من المثقفين لا يمكن أن ينكر دورهم في بعث وميلاد الحركة الوطنية الجزائرية في مطلع القرن العشرين، وذلك رغم اختلاف تخصصاتهم وميولهم، وأفكارهم واتجاهاتهم ومستوياتهم العلمية والفكرية، فهم أطباء وصيادلة ومحامون وأساتذة ومعلمون وصحافيون وكبار التجار، وقدماء المحاربين ومن أمثلتهم: الأمير خالد، والصادق دندان، وبلقاسم التهامي، وآخرهم ابن جلول، وعباس فرحات... وغيرهم⁴.

مما سبق يتبين أن أنتلجانسيا جزائرية جديدة تميزت بميزتين أساسيتين نشأتا في إحدى سلسلتي النظام المدرسي الإستعماري، وهي المدرسة الفرنسية أو المعاهد الإسلامية العليا، ونادرا كانت في المدارس الحرة، وشغلت مجموعة من الوظائف الهامة لحسن سير جهاز الدولة الإستعمارية، وتمثلت في أربع فئات وهي: الأطباء، الأساتذة، القضاة والأئمة، وأخيرا الجيش، وقد يبدو غريبا للوهلة الأولى أن يكون الجيش الفرنسي منجما هاما للمثقفين الجزائريين بالثقافة الفرنسية.

¹ - أعمال الملتقى الوطني حول الهجرة الجزائرية: المرجع السابق، ص 144، 146.

² - جيلالي صاري: المرجع السابق، ص 267.

³ - المكان نفسه.

⁴ - يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 12.

إن العسكريين الجزائريين النظاميين الذين خدموا في الجيش الفرنسي كانوا في الواقع في قلب النظام القمعي الإستعماري، وعلى هذا الأساس أرغموا على تبعية للسلطة الإستعمارية، لاسيما وأنهم ليسوا فقط رعايا سلبين للهيمنة الإستعمارية، بل أداة نشيطة للدفاع عن الإمبراطورية الفرنسية ونشرها في فرنسا وألمانيا والبلقان خلال الحرب العالمية الأولى، وإنما أيضا في المغرب وسوريا، إلا أن هذا الإرتباط العضوي للعسكريين الجزائريين بالسلطة الإستعمارية، لم يكن له تأثير سياسي ثقافي أحادي مكون من صمت وخضوع بل كان حافزا للظهور غداة الحرب العالمية الأولى¹.

ثقافة بقية أفراد النخبة السياسية:

يمكن القول أن مسألة الثقافة في بلد ترتفع فيه نسبة الأمية، لم يكن مناسبا ولزمن غير قصير لظهور مثقفين قادرين على المساعدة وتقبل الحداثة السياسية بعمق، والتي تعتبر أساسا ميزة لكل مكونات الحركة الوطنية بما فيها النخبة، تأتي من صفوف المتعلمين باللغة العربية أو اللغة الفرنسية. أما بخصوص الحركة الشيوعية، فإن سريان أفكارها كان في كل الفترة الإستعمارية بواسطة فرنسيين من فرنسا أو من أروبيين مقيمين بالجزائر².

المبحث الثالث:

قادة الحركة الوطنية بين القيم الوطنية والتأثيرات الفرنسية

اتبعت فرنسا سياسة التجهيل، لأنها أدركت أن الشعب الجاهل لا يمكنه الحصول على استقلاله من أعدائه، كما أنه عاجز عمليا عن المحافظة عليه بعد تحقيقه، لأنه لا يستطيع تقدير الإستقلال حق قدره، فقد اتخذوا من المدرسة أداة رئيسة لمحاربة الإستعمار³، كما قامت فرنسا بمحاولة نشر الثقافة

¹ - عبد القادر جغلول: الإستعمار والصراعات الثقافية، المرجع السابق، ص 99، 101.

² - أعمال الملتقى الوطني حول الهجرة الجزائرية: المرجع السابق، ص 24.

³ - عبد الكريم بوالصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائرية وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى، المرجع السابق، ص 301.

الفرنسية لتكوين طبقة موالية لها ومحو الثقافة العربية، ولهذا يتكون إشكالية المبحث: كيف تأثر قادة الحركة الوطنية بالقيم الوطنية؟ وماهي التأثيرات الفرنسية على هؤلاء القادة؟

احتضنت الزوايا، والمساجد، والمدارس، والكتاتيب القرآنية، الثقافة العربية الإسلامية وذويها ومريديها وآوت الساعين لها والباحثين عنها، ونشرت الفكر والثقافة والتعليم في كل أنحاء الجزائر، وأنفقت بسخاء من أجلها وفي سبيلها الأموال الطائلة والجهود المتواصلة، التي لا يمكن لأحد أن ينكرها أو يحدد آثارها الحسنة، في ظهور جيل من الرواد المثقفين الذين حملوا على عاتقهم، لواء حفظ وحماية الوجه العربي الإسلامي لهذه البلاد وأهلها، ضد سياسة الفرنسة والتنصير التي حاولت الإدارة الإستعمارية أن تطبقها لتمسح البلاد وأهلها، وتاريخها وحضارتها العريقة والمشرقة، وخير مثلا لهذا الجيل من الرواد الإصلاح: والشيخ البشير الإبراهيمي، الشيخ الطيب العقبي، والشيخ عبد الحميد بن سماية، والشيخ حمدان لونيسي وعبد القادر المجاوي وغيرهم¹.

كما كان لهذا التعليم فضل كبير في الحفاظ على القرآن والعربية من الضياع والنسيان والتلاشي، رغم بساطة ذلك التعليم وتقليدية منهجه².

زيادة على ذلك نجد تأثر القادة السياسيين بالسلف الصالح، حيث يمكن القول أنه لولا عبد القادر المجاوي وزملائه، لما وجد عبد الحميد بن باديس ورفاقه المصلحون ذلك الجو الذي يساعده على التكوين في مجال الإصلاح، فخطوا فيه خطوات ثابتة وناجحة نحو التغيير، وإستكمال طريق الجهاد الكامل والشامل والطويل والشاق³، وكما يقول ابن باديس⁴: "قمنا بالدعوة إلى ما كان عليه السلف الصالح من التمسك بالقرآن الشريف، والصحيح من السنة الشريفة"، وقد قام القائمون بتلك الدعوة رغم ما يلاقونه من مصاعب، وما أقحم في طريقهم من وضع الذين شبوا على ما وجدوا عليه آباءهم

¹ - يحي بوعزيز: الإتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه (1912م-1948م)، المرجع السابق، ص 11.

² - كمال عجالي: المرجع السابق، ص 16.

³ - عبد الرشيد زروق: المرجع السابق، ص 73.

⁴ - أنور الجنيدي: المرجع السابق، ص 42.

من البدع والخرافات التي ألصقت بالدين من قبل المغرضين وأعداء الإسلام، فنشروا الثقافة العربية الإسلامية وتقاليد الدين الإسلامي الحنيف¹.

ومن هؤلاء الذين تأثروا بالقيم الوطنية نذكر أهم القادة السياسيين من التيار الإصلاحية، الذين ساندوا الشيخ عبد الحميد بن باديس، الذي كان كبيرا بنفسه عملاقا بإخوانه، فالتفت حوله مجموعة من كبار العلماء كلهم ذوو فضل وسعة علم، وكلهم يحملون في أعماقهم إيمانا راسخا وإسلاما صادقا وحماسا فياضا لا حدود له لخدمة أهداف جمعية العلماء (الإسلام، العروبة، الجزائر)².

ومن هؤلاء الشيخ البشير الإبراهيمي الذي طبع زمانه إلى جانب رجال عظماء آخرين أمثال: العربي التبسي، مبارك الملي... وغيرهم³.

البشير الإبراهيمي: نشأ في عائلة توارث أفرادها العلم أبا عن جد منذ أكثر من خمسة قرون⁴، وكان يقصدها طلاب العلم من مختلف أنحاء البلاد، فتكفل بإيوائهم وتعليمهم، فكسبت هذه العائلة مكانة كبيرة وسط القبائل والعشائر، فكانت تحل النزاعات التي تنشأ بين هذه القبائل كما تقوم بالإفتاء في القضايا الدينية⁵، وفي ظل هذا الجو العائلي المحفز تلقى البشير الإبراهيمي تعليمه الأول على يد والده⁶، وعمه محمد المكي الإبراهيمي علوم العربية ومقدمات الأصول الفقهية من منطق وبيان⁷، ويقول

¹ - أنور الجنيدي: المرجع السابق، ص42.

² - بسام العسيلي: المرجع السابق، ص144.

³ - بوعلام بسايح: أعلام المقاومة الجزائرية ضد الإحتلال الفرنسي بالسيف والقلم 1830م-1954م، صدر عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007م، ص272.

⁴ - محمد البشير الإبراهيمي: في قلب المعركة (1954م-1964م)، جمع وتقديم: أبو القاسم سعد الله، ط1، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر: 1994م، ص90.

⁵ - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام الإبراهيمي، ج5، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت: 1997م، ص189.

⁶ - أحمد الخطيب: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المرجع السابق، ص148.

⁷ - تركي رابح عمامرة: المرجع السابق، ص199.

الإبراهيمي¹ نفسه: "بدأت حفظ القرآن الكريم في الثالثة من عمري على التقليد المتبع في بيتنا الشائع في بلدنا، وكان الذي يعلمنا الكتابة ويلقننا حفظ القرآن جماعة من أقاربنا ويشرف علينا إشرافا عاليا عالم البيت بل الوطن كله في ذلك الزمان هو عمي، شقيق والدي الأصغر الشيخ محمد المكي الإبراهيمي رحمه الله، وكان حامل لواء الفنون العربية بغير منازع، من نحوها وصرفها وإشتقاقها ولغتها، أخذ كل ذلك عن البقية الصالحة من علماء هذه الفنون بأقليمنا، منهم العلامة المتقن الشيخ ربيع البعلاوي ومنهم الشيخ محمد أبو القاسم البوحليلي، ومنهم العلامة الشيخ محمد أبو جمعة القلي خاتمة المتبحرين في العربية والفقهاء، ويضيف أيضا: "ولم يكن هؤلاء العلماء رحلوا إلى الأمصار الكبرى ذات الجامعات العلمية التاريخية كفاس وتونس والقاهرة، وإنما كانوا يتوارثون العلوم الإسلامية طبقة عن طبقة إلى الأجيال المتخرجة من مدن العلم الموجودة بوطننا كبجاية وقلعة بني حماد وكتلتها قريية من موطننا، وكتلتها كانت منارة العلم ومهجرا لطلابيه، ومطلعا لشموسه"².

وقد إكتشف عمه مواهبه المبكرة، وكان له الفضل الأكبر في تكوينه حتى جعله ساعده الأيمن في تعليم الطلبة، وفي هذه المرحلة المبكرة من حياة الشيخ الإبراهيمي، لم نعر على آثار تذكر بإستثناء بعض الرسائل الإخوانية³، وقد بدأ التدريس وعمره لا يتجاوز الرابع عشر، ولما توفي عمه واصل الإبراهيمي التدريس ماتعلمه منه إلى غاية إجتيازه سن العشرين⁴، وفي سنة 1911م غادر الجزائر مثل أغلب الشبان الجزائريين الذين كانوا يفرون من الخدمة العسكرية ملتحقا بوالده، الذي كان قد سبقه للحجاز عام 1908م، حيث استقر هناك وفي طريقه مر بالقاهرة فتعرف على بعض أدبائها ومفكرها، وفي المدينة المنورة تابع تعليمه الديني والأدبي، وخلال وجوده بها تعرف على عبد الحميد بن باديس

¹ - محمد العربي الزبيري: المثقفون الجزائريون والثورة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، المؤسسة الوطنية للإتصال والنشر والإشهار، الجزائر: 1995م، ص ص: 76، 77.

² - محمد العربي الزبيري: المثقفون الجزائريون والثورة، المرجع السابق، ص 77.

³ - محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، "عيون البصائر" (مجموع المقالات التي كتبها في إفتتاحية لجريدة البصائر الخاصة)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر: دت، ص 9.

⁴ - محمد البشير الإبراهيمي: في قلب المعركة (1954م-1964م)، المصدر السابق، ص 92.

الذي زارها عام 1913م، وهناك تطرقوا إلى فكرة الإصلاح في الجزائر لأول مرة وفي عام 1916م، غادر الإبراهيمي الحجاز إلى دمشق، واشتغل بالتدريس في المدرسة السلطانية وألقى دروس ومواعظ في المسجد الأموي¹.

كما اكتشف في رحلته إلى المدينة المنورة فكر جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، وارتبط بالأوساط الأكثر إستلهاما لفكر رشيد رضا²، واستوعب فور وصوله إلى بلاد الشام كتب شيخي الإسلام ابن تيمية وابن القيم، واطلع على تاريخ الحروب التي شنّها العلماء في ذلك العصر والمتأثرون بمذاهب السنة ودعاة الإصلاح، كما اطلع في ذلك على مؤلفات شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وتاريخ دعوته وما صاحبها من إنكار المنكرين³، وأثناء عودته إلى الجزائر مر بتونس ولاحظ الحياة السياسية فيها والجمود الثقافي الذي كان يعاني منه جامع الزيتونة⁴.

وبعد عودته إلى الجزائر عمل كأستاذ في الحديث والتفسير واللغة العربية وأدبها يجمع بين الأصيل والجديد، وقد كان في أسلوبه الخطابي معجبا بروائع البلاغة العربية متعشقا لآثار الفطاحل المبدعين في العصور النيرة من الجاحظ إلى ابن خلدون، وكان مع هذا كله قدوة في سهولة المعاملة والإتصال بشوشا مرحا في مجالسه واسع الصدر في ممارسة المسؤوليات متفجر الحيوية في أنشطته الثقافية كاتباً وخطيباً وصحافياً وأستاذا وإماماً، وقد تميز الإبراهيمي بثقافة عصرية فقد سأل ابنه في إحدى الليالي عام 1948م الذي كان بقسم الفلسفة في خاتمة التعليم الثانوي عن آخر درس تلقاه في علم النفس، فأخذ رأس الموضوع وشرح له آراء وليم جيمس (Wiliam James) أحد مؤسسي المذهب العملي البراجماتي وتحدث عن الكثير من مفكري الغرب مثل داروين (Darwin) وجون لوك (Jhon Look)⁵.

¹- أحمد الخطيب: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المرجع السابق، ص 149.

²- علي مراد: المرجع السابق، ص 102.

³- جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية: الشيخ محمد البشير الإبراهيمي العلامة المصلح والداعية الأديب، المرجع السابق، ص 27.

⁴- علي مراد: المرجع السابق، ص 102.

⁵- محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، "عيون البصائر"، المرجع السابق، ص 18.

كما ورث الشيخ النزعة السلفية من أسلافه، فقد كان بيته بيت علم منذ ثلاثة قرون، ونبغ من هذا البيت عدة علماء في الحقبة المذكورة، وكانوا مرجعا في الفتوى والأحكام والتعليم للقبائل المجاورة وجرى علماء البيت كلهم على حرب البدع والتشدد والنكار على أهلها وإقامة السنن الثابتة في خاصتهم وفي أتباعهم، ولهم مواقف مشهورة إقامة النكير على ضلالات العقائد وعلى أوهام مشايخ الطرق.

وإن كان علماء هذا البيت يرجعون في الفروع إلى مذهب مالك السائد في شمال إفريقيا، وكانوا قائمين متبحرين في الفرعيات ومذهب مالك مبني على أثر أهل المدينة كما هو معلوم، ولذلك فهو يزرع في مقلديه حب الأثر والرجوع إليه، يظهر ذلك جليا في سيرة أئمة من فقهاء الأندلس والقيروان والحجاز والعراق، فاتبع أجداد الشيخ هذا المشرب، وإن لم يكن لهم توسع في علوم الحديث ورواياته، ولكنهم كانوا متأثرين بالسنن العملية، عاملين واقفين على حدودها، ومنكرين على مخالفيها، هذا السبب الأصيل في تأثير الشيخ بالسلفية¹.

لم يكن الشيخ محمد البشير الإبراهيمي مجهولا يوم بدأ حياة الجهاد في الجزائر، لقد كان ماضيه الحافل بجلال الأعمال يتقدم عليه ويسبقه، لقد عرفته عواصم العالم العربي الإسلامي من قبل في تونس ومصر وبلاد الشام، مجاهدا بالكلمة الصادقة والعلم الصحيح والإيمان العميق قبل كل شيء، وقد ذكر عنه أحد تلامذته: "أعجبنا في الشيخ سعة علمه وقوة ذاكرته وإستقامة منهجه حتى ولد في نفوسنا حب اللغة العربية وأدائها"².

الشيخ مبارك المليي: أدخله جده الكتاب لتلقي مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم وبعد تمضية أيام عصبية في قريته إلتحق بمعهد الشيخ محمد المليي في مدينة ميلة وكان عمره 15 عاما، وهناك تلقى طيلة ستة سنوات مبادئ اللغة العربية وعلومها، قبل إنتقاله إلى حلقات الشيخ عبد الحميد بن باديس

¹ - جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية: الشيخ محمد البشير الإبراهيمي العلامة المصلح والداعية الأديب، المرجع السابق، ص ص 25، 26.

² - بسام العسيلي: المرجع السابق، ص ص 146، 147.

في قسنطينة، ولم يطل به المقام هناك فبقي سبعة أشهر، ثم انتقل إلى تونس لإستكمال دراسته العليا فحصل على شهادة التحصيل ثم رجع إلى الجزائر عام 1922م، فحل بقسنطينة مساعدا لإبن باديس في عمله التربوي، وقد أعجب به فأوفده مربيا ومعلما وداعيا للإصلاح في مدينة الأغواط فبدأ نشاطه فيها في عام 1923م¹.

مضى الشيخ مبارك الملي في كل ميدان من ميادين الجهاد، حيث كان يبقى عشر ساعات يوميا في التدريس، فزاد عدد طلابه إلى سبعين تلميذا ومنهم ستة فتيات، لينصرف بعد ذلك إلى الجامع العتيق للإلتقاء بالشبيبة والرجال الراغبين في تلقي الإسلام، من مورده الصافي ومصدره العذب، كما كان يزور الجلفة ومدينة بوسعادة لإلقاء المحاضرات التوجيهية الهادفة، محاربا الإستعمار والطرقية، وقد إستاء لما كانت تروجه الإدارة الإستعمارية من أن أصل الشعوب الجزائرية يصل إلى الرومان والفرنسيين، فقام بتأليف كتابه "تاريخ الجزائر في القديم والحديث"، وقام بترجمة جزء من كتاب كاريت (Karette) بمساعدة أحمد توفيق المدني وبعض أبناء مدينة الأغواط، كما إحتاج جزء من هذا الكتاب لبيان قبائل بني هلال وغيرهم من العرب في أنسابهم ومراكز حياتهم وعلاقتهم بالبربر².

الشيخ الطيب العقبي: وهو من أهم المثقفين بالثقافة العربية، هاجر مع عائلته في سنة 1895م إلى المدينة المنورة وهناك بدأ دراسته فحفظ القرآن الكريم، ولم تمنعه وفاة والده وهو في سن 13 من الإستمرار في تلقي العلم في الحرم النبوي، وأصبح معلما في نفس الحرم وساعده على ذلك شخصيته المتميزة والمنفردة، فصار بذلك مضرب المثل في العلوم النقلية والعقلية، كتب في مختلف الصحف السياسية مما جعله يكتسب صداقة بعض المصلحين³، وشاءت الصدفة أن يتعلم العقبي على يد حمدان لونيسي أستاذ بن باديس في قسنطينة، وأن يتعلم الإبراهيمي على يد زيدان الشنقيطي أستاذ العقبي في المدينة المنورة، ولعل جامع الثقافة هو ما أهل العلماء الثلاثة لخوض مسيرة إصلاحية مشتركة

¹ - أحمد الخطيب: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المرجع السابق، ص 163، 164.

² - بسام العسيلي: المرجع السابق، ص 160، 161.

³ - كمال العجالي: المرجع السابق، ص 22، 25.

في أرض الجزائر في مطلع العشرينات، كما درس على يد الحبيب التونسي، وهذا الأخير كان لا يختلف في فكره عن حمدان لونيبي بحكم ثقافتهما الإسلامية الواحدة وإرتباطهما بظروف إستعمارية تاريخية واحدة جعلتهما يفضلان الهجرة، ولا يستبعد أن الحبيب التونسي أثر هو بدوره على تلميذه العقبي ورغم ذلك تعتبر دراسته محدودة، بالمقارنة مع أتراه من المصلحين، وقد أفاده حمدان لونيبي أثناء تواجده في المدينة المنورة بالشيء الذي كان يجهله عن الجزائر¹.

وبعدها دخل العقبي من الحجاز سنة 1920م واستقر في سيدي عقبة وأسس جريدة، ثم جاء للإقامة في مدينة الجزائر ابتداء من سنة 1929م، حيث تميز بمحاضراته في نادي الترقى، كما دخل البشير الإبراهيمي من الشرق سنة 1922م ودرس في سطيف ثم التحق بمجموعة الشهاب، والتحق بمؤولاء الرجال العديد من المعلمين الأحرار ومنهم مبارك الملي، ومحمد العيد، والسعيد الزهيري، والعربي التبسي، والعديد من المثقفين الآخرين ومنهم التوفيق المدني والأمين العمودي².

العربي التبسي: تتلمذ على يد والده الذي توفي وعمره ثماني سنوات، فاستمر في حفظ القرآن، إلى أن بلغ إثنا عشر سنة، انتقل بعدها إلى زاوية خنقة سيدي ناجي الرحمانية في الجنوب الغربي لجبال النمامشة، وهناك أمضى ثلاث سنوات وبمأنه أحب متابعة تحصيله العلمي فقد أوفده أهله إلى الزاوية التي تعلم فيها والده، وهي زاوية الشيخ مصطفى بن عزوز في مدينة نفطة بجنوب غرب تونس وعمره خمس عشرة سنة، فدرس العلوم الشرعية والعربية ثم تابع دراسته في جامع الزيتونة، والجدير بالذكر أن التعليم في الزوايا كان مجانيا يصرف من أموال الموقوفة للزوايا، أما جامع الزيتونة فكان الفقراء يجدون المأوى في الدور العديدة التي أوقفها المحسنون للطلبة الغرباء*، وتسمى هذه الدور المدارس لكثرة مذاكرة

¹- أحمد مريوش: المرجع السابق، ص37.

²- محفوظ قداش: الجزائر للجزائريين، المرجع السابق، ص289.

*- وسميت هذه الأوقاف بأوقاف رواق المغاربة، أنظر: (تركي رابح عمامرة: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المرجع السابق، ص252).

أهل العلم بها، وقد أوى إلى إحداها العربي التبسي ونال شهادة الأهلية ثم انتقل إلى القاهرة عام 1920م، من أجل تلقي العلم في الأزهر جامع محمد عبده وتلامذته¹.

أحمد توفيق المدني: بدأت حياته التعليمية في أحد كتاتيب العاصمة التونسية، ولم يكن قد تجاوز الخامسة من عمره لينتقل في سنة 1909م إلى المدرسة الأهلية القرآنية، ومنها إلى جامع الزيتونة، وفي 1913م درس في المدرسة الخلدونية التي تعد تكميلية للدراسة الزيتونية وأظهر خلال ذلك قدرة خطابية مثيرة، وكفاءة عالية في الكتابة دفعته إلى تحرير عدد من المقالات الوطنية والاجتماعية والسياسية، نشرها في صحيفة الفاروق التونسية التي كانت تصدر أسبوعياً، وكان ذلك في سنة 1914م ولما بدأت الحرب العالمية الأولى، كون خلية من أصحابه للتحضير للثورة ضد فرنسا، لكن تم إعتقاله من قبل الإدارة الفرنسية في فيفري 1915م وألقي به في السجن إلى غاية نوفمبر 1918م، وقد استفاد من فترة السجن بمتابعة تعليمه الديني ودراسة اللغة الفرنسية حتى اتقنها، وعندما خرج من سجنه كان إنساناً جديداً قد صلب عوده وتكونت شخصيته واتسع أفقه رغم حداثة سنه، أدى هذا النضج المبكر بالمجاهد الشاب إلى الإلتقاء بجيل رواد الجهاد، حيث تم له التعرف في تونس مع الشيخين عبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي.

وفي مايلي قصة قد حدثت لأحمد توفيق المدني أكدت للناس عرويته وإعتزازه بالثقافة العربية والدين الإسلامي، حيث كانت مجموعة من الناس في قاعدة نادي الترقى وعليها كآبة وفي نفوسها هم بسبب الإستعدادات الفرنسية للاحتفال بمناسبة مرور مائة سنة على إحتلالها للجزائر، وإذا بالسيد محمد بلحاج مدير المدرسة الثعالبية الكبرى، وأحد كبار الملحدين والمتفرنسين يخبرنا أنه قد ولد للسيد ساطور زعيم المتجنسين ولد بالأمس، فأطلق عليه إسم "كريستيان" أي المسيحي، ونظر إلي نظرة شامتة لأنه علم أن الأمر يؤمني ويمعن في تعذيبي قلت للناس من حولي أنظروا: "هذه نتيجة التجنس بالجنسية الفرنسية!"، وشاء ربك أنني رزقت بولد في نفس الليلة هو مولودي الأول فأطلقت عليه إسم "إسلام"، وذهبت من الغد إلى النادي واجتمع الناس، وكان بلحاج حاضراً فوقفت وقلت: "يا جماعة! بالأمس ولد

¹ - أحمد الخطيب: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المرجع السابق، ص 167، 168.

لزعيم المتجنسين ولد دعاه "كريستيان" واليوم أبشركم أنني رزقت ليلا بولد دعوته "إسلام" ففي هذين الإسمين منهاج سياستين سياسة التجنس: تجعل أولادكم كريستيان، وسياسة الإسلام والعروبة والوطنية تجعل أولادكم إسلام فاختاروا وأنتم الآن على بينة من الأمر"، وصفق القوم طويلا أما محمد بلحاج فقد إصفر لونه وتلعثم لسانه وقال بعد ذلك: "لقد جنيت على ولدك جناية لا يغفرها لك إذ أطلقت عليه هذا الإسم"، ونظرنا إليه جميعا نظرة إحتقار وإزدراء واقسم بالله إنني لم أعد منذ ذلك اليوم أسمع في النادي كلمة تجنس ولا تجنيس ماتت الفكرة إلى الأبد ولم نرى وجه محمد بلحاج بعدها إطلاقا¹.

إبراهيم البيوض: من زعماء النهضة التربوية والإصلاحية في جنوب الجزائر في منطقة ميزاب، ومفاهيمه تقوم على أساس العودة بالإسلام إلى منابعه الأولى ونشر اللغة العربية وحمايتها، وله حلقات في تفسير القرآن ينحو فيها نحو الشيخ محمد عبده، وكان خطيبا بارعا يتحدث لساعات طويلة²، استكمل دراسته الثانوية رغم فقره والتحق بتونس حيث تابع دراسته العليا في جامع الزيتونة أول الأمر، ثم انتقل إلى معهد ابن خلدون "الخلدونية" ليكتسب منه العلوم العصرية التي يفتقر إليها جامع الزيتونة، ونتيجة إضطرابات الحرب العالمية الأولى وظروف تونس الداخلية اضطر أبو اليقضان إلى العودة للجزائر في فيفري 1915م، لكنه ما لبث أن عاد إلى تونس في السنة الموالية وإستمر تواجهه المتقطع فيها إلى عام 1925م، ويبدو أنه خلال تواجهه بتونس كان مشرفا على البعثات الطلابية الميزابية هناك، لكنه لم يحصل على شهادته النهائية من جامع الزيتونة بسبب إنشغالاته الإصلاحية والسياسية³.

وهكذا كان تأثر القادة السياسيين بالقيم الوطنية المتمثلة في الحفاظ على الدين الإسلامي واللغة العربية والمحافظة على التاريخ والثقافة العربية المغربية.

أما النخبة المتأثرة بالثقافة الفرنسية والتي كان اتجاهها السياسي من دعاة الإدماج والمساواة ومن

هؤلاء النخبة نذكر:

¹ - بسام العسيلي: المرجع السابق، ص 175، 176.

² - أنور الجنيدي: المرجع السابق، ص 144.

³ - أحمد الخطيب: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المرجع السابق، ص 165.

الأمر خالد الهاشمي: كان من ذوي الثقافة الفرنسية والعسكريين الجزائريين النظاميين، فدرس في دمشق المرحلة الابتدائية، ثم جاء به أبوه إلى الجزائر عام 1892م، وقد أرسل إلى ثانوية "لويس لوقران" (Louis Le Grand) بباريس، ثم التحق بكلية "سان سير" (Saint Cyr) الحربية في سنة 1893م، وعاد إلى الجزائر في 1895م قبل إتمام دراسته، وأرغمته الإدارة الفرنسية على الإقامة الجبرية في مدينة بوسعادة، ثم رجع إلى مدرسة سان سير (Saint Cyr)، فأتم دراسته وأدى واجبه العسكري في المغرب، وارتقى إلى رتبة قبطان لكنه اعتبر عنصر شغب وإضطراب، كما كان له معرفة واسعة بالثقافة واللغة الفرنسية¹.

رغم أن القائد الأمير كان من الأنتلجنسيا الجديدة المفرنسة، إلى أن ميولاته السياسية اختلفت عن الإندماج الكلي الفرنسي، فارتأى أن يكون منحاه وسطا مطالباً بالمساواة والإصلاح. محمد الصالح بن جلول: هو من أمثلة المثقفين ثقافة فرنسية، الذي بدأ بحفظ القرآن بكتاب مقعد الحوت قرب رحبة الصوف بقسنطينة، كما تلقى تعليمه الإبتدائي والثانوي بمؤسساتها التربوية²، وهو من المجتهدين حيث تحصل بإستمرار على المنح المدرسية التي أهلته لتلقي تعليماً عالياً بفرنسا³، وبعد تحصيله على شهادة البكالوريا، انتقل ليزاول دراسته الجامعية بكلية الطب بمدينة الجزائر العاصمة والتي تخرج منها بشهادة الدكتوراه سنة 1924م، وقد صار طبيباً موظفاً في نفس السنة⁴.

ينتمي بن جلول إلى النخبة الفرنسية التي حضيت بقسط وافر من الثقافة الفرنسية، حيث تخرج من مدارسها، كما أن مهنة الطبيب جعلته يتقرب من عالمين مختلفين، العالم الجزائري الفقير الذي يحيى حياة الجهل والتخلف، وذلك بحكم إنتمائه له أما العالم الفرنسي فبحكم ثقافته الفرنسية التي جعلته يستهوي هذه الحضارة فدافع عنها.

¹ - محمد قناش: ذكرياتي مع مشاهير الكفاح، المصدر السابق، ص 92.

² - عبد الكريم بوصفصاف... وآخرون: معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرون، ج 1، المرجع السابق، ص 43.

³ - أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية (1900م-1930م)، المرجع السابق، ص 410.

⁴ - شارل روبيير أجرون: تاريخ الجزائر المعاصرة، المرجع السابق، ص 520.

الدكتور تهامي بلقاسم : كان مساره الثقافي لا يختلف كثيرا عن بن جلول حيث درس الطب في مدينة الجزائر، ثم انتقل إلى مدينة مونبلييه بفرنسا ليتخرج منها كطبيب، ولهذا كانت ميولاته فرنسية¹.
جمال دردور: يمكن أن نقول عنه أنه تلقى تعليما دينيا سمح له بحفظ القرآن الكريم، ثم التحق بالمدرسة الابتدائية بمدينة بسكرة، ورغم النتائج الجيدة التي تحصل عليها، إلا أنه واجه عقبات عدة للوصول إلى ثانوية "دومال" (Daumal) رضا حوحو حاليا، وقد تفوق جمال دردور في دراسته وانتقل إلى فرنسا على إثر إنخراطه في أحد الأندية الفرنسية البارزة، وتابع دراسته العليا في جراحة الأسنان بكلية الطب بباريس²، رغم إحتكاكه الكبير مع الفرنسيين ودراسته وثقافته الفرنسية، إلا أن ميوله السياسي كان مختلفا تماما عن دعاة الإدماج، فكان عنصرا فعالا في نجم شمال إفريقيا الإستقلالي.

أما عن منشأ نجم الشمال الإفريقي الذي رد لشعبنا الكريم عزته وكرامته، وجعل من العامل الأمي المغترب عن وطنه مناضلا سياسيا يفرض وجوده وإحترامه على المستعمر في عقر داره، أما ثقافة أفرادها فقد اختلفت من مناضل إلى آخر لكنها عموما محتشمة، فوجد الحاج علي عبد القادر الذي كان عصاميا، وكان خطيبا باللغتين الفرنسية والعربية³.

أما سي الجيلاني محمد السعيد فقد تعلم العربية بالكتاب، كما أنه لم يحسن الفرنسية جيدا لكنه كان يمتلك حصافة يستطيع أن يكشف بها آفاق المستقبل حينما يقرأ عناوين المقالات، ويصوب نظرتة العميقة، ويذكر أنه لما كان في سجن بربروس سنة 1938م، وسأله محمد قنانش عن أخبار الصحافة فرد أن الحرب على الأبواب، وقبل مضي عامنا هذا سنشهد حربا عالمية ثانية وكان ذلك فعلا⁴، وكان بانون آكلي راعيا ولم يدخل الكتاب ولا المدرسة⁵، ويبقى الشاذلي خير الدين من الذين زاولوا دراستهم

1 - عبد الكريم بوصفصاف... وآخرون: معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرون، المرجع السابق، ص 30.

2 - جيلالي صاري: المرجع السابق، ص 265.

3 - محمد قنانش: آفاق مغربية "المسيرة الوطنية وأحداث 8 ماي 1945م"، المصدر السابق، ص 26.

4 - محمد قنانش، محفوظ قداش: نجم شمال إفريقيا، المصدر السابق، ص 71، 72.

5 - محمد قنانش: ذكرياتي مع مشاهير الكفاح، المصدر السابق، ص 67.

بالصادقية والتحق بثانوية "كارنو" (Carnou) ثم تحصل على شهادة البكالوريا ثم درس في قسم الفلسفة عام 1918م¹.

يتضح من العرض السابق لثقافة مؤسسي شمال إفريقيا أنها بالدرجة الأولى كانت فرنسية لكنها محدودة لا تتجاوز في الغالب الشهادة الابتدائية²

كان مناضلو نجم شمال إفريقيا خاصة من العمال، وكانت جريدة "الأمة" تدعو المثقفين الذين كانوا يترددون في الإنخراط في المنظمة الوطنية ولكن دون جدوى³.

إن التباين الثقافي بين مؤسسي الجمعية والنجم، يكمن في تكوين قادة الجمعية الكبار في البلاد العربية، وأصبحوا يتمتعون بحظ موفور من الثقافة العربية الإسلامية، وكانوا بذلك من أبرز أرباب القلم المدافعين عن القضايا الدينية والاجتماعية والسياسية، أما أعضاء النجم وحزب الشعب الجزائري بعده لم يكونوا سوى متعلمين بسطاء لا تتجاوز مستوياتهم الثقافية الشهادة الابتدائية، ولم يكونوا سوى عمال بسطاء في فرنسا، منخرطين في بعض النقابات والحزب الشيوعي الفرنسي، وبينما كانت لغة المصلحين هي العربية أما قادة النجم فكانوا يتكلمون الفرنسية.

أما عن الاختلاف الذي كان بين الفئتين السابقتين وجماعة المنتخبين المسلمين فكان في: " الوطنية الدينية، الجامعة الإسلامية والجنسية الفرنسية"، كما أن ثقافة جماعة النخبة والنواب كانت فرنسية بحتة وطبائعهم تشبه إلى حد كبير الفرنسيين، حيث امتدحوا الأوروبيين وأعجبوا بحضارتهم الغربية اندماجا وتجنسا⁴

خاتمة الفصل:

¹ محمد قناش، محفوظ قداش: نجم شمال إفريقيا، المصدر السابق، ص72.

² - أحمد الخطيب: حزب الشعب الجزائري، المرجع السابق، ص139.

³ - محفوظ قداش: تاريخ الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص264.

⁴ - عبد الكريم بالصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائرية وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى، المرجع السابق، ص301.

مما سبق يمكن إستخلاص أن الجزائريين قد برهنوا والتاريخ يشهد على قابلية الإلتقاء مع الثقافات المختلفة، فلم تعرف الثقافة الجزائرية جمودا ولا تحجرا البتة، فثقافتهم القومية هي التي ورثوها عن أجدادهم الذين هم مزيج من العرب والبربر، وأصبحوا منذ القدم جزءا من الحضيرة العربية لغة وأدبا وفنا وقيما، وهذه الثقافة تربطهم بماضيهم الزاهر، فمن العبث إذن أن يتركوها ويتشبثوا بثقافة غريبة عنهم، وإذا أرادوا التقدم في الميدان التكنولوجي بالثقافة الفرنسية ولكن بشرط ألا يسلبهم هذا التقدم من عروبتهم وإسلاميتهم.

فالشخصية الجزائرية الحديثة هي نتيجة التفاعل بين الحاضر والماضي والإسلام ليس دينا فقط فهو حضارة كاملة، وهو دين وأدب وفنون وجهاز خلقي وجهاز قانوني وأداة هذا كله هي اللغة العربية التي راح المستعمرون وخريجوا المدارس الفرنسية يرمونها بالعقم والعجز، فهي أداة تلك الحضارة الإسلامية الزاهرة التي اقتبست من شعلتها أوروبا جذور حضارتها الحديثة. فما بالها أصبحت اليوم غير قادرة على تأهيل أصحابها إلى الرقي؟ وما الغرض بقذف العربية بيناهما السامة إلا قتل هذه اللغة لما لها من خطر على بقائها في الجزائر لأهمية اللغة بين مقومات القومية.

لقد تميزت الحياة الفكرية للقادة السياسيين بتأثر الآخرين بما يحدث في العالمين الغربي والمشرقي، أما العالم المشرقي، فهو دليل واضح على الوحدة الثقافية والفكرية واللغوية عبر التاريخ، فكان بالغ الأثر العربي الإسلامي من قبل أئمة الأمة العربية وهم: جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا وغيرهم، الذين حاولوا القضاء على الإستعمار بأشكاله المختلفة من الأرض العربية عن طريق الإصلاح، ونقصد به هنا إصلاح الدين ومبادئه والرجوع به إلى منابعه الأولى، والقضاء على البدع والخرافات التي تشوبه فتشل الفكر وتجعله في حالة جمود، فيبقى الفرد حبيس أفكاره الرجعية لا يسعى لأي نوع من المقاومة للخروج من دائرة التسلط الإستعماري، وهذا ما كان يسعى إليه المستعمر.

وقد ذكر عمار طالبي في كتابه آثار ابن باديس، أن الحركة الإصلاحية قد ظهرت في الجزائر نتيجة هذا الخمول والتدهور الفكري والديني، كما يذكر المؤرخ الجزائري إسماعيل حامت¹: "كان الإلحاد الغربي مبلغا كبيرا من التأثير في جمهور ليس بالقليل من مسلمي الجزائر الذين وإن كانوا مابرحوا مسلمين في الظاهر فهم يجهلون حد ما وصلت إليه روحهم الدينية من التلاشي. إن هؤلاء لا ينكرون الإسلام دينهم ومعتقدهم غير أنهم قد أضحوا من فتور الغيرة الدينية في نفوسهم بحيث غدوا لا يباليون البتة بنشره في الناس وبال دعوة إليه في غير المسلمين فالإسلام عندهم إنما مقصور على من يأتي بعدهم من الأولاد والأحفاد فحسب وليس يتناول أحدا سواهم من الخلق أجمعين. فالحق أن الإسلام لبراء مما هم فاعلون. وليس ذلك هو الحرية الفكرية على ما يزعمون بل إنما هو الفتور فالتلاشي".

وقد سخر المصلحون كبار جهودهم وحياتهم لإحداث حركة ثقافية وعلمية وفكرية في أوساط الأمة بمختلف شرائحها الاجتماعية، تعيد للدين شبابه وتنفي عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، ولتعيد للأمة حياتها وحيويتها، وذلك عن طريق الإلتزام بتعاليم الدين والإعتصام به حتى لا يبقى تدينها وراثيا، لأن هذا التدين سيحفظ للأمة الكثير من مقومات شخصيتها ولغتها وأخلاقها، لأن الإسلام الوراثي مبني على الجمود، فلا فكر فيه ولا نظر ولا ينفع الأمة لا في حياتها ولا في مماتها، وخصوصا بعد أن شهد العرب زحف الغرب نحوهم وأدركوا مستوى تخلفهم الحضاري مقارنة بالمستوى الحضاري الذي يتمتع به المستعمر.

بالإضافة إلى ذلك فقد عرف الوضع الثقافي تطورا بقراءة المجلات والجرائد، سواء كانت من المشرق العربي مثل: جريدة العروى الوثقى والمنار بالإضافة إلى الصحافة الجزائرية مثل: الجزائر، المنتقد، الشهاب، الفاروق... وغيرها.

¹ - عمار طالبي: المصدر السابق، ص 47، 48.

كما اطلع المثقفون على كتب المصلحين القيمة ككتب ابن تيمية والشوكاني، بالإضافة إلى تأثير القادة بثقافة أساتذتهم من الجيل الأول من المصلحين أمثال: عبد الحليم سماية، وعبد القادر المجاوي، حمدان لونيسي وغيرهم.

كما أن فكرة الإصلاح قد اختمرت في عقول القادة السياسيين من دعاة الإصلاح بعد رجوعهم من المشرق العربي، أين أنهوا دراستهم وبعد أن تلقوا العلم بفكرة إصلاحية ناضجة مستمدتها من كلام الله وسنة رسول الله في منارات العالم العربي: الأزهر، القرويين، الزيتونة.

وفي الأخير يبقى رفقاء عبد الحميد بن باديس ممن أخذوا بالثقافة العربية أمثال: البشير الإبراهيمي، العربي التبسي، الطيب العقبي، أحمد توفيق المدني، الأمين العمودي، محمد العيد آل خليفة وغيرهم، قد جاؤوا في وقت كانت الجزائر في أمس الحاجة لهم، فكانوا من رجال الإصلاح المخلصين، وكانوا الأداة التي تخلصت بها البلاد من الشوائب التي كانت في ديننا الحنيف، ورجعوا بالناس إلى أصول الدين الإسلامية الصافية.

أما النخبة المثقفة بالفرنسية، فهي التي أخذت تعليمها من المدرسة الفرنسية، التي كانت ترمي إلى تكوين جماعات منفصلة عن الشخصية العربية الإسلامية، ودمجها في الحضارة الفرنسية الغربية. ومن الوسائل التي استعملتها الإدارة الفرنسية لبث الخلاف في المجتمع الجزائري بين الحضارتين، في مجال الصحافة هو مسايرة الإستعمار والدفاع عنه في المجالات والجرائد التي كانت كثيرة ومتوفرة في الساحة، أما في التاريخ حاول الإستعمار التشكيك في البطولات العربية الإسلامية وتصوير الأمة بصورة مهلهلة مفككة، وفي اللغة العربية كان الهدف القضاء عليها وتغليب اللهجات الإقليمية واللغات اللاتينية عليها. ومن ثم فقد بدأ صراع عنيف امتد وتعمق في سبيل الهدم من جانب الإستعمار، بالإضافة إلى ذلك بث الخلاف بين العرب والبربر وحاولوا أن يقنعوا البربر بأنهم سلالة أوروبية، وأن لهم لغة خاصة لا ينبغي التفريط فيها، ولكن هذا قد زاد الجزائريين تمسكا بلهجة أجدادهم وبلادهم وبلغة

دينهم الحنيف ومبادئه السامية عكس ما توقعت الإدارة الفرنسية أن تنشر الفتنة بين أبناء الوطن الواحد، فتلهيهم بذلك عن استرجاع مأخذ منهم بمشاكل عرقية تافهة.

وهكذا استطاع الفكر المغربي العربي الإسلامي مواجهة هذه المؤامرات، وبرز في دور التحدي ورد الفعل على النحو الباهر واستطاع أن يقاوم النفوذ الغربي في مجال الثقافة والتعليم والصحافة والأدب والتاريخ، وأن يؤكد الشخصية المغربية العربية الإسلامية، وأن يكشف عن دورها في كل مجال، وأن يحقق انتصارات لاحد لها، وبهذا يكون القادة السياسيون والنخبة المثقفة قد لعبوا دورا كبيرا لتحقيق الأهداف المرجوة من الحركة الوطنية.

الفصل الرابع:

التكوين الوطني لأبرز قادة الحركة الوطنية

المبحث الأول: التكوين الوطني لقادة التيار الإصلاحية.

المبحث الثاني: التكوين الوطني لزعماء التيار الإدماجية.

المبحث الثالث: التكوين الوطني لقادة التيار الشيوعي.

المبحث الرابع: التكوين الوطني لقادة التيار الإستقلالية.

خاتمة الفصل

الفصل الرابع:

التكوين الوطني لأبرز قادة الحركة الوطنية

كانت الدراسة في الفصل الثالث حول التكوين الثقافي للقادة السياسيين، وتأثير التنوع الثقافي بين الحضارتين الغربية والعربية على المنحى السياسي لزعماء الأحزاب، وأدى ذلك إلى اختلاف وجهات النظر في الحركة الوطنية بين ثورية وإصلاحية، فنهج العلماء نهجا إصلاحيا، عمدوا فيه إلى إعداد جيل مثقف واع بما سيقوم به في مستقبله، هذا من جانب ومن جانب آخر فقد صدمت الحركة الإصلاحية - ذات التوجه العربي الإسلامي - مع المثقفين ثقافة فرنسية، نتيجة التباين في الرؤيا والمنهج لدى كل منهما وإن كان المثقفون ثقافة فرنسية وطيون أخلصوا للوطن لكن حسب الوسيلة التي اختاروها¹.

ومما سبق يتضح أن في بلد مستعمر كالجائر حيث تتكون الطليعة من الذين يطالبون بنهاية الإمبريالية، والإستقلال السياسي، والثقافي، والتنمية الإقتصادية، والعدالة الإجتماعية، عندما تبقى هذه الطليعة وفية لبرنامجها وتكافح بكل الوسائل بما في ذلك السلاح من أجل تحقيقه فإنها تصل إلى الإستقلال، لهذا من الأهمية محاولة فهم أصول هذه الحركات والأحزاب السياسية التي تناولت القضية الوطنية².

تذكر بعض المراجع التاريخية أن الحركة السياسية في الجزائر تنقسم في جملها إلى إتجاهين، إتجاه ينصب على علم الإقتصاد، وهي الثورة الإشتراكية العمالية، واتجاه آخر ينصب في علم الإجتماع وهي ثورة العلم، والنهضتان هما نجم شمال إفريقيا وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فحركة النجم انبثقت

¹ - كمال عجالي: المرجع السابق، ص 17.

² - محفوظ قداش: الجزائر للجزائريين، المرجع السابق، ص 287.

عن الحركة الشيوعية العمالية التي تناد بتحرير الشعوب سياسيا وإقتصاديا، أما جمعية العلماء فولدت من صميم الجزائر التي ستصبح ثورة عالمية هي ثورة العلم¹.

إن الحالة السياسية للجزائر التي تم التطرق لها في الفصل الأول، والتي في مجملها كانت في مبالغة الإستعمار الفرنسي في تطبيق سياسة الزجر والإرهاب والتفجير والتجهيل، والذي أدى إل خلق وعي سياسي وحث الناس على المقاومة السياسية، للحصول على بعض الحقوق ومن أبرز مظاهر هذه السياسة الإستعمارية:

- 1- منح الوالي العام سلطات مطلقة بموجب قرار 23 أوت 1898م ليحكم الجزائريين كما يشاء.
- 2- منح المعمرين الأوروبيين الإستقلال المالي بمقتضى قانون 19 ديسمبر 1900م، الذي مكنهم من التصرف المطلق في خيرات البلاد، وكان هذا سببا في إفقار الجزائريين.
- 3- منع الجزائريين من إنتخاب ممثلين عنهم في المجالس العامة البلدية، والعمالية، والمالية، وحتى عندما سمحت بذلك إشتطت أن لا يزيد عدد الجزائريين عن الربع حتى لا تكون لهم أي فعالية.
- 4- إرهاب الشعب الجزائري بالضرائب الباهضة التي لا تتناسب مع إمكانياتهم المادية، حتى انها إختزعت لهم ضريبة تعرف بالضريبة العربية وضرائب اخرى ...
- 5- طبقت عليهم قوانين الإندجينا الزجرية الرادعة التي وضعت خصيصا لهم بعد عام 1871م وبقي العمل بها إلى غاية 1930م، ثم ألغيت نظريا لكن بقي تطبيقها إلى عام 1962م.
- 6- منع الجزائريين من أداء فريضة الحج عام 1908م، وذلك حتى لا يتأثروا بالحركات الإصلاحية المنتشرة في المشرق، وبفكرة الجامعة الإسلامية التي دعا إليها جمال الدين الأفغاني، والسلطان عبد الحميد الثاني، وبعدهما الشيخ محمد عبده ورشيد رضا.

¹ - زهور أسعد: ثورة العلم من ابن خلدون إلى ابن باديس، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر: 2012م، ص 27.

7- إخضاع الجزائريين إلى المحاكم الزجرية الرادعة التي كانت خصيصا لهم عاما 1903م لمحاكمتهم بقوانين زجرية لا صلة لها بالقوانين المدنية.

8- صدور قانون التجنيد الإجباري للشبان الجزائريين في الجيش الفرنسي في فيفري عام 1912م¹.

تبقى أوضاع العالم العربي والإسلامي المتمثلة في الحركة الإسلامية السياسية المبنية على الخلافة الإسلامية والتي تزعمها عبد الحميد الثاني (1842م-1918م) سلطان الدولة العثمانية الإستبدادي، ورغم أخطائه الفادحة التي جره إليها طموحه في الخلافة بقصد توحيد البلاد الإسلامية كلها ليستعملها ضد الأطماع الأوروبية المتفاقمة، إلا أن إندلاع الحرب العالمية الأولى كان المسمار الأخير في نعش عبد الحميد الثاني، وبالتالي انتهى عهد الخلافة العثمانية العتيدة عام 1924م وهنا زالت كل الآمال التي كانت متجهة من الجزائر نحو الأستانة بإعتبارها حاملة راية الإسلام والمسلمين، وأمام هذه الوضعية الجديدة، حاولت الحركات السياسية في الجزائر الإعتماد على نفسها وقوتها الداخلية².

مما سبق يتبين أن الإحساس بالظلم هو القاسم المشترك الذي جمع بين قادة الأحزاب السياسية، فاشتركوا في القيام بنشاط سياسي واسع ومكثف كل حسب تكوينه السياسي، ومكانته الإجتماعية، ومركزه الثقافي، وأفكاره السياسية، وإمكانياته المادية وعلاقته بغيره، ومحيطه الذي يعيش فيه وتمكنوا من خوض المعارك السياسية وطلبوا بمختلف الحقوق والمطالب: من تعليم، وحرية تعبير، وعدالة إجتماعية وغيرها³.

ورغم استخدام الشدة والعنف من الإدارة الإستعمارية، أخذت الجمعيات والهيئات السياسية في الظهور، واتضحت إتجاهاتها خصوصا في الثلاثينات وهي الفترة التي يمكن فيها تحديد إتجاهات هذه التيارات السياسية وموازنتها الواحدة بالأخرى، فيمكننا أن نجد في أقصى اليمين رجال الطرق

¹ - يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 14.

² - عبد الرحمان العقون: المرجع السابق، ص ص 183، 184.

³ - يحي بوعزيز: المرجع السابق: ص ص 16، 17.

الصوفية الذين تعاونوا مع الإستعمار نظير الإحتفاظ بإمتيازاتهم المادية ونفوذهم على الأهالي، وكانوا في ذلك يمثلون خطرا على البلاد وعلى الحركة القومية الجزائرية، ويفوق الخطر الفرنسي نفسه خصوصا وأن الأهالي كانوا يثقون بهم.

وتأتي بعد هذا اليمين المعتدل، ويتكون من المنتخبين والنواب الجزائريين، الذين يرغبون في الوصول بأنفسهم وبأبناء بلدهم إلى الحصول على الحقوق المدنية الفرنسية، وأن يعاملوا معاملة الفرنسيين وانضم إلى هذا القطاع عدد من المثقفين الجزائريين والذين تعلموا تعليما غربيا وحاولوا إقناع أنفسهم بأنهم قد أصبحوا من الفرنسيين.

أما الوسط فكان يتكون من الجزائريين الذين يعتزون بشخصيتهم المستمدة من اللغة العربية والدين الإسلامي على السواء، وكانوا من العلماء الذين تأثروا بتعاليم الشيخين محمد عبده ورشيد رضا، وكانوا يرفضون فكرة الجنسية الفرنسية.

أما اليسار فاشتمل على نجم شمال إفريقيا الذي ضم الكثير من العمال الجزائريين وخصوصا من يعمل منهم بفرنسا¹.

ونظرا لتواجد أربعة أحزاب وطنية في الساحة السياسية، سيتم تقسيم هذا الفصل إلى أربعة مباحث للوصول إلى التكوين الوطني والسياسي لأبرز الزعماء الوطنيين، حيث يتطرق المبحث الأول إلى التكوين السياسي لقادة الإصلاح، أما المبحث الثاني فسيكون بعنوان التكوين السياسي لقادة التيار الإستقلالي، أما المبحث الثالث سيتناول التكوين السياسي لقادة الإدماج، وسيندرج المبحث الرابع تحت عنوان التكوين السياسي لقادة التيار الشيوعي.

¹- يحي جمال: المرجع السابق، ص ص 1047، 1048.

المبحث الأول:

التكوين السياسي لقادة الإصلاح

تعرض العالم الإسلامي الحديث إلى حملة شرسة، وهي حملة التغريب والتبعية الثقافية والإقتصادية والإجتماعية التي شنّها الإستعمار الأروبي على أقطاره المترامية الأطراف، ولتحقيق هدفه المنشود تناول المحلية، فلم يكن أمامه إلا التراث الإسلامي ليقوم بتشويبهه وكانت وسيلته في ذلك مازرعه من مفارقة بين الغرب الأروبي والشرق الإسلامي، من تقدم الأول وتخلف الثاني¹، ولهذا ستكون إشكالية المبحث الأول: ماهي أهم الأفكار السياسية الجوهرية التي تأثر بها قادة الإصلاح في الجزائر؟ كيف كان التكوين السياسي لزعماء الإصلاح؟.

سخر الجزائريون كبار جهودهم وحياتهم لإحداث حركة ثقافية وعلمية وفكرية وسياسية في أوساط الأمة بمختلف شرائحها الإجتماعية، تعيد للدين شبابه وتنفي عنه التحريف والتأويل السلبي، ولتعيد للأمة حياتها وحيويتها وذلك عن طريق الإلتزام بتعاليم الدين والإعتصام به، حتى لا يبقى تدينها وراثيا مبنيا على الجمود والبدع والخرافات أمام تطور المستعمر الحضاري، والتخلف الذي تعيشه الحضارة العربية الإسلامية².

معنى كلمة الإصلاح:

الإصلاح هو نقيض الإفساد، وهو إرجاع الشيء إلى حالة إعتداله لما حصل له من فساد وجاء في معجم الفلسفة أن الإصلاح هو إزالة الفساد في المجال الإجتماعي. والإصلاح الديني هو إزالة البدع من العقيدة والشريعة.

¹- عبد الكرم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائرية وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى -دراسة تاريخية وإيديولوجية

مقارنة-، المرجع السابق، ص51.

²- عبد الرشيد زروق: المرجع السابق، ص73.

وإصلاح أمر من الأمور هو تحسينه تدريجياً للحصول على نتائج أفضل في الميدان الاجتماعي والسياسي وتقابله الثورة، لكن مفهوم الإصلاح ليس هو مفهوم الثورة حتى لو تداخلت وسائلهما في بعض الأحيان.

تم تناول مفهوم الإصلاح من مجالات عديدة لكن مفهومه في هذا البحث لا يتعد كثيراً عما قاله الدكتور محمد طهاري¹ الذي يرى في قوله: أنه يقظة ووعي الشرق بالنسبة لأغلبية زعماء الإصلاح، حيث كانوا يشعرون بالآلام شعوبهم ويدركون الأخطار المحيطة بهم ويفكرون بعمق في أسباب الداء ووصف الدواء.

أما مفهوم التجديد حيث يطلق الكثير من الباحثين على مفهوم الإصلاح لفظة التجديد، ومعناه عند فضيلة المرحوم الشيخ الطاهر بن عاشور أنه إرجاع الشيء إلى حالة الجدة أي الحالة الأولى وعكسه الرثاء وإشرافه على الإضمحلال، وبأن الله قد حفظ الدين كما ذكر فضيلة الشيخ فكلما إمتدت له يد رثاءة من إحدى نواحيه بعث الله له من يجدده بأن يزيل عنه أسباب الرثاءة فيصبح جديداً ناصعاً وهذا ما فعله العلماء والمصلحون في القرن التاسع عشر والعشرين، مما بذلوه من تطهير للعقائد وإقامة شرع الله وتنفيذ أحكامه على البشر.

يلزم التجديد الديني أن يعود عمله بإصلاح الناس في الدنيا من جهة التفكير الديني وإدراك الحقائق الدينية، وليس التجديد كما يتبادر إلى الذهن للوهلة الأولى هو التخلي عن الأصول والثوابت التي جاء بها الدين وتعويضها بأخرى لا تمت له بصلة من قريب أو بعيد، وإنما هو كما يقول فضيلة الشيخ القرضاوي²: إن تجديد الشيء هو محاولة العودة به إلى ما كان عليه يوم نشأ بحيث يبدو مع

¹ - كمال عجالي: المرجع السابق، ص ص: 32، 33.

² - المرجع نفسه، ص ص 34، 37. للمزيد عن الإصلاح، أنظر: (عبد الكريم بوصفصاف: الفكر العربي الحديث والمعاصر، ج1، المرجع السابق، ص ص 271، 273).

قدمه كأنه جديد، ويذكر الدكتور عبد الكريم بوصفصاف¹ في كتابه جمعية العلماء الجزائرية أنه قد برز في الفكر الإسلامي منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر إتحاهان: أحدهما ممالئ للإستعمار الغربي في تقريب الإسلام من المسيحية، أو تحويله إلى توجيه ديني يرضي الإدارة الإستعمارية، أما الثاني فكان يهدف إلى مقاومة هذا التقريب، ودعوة المسلمين للإحتفاظ بدينهم، كما جاء به الكتاب والسنة، والعمل على إستقلال المسلمين وعدم إندماجهم في الكيان الأجنبي وقد عرف الإتحاه الأول بإسم "التجديد" بينما عرف الإتحاه الثاني بإسم "الإصلاح"، وقد سار الأول في خدمة الإستعمار الغربي ولكن من غير قصد مباشر، حيث أن هذا الإتحاه يعتبر تقليدا للدراسات الإسلامية في تفكير المستشرقين الغربيين.

ويمكن أن تقوم جماعة أو مدرسة أو حركة فكرية أو جهادية أو تربوية بالعملية الإصلاحية كل في مجاله العلمي والفكري والسلوكي وحتى السياسي².

تأثير حركات الإصلاح في المشرق على القادة السياسيين:

كانت الصحوة الإسلامية والوطنية في الجزائر لها إمتداد لحركات عربية إسلامية مشرقية ومغربية، ومدارس فكرية وعملية اختلفت بعضها ولازال بعضها الآخر، هذه الحركات قام بها رجال صادقون حاول كل واحد منهم إحياء الأمة أو تجديد الدين، بتنقيته من الشعوذة والخرافات الدخيلة، وبعث الثقافة العربية وتطويرها، ومقاومة الإستعمار وإخراجه من البلاد الإسلامية³، ولم تكن يقظة العالم الإسلامي منبعثة إلا من أعماقه، فظهرت الوهابية قبل الحملة الفرنسية على مصر، وظهرت السنوسية في قلب المغرب العربي إبان إحتلال فرنسا للجزائر، وامتدت وتعمقت وارتبطت في

¹ - عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائرية وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى - دراسة تاريخية وإيديولوجية مقارنة-، المرجع السابق، ص54.

² - كمال عجالي: المرجع السابق، ص32، 37.

³ - عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائرية وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى - دراسة تاريخية وإيديولوجية مقارنة-، المرجع السابق، ص56.

مفاهيمها بالوهابية وانتشرت دعوات الإصلاح والبعث في المشرق والمغرب، كما ظهر علماء أجلاء ومصلحون أمثال: جمال الدين الأفغاني في مصر والهند، وخلفه محمد عبده على اختلاف أهدافهما ووسائلهما¹.

أما الوهابية فكانت نسبة إلى موقظ شبه الجزيرة العربية، باعث الدعوة السلفية وخريج المدرسة الحنبلية "الشيخ محمد بن عبد الوهاب"^{*} الذي كانت دعوته المصدر الذي استلهمت منه الحركات الإصلاحية الحديثة تعاليمها الأساسية²، لقد كانت الحركة الوهابية في الحجاز حيث كان الأفق أمامها محدوداً وأرجعت الأزمة إلى الإنسان الذي انحرف عن قواعد الدين القويم، وخفى عنه أن المسار الحضاري الذي حاد عن طريقه انتهى بالإنحباس فتفاقم وضع الأمة من سيئ لأسوء. وقد تهيأ لهذه الحركة أن الإصلاح يكمن في إعادة الناس للكتاب والسنة فسارت في ذلك السبيل، وسرعان ما اكتشفت أن العمل في اتجاه ربط الدولة بالكتاب والسنة، الذي قضى بهم حتماً إلى إيجاد مرافق وتأسيس أجهزة والعدة وهو ما أدى إلى ظهور كيان المملكة العربية السعودية³.

ومن هنا يمكن القول أن الوهابية هي الرجوع إلى مبادئ السلف الصالح وسلوكاتهم الحقيقية، لأن ماميز الإسلام الأول في الواقع وما كوّن القطب الروحي فيه إنما يدور حول هذا المعنى بالذات

¹ - أنور الجندي: المرجع السابق، ص28.

^{*} - محمد بن عبد الوهاب (1703م - 1792م): النجدي الحنبلي ولد في بلدة العيينة بنجد، وتلقى دروسه على أيدي فقهاء الحنابلة المعروفين منذ القديم بتمسكهم بالسنة ونفورهم من البدع، فتأثر بهم في نشأته، كما تأثر بكتابات ابن تيمية وقبل أن يعلن عن دعوته الإصلاحية درس في مدن إسلامية كثيرة إنطلاقاً من المدينة إلى البصرة وبغداد وكردستان وهمدان وأصفهان، ورغم أنه نحل من العلوم الإسلامية وفلسفة التصوف لكنه لم يتفوق على علماء عصره من نجد إلا بالتوسع والتعمق في العلوم الإسلامية، لأنه لم يتخط حدود البلاد الإسلامية في رحلته العلمية حتى يتمكن من معرفة الحركات الإصلاحية والفكرية الأخرى، التي ظهرت في البلدان المختلفة من المعمورة، أنظر: (عبد الكريم بوصفصاف: الفكر العربي الحديث والمعاصر، ج2، المرجع السابق، ص 275، 276).

(عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائرية وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى -دراسة تاريخية وإيديولوجية

مقارنة-، المرجع السابق، ص56).

² - المكان نفسه.

³ -العشيراني سليمان: المرجع السابق، ص51.

لـ"الشهادة". لكن ما يمكن قوله أن الوهابية لم تدفع عمليا وإجتماعيا بعودتها إلى السلفية، ولم تصل إلى نتائجها المنطقية اللازمة، وأنها ظلت حبيسة أطر ثقافية، عاجزة أصلا عن استخدام الينايع السلفية لأغراض الحداثة والعلم الحديث، كما يمكن القول أن الإسهام الذي قدمته الفكرة الأساسية في الوهابية، قد كان رغم أهميته وخطورته بحاجة إلى إثراء وتطوير خاصة في البلدان التي لم تكن تبعد عن قلب العالم الحديث بعد الجزيرة العربية عنه، أي في البقاع التي لم تكن للإسلام السيادة المطلقة فيه، حيث كان في هذه البلدان مذاهب وديانات وفلسفات شتى، فكان على عقيدة التوحيد في هذه الأقطار كاهند أن تكشف على ذاتها وأن تستجيب لأمر لم تكن مطروحة آنذاك في شبه الجزيرة العربية.

تقوم الدعوة الوهابية على المبادئ الآتية:

1- العودة بالإسلام إلى صفائه الأول: حيث كانت العقيدة صافية ونقية على عهد الرسول

والخلفاء الراشدين.

2- التوحيد: وهو نوعان عند الوهابية.

توحيد الربوبية: فالله تعالى منفرد بالخلق والتدبير عن الملائكة والأنبياء وغيرهم، وهذا حق لا بد منه لكنه لا يدخل الرجل في الإسلام، أما توحيد الألوهية: هو ان لا يعبد إلا الله، لا ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا معه.

3- منع التوسل والإستعانة بغير الله

4- مسألة المشافعة والغلو في أهل القبور كلاهما ممنوع.

5- أنكر تأويل القرآن وتكفير كل من يقوم به

6- مقاومة المسكرات.

7- منع التبغ.

8- تحريم الذبح لغير الله.

9- لا توكل ولا خشية ولا إنابة إلا لله رب العالمين.

ويبدو مما سبق أن الدعوة الوهابية لا تعتمد على الكتاب والسنة فقط، بل عملت على تكوين بعض العادات في مبادئها الأساسية كتحریم التبغ والقهوة على أنفسهم في بادئ الأمر، رغم أنها ليست من المحرمات¹.

إضافة إلى الحركة الوهابية التي كانت أشهر الحركات في المشرق العربي، نجد حركة أحمد خان في الهند وهو أحمد خان بن محمد متقي خان ولد سنة 1817م وهو زعيم الحركة الإصلاحية التجديدية التوفيقية خلال القرن التاسع عشر في الهند، وقد نشأ في أسرة من أصل عربي نزحت من البلاد العربية إلى "هراة" بالهند، تتقف ثقافة دينية كغيره من مسلمي الهند لأنهم كانوا يرفضون التوجه إلى المدارس الإنجليزية، لكن أحمد خان خالف موقف قومه من الإستعمار الإنجليزي فاتصل بهم والتحق ببعض الوظائف، فعين أميناً على السجلات بقسم الجنايات في محكمة دلهي، وبعد قيام الثورة الهندية سنة 1857م والتي شوهتها الصحف الإنجليزية وذكرت أن لروسيا وأفغانستان يدا فيها وضع أحمد خان رسالة باللغة الأوردية الهندية يذكر فيها أن الثورة الهندية ثورة شعب ضد المظالم الإستعمارية، وهكذا واصل عمله الإصلاحي التوفيقى في طرق التربية والتعليم آخذاً بذلك عن الإنجليز العلوم الحديثة.

¹ - عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائرية وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى -دراسة تاريخية وإيدولوجية مقارنة-، المرجع السابق، ص 58، 60. أنظر: (عبد الكريم بوصفصاف: الفكر العربي الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص 274، 278).

أما حركة محمد بن علي الشوكاني* في اليمن، حيث كان المجتمع اليمني في عهده ينقسم إلى: الشافعية**، والزيدية***، والباطنية الإسماعيلية****، فعم البلاد فساد الحكم وانحطاط المجتمع وتسلط الأسرة الحاكمة وتفاقم الفتن الداخلية، أما على المستوى الثقافي فقد انتشرت البدع والخرافات، وانتشر الجهل والتقليد للأئمة السابقين بالإضافة إلى زيارة القبور والتشفع بالصلحين، فظهر الشوكاني بأرائه التي كانت إمتداداً لأراء محمد بن عبد الوهاب وإبن تيمية. وتتلخص مبادئ دعوته في:

- 1- الإعتدال على القرآن والسنة والأحكام الدينية، وإعتبار غير ذلك من قياس وإجماع عرضة للنقد لأنه قابل للصحة أو الخطأ.
 - 2- تنقية الدين الإسلامي من البدع والخرافات التي لحقت به معتمداً بذلك على التوحيد.
 - 3- رفض التقاليد.
 - 4- الدعوة إلى فتح باب الإجتهد في وقت عزف عنه العلماء.
- كما عالج الأمور السياسية كالإمامة وشروطها، وأبطل بعض العادات في العبادة، ودعى إلى الإصلاح الإجتماعي وخاصة دعوته المرأة إلى العمل ومساعدة عائلتها وزوجها في كسب العيش.

* - ولد في هجرة شوكان باليمن (1758م- 1834م) وتعلم بمدين صنعاء ثم تولى التدريس كما مارس الإفتاء وتولى، وفي سنة 1792م تولى الشوكاني وظيفة القضاء الأكبر وظل في هذا المنصب إلى غاية 1832م وفي آخر حياته تولى منصب الوزير إضافة إلى وظيفته في القضاء الأكبر، ولعل ماجعل الشوكاني يحظى هذه المكانة لدى حكام اليمن تعمقه في مختلف العلوم، فكان شغوفا بمطالعة كتب التاريخ والأدب كما قرأ الكثير من المصنفات والمتون، ألف الشوكاني كتب وصلت إلى 100 كتاب تعالج في مجملها الإتجاه العام للرسالة المحمدية، أنظر: (عبد الكريم بوصفصاف: الفكر العربي الحديث والمعاصر، المرجع نفسه، ص279، 280).

** - نسبة إلى إدريس الشافعي ولد بغزة 767م، عاش مع الإمام مالك 9 سنوات في الحجاز، ثم سافر إلى بغداد ولازم الفقيه محمد بن الحسن الشيباني، توفي في الفسطاط سنة 820م وله عدة مؤلفات، الأم والرسالة، أنظر: (المكان نفسه)

*** - وهم من أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، قالوا بوجود الإمامة في أولاد فاطمة وألزموا طاعة العلماء منهم، أنظر: (المكان نفسه)

**** - فرقة من فرق الشيعة تسند الإمامة إلى ذرية إسماعيل بن جعفر الصادق، أنظر: (المكان نفسه)

وتبقى حركة شهاب الدين محمود الألوسي في العراق الذي ولد عام 1802م، حيث تلقى تعليمه الأول على يد أبيه الشيخ محمود، كما درس العلوم الدينية على مشايخ عصره، وفي عهد الوزير "علي رضا باشا" عُين أميناً للإفتاء، وأثناء أدائه لهذه المهمة تعرض للأذى وسجن عاماً ونصف ثم عين مفتي للحنفية في بغداد، وقد تم عزله بعد تعيين "محمد نجيب باشا" خلفاً لـ "علي رضا باشا"، فعاش بعد ذلك في فقر مدقع فلجأ إلى الآستانة ليعرض أمره على المسؤولين وقد قابله شيخ الإسلام والصدر الأعظم بحفاوة بالغة، كما حارب الصوفية وهاجمهم واعتبرهم سبباً في إبطال الشريعة وإفساد الدين¹.

هذه الحركات الأربع تشكل في مجموعها حجر الأساس في الحركات الإصلاحية الإسلامية، التي ظهرت في الوطن العربي، وهي رغم اختلافها في المنهاج والأساليب التي اعتمدها في تبليغ دعوتها إلى الناس، لكنها كانت تهدف إلى إصلاح أوضاع المسلمين والنهوض بهم من سباتهم الطويل، رغم أنهم كانوا يفتقرون إلى المنهج الشمولي في دعوتهم إلى النهوض واليقظة².

وقد ساهمت هذه الحركات بقسط وافر في تبلور الحركة الإصلاحية في الجزائر، حيث تأثر بها العديد من القادة السياسيين والتي سيتم ذكرهم في هذه الدراسة.

كما ربط بعض الباحثين وفي مقدمتهم ماسينيون (Massinione) بين جمعية العلماء وحزب السلفيين المتشددين ذوو النزعة النصف وهابية، واعتبرها شعبة من الحركة التي كانت تمثلها القاهرة في مجلة المنار كما ربط بينها وبين الحركة السلفية في المغرب التي نشأت عنها الأحزاب الوطنية، وقد ذكر أن برنامج الجمعية يرجع إلى تعاليم القرآن التي لم يتطرق إليها الفساد³.

¹ - عبد الكريم بوصفصاف: الفكر العربي الحديث والمعاصر، ج1، المرجع السابق، ص ص 274، 276.

² - المرجع نفسه، ص ص 277، 288.

³ - أنور الجندى: المرجع السابق، ص 47.

ويتناول الدكتور صالح خرفي¹ وهو يذكر أمر الوهابية وتأثيرها على الحركة الإصلاحية في الجزائر أنها مجرد وهم لاحقيقة له، وماتومه بعضهم من أن المصلحين في الجزائر قد تبنا مذهب الوهابية وأتوا بها من الحجاز ولربما التبس الأمر على الكثير ممن أسموا الحركة الإصلاحية في الجزائر بالوهابية، وربما ظنها البعض الآخر أنها إمتداد لها ودليلهم في ذلك أن معظم المصلحين في الجزائر أمضوا فترة ليست بقصيرة في الحجاز، غير أن البشير الإبراهيمي يدد هذا اللبس وينفي هذا الوهم ويقول أن الفئة التي أتت من الحجاز جاءت بالهدي المحمدي الكامل، كما تأثرت بالإصلاح تأثرا كاملا ومباشرا من كتاب الله وسنته وليس بأي حركة، فلم يكن في الحجاز في ذلك الوقت يذكر الإصلاح إلا في مجالس محدودة وعند علماء معدودين، كما أن الحركة الوهابية كانت محصورة في نجد إبان وجود الجزائريين في الحجاز، ويوم دخول عبد العزيز إلى مكة كان الجزائريون قد انتقلوا إلى الجزائر.

كما لا ننسى إضافة إلى هذه الحركات الحركة الإسلامية العربية التي كانت مبنية على الإصلاح الديني، بالرجوع إلى كتاب الله وسنته، والتي تزعمها أيضا جمال الدين الأفغاني (1838م- 1897م)² الذي كان بذلك رائدها الأساسي، هذا الرجل الذي حباه الله بعلم غزير وشخصية قوية ولسان حاد سخر كل ذلك في خدمة الإسلام والمسلمين، ولقد طاف الأفغاني في الكثير من ديار الإسلام باذلا وقته وجهده في خدمة الدين الإسلامي منبها للعقول، وموقظا للهمم يزيل الغشاوة عن العيون، والتراكمت عن القلوب، حتى قيص الله لدعوته أن تنتشر بعد أن سار على دربه علماء أفاضل أمثال: محمد عبده في مصر، وشكيب أرسلان من لبنان، ثم جاء بعدهم جيل صالح حملوا لواء العقيدة الإسلامية وساروا على منهج الإصلاح³، إذ مزج جمال الدين الأفغاني بين الإهتمام بالنضال السياسي والنضال الفكري والديني لأتھما متكاملان يؤثر أحدهما في الآخر، فإذا كانت الحركة النضالية في منظور جمال الدين الأفغاني، هي تحرير البلاد الإسلامية من كل أشكال الظلم والاستبداد

¹ - محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، المصدر السابق، ص 27.

² - عبد الرحمان العقون: المرجع السابق، ص 183.

³ - عمار قليل: المرجع السابق، ص 138.

والعمل من أجل نهضتها وتحقيق وحدتها - لأنه كان من أنصار الوحدة الإسلامية - ومحاربة كل ما يوقعها عن التقدم، فإن المحرك الأساسي هو نشر العقيدة الإسلامية الصحيحة، وبث الوعي القومي والروح الثورية في نفوس المسلمين، وهذا ما كانت تدعو إليه "العروى الوثقى"، ومن هذه النقطة انبعث الخلاف بينه وبين محمد عبده، الذي كان يرى أن البداية يجب أن تنطلق من تصحيح العقيدة ونشر التعليم ومحاربة البدع ونشر الوعي، بينما كان جمال الدين يرى بالتحريك السياسي وتعبئة الجماهير تعبئة سياسية وثورية تستطيع التصدي للإستعمار، فالسيد جمال الدين كما يراه فتحي عثمان¹:

"رجل دين وإن غلبت عليه السياسة ومحمد عبده رجل سياسة وإن غلب عليه الدين"، وبهذا يتأكد من أن أفكار الشيخ محمد عبده التي كانت إمتداداً لأفكار الشيخ جمال الدين الأفغاني، من بعض الوجوه التي كانت تصل إلى الجزائر وتؤثر في نفوس الوطنيين الذين كانت تقلقهم حالة البلاد المتدهورة ويؤكد الشيخ خير الدين وهو عضو من أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين هذا التأثير حين يقول: "والحركات التحريرية في بعض بلدان المشرق العربي مدينة لحركة الإصلاح الفكري والديني التي قادها موقض الشرق جمال الدين الأفغاني ومن بعده الإمام محمد عبده ثم تلميذه رشيد رضا، ولم تكن هذه الحركات بعيدة عنا بل كان مددها متصلاً ببلادنا فجريدة العروى الوثقى التي كان يصدرها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومجلة المنار التي كان يصدرها رشيد رضا ومجلة الفتح التي كان يصدرها محب الدين الخطيب، من الصحف التي كانت تغذي نفوس المصلحين"².

ومن المجلات والجرائد التي كانت لها قراء في الجزائر ولها تأثير كبير في بث اليقظة العربية الحديثة في مطلع القرن العشرين، نذكر بالإضافة إلى المجلات التي سبق ذكرها جريدتي المؤيد واللواء فالأولى أسسها الشيخ علي يوسف في القاهرة عام 1867م، وكانت تدعو إلى اليقظة العامة وإصلاح الأوضاع الداخلية في البلاد العربية ومقاومة الإستعمار والإستبداد السياسي والظلم الإجتماعي وتبث حب الحرية في النفوس، والجريدة الثانية التي أسسها الزعيم المصري مصطفى كامل في القاهرة سنة

¹ - عبد القادر فضيل، محمد صالح رمضان: المرجع السابق، ص 26، 27.

² - المكان نفسه.

1900م، وكانت تكتب عن الجزائر كثيرا وتدافع عن أقطار المغرب العربي في وجه المظالم الإستعمارية وتعنى بشؤون العرب والإسلام عناية كبيرة. وكانت منبرا عاما للوطنية الصادقة والأفكار السياسية القومية ولا ننسى شكيب أرسلان وعبد الرحمان الكواكي وغيرهما¹.

أما الاختلاف بين حركتي جمال الدين الأفغاني ومحمد بن عبد الوهاب والسنوسي، في أن هذين الأخيرتين كانتا تريان أن علة إنحطاط المسلمين هي البدع، التي شوهدت مبدأ التوحيد في الإسلام وبالتالي النهوض بالمسلمين يتمثل في الرجوع المطلق إلى القرآن والسنة، كما كانا في زمن الرسول والخلفاء الراشدين، أما جمال الدين الأفغاني فلم يكن أقل إهتماما بهذا الجانب إلا أنه دعا إلى إصلاح شؤون الدنيا والدين، فنادى بالثورة على المستعمرين والملوك المستبدين، وعلى الجامدين من علماء الدين، وكانت أمنيته في فكرة الجامعة الإسلامية والتي تعني إتحاد جميع الأمم الإسلامية إتحادا حرا تحت سلطان خلافة منظمة².

انتشرت أفكار الشيخ محمد عبده (1849م-1905م)³، وهو من المجددين الحقيقيين في الإصلاح الإسلامي وفي علم الكلام، وفي إعادة بناء المجتمع الإسلامي بالدفاع الخالص عن حقيقة الإسلام وتخطيه حالة الجمود⁴، والذي نشر أفكاره في الجزائر كلا من الشيخين محمد بن مصطفى بن خوجة (1865م-1917م)، والشيخ عبد الحليم بن سماية، اللذان كانا من أحرص الجزائريين على مطالعة مجلة المنار، بحيث أنهما أوصيا الشيخ محمد عبده عند زيارته للجزائر أن يبلغ الشيخ رشيد رضا وأن يوصيه أن لا يذكر في المجلة دولة فرنسا بما يسوؤها لئلا تمنع المنار من الدخول إلى الجزائر، فيحرمها من قرائتها وقد كانا يعدانها مدد الحياة، أما الشيخ محمد عبده فقد أخذ عليه ليه فما من

¹ - عبد القادر فضيل، محمد صالح رمضان: المرجع السابق، ص 26، 27.

² - عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائرية وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى - دراسة تاريخية وإيديولوجية مقارنة-، المرجع السابق، ص 62، 65.

³ - عبد الرحمان العقون: المرجع السابق، ص 183.

⁴ - عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائرية وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى - دراسة تاريخية وإيديولوجية مقارنة-، المرجع السابق، ص 65، 66.

كتاب أو رسالة له إلا ويقتنيها الشيخ محمد بن خوجة، ويقرأها ويشرحها على العموم في دروسه، حتى أنه لما حصل على تفسير سورة "والعصر" درسه عشر مرات، وشرحه على كل من يتبعون حركة الإصلاح في الجزائر من العلماء والطلبة والأعيان، وكاتب الشيخ محمد عبده يخبره بذلك، ولما عزلته الإدارة الفرنسية من وظيفته لصلته بمحمد عبده، وبمحمد فريد، أخذ يلقي الدروس في جامع حي بلكور بالجزائر العاصمة، وكتب عنه المرحوم عمر راسم¹ فقال: الشيخ محمد بن مصطفى شاعر الجزائر في وقته وأفصح علمائها وأعلمهم بتراجم علمائها، كثير الإطلاع ولوع بالكتب العصرية، شغوف بمحبة الشيخ عبده وهو الذي أدخل مذهبه إلى الجزائر، فعرف الناس به وبجمال الدين الأفغاني ثم ذكر ماترك من آثار منها ديوانه الشعري الذي فقده الأدب الجزائري، ومنها كتابه "الإكتراث في حقوق الإناث" و"اللباب في أحكام الزينة واللباس والإحتجاب" وكتاب "إقامة البراهين العظام على نفي التعصب الديني في الإسلام"، كما له تحقيقات في تفسير الثعالبي للجواهر الحسان².

أما ما تركه الشيخ محمد عبده بعد زيارته للجزائر في ظروف غامضة وصايا هامة كما نعتها تلميذه رشيد رضا، ذلك بمسألة الحكومة وترك الأشغال بالسياسة والفتوى للحكومة الفرنسية حيث قال: "أن فرنسا أمة كتابية ويمكن للمسلم أن يعيش تحت ظلها وليست كافرة كما كان يعتقد الجزائريون"³.

بالإضافة إلى شكيب أرسلان* أمير البلاغة العربية ومنشط الدعاية للقومية العربية والمفكر بالنسبة للعلماء المسلمين في المجال السياسي، وكان ابن باديس يرأسه بانتظام ويراسل أيضا مفتي القدس الأكبر¹.

¹ - عبد الرحمان العقون: المرجع السابق، ص 183، 184.

² - المكان نفسه.

³ - محمد فنانش: آفاق مغاربية "المسيرة الوطنية وأحداث 8 ماي 1945م"، المصدر السابق، ص 39.

* - شكيب أرسلان (1869-1946م) في حارة الأمراء بحي أرسلان بقرية الشويفات من أصل لبناني دخل المدرسة القرآنية في سن الخامسة، ثم تابع دراسته بالمدرسة الأمريكية، ثم مدرسة الحكمة تعلم عدة لغات منها الفرنسية والعربية والتركية، اهتم أرسلان

يمكن القول أن مصلحو القرن التاسع عشر في المشرق العربي قد عالجوا مختلف الموضوعات التي كانت تشغل بال الجماهير المسلمة في تلك الأصقاع، وقد ركزوا خاصة على تربية الأجيال وإصلاح الأنظمة السياسية، وتنقية الدين من البدع والخرافات، ورفع مستوى الوعي لدى الإنسان العربي المسلم ومقاومة المد الإستعماري الغربي الذي أخذ ييلع البلاد الإسلامية جزءا بعد آخر في حملة عسكرية وسياسية وثقافية شرسة، فكان علماء الجزائر يتتبعون يقظة المشرق منذ خاتمة القرن التاسع عشر، فجمعوا بين القضايا العامة للشعب الجزائري وقضايا الأمة العربية، وانتهوا إلى نتيجة حتمية تجعل أساليب ومناهج الكفاح أو الجهاد في الجزائر تختلف عنها في المشرق، وقد تزعم هذا الإتجاه العلماء المصلحون المجددون².

والحق أنه تم إحتكاك المثقفون الجزائريون، ومنهم قاد الإصلاح بالمصلحين العرب، والأخذ بالتيارات التي كانت تنادي بالرجوع إلى كتاب الله وسنته، ونبد الإستعمار والسعي إلى التحرر منه كما تأثروا بالشخصيات الإصلاحية والتي كان لنا الحظ في زيارة بعضها للجزائر.

تأثير حركات الإصلاح في المغرب على القادة:

استمرت الحركة الإصلاحية في المغرب مثل أختها في المشرق العربي، وقد تزعمها أول الأمر محمد بن علي السنوسي سنة 1834م، ثم المشايخ يوسف الدجوي عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر

بمستقبل الأمة العربية والإسلامية، إلتقى بشخصيات بارزة منهم محمد عبده ورشيد رضا كما تأثر بالافغاني، تقلد أرسلان مناصب حكومية سامية كمنصب قائم مقام لقضاء منطقة الشوف في لبنان، كما شارك في الحرب الطرابلسية في 1911م، وفي 1912م أصبح نائبا على منطقة الحوران في البرلمان العثماني في الأستانة ومع بداية العشرينات سافر إلى برلين، وفي سنة 1930م أصدر مجلة الأمة العربية، وفي 1934م إلتقى أرسلان بزعيم الفاشية موسولوني حول المشكلة الطرابلسية، وبعد سنة ترأس المؤتمر الإسلامي الأروبي بجنيف وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية رجع إلى بيروت بعد أن قضى ربع قرن بعيدا عن وطنه وألزمه المرض الفراش، وتوفي في ديسمبر وتوفي في ديسمبر عام 1946م، أنظر: (أحمد مريوش: المرجع السابق، ص ص: 41، 40).

¹ - شارل روبر آجرون: تاريخ الجزائر المعاصرة، المصدر السابق، ص 540.

² - عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائرية وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى -دراسة تاريخية

وايديولوجية مقارنة-، المرجع السابق، ص ص 73، 74.

الشريف، والنبهاني رئيس محكمة الحقوق في بيروت وغيرهم لكن تأثيرها كان محدوداً¹، أما محمد السنوسي فقد هزه حادث الإحتلال الفرنسي للأرض المغاربية ودفعه إلى العمل السريع، من أجل المقاومة على أساس حركة تجميع شاملة تعم العالم الإسلامي كله، وتحاصر الإستعمار وتحاول أن تقضي عليه، وقد بدأت الحركة السنوسية في برقة ولكنها مدت نفوذها إلى المغرب كله وإلى إفريقيا في الجنوب².

كان هدف الحركة السنوسية جعل الإنسان مسلماً صالحاً لا صوفياً غيبياً، فجلبت بطريقتها المعتدلة أتباعاً كثيرين وانتشرت بين أهل البادية إنتشاراً واسعاً، وقد إرتكزت على المبادئ التالية:

- 1- العودة بالإسلام إلى صفائه الأول.
- 2- إعتبار الكتاب والسنة مصدرَي الشريعة الإسلامية .
- 3- الدعوة إلى فتح باب الإجتهد في الإسلام وإعتبار غلقه سبباً في تحجر الفكر الإسلامي ودخول البدع إليه.
- 4- تطهير الدين مما علق به من بدع وخرافات.
- 5- الإيمان بما تدعيه الصوفية من الرؤيا والإتصال والكشف.
- 6- حصر الإمامة في قريش³.

وعلى تخوم ليبيا وبالقرب من السنوسيين، نجد مصلح ثائر تميزت تعاليمه بالدعوة الصريحة للثورة على الخرافات والبدع والعودة بالإسلام إلى ينابيعه الأولى، وهو محمد بن محمد في السودان المعروف بالمهدي ومما جاء في تعاليمه:

¹ - عبد الرحمان العقون: المرجع السابق، ص 185.

² - عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان: المرجع السابق، ص 22.

³ - عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائرية وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى - دراسة تاريخية وإيديولوجية مقارنة-، المرجع السابق، ص ص 60، 61.

- 1- ترك الكتب لكتاب الله، قائلًا: وطريقنا لا إله إلا الله، محمد رسول الله ومذهبنا الكتاب والسنة.
- 2- الجمع بين المذاهب الأربعة والخروج بمذهب إجتهادي خاص والإتقاد أن العلماء السابقين لو أدركوه لأتبعوه، على إعتبار أن مذهب المهدي هو كتاب الله والسنة.
- 3- حصر الطريق الموصلة إلى الله في ستة أمور: صلاة الجماعة، والجهاد في سبيل الله، والإمتثال لأوامره وإجتنا نواهيه، الإكثار من كلمة التوحيد، وتلاوة القرآن الكريم، وتلاوة الراتب وهو عبارة عن مجموعة من الأحاديث والآيات التي فرضت على أتباع رسول الله حفظها غيبيا.
- 4- تحريم زيارة قبور أولياء الله الصالحين، وتحريم الرقص والغناء والبكاء وراء الميت، ومقاومة السحر، ومقاومة شرب الحشيش والخمرة، ودعا إلى البساطة في أمور الحياة.
- 5- القضاء على الفساد السياسي في السودان وبقية الأقطار السياسية¹.

العلماء المصلحون والسياسة:

يرتبط الفعل السياسي كالعادة إرتباطا وثيقا بالفعل الديني، ولا يمكن فصل تطهير العقيدة والملل والنهوض بالثقافة العربية في نظر العلماء عن التوجه السياسي الأساسي، الذي يصبو نحو العروبة والوطنية الجزائرية، وكانت النزعة الإصلاحية تنتقل شيئا فشيئا من الدفاع عن العروبة، الذي يعد موقفا عاطفيا ودينيا على الخصوص إلى القومية العربية السياسية، وتؤكد هذا التوجه خاصة بعد إحياء الذكرى المئوية للإحتلال².

¹ - المرجع نفسه، ص ص 61، 62.

² - شارل رويبر آجرون: تاريخ الجزائر المعاصرة، المرجع السابق، ص 539.

والحقيقة أن الدارس لهذه الفترة من تاريخ الجزائر الحديث يلحظ أن جمعية العلماء، قد حاولت في قانونها الأساسي تجنب الصدام مع الإدارة فنصت على عدم الإنشغال في السياسة وصبت جهودها أول الأمر على برامج شبيهة ببرامج السلفية الهادفة إلى تنقية الدين من البدع والخرافات¹.

يذكر أن المصلحين في الجزائر لم يشاركوا في مجمل النشاطات السياسية بعد عبد الحميد بن باديس، لأنهم لم يكونوا قد بلغوا من النضج والتكوين، ما يسمح لهم بعدم فصل الدين عن السياسة لذلك رأيناهم يعملون صادقين في سداجتهم على منع تلامذهم من تعاطي السياسة، بعد أن اعتزلوها بمحض إرادتهم باعتبارها أنها من إختصاص قادة الحركة الوطنية، والواقع أن هذا مجرد إدعاءات لها ما يبطئها، إننا لا نريد هنا أن نقيم ما يقوم به المصلحون والجمعية، ولكن ذلك لا يمنعنا خلافا عما تعودنا سماعه أن نؤكد أن جمعية العلماء هيئة تعليمية وإصلاحية، ولكنها كذلك سياسية وإجتماعية في آن واحد فهي تدافع عن الذاتية الجزائرية التي هي عبارة عن الإسلام والعروبة، هذا من الناحية الداخلية أما من الناحية الخارجية، فإن عمل الجمعية مركز على تمكين أخوة الإسلام وتقوية روابط العروبة².

ومن هذا المنطلق فإن جمعية العلماء المسلمين لا تعدو أن تكون مجرد جمعية دينية إصلاحية من بين 2799 جمعية سمحت الإدارة الفرنسية بظهورها في الجزائر في الفترة الممتدة من 1900م إلى 1962م، ولكن نلاحظ أن الكتابات الفرنسية المبكرة حول جمعية العلماء سرعان ما تجاوزت هذا التحليل السطحي للخوض في العمق محاولة فهم الخلفيات الحقيقية لظهور جمعية العلماء، ويمكن هنا أن نشير إلى الدراسة التي قام بها المؤرخ الفرنسي جاك كاري³ (Jack Careé) والتي ورد فيها أن: "القانون الداخلي للجمعية تم تحريره بشكل غير مفصل بهدف تحقيق التيارات المختلفة التي كان يمثلها أعضاؤها، ومن أجل تفادي انتباه السلطات العمومية (الإستعمارية) إليها"، وذكر الشيخ خير الدين

¹ - كمال عجالي: المرجع السابق، ص 8.

² - محمد العربي الزبيري: المثقفون المرجع السابق، ص 73، 74.

³ - منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة 1 نوفمبر 1954م: المرجع السابق، ص 258.

في مذكراته أن الإمام عبد الحميد بن باديس قد أبعده عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كل ما من شأنه أن يجعلها حزبا أو يصبغ نشاطها بطابع سياسي وإن كان الهدف الذي تسعى إليه هو الإستقلال رغم أنها لم تفصح عن ذلك، إيماننا منها أن العمل السياسي سيجعلها معرضة لبطش الإستعمار الفرنسي، فتموت قبل أن تنضج ثمارها، ومن جهة أخرى أن الدعاية الوطنية الأصيلة تتمثل في العودة إلى الشخصية الجزائرية¹.

كما ترى الكتابات الفرنسية أنه لا يوجد تيار إصلاحى واحد، بل تقاسمت الساحة تيارات متباينة ومتناقضة، من الإصلاح الصوفي إلى الإصلاح المحافظ ووصولاً إلى الإصلاح التجديدي، ويذهب القول أن التيارين السابقين كانت جذورهما وليدة البيئة المحلية بينما ارتبط التيار الثالث بالتيارات الإصلاحية الكبرى في العالم الإسلامي، بالإضافة إلى التجارب الذاتية لكل من الشيخ عبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي والعقبي، كما أجمعت الكتابات الفرنسية على التأثير المشرقي، فذكر جاك كاري (Jack Karre) في دراسته حول الجمعية الذي ذهب إلى أصول فكرة الإصلاح حيث ذكر أن المنبع التاريخي لجميع التيارات الإصلاحية المعاصرة هو شيخ الإسلام ابن تيمية في القرن 13م.

وفي مقابل هذا الطرح يركز فيليب تريبي (Phillips Trippiez) في أحد مؤلفاته التي تناولت "حرب الجزائر" على التأثير الوهابي في توجيهات الحركة الإصلاحية في الجزائر التي كانت تسعى إلى تنقية العقيدة والتراث والعودة بها إلى صفاتها الأولى خاصة وأن هؤلاء العلماء امتلكوا ثقافة عربية غزيرة، تحصلوا عليها في الجزائر ثم في الجامعات الإسلامية كالزيتونة والأزهر والقرويين.

¹ - عمار قليل: المرجع السابق، ص 141.

أما الباحثة الإجتماعية الفرنسية جوليتت بسيس* (Joliette Bessis) التي خلصت إلى تحديد المعالم التاريخية لميلاد الحركة الإصلاحية بالجزائر، والتي كانت ثمرة لحركة الإحياء الإسلامي التي ظهرت في القرن 19م على يد جمال الدين الأفغاني ودعاة الجامعة الإسلامية، والعديد من الحركات الإصلاحية¹.

ويظهر الإنتماء المشرقي للجمعية وأبرز قادتها في الأسس والمبادئ التي قامت عليها دعوة الجمعية ما يوضح لنا التماثل والتشابه الموجود بين كل من فلسفة الجمعية والنظرية الإسلامية التي تحدد العلاقة بين المسلمين من جهة، وبين غيرهم من جهة أخرى ويمكن تتبع هذه الأسس كمايلي:

1- الإسلام هو دين الله الذي وضعه لهداية خلقه.

2- يدعو الإسلام إلى الأخوة، ويدعو إلى المساواة في الحقوق بين البشر وجميع الأجناس والألوان،

كما يفرض العدل بين الناس دون أدنى تمييز، الدعوة إلى الإحسان العام، وتحريم الظلم بجميع وجوهه، ويمجد العقل لبناء الحياة على التفكير، كما تنشر الجمعية دعوتها بالحجة والإقناع وليس بالإكراه، لإضافة إلى العدالة الإجتماعية والتكافل الإجتماعي، ومنع الإستبداد.

وهكذا كانت دعوة الجمعية في العودة إلى منابع الدين الإسلامي الأولى من الكتاب والسنة².

إن المسألة الهامة التي نستخلصها هي التأثير المشرقي على الحركة الإصلاحية في الجزائر،

المتمثل في التأثير الوهابي، وفكرة الجامعة الإسلامية والدعوة السلفية لقد كان لجمعية العلماء المسلمين دور سياسي في الحركة الوطنية الجزائرية، رغم أنها كانت حركة دينية كما يرى فيليب تريبي³ أن من

* - ذات الأصول التونسية واليهودية، أنظر: (منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة 1 نوفمبر

1954م: المرجع السابق، ص258)

¹ - المرجع نفسه: ص ص258، 260.

² - عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائرية وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى -دراسة تاريخية

وإيديولوجية مقارنة-، المرجع السابق، ص ص149، 155، 157.

³ - منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة 1 نوفمبر 1954م: المرجع السابق، ص261

أهم التيارات التي نشأت منها جبهة التحرير الوطني هو التيار الإسلامي الذي كانت تمثله جمعية العلماء، حيث قال: "على الرغم من كون الهدف في البداية كان دينيا محضا بالنسبة للجمعية، إلا أن عناصر هذا التنظيم سرعان ما تجاوز ذلك الإطار، وهذا ما جعلهم في مواجهة مباشرة مع الذين كانوا في خدمة الإستعمار".

وقد ساند هارتمورت ألسنهانس (Hartmorth Alsenhans) حيث يذكر أن منشأ الجمعية في الأصل لم يكن تصادمية مع السيادة الفرنسية في الجزائر، لكن القادة الذين كانت لهم ميولا سياسية سرعان ما غادروا صفوفها سنة 1938م لأنهم لم يقبلوا بالدمج بين الإصلاح الديني والسياسة، وهذا ماجاءت به دراسة المؤرخ الفرنسي جون غلوري (John Glorie) حيث أنه لاحظ أن شعارات الجمعية كانت بمثابة برنامج سياسي لها فقد انخرط العلماء المصلحون في اتخاذ المواقف السياسية وهو ما كان يوافق منطق الإسلام التجديدي والتقليدي القائل بعدم التمييز بين ماهو زمني وماهو روحي¹.

ويظهر ذلك في أهداف الجمعية التي سطرها قادتها حيث جاء فيها:

- 1- جمع طائفة العلماء للتعاون على نصح الأمة وإرشادها لما فيه منفعة في دينها ودنياها.
- 2- إحياء الشخصية العربية الإسلامية الجزائرية والتصدي لدعاة الفرنسية والإندماج.
- 3- إظهار التمايز بين الجزائر كأمة ذات تاريخ وحضارة وإنتماء، وبين الفرنسيين كأمة منفصلة لا علاقة لها مع الشعب الجزائري.
- 4- محاربة البدع والضلالات وتنقية الدين الإسلامي مما علق به طوال الفترة المظلمة السابقة، ومحاربة الآفات الإجتماعية كالخمر والميسر.

¹ - منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة 1 نوفمبر 1954م: المرجع السابق، ص ص261، 263.

5- فصل الدين الإسلامي عن الدولة، إسوة بالدين المسيحي واليهودي اللذان كانا غير خاضعين لتسيير الدولة¹.

وصلت أبحاث جاك كاري (Jack Careé) التي أصدرها في الخمسينيات إلى أن توجه السياسي للجمعية وقادتها وإستلهاهم لمفهوم الدولة التيقراطية* أي الدولة الدينية، كما أنها تبنت الفكرة التي مفادها إستقلال الجزائر هو الحل الوحيد الذي سيسمح للجزائريين بالممارسة الحقيقية لعقيدهم، وتبقى هذه الشواهد غير كافية لإبراز الموقع الذي احتلته جمعية العلماء كفضيل سياسي بين تيارات الحركة الوطنية، لكن مساهمتها في الحياة السياسية في الجزائر في الفترة الممتدة 1931م- 1956م، لا تنفي الدور الذي لعبته في الحركة الوطنية كمعاركها في مواجهة الطرقية، والتي انتقلت في مابعد إلى مناوشات مع الإدارة الفرنسية في ما يخص فصل الدين عن الدولة، هذه القضية التي تبنتها في مابعد كل الأحزاب السياسي ضمن المؤتمر الإسلامي سنة 1936م، وفي برنامج حركة أحباب البيان والحرية سنة 1944م، لكن الجمعية كانت الأكثر إلحاحا في هذه القضية، فأصدرت ثلاث مذكرات طلبوا من خلالها إعادة المساجد للمسلمين، وبإستعادة القضاء والأوقاف الإسلامية، كما طالبوا بتطبيق قانون 12 ديسمبر 1905م، و 27 سبتمبر 1907م اللذان نصا على فصل الدين عن الدولة، والتي لم يتطور فيها موقف الإدارة الإستعمارية أبدا، بالإضافة إلى موقف الجمعية من التجنيس والإدماج حيث اعتبرتهما من المسائل المصيرية، وكانت لعبد الحميد بن باديس العديد من الفتاوي القاضية بتحريم التجنيس بالجنسية الفرنسية والتي نشرها على صفحات جريدة "الشهاب"².

¹ -عمار قليل: المرجع السابق، ص 141.

* - تيوقراطية: نوع من نظام الحكم يجمع فيه الحاكم بين السلطتين الدينية والروحية، وهو مذهب يقوم على تعليل السلطة السياسية لدى الجماعة على أساس الاعتقاد الديني ومنها نظرية (الحق الإلهي) في الحكم التي تعتبر أنّ الله عزّ وجل مصدر للسلطة، وأنّ الحاكم بمثابة ظلّ الله على الأرض، وتقوم التيقراطية على أساس العنصرية " اتّسمت الحضارة الأوربية بطابع التصدي للتيوقراطية. " أنظر: (www.Almany.com)

² - منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة 1 نوفمبر 1954م: المرجع السابق، ص 263، 264.

لقد كانت أسس المذهب السياسي لهؤلاء العلماء تتلخص في الشعارات الكبرى المتمثلة في الأمة والشعب والوطن والقومية، وتلك الألفاظ التي استعارتها الصحافة العربية في المشرق من الشباب الأتراك قبل الحرب العالمية الأولى هي الألفاظ التي استعملت أيضا في حمل شعارات القومية العربية في بلدان المغرب التي تنتمي إلى المجتمع العربي الإسلامي الذي يتطلع إلى الوحدة العربية ولهذا يطلق عليها الغربيون لفظ العروبة¹.

يمثل الجدول أهم قادة الإصلاح في جمعية العلماء ومهامهم السياسية²:

المهمة في الجمعية	أعضاء الإصلاح
رئيسا	عبد الحميد بن باديس
نائبا للرئيس	البشير الإبراهيمي
كاتب عام	محمد الأمين العمودي
نائبا للكاتب العام	الطيب العقبي
أمين المال	مبارك الملي
نائبا لأمين المال	إبراهيم البيوض
عضو مستشار	المولود الحافظي
عضو مستشار	الطيب المهاجي
عضو مستشار	مولاي بن الشريف
عضو مستشار	السعيد اليجري
عضو مستشار	عبد القادر القاسمي
عضو مستشار	محمد فضيل الورتلاني

¹ - شارل روبر آجران: تاريخ الجزائر المعاصرة، المصدر السابق، ص 539.

² - أحمد الخطيب: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي، المرجع السابق، ص 109.

ويمكن التكلم عن أهم قادة الإصلاح وتكوينهم السياسي ومدى تأثيرهم بالحياة السياسية، ورأى أبو القاسم سعد الله¹ أن الإبراهيمي أثناء تواجده في المشرق قد تأثر بحركة الجامعة الإسلامية التي كادت تكون في الحجاز والشام عندئذ قوة سياسية وثقافية مؤثرة، كما تأثر بالحركة السلفية التي كانت تدعو إلى العودة إلى منابع الصافية للإسلام، ويذكر الإبراهيمي نفسه أنه التقى شخصيا برشيد رضا في دمشق، وأنه كان من بين الذين بايعوا الأمير فيصل زعيما للثورة العربية، وفي عام 1920م عاد الإبراهيمي إلى الجزائر وعمل في البداية في التجارة فلم يوفق فيها، وخلال وجوده في سطيف دعا أهاليها إلى إقامة مسجد حر يمكن بواسطته نشر العلم وتوجيه دروس الوعظ والإرشاد بعيدا عن هيمنة الإدارة، ويعتقد أبو القاسم سعد الله أن الإبراهيمي لم يبدأ بالإصلاح فور وصوله للجزائر كما فعل ابن باديس والعقبي وابن عليوة فقد كان في رأيه أدبيا أكثر منه مصلحا نشيطا، لكن شيئا فشيئا استطاع ابن باديس التأثير عليه فأصبح من المصلحين، ولعل فشله في جذب جمهور أدبي في بلد مثل الجزائر تغلب عليها الأمية كان له دور كبير في هذا التحول والحق أن مساهمته في الحركة الإصلاحية كانت ضعيفة في العشرينات، ويبدو أن سعد الله² استعان في رأيه هذا بالكاتب الفرنسي ساراسان (Sarassane)، دون أن يأخذ بما قاله الإبراهيمي عن إجتماعاته بإبن باديس في الحجاز عام 1913م، بأنها كانت تديرا للوسائل التي تنهض بها الجزائر، ووضع برامج مفصلة لتلك النهضات الشاملة التي كانت كلها صورا ذهنية تتراءى في مخيلتنا، وأشهد الله أن تلك الليالي عام 1913م هي التي وضعت فيها الأسس الأولى لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين³.

وقد كانت لإقامة البشير الإبراهيمي في الحجاز وسوريا أثر كبير في مستقبل حياته الثقافية والسياسية، ففي المدينة ودمشق أخذ الإبراهيمي من منابع الثقافة العربية الإسلامية التي دعا لها جمال

¹ - أحمد الخطيب: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي، المرجع السابق، ص 149.

² - المكان نفسه.

³ - المرجع نفسه، ص 150.

الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده في القرن الماضي، وكون رصيда استطاع أن يساهم في إصلاح بلاده¹

وقد أوضح الإبراهيمي² حول ميولاته الأدبية والسياسية قائلاً: "لم يتسع وقتي للتأليف والكتابة مع هذه الجهود التي تأكل الأعمار أكلا ولكني أتسلى أي ألفت للشعب رجالا، وعملت لتحرير عقوله تمهيدا لتحرير أجساده، وصححت له دينه ولغته فأصبح مسلما عربيا، وصححت له موازين إدراكه فأصبح إنسانا أريبا، وحسي هذا مقربا من رضا الرب والشعب".

كما أنه لم يرتبط بأي وظيفة حكومية، كما ساعده عدم إنتمائه لأية هيئة على إتساع مجال رؤيته وحرية تفكيره³.

ومن كلام البشير الإبراهيمي يتضح لنا أنه فضل مصلحة وطنه على التأليف والكتابة، فخدم أمته وناضل من أجل القضية الوطنية.

الطيب العقبي: إن الممعن لحياته يلحظ أن الرجل كان ميالا إلى الحركة القومية العربية الداعية إلى قيام دولة عربية بقيادة الشريف حسين بن علي، وقد بذل العقبي جهدا في سبيل هذه الفكرة⁴، وعند قيام ثورة الشريف حسين نفاه الأتراك إلى "الروم إيلي" في الأناضول، ثم إلى أزمير بحجة إنتمائه إلى فكرة القومية العربية، وبعد الحرب العالمية الأولى عاد إلى مكة أين أكرمه الحسين وأسند إليه رئاسة تحرير جريدة "القبلة" خلفا للشيخ محب الدين الخطيب، وكلفه بإدارة المطبعة الأميرية⁵، لقد تربي العقبي في بيئة إنتشرت فيها الحركة الوهابية فأخذ فيما يبدو عن مبادئها وأفكارها واتضح ذلك جليا في سلوكه

¹ - عبد الكريم بوالصفاصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائرية وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى - دراسة تاريخية وإيدولوجية مقارنة-، المرجع السابق، ص 90.

² - محمد البشير الإبراهيمي: في قلب المعركة، المصدر السابق، ص 229، 230.

³ - محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، المصدر السابق، ص 27.

⁴ - كمال عجالي: المرجع السابق، ص 27.

⁵ - أحمد الخطيب: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحية في الجزائر، المرجع السابق، ص 159.

الإصلاحى الصريح والمتطرف أحيانا ولباسه الخاص حتى أسماء البعض بالوهابى وأطلقوا تسمية الوهابية على جمعية العلماء المسلمين، وقد عبر العقبي على المفهوم الوهابى الذى آمن به والذى يدعو إليه بقوله: "وإذا كانت الوهابية هي عبادة الله وحده بما شرعه لعباده فإنها هي مذهبنا وديننا وملتنا السمحة وعليها نحيا وعليها نموت ونبعث إن شاء الله من الآمنين وإن تكن الوهابية شيئا آخر غير هذا فإننا منها بريئون وعنها بعيدون"، ولعل مايعكس تعلق العقبي بالمبادئ الوهابية هو إستياؤه من التيار الطرقي الذي وجد عليه الجزائر بعد رجوعه إليها مباشرة، إذ اعتبر العقبي الطريقة من أكبر عوامل الإفساد للعقيدة الإسلامية لأنه كان يعتقد انه لا صلاح للمجتمع إلا بصلاح عقيدته ولذلك فقد شن حربا شعواء على الطريقة.

وإذا كانت الوهابية حركة إصلاح وتصحيح للعقائد، فإن الجامعة الإسلامية حركة إيقاظ وتوحيد للمسلمين، لذلك فإن دعوة أنصار الجامعة الإسلامية هي إيقاظ الضمير الإسلامى، وإعادة الإعتبار للخلافة الإسلامية، وقد عاش العقبي قريبا من تلك الإرهاصات، وأخذ عنها أفكارها الإصلاحية وكانت له إتصالات مع العديد من دعاة النهضة العربية والإسلامية، حول مصير العالم العربى بعدما تجلت في الأفق بوادر زوال الخلافة العثمانية وتكالب الأطماع الأروبية عليها، ولعل من أهم الشخصيات المشرقية التي تعرف عليها العقبي وخدم معها القضية العربية الإسلامية الأمير شكيب أرسلان، الذي تبادل معه الأفكار والرسائل العديدة حول مصير العالم الإسلامى، وقد أشار العقبي وأرسلان إلى تلك المراسلات وأرسل أرسلان إلى العقبي صورة تذكارية، وأعجب العقبي بتلك الهدية الرمزية المعبرة، والظاهر أن علاقة العقبي بأرسلان كانت تدور حول قضايا العالم العربى والإسلامى، وما آل إليه في خضم بوادر زوال الخلافة، وظهور فكرة الحماية والانتداب الأروبي على البلاد العربية، ولذلك فقد عاش وعان تلك الصراعات والتناقضات التي أفرزها المجتمع العربى في المشرق مع بداية القرن وقد كانت علاقتهما علاقة صداقة خاصة جمعت بين مصلحين، ولم تتوقف علاقة العقبي مع أرسلان بل توسعت لتشغل بعض العاملين في حقل الجامعة الإسلامية، ولعل منهم المكى بن عزوز(1854-1916م) من مواليد نفطة تونس وإن كان أصله من طولقة، تعلم في زاوية أبيه ثم إنتقل

إلى جامع الزيتونة فبرع في علوم الدين وأصبح مدرسا بها ونصبه السلطان العثماني عبد الحميد الثاني مدرسا للحديث والفقه في دار الفنون ومدرسة الواعظين، إذ جمعت بين الرجلين فكرة الوطن وتيار السلفية الصحيحة وهموم العالم الإسلامي، وما آل إليه وقد كانت العلاقة متينة بين المصلحين وصادقة، وقد كانت للعقبى آثار بارزة على نفسيته مثل الحرب العالمية الأولى وعلى شخصيته وباكورة أعماله لكنها ساهمت في يقين العقبي بضرورة تلاحم الشعوب العربية¹.

ومن أهم آراء الطيب العقبي في بعض المسائل التي تتعلق بالسياسة، مثل قضية التجنيس والتي كانت في نظره الملجأ الوحيد لنيل الحقوق الفرنسية، فدعى العلماء منهم البشير الإبراهيمي ومبارك المليي وكذا عبد الحميد بن باديس للكتابة في هذا الموضوع ومناقشة مسألة دينية إجتماعية يمكن لها أن تحسن من حالتنا الحاضرة، حيث أنه كان متساهلا في قضية التجنيس الجماعي وقد نشرت الفكرة جريدة الإصلاح، وقال فيها أحمد توفيق المدني أنها دعوة فاجرة لم ينصاع لها أحد إلا الأستاذ الأمين العمودي الذي أخذ يكتب عنها المقالات المطولة².

العربي التبسي: تأثر بالجو الفكري والسياسي الذي كان يسود مصر في العشرينات، حيث كانت ثمار النهضة تؤتي أكلها وكانت الحركة الوطنية في عز انتفاضتها فصمم للعودة إلى الجزائر ومشاركة المصلحين في جهادهم وكان مطلعاً على نشاطاتهم³.

مما سبق نصل إلى أن المصلحين في الجزائر تأثروا بالحركة السياسية في المشرق العربي، وقد نشرت الإدارة الفرنسية أن السكان الجزائريين انزعجوا من الدعاية التي تقوم بها الحركة الوهابية، ومن الحجاج الجزائريين الذين ييثون أفكار الجامعة الإسلامية، ومن جمعية العماء المسلمين الذي تربطهم علاقات مع الحزب الدستوري التونسي، ورغم أن الدعاية المذكورة كان الهدف منها نشر مبادئ الوهابية بين الجزائريين ضد إستغلال الطرقية والمرابطين للأهالي، فإنها في الواقع تهدف إلى الإضرار

¹ - أحمد مريوش: المرجع السابق، ص ص 37، 40، 42.

² - عبد الرحمان العقون: المرجع السابق، ص ص 195، 196.

³ - أحمد الخطيب: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المرجع السابق، ص 168.

بالوجود الفرنسي خاصة وأن معظم الطرقية والمرابطين تؤيد بقاء فرنسا في الجزائر، ورأوا أنهم مهددون من جراء الإنضمام اليومي للشباب الجزائري المتخرج من المدارس القرآنية لهذه الحركة¹.

المبحث الثاني:

التكوين السياسي لقادة التيار الإدماجي

لم تؤثر المطالب المتطرفة التي جاء بها أتباع مصالي، والإصلاحات المحافظة التي أيدتها جمعية العلماء كبير التأثير على الفئة المختارة من الجزائريين المستغربين والمثقفين، وهي فئة بدأت تظهر للوجود في أعقاب الحرب الكونية الأولى، وكانت هذه الفئة تكتفي لنفسها بتحقيق الإصلاحات في الحقلين التعليمي والمالي ووجدت هذه الفئة في فرحات عباس الصيدلي في سطيف الناطق المفوه بإسمها، وقد أكد عباس² في كتابه "الجزائر الفتاة" الذي نشره عام 1931م: "أن الجزائر أرض فرنسية ونحن فرنسيون لنا قانوننا الشخصي الإسلامي"، وقد أعربت نظريته عن التطور من مستعمرة إلى مقاطعة أصدق التعبير عن الرغبات الإدماجية عند فريق من المثقفين كما يذكر: "ليس هنا في القرآن الكريم ما يمنع الجزائري المسلم من أن يكون فرنسي الجنسية قوي السلاح حاضر الجنان داعيا للتضامن الوطني ولا شيء يمنع ذلك إلا الإستعمار"³.

هذه الفئة التي كانت ضمن الطلبة الذين أموا فرنسا والمشرق العربي في أواخر القرن الماضي ومطلع القرن العشرين للدراسة، وإتماء معلوماتهم واستكمال تكوينهم الفكري، فقد تشربوا عن طريق الإحتكاك بمبادئ الغرب والمثل العليا للحرية ذلك التشرب الذي ربما أهمل واجب مراعاة التلاؤم والإنسجام مع حريات الغير ومتطلبات الجماعات البشرية الأخرى، بحكم عدم رسوخ تقاليد موروثه في هذا الشأن لدى بعض الأفكار فقد نزعوا بسبب ما تشربوه من شعارات شائعة ولاسيما شعار

¹ - أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية، ج2، المرجع السابق، ص22.

² - جوان غليسي: المصدر السابق، ص64.

³ - المكان نفسه.

حق الشعوب في تقرير مصيرها، إلى المياسرة وإعطاء مفهوم الشعب مدلولاً أوسع حسب مفهوم المستوطنين، ومهما يكن من أمر فقد بدأ عهد المطالب الوطنية في حدود مطلع القرن العشرين، من الوعي السياسي لدى حركة الشبان الجزائريين التي ضاعفت من نشاطها بعد 1910م، الذين كانوا يرغبون في الحصول على وضع سياسي مماثل لأنفسهم وبقية الأهالي، حيث قد سئموا من معاملتهم على أنهم مواطنين من الدرجة الثانية في المواطنة الفرنسية¹.

يعبر عن هذه الفئة أعضاؤها أنهم "كالفرنسيون بكل بساطة"، وهي الفئة التي رفضت التنكر لثقافتها وإيمانها، حيث ذكر مولود فرعون في صحيفته يصف هذه الفئة: "بثقافتنا، أنا فرنسي كأني منكم، لكن لا تأملوا شيئاً آخر، وإلا كان مشينا، لن أستطيع نكران ثقافتنا، إلا أنني لن أتكر لذاتي"، بينما يؤكد الدكتور بن جلول في عام 1935م "أن الإسلام سيقى إيماننا العميق الذي اختاره أجدادنا بحرية والذي سننقله إلى أبنائنا كاملاً طاهراً"²، وأمام تمسك دعاة الإدماج بدينهم وميولهم للثقافة الفرنسية ستكون إشكالية هذا المبحث: كيف تأثر الجزائريون بفكرة الإدماج؟ وماهي أهم الأفكار السياسية للتيار الإدماجي؟

ظهرت هذه الفئة المفرنسة بمطالبها التي تعتبرها تقدمية وكانت هذه المجموعة لا تطالب بالمساواة مع الفرنسيين فحسب بل وبالاندماج التام، ثم انقسمت هذه الفئة إلى قسمين: قسم يطالب بالمواطنة الفرنسية دون الارتباط بالقوانين الإسلامية الشخصية، وقسم يطالب بالمساواة السياسية مع بقاء التعامل بالقانون الإسلامي، ويمثل القسم الأخير حفيد الأمير عبد القادر "الأمير خالد"، وبصفة عامة فإن هذه النزعة تهدف إلى فصل الدين عن الدولة مقلدة بذلك تركيا الفتاة التي كان لثورتها

¹ - علي تابلت: المرجع السابق، ص 17.

² - محفوظ قداش: تاريخ الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص 128.

صدي في الجزائر، وكان يقود هذه النزعة المعلمون والطلبة في المدارس الفرنسية والموظفون لدى الحكومة الفرنسية وغيرهم ممن يجيدون اللغة الفرنسية¹.

لقد تنكرت مجموعة كبيرة من المثقفين بالثقافة الفرنسية لقيم الأمة الجزائرية المستمدة من الإسلام، ومن الغريب أن يعقد هؤلاء إجتماعا في جوان 1930م بعاصمة الجزائر تمردا على الماضي وانسلاخا منه وتنكرا للقومية الجزائرية، وقد جاء ذلك على لسان أحد أعضائها البارزين وهو فرحات عباس²: "ولو أني اكتشفت القومية الجزائرية لكنت من القوميين ولما خجلت من ذلك، فالرجال الذين ماتوا من أجل مثلهم الوطنية مكرمون محترمون ولا تساوي حياتي أكثر من حياتهم، ومع ذلك لن أموت من أجل وطن جزائري لأن ذلك الوطن ليس له وجود، ولقد سألت التاريخ وسألت الأحياء والأموات وزرت المقابر فلم يحدثني أحد عنه ولا يمكن البناء على الهواء ولقد استبعدنا جميعا هذه الأوهام لنربط نهائيا مستقبلنا بما حققته فرنسا لهذه البلاد".

وأكد الأستاذ نصر الجويلي أن "هذا الموقف ليس مستبعدا من فريق تتقف ثقافة فرنسية وتتلذذ على يد مستشرقين، دأبهم الوحيد طمس معالم التاريخ القومي للشعوب العربية الإسلامية، والتنكر لكل ما أبدعوه من حضارة وتقدم في شتى المجالات بحيث أن هؤلاء نجدهم قليلا التحمس والشعور بالوطنية الحققة"³.

كما يذكر شارل روبيير آجرون أن أغلبية المعلمين تتألف من المجنسين الذين ظلوا الأكثر ديمقراطية في وسط الشباب الجزائري، ونظرا لكونهم من خيرة تلاميذ الجمهوريين الفرنسيين، فإنهم كانوا يشعرون بالراحة أكثر للمطالبة بالمساواة مع الفرنسيين، ومنهم من كان من الورعين الذين لم يتوانوا على ترك الأقسام الدراسية من أجل أداء الصلاة، وكانوا يطالبون بالمساواة من أجل المساواة في

¹ -عمار طالي: المصدر السابق، ص ص: 51، 52.

² -عمار بوحوش: المرجع السابق، ص 246.

³ - المرجع نفسه، ص ص 246، 247.

الحقوق والواجبات مع الفرنسيين، وبالتالي الوصول إلى الوظائف الحكومية والمساواة في الرواتب والخدمة العسكرية¹.

تأثير التجنيد الإجباري والمدرسة الفرنسية على نخبة الإدماج:

في سنة 1912م فرضت فرنسا الخدمة العسكرية الإجبارية على الأهالي²، متجاوزة بذلك القوانين الإستثنائية التي كانت تميز بين الفرنسيين والجزائريين في كل شيء، ويرجع ذلك إلى أزمة مراكش حيث تم احتلالها سنة 1912م³، ولهذا فقد فر العديد من الجزائريين إلى بلدان المشرق العربي خوفا من مواجهة إخوانهم المغاربة، وقد تم معارضة هذا القانون شكلا وموضوعا.

انقسم المعارضون لهذا القانون إلى فئتين: الفئة الأولى عارضت التجنيد الإجباري باعتباره منافيا للمبادئ الإسلامية، أما الفئة الثانية التي ربطت بين القبول بالتجنيد الإجباري وإجراء إصلاحات لأن هذا الإجراء لا يتناسب مع أوضاع الجزائريين كرعايا كما نص على ذلك قانون 1865م الذي جعل منهم مواطنين من الدرجة الثانية⁴، وقد شكر الحاكم العام "لوبو" (Le Beau) مواطنيه الأعداء الأروبيين والمسلمين على تلبية نداء الوطن بهذه الحرارة والإهتمام، واتجه بن جلول بالشكر الكبير للمواطنين على هبتهم لنجدة فرنسا، أما فرحات عباس فأعلن توقف كل نشاط سياسي ليكرس جهوده كلية لخلاص الأمة التي يتعلق بها مستقبلنا وكما ذكر: "فإذا توقفت فرنسا الديمقراطية عن أن تكون قوية فإن حلمنا في الحرية سيقبر إلى الأبد"، وهكذا انخرط كل من فرحات عباس وبن جلول في الجيش طيلة فترة الحرب⁵ ولكن بعد صدور القانون كانت الإحتجاجات والمظاهرات ضده.

¹ - شارل روبيير آجرون: تاريخ الجزائر المعاصرة، المرجع السابق، ص 513.

² - فرحات عباس: المصدر السابق، ص 39.

³ - أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية، ج 2، المرجع السابق، ص 132.

⁴ - المرجع نفسه، ص 194، 195.

⁵ - شارل روبيير آجرون: تاريخ الجزائر المعاصرة، المرجع السابق، ص 890.

وفي نهاية الحرب العالمية الأولى (1914م- 1918م) قلصت الخدمة العسكرية بالنسبة للفرنسيين إلى ثمانية عشر شهرا، ولكنها ظلت بالنسبة للجزائريين ثلاث سنوات، فاحتج المسلمون على ذلك وطالبوا بالمساواة بين الفرنسيين والمسلمين، حيث كتبت "لافريك لاتين" (L'Afrique Latin): "إن المنتخبين الأهليين يطالبون بمساواة الزمن الماضي في خدمة العلم لأبناء دينهم وللفرنسيين، متحججين بثلاث حجج رئيسية، أولا: إن تضحياتنا في الحرب - كما يصرحون- كانت متساوية مع تضحيات الفرنسيين، وكنا قد بينا بأن هذا الإدعاء هو محض افتراء، وبناء على ذلك فلا داعي للإلحاح عليه، إلا أننا سنسمح لأنفسنا بذكر بعض الأرقام، ولنأخذ فقط إحصائيات عمالة الجزائر، إذ كانت هذه العمالة في سنة 1914م تعد مئتان وثمانئة وثمانون ألف وسبعمئة وإثنان وسبعون (288772) أرويا ومليون وثلاثمئة وإثنان وتسعون ألف وسبعمئة وسبعون (1392770) من الأهالي، في حين أنه مات من أجل فرنسا أو فقد سبعة آلاف ومئتان وسبعة وأربعون (7247) أرويا وتسعة آلاف ومئة وستون (9160) أهليا، أي بخسارة 2.509% من الأروبيين و 0.657% من الأهالي، أي -بتعبير آخر- أن خسارة الفرنسيين كانت عالية بأربعة أضعاف عن خسارة الأهالي".

وكما يذكر فرحات عباس¹ أن هذه الأرقام التي تعبر عن الحقيقة، لكن المسألة لا توجد هنا ولكن توجد في التاريخ، ففي سنة 1830م كانت فرنسا قد شرعت في غزو الجزائر ولم تنته آخر المقاومات إلا في سنة 1912م بالصحراء وإلى حد هذا التاريخ ضلنا العنصر المنهزم، أو الذي يعمل على هزيمه وهو الذي أضعف واستوحش وكان يجب الحذر منهم وهو مادفع كليمنصو (Climensou) أن يفكر في بعث جيش يتولى مراقبتهم، وهنا أحدثت فرنسا قانون التجنيد للأهالي للدفاع عن أرضها، وقد كانت التضحيات متساوية مع تضحيات الأروبيين إن لم تفقها، وبناء على ذلك فإنه لا يوجد هناك سبب معقول من هذه الناحية لجعل عدم المساواة شرعية، كما نتكلم عن إختلاف المنحة التي يتقاضاها المجدد الفرنسي والأهلي الجزائري، بالإضافة إلى المعاملة والتمايز الذي يحدث يوميا بينه وبين رفيقه الأروبي.

¹ - فرحات عباس: المصدر السابق، ص 39، 42، 46.

كل هذا جعل بعض المجندين يبحثون عن المساواة أو الإدماج كمرحلة أولى للتحرر إنطلاقاً من عدم المساواة التي عاشوها أثناء الحرب العلمية الأولى عن طريق اضطهاد التجنيد الإجباري.

تعتبر الحقبة الأخيرة من القرن 19م بداية حاسمة في تشكيل الفضاء الثقافي في الجزائر باللغة الفرنسية، وتجلّى بالخصوص عند رجيل هام من الجزائريين الذين درسوا في المدرسة الفرنسية، وقد أصبح هذا الجيل من الجزائريين يمثل مدرسة الدمج الثقافية التي أحكم خطتها جول فيري (Jule Ferry) معتمداً في ذلك على نموذج المدرسة اللائكية الغربية الراضة لمقومات الشخصية الوطنية الممثلة في اللغة العربية والدين الإسلامي.

وقد أشرنا سابقاً كيف قامت الإدارة الفرنسية من محاولة قطع الصلة بين الجزائريين وهويتهم من جهة وعزلهم عن ثقافتهم العربية وامتدادهم الإسلامي، حيث حرمت التخاطب باللغة العربية وعوضتها بالفرنسية وهكذا تم تعويض من يحسنون العربية بالنخب المتفرنسة وقد ذكر أحد الضباط الفرنسيين المستشرق "رين" (Reen) ذلك بقوله "تضاءل عدد المدارس و بالتالي عدد الطلاب فأصبح ثلاثون ألف (30000) بدلاً من مئة وخمسين ألف (150000)، كانت وسائل التعليم مكفولة لهم قبل الإحتلال... ولولا القرآن الذي يقرأه الجزائري في صلاته كل يوم، ولولا المدارس القرآنية التي أوجدها الزعماء الجزائريين كوسيلة من وسائل بث الروح الكفاحية في نفوس الجزائريين لماتت العربية في الجزائر من عهد بعيد"، والحق أن هذا الاعتراف من هذا الضابط الفرنسي خير دليل على ما عانت منه الهوية الجزائرية التي ظلت صامدة بفضل الوعي الديني الذي مكن من التعبئة والمقاومة ضد الطرف الآخر، وباعتبار أن المدرسة تساهم في نقل التلميذ أو الطالب من كونه طفلاً يعتمد على أسرته إلى مواطن يكتسب المعرفة أي نقل الطالب من نموذج الأسرة إلى نموذج المجتمع بعد إعداده لتقبل مطالب الحياة بغية الإندماج في المجتمع الجديد، وهكذا ألحقت هذه النخب إلى قطاعات إدارية وعسكرية وإقتصادية، ولعل الشيء المؤكد من تعليم الجزائريين اللغة الفرنسية هو إرساء لبناء مجتمع جزائري جديد هجين يتقبل اللغة الفرنسية بالتدرج حتى تصبح اللغة الرسمية للبلاد،

وبالتالي التخلي عن اللغة الأم وكان هدفهم على حد قولهم تمدين الجزائريين المتوحشين وأن لهم رسالة حضارية يقومون بها، وهكذا سخرت الإدارة الإستعمارية الإمكانيات الكفيلة لتعليم اللغة الفرنسية للجزائريين حتى تكون نخبة مميزة ناطقة بلغتها ومقلدة لتمدنها، وبذلك تتمكن من إحلال النظم الفرنسية محل النظم الإسلامية القائمة، والوصول إلى نقطة الإندماج حتى يصير المجتمع الجزائري مجتمعا مفرنسا.

لقد رصدت المدرسة الفرنسية في برامجها التعليمية، حيث ركزت بالدرجة الأولى على توصيل تراثها وتقديمه في قوالب مغربية للجزائريين¹.

وكان يهدف المنتخبين المسلمين الجزائريين إلى الإندماج العملي والفعلي مع فرنسا كمرحلة أولى من مراحل التحرر من الإستعمار متأثرين بذلك بمفهوم الإندماج الذي تطرقوا إليه في المدرسة الإستعمارية الفرنسية والذي يتحدد مفهومه في الحقيقة في " إدماج أرض الجزائر في فرنسا، لا التسوية بين الجزائريين والفرنسيين في الحقوق، كما يقضي بذلك منطق الإدماج ، فهو إذن الإدماج بالنسبة للمستعمرين ولكنه إخضاع بالنسبة للسكان الأصليين"².

تأثرهم بالثورة الفرنسية ومبادئ ولسن:

كان المثقفون المسلمون الذين كوّنهم معلموا الجمهورية الثالثة الذين كانوا يؤمنون كثيرا بالثورة الفرنسية ومبادئها عام 1789م، حيث كتب فرحات عباس في جريدة "الشباب الجزائري": "إن الجزائري يؤمن بفرنسا"، أو على الأقل بفرنسا معينة، فرنسا فلاسفة القرن الثامن عشر، وفرنسا مبادئ 1789م، فرنسا الفرنسيين الذين وقفوا إلى جانب الأهالي، والتي لم يفكر المثقفون المسلمون إطلاقا

¹ - أحمد مريوش: الحركة الطلابية الجزائرية ودورها في القضية الوطنية وثورة التحرير 1954م، تحت إشراف: ناصر الدين

سعيدوني، السنة الجامعية: 2006/2005، ص ص: 3، 4، 14، 16.

² - علي تابليت: المرجع السابق، ص 25.

في طعنها يوما ما. هؤلاء الذين يعتبرون موظفوا الجمهورية الثالثة المتشبعون بالمبادئ العلمانية التي تلقوها، وهم الذين يمثلون فرنسا وحضارتها وأبنائها الروحيين¹.

هذا ما سمحت به ثورة 1789 م للمسلمين الجزائريين في وطنهم إنها ثورة المبادئ والمساواة حقا، ومع نهاية الحرب العالمية الأولى تقدم مجموعة من الطلبة الجزائريين بطلب إلى والي ولاية الجزائر لتكوين جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا، وتكون مكتبها من الطلبة الآتية أسماءهم: بلقاسم بن حبليس طالب في الحقوق رئيسا، الحاج بن سماية طالب في العلوم نائب للرئيس، جيلالي بن الثاني الكاتب العام طالب في الطب، عليوة مدني نائب الكاتب العام طالب في الطب، وأخيرا منصور محافظ في المكتبة وكان مقر الجمعية في LA RUE DE FONDERIE رقم 02 بباب الوادي الجزائر العاصمة، على أن يكون أعضاؤها من الكليات التالية: الحقوق، الطب، الصيدلة، الآداب والعلوم، ويمكن الإطلاع على القانون الأساسي والتعديل الذي أدخل عليها في أرشيف ولاية الجزائر تحت الرقمين التاليين: CK82378 (القانون) و83052AL (التعديل)².

كما تأثروا بمبادئ ولسن* 14، التي نشرت في بداية جانفي 1918م والتي أثارت إهتماما جما لى المسلمين الجزائريين الذين كانوا على علم بالأحداث الدولية، لقد وفر المذهب الولسني لهؤلاء تركية معنوية مشجعة للغاية وبشكل غير مباشر، وقد ظفر المذهب بصدى طيب لدى الفتيان الجزائريين الذين كانوا يلمون على الأقل بالاستقلالية الإدارية في إطار الوحدة المغاربية تحت الوصاية الفرنسية، ومن بين هؤلاء الأمير خالد والذي قام على غرار الفتيان الجزائريين بنشر مطالبهم في صحافتهم ذات

¹ - محفوظ قداش: تاريخ الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص: 113، 114.

² - علي تابلت: المرجع السابق، ص 25.

*-وودر ويلسون (28 ديسمبر 1856م، 3 فيفري 1924م)، الرئيس الثامن والعشرون للولايات المتحدة الأمريكية بالفترة من 4مارس 1913م إلى 4مارس 1921م، وإشتهر بمبادئه 14 التي أعلن عنها عام 1918م وحصل على جائزة نوبل للسلام عام 1919م، ومن أهم ما جاء فيها:

- وضع إدارة عادلة للمستعمرات تنفذ ما يحقق مصالح سكانها

- منح القوميات الخاضعة للإمبراطورية النمساوية حق تقرير مصيرها

- إنشاء عصبة الأمم، أنظر: (www.wikipedia.com)

اللسان الفرنسي، وذلك من أجل الضغط على فرنسا عن طريق الولايات المتحدة الأمريكية¹، إحتوت مبادئ ولسن وعيا قوميا جديدا ومعان جديدة في حكم الشعوب وتقرير العدالة العالمية، فتقدم وفد جزائري إلى الرئيس ولسن بمطالبه لكنه سرعان ما تناسى هذه المبادئ بعد الإنتصار في الحرب العالمية الأولى²، وحسب رأي الإمام عبد الحميد بن باديس فإن هذه الوثيقة قامت بعرض واقع الشعب الجزائري المسلم وطالبت بوضع الجزائر تحت الوصاية الدولية، في انتظار أن توكل العهدة لأحدى الدول العظمى، إن محاولة الأمير خالد تعتبر جريئة للغاية وغير واقعية كي تنجح ولم تكن تتماشى قط مع حال الرأي العام الإسلامي لتلك الفترة، فقد ظن الفتيان الجزائريين الذين شجعهم المذهب الولسني المقتنعون أنهم خدموا فرنسا ليس بمحاربتهم ألمانيا فحسب، بل بالحرب ضد تركيا المسلمة وهكذا بدا لهم الوقت موالي لمطالبة فرنسا علانية ورسميا بإعادة النظر في وضع الأهالي والإنخراط إيجابيا في سياسة تمدينية تحررية³، فسارعت فرنسا بإصدار قانون إصلاحات⁴ فيفري 1919م والذي يلغي قانون الأهالي، ولهذا قام الأمير خالد بتشكيل هيئة أسماها كتلة المنتخبين المسلمين الجزائريين بعد إحالته على التقاعد من الجيش الفرنسي والذي يتلخص هدفها في الحصول على كامل الحقوق والإصلاحات الإجتماعية.

ونقلا عن طيبال في إفريقيا الفرنسية يقول سعد الله: "وقد سبقت الإشارة إلى أن الجزائريين

—وخصوصا الطبقة المثقفة— قد رفضوا إصلاح 1919م وطالبوا بحق تقرير المصير باسم مبادئ ولسن"، ويضيف: "وبناء على مصدر فرنسي مطلع فإن هؤلاء الفتيان الجزائريين الذين كانوا يلمون بالإستقلال وقد وقعوا على عريضة موجهة إلى ولسن نادوا فيها بالحكم الذاتي للجزائر وطرد الفرنسيين"⁴.

¹ - علي مراد: المرجع السابق، ص 42.

² - عبد الرحمان بن العقون: المرجع السابق، ص 80.

³ - علي مراد: المرجع السابق، ص 43.

⁴ - عبد الرحمان بن العقون: المرجع السابق، ص 80، 81.

ومن دعاة الإدماج نذكر محمد الصالح بن جلول وهو طبيب مستعمرات بدأ حياته السياسية مستشارا بلديا وصحفيا¹، وقد اختلفت الآراء حول شخصيته وميولاته السياسية فصحيفة الشبان ذات الميول الإصلاحية وصفته بـ"غاندي الجزائر" لأنه اتبع مذهب غاندي في الهند حيث قام بمقاطعة البضائع الفرنسية على إثر الإحتفالات بالذكرى المئوية لإحتلال الجزائر، مع أن سياسة بن جلول كانت سلمية مقارنة بغاندي، كما سمي بـ"زغلول الجزائر"، أما جريدة الأمة التابعة لنجم شمال إفريقيا فقد وصفته بالحلقة الرابطة بين الشعب الجزائري وفرنسا²، وقد وصفه عمار بوحوش بالمتقلب لعدم توقفه عند رأي معين في المناقشات³، وبصفته طبيبا كان يكره الحل الحربي ويتعد عنه ولهذا كان يؤمن بإيمان شديدا بالثورة السلمية أو الثورة بالقانون مثل صديقه فرحات عباس وبهذه الأفكار دخل الحياة السياسية⁴، يمثل بن جلول الفئة التي كانت تطالب بالإندماج التام.

أما الفئة الثانية التي طالبت بالمساواة في الحقوق والواجبات مع الفرنسيين مع الحفاظ على الشخصية الإسلامية فقد مثلها الأمير خالد الهاشمي.

عندما بدأ الأمير خالد حياته السياسية عام 1919م كان يعتبر عنصرا خطيرا والناطق بإسم القومية الإسلامية الناشئة وظهر غداة الحرب كقائد لحركة الشبان الجزائريين، وقد كانت له شعبية كبيرة فانتصر في إنتخابات المحلية لمدينة الجزائر⁵.

وقد ظهر الأمير خالد على المسرح السياسي بعدما كان ضابطا في الجيش الفرنسي سابقا⁶، وقد سجل تقدما على منافسيه في إنتخابات 1919م وكذا في إنتخابات 1920م الخاصة بالمجالس

¹ - محفوظ قداش: تاريخ الحركة الجزائرية، المرجع السابق، ص 563.

² - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الحركة الوطنية، ج 3، المرجع السابق، ص 37.

³ - عمار بوحوش: المرجع السابق، ص 330.

⁴ - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الحركة الوطنية، ج 3، المرجع السابق، ص 411.

⁵ - محفوظ قداش: تاريخ الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص 128.

⁶ - علي تابليت: المرجع السابق، ص 26.

المالية العامة، هذا النجاح الذي لم يقبله منافسيه أمثال ابن التهامي وأنصاره الذين اتهموه بممارسة النفوذ الديني، وهذا ما فعلته الإدارة الفرنسية المدعومة بصحافة الكولون في الجزائر حيث اتهمت الأمير خالد بالتعصب الديني والانتماء إلى الشيوعية والتأثر بالجامعة الإسلامية والقومية العربية¹، ثم أجبر على الهجرة إلى سوريا، وقبل التحاقه بسوريا عرج على باريس سنة 1924م وأسس نجم شمال إفريقيا، الذي سيتولى حمل مشعله شباب شمال إفريقيا وعلى رأسهم مصالي الحاج محمد في 20 جوان 1926م، ثم تظهر تنظيمات سياسية مغاربية أخرى في القطرين الشقيقين: تونس "الحزب الدستوري الجديد" وفي المغرب "حزب الإستقلال" وفي الجزائر "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، ويعد الأمير خالد نقطة انطلاق لتغيير متطور للنظام الإستعماري في الجزائر ويعتبر أبو الإستقلال الجزائري².

ومما سبق نصل إلى أن دعاة الإدماج قد تأثروا بالأفكار الفرنسية الغربية عكس دعاة الإصلاح الإسلامي الذين تأثروا بالأفكار العربية المشرقية

المبحث الثالث:

التكوين السياسي لدعاة التيار الشيوعي

يعتبر البحث في جذور العلاقة بين الحركة الوطنية والتيارات السياسية في الفترة الممتدة من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى إندلاع الثورة التحريرية، من المواضيع التي كانت بمعزل عن إهتمامات الباحثين خاصة منها التيار الشيوعي³، ويبدو أن الأوضاع في الجزائر فتحت الآفاق لإنتشار الشيوعية، خاصة وأن المجتمع يتميز بهيكله زراعية كبرى، وباحتلال كولونيالي فالمسألة الوطنية والفلاحية يمكن أن تشكلا على الخصوص مؤشرا مناسباً لذلك، إلا أنه لا يمكن أن تطمئن كثيرا

¹ - منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة 1 نوفمبر 1954م: المرجع السابق، ص 246.

² - علي تابلت: المرجع السابق، ص 26.

³ - منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة 1 نوفمبر 1954م: المرجع السابق، ص 273.

فالفلاحة تعاني من عدم الهيكلة وذلك منذ دخول الرأسمال الإستعماري، فلم تكن للفلاحة الكثافة الواسعة للإرتباط بالأرض مثل ماهو الحال في السهول النهرية بدول الشرق الأقصى كالصين والفيتنام، كما أن في الشرق الأقصى لا وجود لعادات صناعية حقيقية في بداية القرن، كما توجد حركة عمالية قوية مثل ماهو الحال في أوروبا¹، ومن هذا المنطلق ستكون إشكالية هذا المبحث: ماهي الشيوعية؟ وكيف أثرت على قادة الأحزاب السياسية؟ وكيف كانت ميولاتهم السياسية؟.

إن ميلاد الأممية الثالثة (وتسمى أيضا بالأممية الشيوعية أو الكومنترن) تعود جذورها إلى ذلك الانفصال الذي حدث في الأممية الثانية (أو الأممية الإشتراكية)، فالشيوعيون رفقة لينين يعيرون على الإشتراكين التقليديين (الإجتماعيين - الديمقراطيين) بعض الأخطاء نذكر من بينها:

عدم تنديدهم أثناء الحرب العالمية الأولى بالحرب الإمبريالية التي ترمي إلى تقسيم جديد للعالم من قبل القوى الكبرى الرأسمالية واستغلال ضعف الأنظمة البرجوازية، ومحاولة اشعال ثورات إشتراكية في كل دولة معنية، عكس ذلك فقد اعتمدوا مواقف قومية وتركوا العمال والمستغلين الآخرين لقمة صائغة تحت أقدام البرجوازية الرأسمالية لوحدها، وعليه فالإشتراكيون تخلوا عن المبادئ الثورية الماركسية ليسقطوا في الإصلاح البرجوازي، الذي يمكن ترجمته بمعاملة أو دعم للنظام الكولونيالي، وذلك بعدم إعطاء الحركات الوطنية والفلاحين في أغلبيتهم حقهم في القيام بدورهم في هذه الدول المستعمرة.

أما في مؤتمرها الثاني المنعقد في جويلية وأوت 1920م فرضت الأممية الشيوعية إحدى وعشرون شرطا لكل منظمة ترغب في الإنخراط، وفي دورتها الثامنة أكدت على كل حزب شيوعي مطالب فضح كل الإمبرياليين في المستعمرات دون رحمة، ودعم كل حركات التحرر في المستعمرات بالفعل وليس بالكلمات².

¹ -نصوص الملتقى الأوراسي: المرجع السابق، ص19.

² - المرجع نفسه، ص ص18، 19.

هناك إهتمام دائم في العادات الماركسية والشيوعية لمفهوم "الأمة" فقد حلل ستالين في نص كتبه عام 1929م، ويعتبر فيه أن الأمة تقوم على قاعدة ذات أربع مواصفات أساسية وهي: "وحدة اللغة ووحدة الأرض ووحدة الحياة الإقتصادية ووحدة التطابق النفسي الظاهر من خلال وحدة الملكية المميزة للثقافة الوطنية"، ويعتبر لينين في مؤلفه "منهم أصدقاء الشعب" أن قادة وأسياد هذا المسار هم كبار الباعة الرأسماليون " وأن خلق هذه الروابط الوطنية ليست إلا خلق للروابط البرجوازية"¹.

الخلايا الأولى للحركة الشيوعية في الجزائر:

لا يتوفر الباحث على أدنى الإشارات الدالة على تواجد الحركة الشيوعية في الجزائر قبل قيام الثورة البلشفية، بالإطاحة بالنظام القيصري في روسيا سنة 1917م، ولم يتبين الجزائريون الأفكار الماركسية إلا في مرحلة لاحقة بتأثير من الشيوعيين الفرنسيين، وقد استمر غياب الجزائريين عن التنظيمات الشيوعية إلى فترة مابعد الحرب العالمية الأولى، ويعود السبب إلى صعوبة انتشار المبادئ الشيوعية في المجتمعات الشبيهة بالمجتمعات الإقطاعية القديمة وهكذا كانت الجزائر آنذاك².

نشأت الخلايا الأولى للشيوعيين في الجزائر بعد مؤتمر مدينة "تور" هذا المؤتمر الذي كان سببا في تأسيس فرع فرنسا للأمية الشيوعية أو الحزب الشيوعي الفرنسي عام 1920م³، وقد تزعم الوفد الجزائري شارل أندري جوليان، والذي أعطى تقريرا عاما حول الوضع في الجزائر، وكان الوفد كله مكون من فرنسي الجزائر⁴، والحديث عن الحركة الشيوعية في فرنسا يؤدي بنا إلى التعرف على الإتحاد الشيوعي للمستعمرات الفرنسية المعروف بإتحاد الأنتركولونيال، والذي تأسس في باريس في شهر جويلية 1921م بطلب من الكومنترن وضم أبناء المستعمرات الفرنسية⁵، تشكلت على أثره ثلاثة

¹ - نصوص الملتقى الأوراسي: المرجع السابق، ص 21.

² - منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة 1 نوفمبر 1954م: المرجع السابق، ص 274.

³ - نصوص الملتقى الأوراسي: المرجع السابق، ص ص: 18.

⁴ - منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة 1 نوفمبر 1954م: المرجع السابق، ص 276.

⁵ - أحمد الخطيب: حزب الشعب الجزائري، المرجع السابق، ص 106.

فدراليات إقليمية (الجزائر، وهران، قسنطينة) قبل أن تتأسس منطقة جزائرية للحزب الشيوعي الفرنسي في مارس 1925م، وانهقد مؤتمرا تأسيسيا في أكتوبر 1936م وقرر إنشاء الحزب الشيوعي الجزائري (p.c.a)¹.

كانت المجموعة الشيوعية الأولى فوضوية ومحدودة العدد (15 عضو)، كما أنها تفتقد إلى التنظيم والتنسيق، وعندما دعت المنظمة الشيوعية في 20 جوان 1922م في إطار قضايا الشمال الإفريقي إلى تحرير الجزائر وتونس، أما المجموعة الشيوعية في الجزائر فكانت بعيدة كل بعد عن هذه الدعوة، والأدهى من ذلك كما ذكر المؤرخ جون غلوري (Jean Glori) أن فرع سيدي بلعباس قد انتفض إثر هذا المشروع واعتبره دعوى لتحريض الشعوب المسلمة على الإنتفاضة، وهكذا نصل إلى أن الشيوعية الجزائرية لم تستطع تحليل الوضعية الإستعمارية، حيث كانت تتلقى بطواعية الأوامر القادمة من فرنسا، هذا الأمر أدى إلى سخط بعض الشيوعيين المغاربة في المؤتمر الرابع لكومنترون في موسكو سنة 1922م، واعتبروا الشيوعيين في الجزائر منحرفين عن مبادئ الشيوعية وهكذا أجلت تسوية المسألة الإستعمارية في الجزائر إلى برنامج عمل يقوم به الحزب الشيوعي الفرنسي².

ارتسمت الفكرة واضحة في أذهان الناس عن الحزب الشيوعي الجزائري ومن ورائه الحزب الشيوعي الفرنسي أنهما لا يملكان برنامجا سياسيا واضحا، وأنهما لا يثقان في مقدرة الشعب الجزائري على القيام بالثورة للتحرير من القيود الإستعمارية، وهذه السياسة كانت مسطرة للحزب الشيوعي الفرنسي منذ مؤتمره بـ"تور"، حيث ألقى فيه الكاتب الشيوعي شارل أندري جوليان خطابا قال فيه أن أبناء الجزائريين لن ينجحوا في القيام بأية ثورة، وفي حالة إذا ما قامت ثورة فهي لا تستطيع أن تفعل إلا

¹ - نصوص الملتقى الأوراسي: المرجع السابق، ص ص 18، 19.

² - منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة 1 نوفمبر 1954م: المرجع السابق، ص ص 276، 277.

شيئا واحدا وهو إقامة نظام يحل محل النظام الإستعماري يكون في يد نخبة من المسلمين، ويكون هذا النظام السياسي أسوأ بالنسبة للشعب الجزائري من ذلك النظام الإستعماري¹.

ومن هذه النظرة لم يستطع الشيوعيون وأغلبهم أوروبيون أن يعرفوا بوضوح سياستهم في الجزائر، وكانوا يعتقدون أن التحرير يأتي من انتصار الثورة في فرنسا وكانوا يعتقدون أنه يجب محاربة الوطنية الجزائرية، وهكذا فإنهم اتخذوا موقفا مناهضا لأطروحات الأمية الثالثة التي كانت لصالح تحرير المستعمرات وطرده الإمبرياليين، انطلاقا من 1924م منحت تحليلات الحزب الشيوعي الفرنسي مكانة تزايدت أهميتها شيئا فشيئا للمسألة الوطنية في المستعمرات، معترفين لها بحرية الانفصال ومدعين مطامحها للإستقلال، وقد كان الأهالي قليلين في قيادة الحزب الشيوعي².

تعريب الحزب لشيوعي الجزائري:

اعتنق العديد من الجزائريين الأفكار الماركسية الذي كان بفعل انتضامهم في النقابات العمالية التي كانت تابعة للتيارات اليسارية في فرنسا، والجدير بالذكر أن مثل هذا الطرح يعتبر في جوهره توافقا مع مبدأ ماركسي أصيل، يتمثل في الرؤية التي مفادها أن الثورة البروليتارية لا يمكن ان تجد التربة الخصبة في مجتمع لا يتوفر على الطليعة العمالية، وخاصة أن الجزائر كانت من الناحية الإجتماعية والإقتصادية نموذجا للمجتمعات الإقطاعية القديمة بفعل إستحواذ الأقليات الأروبية، على السلطة والتي لم تكن تتجاوز عشر السكان الأصليين للبلاد³.

أما المواقف التي أكد عليها الحزب الشيوعي الجزائري في بعض الظروف كالتالي حدثت في سنوات العشرين عندما انعقد مؤتمره في الجزائر العاصمة سنة 1926م، فالشيوعية في الجزائر حددت

¹ - عمار قليل: المرجع السابق، ص ص283، 284.

² - محفوظ قداش: الجزائر للجزائريين، المرجع السابق، ص ص287، 288.

³ - منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة 1 نوفمبر 1954م: المرجع السابق، ص ص274، 275.

إستقلال البلاد كهدف أخير في نضالها، وفي رسالات بعث بها مجموعة من الشباب الشيوعي من أهالي غليزان يمكن أن نقرأ الآتي: "إننا نعبر عن إعجاب بنضال عبد الكريم والمصريين وغاندي". لقد سبق في عام 1924م أن استقبل الحزب الشيوعي الفرنسي الأمير خالد في باريس، وساهم عام 1926م في تأسيس نجم شمال إفريقيا، وفي نفس الظروف عام 1935م-1936م، كان مؤتمر مسلمي الجزائر كما برزت في منشور مؤرخ في عام 1935م فضائح في الأوساط الإستعمارية، وقد كتب جان بارتيل¹ (Jean Partill) مندوب التعليم في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفرنسي المبعوث لمنطقة الجزائر، كتب الآتي: "إن الأمة الفرنسية ليست أمة الشعب الجزائري والتي بواسطة الحديد والنار قامت بضم الجزائر"، واستبعدت الأمة الجزائرية.

إن هذه الحالة التي سوف نسلط عليها الضوء بعد الحرب العالمية الثانية إزاء الإنقطاع، وعدم وضوح خط أحباب البيان والحرية، وحوادث 8ماي 1945م التي كانت موضوع تشخيص ضيق ذهب بعدها الحزب الشيوعي الجزائري وبإصرار إلى طرح نقد ذاتي واتجه صوب تعريب قيادته التي بدأت تنضج ابتداء من عام 1946م، عندما أصبح الجزائريون أغلبية في المكتب السياسي وفي الأمانة وفي اللجنة المركزية².

لكن يبقى الحزب الشيوعي الجزائري تابعا للحزب الشيوعي الفرنسي وقد كانت نشاطاته عمالية وأفكاره محدودة الإنتشار بين الجماهير³.

ويذكر عمار بوحوش⁴ أنه من العدل والإنصاف أن نقول أن الحزب الشيوعي الفرنسي يعتبر من أكثر الأحزاب الفرنسية تقربا وتفهما للقضية الجزائرية، وفي البداية الشيوعيون الفرنسيون يؤيدون فكرة إستقلال الجزائر، وتولي محاربة الإمبريالية، وذلك بقصد استقطاب اليساريين في الجزائر وتونس

¹ - نصوص الملتقى الأوراسي: نفس المرجع، ص ص 22، 23.

² - المكان نفسه.

³ - كمال عجالي: المرجع السابق، ص 10.

⁴ - عمار قليل: المرجع السابق، ص ص 280، 281.

وانضمامهم للحزب الشيوعي، ولكن المشكل أن العمال الأوروبيون سواء في الجزائر أو فرنسا احتجوا على الحزب الشيوعي، وبدأوا يتساءلون عن الفائدة من إستقلال الجزائر، ومنذ 1931م فإن قادة الحزب الشيوعي الفرنسي قرروا إنشاء أحزاب شيوعية في تونس والجزائر والمغرب، لأن الأحزاب الوطنية في هذه الأقطار الخاضعة للهيمنة الإستعمارية، بدأت تتعد عن الحزب الشيوعي الفرنسي، وفي عام 1935م أنشئ الحزب الشيوعي الجزائري المستقل نظريا عن الحزب الشيوعي الفرنسي، ضم أبناء الجزائر وممن حمل المسؤولية فيه علي بوخرط وعمار أوزقان، اللذان كانوا ينادون بثورة من الفلاحين ضد الإمبريالية والإقطاع، ولكنهم لم يتطرقوا إلى الموضوع الجوهرى مثل بقية الأحزاب الوطنية وهو تحرير الجماهير من الهيمنة الإستعمارية، ولهذا بقي الحزب معزولا عن الجماهير ولا يحظى بتأييدها وبعد يوم 26 جوان 1936م كان التحالف مع الحزب الاشتراكي¹.

وهكذا إستطاع الشيوعيون جذب بعض الأهالي، رغم حذر النخب التي كانت تعتبر الإسلام والبلشفية شيئين مختلفين تماما، وأقصى ما سيفعلونه للمسلمين هو عقد التحالفات².

وتذهب بعض الكتابات التاريخية أن سنة 1935م بمثابة التاريخ الفعلي لظهور التيار الشيوعي الجزائري، حيث أخذت عناصر جزائرية مواقع متقدمة في المسؤولية الحزبية³، بعد المؤتمر الذي قام به الحزب الشيوعي الفرنسي والذي عقد في "فيليربان" من أجل إنشاء حزب مستقل⁴، ولكن على مستوى الخطابات والإستراتيجية، بقي الحزب الشيوعي الجزائري رهينة للتصورات وأفكار اليسار الفرنسي، والدليل على هذا أن الشيوعيين الجزائريين كانوا ينددون بقيام ثورة للفلاحين ضد الإمبريالية والإقطاع بشكل مبهم، وتجاهلوا المطالب الوطنية التي كانت على رأسها مسألة تحرير الجماهير من الهيمنة الإستعمارية، ولهذا بقي الحزب بعيدا وعزولا عن الجماهير ولا يحظى بتأييدها، وقد نجحت

¹ - عمار قليل: المرجع السابق، ص ص280، 281.

² - محفوظ قداش: تاريخ الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص190.

³ - منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة 1 نوفمبر 1954م: المرجع السابق، ص284.

⁴ - عمار قليل: المرجع السابق، ص157.

العناصر الجديدة على اضافة بعض الحيوية على الحزب، وذلك عن طريق التقرب إلى بقية الأحزاب والقوى السياسية¹.

ومن جهة يذكر عمار قليل أن الحزب الشيوعي الجزائري في عام 1936م أيد المطالب التي وضعها المؤتمر الإسلامي المتمثلة في الحرية والإستقلال، كما أنه كان يدعو لمقترحات بلوم فيوليت الداعية للإتحاد ضمن الديمقراطية الفرنسية حسب ما أعلن عنه موريس تورييز (Morris Toriis) عام 1938م، كما وقف الحزب الشيوعي الجزائري معاديا للنازية مثلما فعلت معظم الأحزاب الشيوعية التي تدور في فلك موسكو، ثم انتقل إلى معاداة الإستعمار بعد توقيع معاهدة "الميثاق النازي" عام 1939م.

هذه المواقف المتذبذبة دليل واضح على عدم استقلالية هذا الحزب من جهة، وعدم استناده على مبادئ ثابتة من جهة ثانية².

وقد بدأ يتعد عنه بعض العناصر والأعضاء الذين كانوا يعملون من أجل نيل الإستقلال والإنفصال، وبالفعل في الجزائر قام مصالي الحاج بالإنفصال عن الحزب الشيوعي الفرنسي، وبدأ يطالب بالإستقلال والعودة إلى منابع الحضارة العربية والإسلامية وتوحيد شعوب العالم العربي والإسلامي، وبكل جرأة هاجم مصالي الحاج قادة الحزب الشيوعي الفرنسي، ومنهم معروف محمد³ وهو شخصية مرموقة في الحزب حيث ذكر له: "أن الجزائريين يريدون الإستقلال لوطنهم وليس الوصاية الشيوعية والتي تضر أكثر مما تنفع المسلمين الجزائريين".

مما سبق يتضح لنا أن الإنضمام للتيار الشيوعي كان من الجانب الفرنسي ثم كان التعريب فانخرط بعض الجزائريين المتأثرين بالثورة الماركسية في روسيا سنة 1817م، وكان هدف هذا الحزب

¹ - منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة 1 نوفمبر 1954م: المرجع السابق، ص 284.

² - عمار بوحوش: المرجع السابق، ص 158.

³ - المرجع نفسه، ص 280، 281.

وقادته القضاء على النظام الإقطاعي في الجزائر في ظل النظام الإستعماري مبتعدا بذلك عن آمال المجتمع الجزائري في الإستقلال.

المبحث الرابع:

التكوين السياسي لقادة الحزب الإستقلالي

لقد كانت الجزائر عبارة عن سجن حقيقي منعزلة عن الخارج وكانت تعيش جوا اضطهاديا إلى درجة كبيرة، فتواجد العمال الجزائريون في فرنسا من الأشياء التي ساعدت على تبلور الحركة السياسية في الجزائر، فالمهاجرين الجزائريين الذين انتقلوا كعمال في فرنسا واحتكوا بالعمال فيها وبالأوساط السياسية هناك، والجدير بالذكر أن برنامج حزب شمال إفريقيا قد تأثر بالإيديولوجيات التي كانت سائدة حتى في فرنسا ذاتها، لأن الحركة العمالية الجزائرية كانت تدافع أيضا عن الحركة العمالية بالنسبة لتونس والمغرب حتى بالنسبة لفرنسا، فتكون بذلك تمازج الإيديولوجيات، وسنرى في مابعد أن نجم شمال إفريقيا كانت له مطالب قد تتفق مع مطالب حزب الشيوعي الفرنسي لكنها تعطيها طابعا وطنيا¹، ولهذا سيعالج هذا المبحث الإشكالية التالية: كيف كان تأثير الشيوعية على قادة التيار الإستقلالي؟ كيف أثرت الوطنية على القادة الإستقلاليين؟

تأثير قادة التيار الإستقلالي بالشيوعية:

تتبع العمال المهاجرون حركة الأمير خالد بحماس والأحداث التي تجري في بلادهم سواء كانت سياسية أو إجتماعية، وتحققوا أنه لا يمكن أن تقوم حركة وطنية في أرض الوطن لأن السياسة الإستعمارية لا تسمح بأي نشاط لا يكون في صالحها.

وكانت حرب الريف آنذاك على أشدها وإسم الأمير عبد الكريم على كل الألسن، وقنبلت فرنسا دمشق واحتلتها، وأصبح الكفاح المسلح هو اللغة التي يفهمها الإستعمار، فتقرر إنشاء حركة

¹ - الجنيدى خليفة: المرجع السابق، ص 187.

وطنية للكفاح السياسي على غرار الحركات الثورية العمالية لا تقتصر على الجزائر فقط، بل تشمل تونس والمغرب لأن الشمال الإفريقي واحد في آلامه وآماله، وفي جغرافيته وتاريخه، ولغته ودينه، ثم أن الإستعمار كان يعامل أبناء الأقطار الثلاثة معاملة واحدة، لا يفرق بين المستعمر والحماية، وأكبر دليل هو تأسيسه لشرطة " لاريلوكنت " الخاصة بعمال شمال إفريقيا، وكانت الجمعية في حاجة إلى حليف تحتمي به في خطواتها الأولى، فرأت في الحزب الشيوعي الفرنسي وفي موقفه من حرب الريف حليفا يساعدها في محاربة الإستعمار والإمبريالية¹.

ويمكن القول أن المؤسسون الأوائل لحركة النجم قبلوا بمشاركة الحزب الشيوعي الفرنسي كموقف تكتيكي من أجل العمل تحت ظله²، خاصة وأن نجم شمال إفريقيا كان ممنوعا في الأقطار الثلاثة إلا في فرنسا، وكان يتكون من قاعدة شعبية عمالية باعتبار أنه له علاقة مع الحزب الشيوعي وهذا معروف لأن المؤسس الأول الحاج عبد القادر كان عضوا في المجلس الإداري للحزب الشيوعي الفرنسي لكنه قطع هذه العضوية وأثر الوطنية على إنتمائه للحزب الشيوعي³، بينما كان هذا الحزب ينوي استعمال الحركة كمخلب يجابه به بقية الأحزاب السياسية الفرنسية، التي تريد استغلال العمال الشمال الإفريقيين لفائدتها، إلا أن أعضاء النجم انتبهوا للنية السيئة للحزب، فتنحوا وابتعدوا عنه بعد سنة واحدة، وهذا ما فعلوه مع الأمير خالد بعد أن وجدوا في وطنية خالد وشهرته في الإنتخابات من أجل الحصول على بعض الكراسي⁴.

وما يؤكد ما سبق أن هناك تقرير للشرطة الفرنسية يؤكد بأن نجم شمال إفريقيا أسس عام 1926 م برعاية الحزب الشيوعي، ويذكر أحمد الخطيب في كتابه "حزب الشعب الجزائري"، أن هناك خلط بين المؤتمر التأسيسي المنعقد عام 1926 م، وبين المؤتمرات التي انعقدت بحضور الأمير خالد

¹ - محمد قنانش: آفاق مغربية "المسيرة الوطنية وأحداث 8 ماي 1945م"، المصدر السابق، ص 25، 24.

² - عبد الرحمان العقون: المرجع السابق، ص 132.

³ - الجنيدى خليفة: المرجع السابق، ص 188.

⁴ - عبد الرحمان العقون: المرجع السابق، ص 132.

الهاشمي خلال عام 1924 م، وهي ثلاث مؤتمرات أعد لها ونظمها الحزب الشيوعي الفرنسي في التواريخ التالية: 12 جويلية 1924م ألقى خلالها الأمير خالد محاضرة، و 19 جويلية 1924م ألقى فيها الحاج علي عبد القادر والأمير خالد محاضرة، و 11 سبتمبر 1924 والذين قالوا بتأسيس النجم في 1924م¹.

والحقيقة أن الجمعية لم تسجل قانونيا، ولهذا وقع الاختلاف في تحديد اليوم وكان الحزب الشيوعي -الروسي الفرنسي- قبل هذا التاريخ، ينوي تأسيس منظمة خاصة بعمال الشمال الإفريقي تكون تحت تصرفه وتدور في فلكه، وحاول مع الشيوعيين الأوائل الذين تكونوا في روسيا كعبد العزيز منور وغيره ولكنهم عجزوا، ثم فكروا في شخصية مرموقة كالأمير خالد، ولكنهم بقوا مترددين حياله سيما بعد انتقاده جهارا، وأخيرا تركوا زمام الأمور في يد مصالي الحاج والحاج علي عبد القادر، وقد اتفقت المصادر على أن أول رئاسة كانت لحاج علي عبد القادر ويقول مصالي الحاج في حديث خاص له سنة 1938م: "أن الحاج علي عبد القادر كانت رئاسته رمزية لأنه أكبرنا سنا وأكثرنا تجربة وعلاقته مع الحزب الشيوعي كانت في صالحنا، ولكن تجارته وانشغالاته الكثيرة كانت تمنعه من القيام بمسؤولية الرئاسة ولهذا فقد كنت أقوم بأعمال الأمانة العامة، وبأعمال الرئيس..."².

وهكذا تكون أبوية الحزب للشيوعية ويذكر عمار أوزقان³ أحد زعماء الحزب الشيوعي الجزائري في قوله: "أسس نجم إفريقيا الشمالية عام 1924م في باريس عدد من الجزائريين على رأسهم أحمد بلغول وعبد القادر الحاج علي وعلي الجزائري وهو مناضل تونسي، وقد أعلن تأسيس الحركة بعد نجاح المؤتمر الذي عقده الأمير خالد في باريس".

ومما لا شك فيه أن الحركة الشيوعية في فرنسا لعبت دورا هاما في تأسيس النجم فوجود عبد القادر الحاج علي على رأسه وهو الشيوعي المسؤول، بالإضافة إلى الأعضاء الشيوعيين في اللجنة

¹ - أحمد الخطيب: حزب الشعب الجزائري، المرجع السابق، ص ص 97-99، 100.

² - محمد قناش: آفاق مغربية "المسيرة الوطنية وأحداث 8 ماي 1945م"، المصدر السابق، ص 26.

³ - أحمد الخطيب: حزب الشعب، المرجع السابق، ص ص 103، 104.

المركزية لقيادة النجم لم يكن بالطبع وليد الصدفة، وإنما كان ناجما كما يبدو عن رغبة من الحزب الشيوعي في انشاء تنظيم يستقطب العمال الشمال افريقيين الذين كانوا يترددون على الرغم من وضعهم البروليتاري في الإنخراط في صفوف الحزب الشيوعي، أو حتى الإنتساب إلى نقابة عمالية التي كان يسيطر عليها الحزب الشيوعي.

وعلى الرغم من تأثير الحزب الشيوعي الفرنسي البارز في قادة النجم إلى أن جمعية النجم ولدت بإرادة جزائرية كانت تتفاعل منذ ظهور حركة الأمير خالد إلى أن اتخذت صيغتها النهائية في ولادة النجم، وقد حاولت الحركة الشيوعية في فرنسا أن تحتوي هذه الإرادة وتوظفها لصالحها إلا أنها أخفقت في النتيجة أمام الروح الوطنية الإستقلالية التي كانت تغمر العمال الجزائريين، فقد اختار هؤلاء الطريق الثوري لتحرير البلاد¹.

وقد عاشت الجمعية ما يقارب 8 أشهر تتأرجح بين إصلاح الأمير خالد، وقبضة الشيوعيين وترددهم، تبحت عن طريقها، وأثناء مؤتمر بروكسل وقعت حادثة إختفاء أوراق النجم التي تعب في تهيئتها، ومن الصعب إعادة جمعها في وقت ضيق وقد كان وفد الجمعية ضمن وفد الحزب الشيوعي الفرنسي وهذا ما يسمح في التفكير في التآمر ضد الجمعية، لأنها خرجت على ما كان ينتظر منها وقد ذكر محمد قنانش أن مصالي الحاج أخبره في حديثه الخاص بأن علاقته مع الشيوعية بدأت تتوتر بعد إلقائه خطابه في المؤتمر، ومن هنا ندرك جيدا أن جمعية النجم قد استقلت عن الحزب الشيوعي وعن غيره وبدأت طريقها وحيدة معتمدة على نفسها وقد تغيرت لهجتها وأسلوبها في العمل تبعا لتغيير أهدافها².

وفي الأخير يمكن القول أن الدور الشيوعي لم يتعد الدعم المادي والتنظيمي أما عن شيوعية قادة النجم فلا تتعدى تعاطف على حد قول مصالي الحاج ورفقائه، ولكنها لم تدم طويلا نتيجة

¹ - أحمد الخطيب: حزب الشعب، المرجع السابق، ص ص 103، 104.

² - محمد قنانش: آفاق مغربية "المسيرة الوطنية وأحداث 8ماي 1945م"، المصدر السابق، ص ص: 26-37.

الصراع القائم على قيادة النجم وتوجيه سياسته، وهكذا لا يمكن اعتبار النجم حزب شيوعي مجرداً أن أغلب قاداته إئتماء لهم سياسية شيوعية¹.

وتذكر زهور أسعد² أن مصدر هذا الحزب نبع عن تيار عصري عالمي وهي الثورة الاشتراكية روح الثورة الصناعية سيده العصور، وبمأن هذا العصر سيد العصور في الميدان العلمي فإن الجزائري لم يكن متخلفاً عنه فكانوا من ضمن هذا التيار الثوري، فعصرنة هذا العصر هي الثورة الصناعية التي تلتها الثورة الاشتراكية، والسياسة العصرية لهذا العصر هو التيار الاشتراكي، الذي غير نظرية الإنسان تغييراً جذرياً وألغى المفاهيم الرثة التي عانى منها الإنسان، وهي الطبقات التي لا تتماشى مع العلم وكذلك سياسة الإستغلال، إستغلال الإنسان لأخيه الإنسان ولأجل هذه الجشاعة التي طرأت على العلم لتستغله لنفسها انبعثت الثورة الاشتراكية لتضبط العلم في خطه المستقيم، فهي مسابرة للعصر عصر العلم وضبطه في الخط المستقيم، وبمأن علم الصناعة علم سامي فهو ملك البشرية جميعاً والثورة الاشتراكية التي هي روح لعلم الصناعة فهي ثورة عالمية لا تقتصر على قارة بل هي ملك لكل الشعوب، لتأخذ بخطتها ومن يتخلى عن هذا التيار -أي تيار الثورة الاشتراكية- يعتبر متخلفاً عن العصر عصر التحرر العلمي.

وقد انطلقت إشتراكية من أوروبا، وأوروبا هي السبابة لإنشاء الأحزاب الإشتراكية، فالجزائريون احتوتوا الحزب الشيوعي الفرنسي، وكونوا حزبا إشتراكيًا جزائريًا، وهو نجم شمال إفريقيا وكون هذا الحزب تياراً سياسياً في البلاد يسعى لتحرير الشعوب سياسياً وإقتصادياً.

¹ - أحمد الخطيب: حزب الشعب الجزائري، المرجع السابق، ص 114، 115، 106.

² - زهور أسعد: المرجع السابق، ص: 27، 133، 134.

ويتركز حزب النجم على الطبقة العمالية، وبعبارة أوضح يعتبر حزبا للعمال وبالتالي فاختصاصه إقتصادي بحت، فبعد سياسته لمقاومة الإحتلال الأجنبي يبقى عليه الدور التسيير الإقتصادي، وهذا ما حدث في 1962م-1963م إذ شرعت البلاد على تطبيق منهج الاشتراكية في تسيير الإقتصاد¹.

تأثرهم بالديمقراطية في فرنسا:

إن العامل العسكري الذي أتاح للشبان الجزائريين الخدمة العسكرية الإجبارية وانتقالهم إلى فرنسا، حيث تعرفوا عن كثب على طبيعة الحياة الديمقراطية هناك، قد تبين لهم كما ذكر أحمد الخطيب² "أن الفرنسيين الأصليين يحترمون الشعور الإنساني ويتعاملون مع غيرهم بطريقة واقعية لا تشابه في شيء تلك النظرة العابسة التي تعودوا مشاهدتها على ملامح الأروبي في الجزائر"، كما مكن بعض الجزائريين من الإحتكاك بالثقافة الأروبية والتعرف على وسائل التقدم الحديثة وطرق ممارستها، وقد تأثر نتيجة ذلك عدد كبير من الشبان الجزائريين بالحياة الأروبية، فاختاروا الهجرة إلى فرنسا بعد إنتهاء مدة خدمتهم، وكان من بين هؤلاء مؤسسي نجم شمال إفريقيا أمثال مصالي الحاج ورفقائه الذين آثروا البقاء في فرنسا، مستفيدين من حرية العمل السياسي بعيدا عن الرقابة الإستعمارية الصارمة والقوانين الإستثنائية في الجزائر، وهكذا اهتمت تلك الفئة بحزب نجم شمال إفريقيا بعد أن كان هدفها لقمة العيش في فرنسا فأصبحوا بذلك أحد شرايين الحزب الذي جعل من الإستقلال أحد مطالبه الأساسية³.

تكون النجم في أوساط الهجرة في باريس فأتيح له أن يحصل على مستوى معرفي يتعدى بكثير مستوى المهاجر المتوسط، وكان هذا الحزب محبا للوطن وتملكه الروح التنظيمية، بفضل الإحتكاك والإتصال بالأوساط العمالية الفرنسية، وكان الهدف الأسمى الذي نراءى له أول الأمر هو إستقلال الجزائر، مع الحفاظ على القيم الإسلامية والعربية، ورغم الصعوبات والعراقيل إلا أن النجم أخذ طريقه

¹ - زهور أسعد: المرجع السابق، ص 134.

² - أحمد الخطيب: حزب الشعب الجزائري، المرجع السابق، ص 92، 93.

³ - المكان نفسه.

بفضل ما يتمتع به مصالي من شعبية في أوساط العمال وبفضل عزيمة قادته أمثال سي الجيلالي محمد السعيد، والحاج علي عبد القادر، وبانون آكلي، وسبتي عبد الرحمان، ورزقي بوطويل¹.

ومع أن الإشارة قد سبقت إلى أن الأمير خالد هو أول من طالب باستقلال الجزائر، فإن مطالب النجم من خلال خطاب مصالي الحاج كانت أكثر حدة في لهجتها مما جعلها تدعم مطلب الأمير الأساسي (منح الجزائر حق تقرير المصير)²، وفي المؤتمر الذي انعقد في ماي 1933م خرج النجم منه ببرنامج وهو كما يلي:

- 1- الإستقلال التام للجزائر.
- 2- الجلاء التام لجيش الإحتلال.
- 3- تشكيل جيش وطني.
- 4- حكومة وطنية ثورية.
- 5- مصادرة الملكيات الكبرى المغتصبة التي يمتلكها الكولون.
- 6- التعليم المجاني والإجباري باللغة العربية وفي جميع المستويات.
- 7- الإعتراف بالحق النقابي.
- 8- إعانة الفلاحين بتخصيص قروض دون فائدة.

وهكذا يتحدد في هذا البرنامج المفهوم التام والدقيق للإستقلال³.

¹ - عمار نجار: مصالي الحاج الزعيم المفترى عليه، دار الحكمة، الجزائر: 2009م، ص51.

² - يوسف مناصرية: الإتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين العالميتين (1919م-1939م)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر: 1988، ص72.

³ - عمار نجار: المرجع السابق، ص52، 53.

خاتمة الفصل:

مما سبق يتضح لنا عمل الجمعية وأبرز قادتها بدأ باصلاح المجتمع الجزائري، خاصة وأنه كان يعاني من الفراغ الثقافي الذي اعتبره قادتها الإحتلال الحقيقي، ولهذا فقد عملوا على النهوض بالثقافة العربية التي أوشكت على الإنهيار وادخال النهضة ونشرها في البلاد، وقد عبر عن هذه الفكرة الشيخ البشير الإبراهيمي¹ في قوله: "إن كل عصريننا وثقافتنا في وقتنا الحاضر تتمثل في اللغة العربية"، وهنا يرى أن معرفة اللغة العربية والثقافة العربية معرفة جيدة سيؤدي إلى النهضة السياسية والثقافية للبلاد والشعور بالإنتماء للحضارة العربية الإسلامية وتقويتها واحياء الشخصية الوطنية الجزائرية ، ومن هنا تمثل كفاح قادتها في الدفاع عن الثقافة العربية والوطن الجزائري وتاريخه.

أما هدف قادة الجمعية فقد لخصه عبد الحميد بن باديس² في قوله: "القرآن أماننا، والسنة سبيلنا، والسلف الصالح قدوتنا، وخدمة الإسلام والمسلمين وايصال الخير لجميع سكان الجزائر غايتنا"، أما شعار الجمعية " الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا".

تبقى مقولة الحكيم بن جلول³ في موقفه حول الوطن الجزائري: " إنه من الخرافة الحديث عن الشعب والجامعة الإسلامية في الجزائر، لأن كل الأعمال والكتابات الصادرة التي تصدر عن الشبان الجزائريين هي أعمال وكتابات فرنسية... وإذا كان لدينا وطنية افليست هي فرنسية لحما ودما" هذا التصريح مطابق لما قاله فرحات عباس في نفس الفترة وكلاهما ينفي الوطنية الجزائرية، ويؤكد الإنتماء الجزائري لفرنسا والمطالبة بالمساواة في الحقوق والواجبات بين الأهالي المسلمين والأوروبيين.

ويمكننا في الأخير الوصول إلى أن النخبة الجزائرية لا ترى في استقلال الجزائر مطمعا إلا في إطار تكوين كنفدرالية جزائرية لها خصائصها وميزاتها الخاصة داخل الجمهورية الفرنسية الواسعة

¹ - عبد الكريم بوالصفا: جمعية العلماء المسلمين الجزائرية وعلاقتها بالحركات الوطنية الاخرى، المرجع السابق، ص ص 126، 127.

² - مناصرة يوسف: الإتجاه الثوري في الحركة الوطنية بين الحربين العالميتين، المرجع السابق، ص 34.

³ - عبد الكريم بوالصفا: جمعية العلماء المسلمين الجزائرية وعلاقتها بالحركات الوطنية الاخرى، المرجع نفسه، ص 354.

الاطراف، وهذا لا يكون إلا إذا لبثت الحكومة الفرنسية مطالب النخبة في المساواة بين الجزائريين والفرنسيين في الجزائر في جميع الميادين السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية.

أما نجم شمال إفريقيا فقد تبنى الأفكار الإستقلالية للأمير خالد الهاشمي، فكان الإستقلال مطلباً واضحاً صرح به قادة النجم وعلى رأسهم مصالي الحاج في مؤتمر بروكسل سنة 1927م، وكانت جريدة الأمة بمثابة لسانه الحال، وقد برز اتجاهه الثوري بعد سنة 1936م إرامي إلى الانفصال عن فرنسا وبناء أسس دولة جزائرية مستقلة مرتبطة بماضيها الحضاري العربي الإسلامي.

لعل ما جعل الحركة الوطنية تفتقر إلى إيديولوجية ناضجة ومتكاملة هو ما كان يتجاذب الشعب الجزائري من إيديولوجيات جزائرية مختلفة وهو في عني عنها، بمأن الإسلام هو نظام سياسي واقتصادي واجتماعي متكامل، وهذا ما جعل الشعب الجزائري يرفض مبادئ التيار الشيوعي، ومن الواضح أن التجربة الشيوعية في الجزائر قد باءت بالفشل الذريع سواء كانت عن طريق الفكر أو عن طريق القوة، كما أن فشله مرتبط بعلاقته بالحزب الشيوعي الفرنسي، وهكذا لم يستطع قيادة الجماهير الشعبية في ثورة تحريرية باسم الشيوعية.

وفي النهاية يمكن القول أن الأحزاب السياسية لم تكن سوى وسيلة وضحت معالم الطريق أمام الشعب الجزائري اتجاه الثورة التحريرية المباركة.

الفصل الخامس:

نماذج عن شخصيات الحركة الوطنية.

المبحث الأول: التكوين الإجتماعي والثقافي والوطني للشيخ عبد الحميد بن

باديس

المبحث الثاني: التكوين الإجتماعي والثقافي والوطني لمصالي الحاج

المبحث الثالث: التكوين الإجتماعي والثقافي والوطني لفرحات عباس

المبحث الرابع: التكوين الإجتماعي والثقافي والوطني لعمار أوزقان

خاتمة الفصل

الفصل الخامس:**نماذج عن شخصيات الحركة الوطنية: عبد الحميد بن باديس - مصالي الحاج -
فرحات عباس - عمار أوزقان.**

قليلون هم الرجال الذين يتركون بصماتهم على صفحات التاريخ، وأقلهم من يصنعون أحداثه، أما "كارليل" الذي كان رأيه في الأبطال في رائعته الشهيرة مايلي: "يمكن أن يقال بحق أن روح تاريخ العالم برمته هو تاريخ هؤلاء الرجال" فهؤلاء الرجال سواء كانوا شعراء أو كتاب أو قساوسة أو رجال دين أو مصلحين فهم يحملون معهم سر البطولة، أما أثنى ما يمتلكه هؤلاء فهي عظمة الروح التي تتمثل في القدرة على التخلي عن المصالح الشخصية في سبيل تنفيذ فكرة مثالية¹، وقد تطرقنا في الفصول السابقة البيئة التي نشأ فيها معظم القادة السياسيين من الناحية السياسية والاجتماعية والثقافية، والتي ساهمت بقدر كبير في تحديد ميولهم السياسي، أما هذا الفصل فيتناول نماذج عن قادة الحركة الوطنية: الشيخ عبد الحميد بن باديس، مصالي الحاج، فرحات عباس، عمار أوزقان، قسمت في أربعة مباحث.

المبحث الأول:**التكوين الإجتماعي والثقافي والوطني للشيخ عبد الحميد بن باديس**

لقد إنتشرت النزعة الإصلاحية في الجزائر بشكل واضح خلال العقد الذي سبق الحرب العالمية الأولى والتي إعتبرت موالية للإصلاح في العالم العربي، والتي سعى في نشرها المثقفين الجزائريين العائدين بالنسبة للأغلبية من جامعات تونس والمشرق غداة هذه الحرب، حيث أرادوا بذلك تكوين جمعية دينية وثقافية، وبعد المحاولات والترددات الأولى أنشأوا في قسنطينة سنة 1925م، نواة ما أصبح

¹ - محمد دراجي: عبد الحميد بن باديس في عيون معاصريه، ط1، عالم الأفكار، الحمديّة، الجزائر: 2008م، ص13.

يعرف فيما بعد بـ "الحركة الإصلاحية في الجزائر"، ويبقى المحرك الأساسي لهذه الحركة الإصلاحية والذي أشرف على ظهورها، وصاغ مشروعها وكرس لها أكبر طاقة جسدية وفكرية لإنجازها هو الشيخ عبد الحميد بن باديس، حيث إقترن تاريخ الحركة الإصلاحية في الجزائر بحياة هذا الرجل¹.

لم يكن حكام الإستعمار الفرنسي يتخيلون أن مدينة قسنطينة الهادئة والتي تبدو هادئة ستعجب عالما نائرا يرفض التعامل معهم²، وكل ذلك لأن جوانب العظمة في هذه الشخصية العملاقة متعددة ومتنوعة فهو مصلح إجتماعي كبير، سخر قدراته لمحاربة مظاهر التدهور الإجتماعي في الأمة الإسلامية³، وسنحاول في هذا المبحث إقتفاء مسار الشيخ عبد الحميد بن باديس والبيئة التي نشأ فيها والتي أثرت بشكل واضح في شخصيته ووجهته الإصلاحية، أما إشكالية المبحث هي: كيف كانت النشأة الأولى لعبد الحميد بن باديس؟ كيف كان التكوين الإجتماعي والثقافي والسياسي والإجتماعي للشيخ عبد الحميد بن باديس؟

مولد الشيخ ونشأته:

يعد الشيخ عبد الحميد بن باديس في مقدمة الأعلام والمفكرين والمصلحين الذين ساهموا بتقديم أعمال ساهمت في النهضة الوطنية، حيث كرس حياته للإسلام والوطن كما دافع عن كرامة الإنسان وحقوقه في الوطن وفي العالم العربي والإسلامي⁴، كان ابن باديس الإبن البكر لأبويه ولد يوم

¹ - علي مراد: المرجع السابق، ص 91، 92.

² - عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان: المرجع السابق، ص 32.

³ - الزبير بن رحال: الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية (1889م - 1940م)، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر: دت، ص 7.

⁴ - عبد العزيز فيلاي... وآخرون: المرجع السابق، ص 5.

4 ديسمبر 1889م* على الساعة الرابعة بعد الظهر بمدينة قسنطينة¹، الموافق لمنتصف ربيع الثاني لعام 1308هـ²، وهو الشيخ عبد الحميد بن باديس بن محمد المصطفى بن الشيخ المكي بن باديس³ وكانت أسرته مشهورة بالعلم والثراء والجاه، أما أبوه فكان مندوبا ماليا وعضوا في المجلس الأعلى، وباش آغا شرفيا ومستشارا بلديا⁴، كما مارس الفلاحة والتجارة حتى أثرى فيهما ومن المؤرخين من يعتبر العضوية النيابية لوالده عنوانا على موالته لفرنسا، ولكن المتمعن في كلام عبد الحميد بن باديس وهو يذكر أفضال أبيه، يجد خلاف ذلك حيث يذكر في هذا الشأن: "إن الفضل يرجع أولا إلى والدي الذي رباني تربية صالحة ووجهني وجهة صالحة ورضي لي العلم طريقة أتبعها ومشربا أردته..."⁵، كما يرى بعض الباحثين أن من أهم ما قام به والد الشيخ عبد الحميد بن باديس عدم إدخاله المدارس الفرنسية بل بعثه للكتاتيب القرآنية⁶، أما والدته هي زهيرة بنت محمد بن عبد الجليل بن جلول من أسرة المعروفة بالعلم والصلاح، والمعرفة والثراء⁷، وهي الأخرى من أسرة مشهورة بقسنطينة لمدة أربعة قرون على الأقل وعائلة بن جلول من قبيلة بني معاف المشهورة في جبال الأوراس⁸، وكان لعبد الحميد بن باديس ستة إخوة: "الزويبر" المدعو المولود*، و"العربي"، و"سليم"، و"عبد المليك"، و"محمود"،

* - وهي السنة التي ولد فيها أبطال وعظماء العالم أمثال: "عباس محمود العقاد"، "طه حسين"، "محمد البشير الإبراهيمي"، "أودولف هتلر"، أنظر: (عبد الكريم بوالصفصاف... وآخرون: معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرون، المرجع السابق، ص 13).

- 1- عبد الكريم بوالصفصاف: الفكر العربي الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص 190.
 - 2- عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان: المرجع السابق، ص 32.
 - 3- بن خليف مالك: المرجع السابق، ص 80.
 - 4- عبد الكريم بوالصفصاف: الفكر العربي الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص 191.
 - 5- بن خليف مالك: المرجع السابق، ص 80.
 - 6- المكان نفسه.
 - 7- الزويبر بن رحال: المرجع السابق، ص 3.
 - 8- عبد الكريم بوالصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائرية وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى، المرجع السابق، ص 193.
- *- أخوه الزويبر مثقف بالثقافة الفرنسية وكان محاميا بنفس اللغة، أنظر: (عبد الكريم بوالصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائرية وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى، المرجع نفسه، ص 80).

و"عبد الحق" وكانوا جميعا يحسنون اللغة الفرنسية وله أختين "نفيسة" و"البتول"¹، وقد تزوج من ابنة عمه "اليامنة بنت ابن باديس" وكان عمره خمسة عشر سنة عام 1904م، وأنجب ولدا أسماه "عبد إسماعيل" وتوفي وعمره سبعة عشر عاما، ولكن زوجته لم تستمر معه طويلا حيث طلقها حين طلبت منه أن تقيم وحدها بعيدا عن أسرته، وكانت رغبته أن يبقيا مع أبيه وأسرته ليسهل عليه التنقل والحركة أكثر، خاصة وأنه كان يبقى جل وقته في الدرس بين طلبته²

إن ماضي أسرة عبد الحميد بن باديس عريق في المجد والشرف والجاه والعلم والسياسة ليس في الجزائر فقط بل في كامل المغرب العربي، فمن أجداده الأوائل الأمير "بلكين بن زيري بن مناد" وهو من قبيلة صنهاجة الأمازيغية البربرية، ومن أجداده الذين كان يفتخر بهم الشيخ عبد الحميد بن باديس "المعز لدين الله ابن باديس"^{*}، الذي قاوم الشيعة وإنفصل عن حكم الفاطميين بمصر ومكن للمذهب السني المالكي وأعطى الولاء للخلافة العباسية ببغداد ومن أعلام أسرته المعاصرين في السياسة عمه حميدة بن باديس الذي كان نائبا عن مدينة قسنطينة، وقد شارك مع بعض النواب سنة 1891م في تقديم عريضة جاء فيها شرح لحالة الشعب الجزائري البائسة التي تسببت فيها الإدارة الإستعمارية والمستوطنون الأوروبيون وقدمت إلى أحد أعضاء مجلس الشيوخ الفرنسي ليرفعها إلى الحكومة الفرنسية، بالإضافة إلى أبو العباس حميدة قاضي قسنطينة والشيخ مكي ابن باديس والذي تولى القضاء أيضا³.

¹ - عبد الكريم بوالصفصاف: الفكر العربي الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص 191.

² - عبد الكريم بوالصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائرية وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى، المرجع السابق، ص 194.

^{*} - سليل عائلة ابن باديس الصنهاجية ينتسبون إلى جدهم الأعلى المعز بن باديس بن منصور بن بلكين بن مناد بن منقوش أمير صنهاجة التلية عاصمتهم الأولى أشير، والمعز أشهر ملوك الدولة الصنهاجية، تولى الملك إثر وفاة أبيه في حصار قلعة بن حماد حيث ثار بها عمه حماد عام 406هـ وكانت عاصمة الملك المعز مدينة القيروان ودام المعز في حكمه حوالي خمسين سنة إلى أن توفي، أنظر: (عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان: المرجع السابق، ص 17)

³ - بن خليف مالك: المرجع السابق، ص 82، 83.

وليس غريبا أن يكون الشيخ عبد الحميد بن باديس سليل أجداده من العلماء، ولعل التقاليد التي تعودت عليها هذه الأسرة، جعلت والده يختار له منذ البداية دراسة العلوم الدينية والتخصص فيها كما حفظ القرآن الكريم وهو ابن الثالث عشرة¹، على يد الشيخ "محمد المداسي" وقد أعجب به وبسيرته الطيبة فقدمه ليصلي بالناس صلاة التراويح ثلاث سنوات متتابعة في الجامع الكبير²، كما تعلم اللغة العربية على يد علماء المدينة وشيوخها، وقد إنتقى له والده أحد الشيوخ الصالحين المتميزين بالكفاءة والعلم والتقوى³، وهو "حمدان لونيبي" حيث دخل الشاب عبد الحميد مرحلة جديدة من تعليمه المبادئ العربية والمعارف الإسلامية والتوجيه العلمي والأخلاقي الصحيح على يدي شيخه وكان ذلك عام 1903م، وفي سنة 1908م غادر ابن باديس مسقط رأسه إلى جامع الزيتونة والذي تخرج منها بشهادة التطويح سنة 1910م-1911م، وكان ابن باديس يجيد اللغة الفرنسية ويتكلمها ولكنه كان يتظاهر بأنه يجهلها وفي خطابه مع الفرنسيين كان يستعمل مترجما له⁴.

أفنى الشيخ عبد الحميد بن باديس عمره في تربية الأجيال الصاعدة وربطها بأصولها الثقافية والفكرية إنتمائها الديني والحضاري حتى لا يمسخها الإستعمار الفرنسي بالتجنيس والاندماج⁵.

¹ - عبد العزيز فيلاي: صور ووثائق للإمام عبد الحميد بن باديس، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر: 2013م، ص12.

² - الزويير بن رحال: المرجع السابق، ص11.

³ - عبد العزيز فيلاي: صور ووثائق للإمام عبد الحميد بن باديس، المرجع السابق، ص11.

⁴ - عبد الكريم بوالصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائرية وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى، المرجع السابق، ص:80، 81.

⁵ - زبير بن رحال: المرجع السابق، ص7.

التكوين الإجتماعي للشيخ عبد الحميد بن باديس:

لعبت أسرة عبد الحميد بن باديس دورا كبيرا في نشأته وميوله السياسي، حيث لقي عناية كبيرة في تربيته من طرف أسرته التي أصبغت عليه بحبها وعطفها وحنانها، لأنه كان ولدهم البكر وقد كانت إمكانيات الأسرة المادية وافرة مما هيا له تربية ممتازة¹.

لقد كانت أسرة بن باديس أسرة فلاحية قديمة لها ممتلكات وعقارات ما يغنيها عن الخدمة في الوظائف الحكومية، وإنما وجودها في هذه الوظائف كان تقليدا قديما قد دأبت عليه، لتدافع عن مكائنها الاجتماعية والعلمية المرموقة من جهة وكذا دفاعا عن المجتمع الجزائري، والحق أن والده كان يمتلك من الأراضي في نواحي قسنطينة والخروب وواد الزناتي، كما كان من المتاجرين الكبارة في تجارة الضأن، حيث كان يصدرها لفرنسا فتدر عليه الأموال الطائلة، وقد جعلته براعته وعمله في الزراعة والتجارة من كبار الأثرياء، وقد أكد عبد الحميد ذلك بنفسه لما أحضر له غداء متميز إلى الجامع الأخضر (مقره الدائم) قائلا: "ألا تعلم أنني ابن المصطفى بن باديس وأن أنواعا مختلفة من الطعام اللذيذ تعد كل يوم في بيته، لو أردت التمتع بالطعام لفعلت، ولكن ضميري لا يسمح لي بذلك وطلبتني يسيغون الخبز بالزيت وقد يأكله بعضهم بالماء"، كما كان المصطفى يحسن مجاملة الحكام الفرنسيين ليخففوا الضغط والمراقبة على الأهالي المسلمين في قسنطينة ولاسيما عائلته، والغريب في الأمر إرتقاء مصلح جزائري من هذه الأسرة الثرية التي كان لها نفوذ في الأوساط الحكومية، حيث أبقت عليها السلطات لتسيير شؤون الرعية، خاصة وأن الشيخ عبد الحميد بن باديس كان على إتصال دائم بجميع الطبقات الاجتماعية وفي مقدمتهم تلاميذه، الذين كانوا في الغالب من الأوساط الفقيرة، لقد لعبت أسرة بن باديس دورا فعالا في تربية وتوجيه عبد الحميد².

¹ - بن خليف مالك: المرجع السابق، ص 85.

² - عبد الكريم بوالصفاص: جمعية العلماء المسلمين الجزائرية وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى، المرجع السابق، ص 192، 194.

كانت العائلة الباديسية عائلة أرستقراطية والدليل على تميزها عن باقي طبقات المجتمع مقبرة آل بن باديس محاطة بسيياج عال، وعلى مساحة معتبرة وتوجد بحي مزيان في الضاحية الغربية لمدينة قسنطينة حيث يوجد قبر الشيخ عبد الحميد بن باديس يتوسط قبر والديه، كما لا تطؤها أقدام الزائرين إلا بإذن من العائلة أو بلدية المدينة، ولعل هذا يندرج ضمن مقابر الشهداء، وهذا يؤكد إرتباط ابن باديس بأسرته وإلا كان قد أوصى بدفنه في المقبرة العمومية بعيدا عن مقبرة العائلة، والتي لولاه لإندثر إسمها كما إندثرت أسماء العائلات المشهورة الأخرى¹.

لقد كان جو الأسرة الذي ترعرع فيه عبد الحميد بن باديس جوا عربيا إسلاميا صرفا يسوده الوقار والحياء والمحافظة على المبادئ والشخصية الإسلامية وقد أثر ذلك على مسار حياته، وهناك بعض المواقف التي رسخت في ذهن الشيخ عبد الحميد بن باديس والتي تبين نمط التربية التي أخذها العلامة من أسرته:

- 1- عندما عاد من تونس إستقبله أبوه عند محطة القطار، وعند الوصول إلى المنزل زغردت الأم تعبيرا عن فرحها بإبنها الذي عاد عالما، ويذكر الشيخ عبد الحميد بن باديس²: "إن تلك الزغرودة التي قابلتني بها أمي مازالت ترن في أذني ولن أنساها ماحييت...إنها صورة مصغرة من تفكير الشعب كله، فاحفظوا هذا وحافظوا عليه هذه هي وصيتي إليكم"، وهي دلالة قاطعة على تعظيم أسرته للعلم والعلماء.
- 2- كما يذكر الشيخ بن باديس عن أسرته³: "إن الفضل يرجع أولا إلى والدي الذي رباني تربية صالحة ووجهني وجهة صالحة ورضي لي العلم طريقة أتبها ومشربا أردته، وقاتني وأعاشني وبراني كالسهم وراشني وحماني من المكاره صغيرا وكبيرا وكفاني كلف الحياة..."، ومن كلامه نستنتج الحقائق التي تتعلق بنمط البيئة التي تربى فيها الشيخ بن باديس، من

¹ - عبد الكريم بوالصفصاف: الفكر العربي الحديث والمعاصر، ج1، المرجع السابق، ص196.

² - بن خليف مالك: المرجع السابق، ص ص: 85، 88.

³ - المكان نفسه.

صلاح وخير وتمجيد للعلم وتعظيمه ، كما وفرت له أسرته كل سبل العيش الحسن من ضروريات الحياة خاصة وأن البؤس والحرمان يتركان في النفس والجسم أثارا سلبية وخيمة، وقد حماه من المكاره وناصره في بعض المواقف منها ما ذكره الشيخ في توسط أبيه للإدارة الفرنسية من أجل الحصول على رخصة التدريس في الجامع الكبير، بعد أنه منعه آنذاك ابن المهوب إمام ومفتي المدينة، ومن تمام فضل أبيه عليه أن أدخله إلى المدارس القرآنية ولم يدخله إلى المدارس الفرنسية، ويشهد أحد من عاصر الشيخ عبد الحميد بن باديس عن سيرة والده فيقول: "كان رحمه الله من ذوي الفضل والمروءة والحفاظ على شعائر الدين والغيرة عليه وكان يحفظ القرآن الكريم"، ومما قاله الوالد لولده من أول عهده بتلقي العلم: "يا عبد الحميد أنا أكفيك أمر الدنيا، أنفق عليك أقوم بكل أمورك، ماطلبت شيئا إلا لبيت طلبك كلمح البصر، فاكفني أمر الآخرة ، كن الولد الصالح العالم العامل الذي ألقى به وجه الله. وقبل الولد العرض واجتهد في التنفيذ فما أتم مرحلة من العلم حتى أسرع على المرتبة التي تليها"¹.

أما ما ذكر عن محمد المصطفى بن باديس في جريدة "لا ديباش دو كونستنتين"² (La Dépêche de Constantine) أنه قد تبرأ من ولده ابن باديس وهذا لم يكن إلا تمويها للإستعمار الفرنسي لأنه وصل إلى حافة الإفلاس فضيقت عليه الإدارة الفرنسية الخناق وسدت أمامه أبواب المعاملة مع البنوك، وأمام إصرار عبد الحميد بن باديس عن مواصلة نشاطه ضمن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فكان له إلا هذا المخرج من المأزق الذي وضع فيه.

¹ - أحمد توفيق المدني: مذكرات حياة كفاح (1925م - 1954م)، ج2، دار البصائر، الجزائر: 2009م، ص 27.

² - بن خليف مالك: المرجع السابق، ص 82.

لقد شجع محمد المصطفى بن باديس ابنه عبد الحميد على عمله السياسي والعلمي، وكان يدافع عنه مستعملاً نفوذه في الوظائف الحكومية عكس ما كان يعتقد البعض، وهذا كان له الأثر الكبير في مسيرته السياسية والعلمية.

شاءت العناية الإلهية أن ينشأ الشيخ عبد الحميد بن باديس نشأة خاصة وسط عائلة تميزت بالمكانة المرموقة وسط المجتمع، وراثتها الواسع، فحياه الله بعناية أسرية صالحة نمت فيه كل خصال الخير والإستقامة والصلاح، كما كانت إمكانيات أبيه المادية والعلمية سبباً لطموحه الثقافي والعلمي والسياسي لاسيما وأنه ينتمي إلى عائلة عريقة في المجد والجاه¹.

التكوين الثقافي للشيخ عبد الحميد بن باديس:

يرى بعض المؤرخين أن الإمام عبد الحميد بن باديس مجرد مصلح ديني وداعية مربي، عمله لا يتعدى تفسير القرآن الكريم وشرح الحديث النبوي الشريف، ويتحکم في زمام اللغة العربية، كما يجيد التحقيق في المذهب المالكي، وقد إستمد ذلك من دراسته للقرآن الكريم والتاريخ والحضارة الإسلامية، وكذا من إتصالاته بعلماء النهضة والإصلاح في عصره والإحتكاك به أثناء رحلته في طلب العلم وإكتساب المعارف².

تعليمه:

عاش عبد الحميد بن باديس هذه الفترة بأحداثها وملايسات، فكان طفلاً بين أسرته وتلميذاً في بلاده وفي تونس ثم في الحجاز، وفي بعض أقطار المشرق العربي، ثم بعدها أصبح أستاذاً مريباً وعالماً مصلحاً في بلاده³.

¹ - بن خليف مالك: المرجع السابق، ص 79.

² - عبد العزيز فيلاي... وآخرون: البيت الباديسي مسيرة علم ودين وسياسة، المرجع السابق، ص 6.

³ - عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان: المرجع السابق، ص 31.

وسنعرج على محطات حياته العلمية التي تأثر بها وعملت على وصوله إلى قيادة الاتجاه

الإصلاحية.

كان الإستعمار الفرنسي قد إحتل بلادنا أرضا وفكرا، وبالتالي كانت سيطرته المادية والأدبية محكمة، وكان من البدع التي لحقت بالحضارة الإسلامية إنقسام العلم قسمين: علم مدني، وعلم ديني حيث كان التعليم الديني حكرا على الفقراء ومتوسطي الحال من المسلمين، أما التعليم المدني الذي أنشأه الإستعمار وإحتضنه لا علاقة له بالدين وكان يمهد لأصحابه طريقة لتقلد المناصب الإدارية¹ دخل عبد الحميد بن باديس إلى أحد الكتاتيب القرآنية وهو في سن الخامسة من عمره وكان ذلك عام 1894م، فحفظ القرآن على يد أحد المعلمين، وهو الشيخ المداسي بإحدى زوايا القادرية في السوق بمدينة قسنطينة، خاصة وأن أسرته كانت من أتباع الطريقة القادرية وكذلك معلمه الشيخ المداسي، حيث كانت التبعية لإحدى الطرق الصوفية أمرا شائعا في الجزائر إبان الإستعمار الفرنسي وكان المتوارث عن الشيوخ آنذاك: "من لاشيخ له فالشيطان شيخه"².

يعد هذا العامل من أبرز العوامل في تكوين شخصية الإمام بن باديس³ وفي هذا يقول: "ثم

الفضل الأول والأخير لله وكتابه الذي هدانا لفهمه والتفقه في أسراره والتأدب بآدابه، وإن القرآن الذي كون رجال السلف لا يكثر عليه أن يكون رجالا في الخلف، لو أحسن فهمه وتدبره وحملت الأنفس على منهاجه".

بعد إنتهائه من حفظ القرآن الكريم وكان ذلك في عام 1903م، إختار له والده أحد علماء

مدينة قسنطينة المشهورين بالعلم والتقوى والصلاح "حمدان لونيسي"، كي يلقنه العلوم العربية

والإسلامية فدرسه في مسجد سيدي محمد النجار، الواقع بجانب سيدي عبد المؤمن في مدينة

¹ - الزوير بن رحال: المرجع السابق، ص9.

² - عبد الكريم بوالصفصاف: الفكر العربي الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص215.

³ - الزوير بن رحال: المرجع السابق، ص18.

قسنطينة في حدود عام 1903م، أما في عام 1908م لما أصبح عمر الشيخ عبد الحميد بن باديس تسعة عشر عاما أراد أن يستكمل تعليمه الثانوي والعالى، فسافر إلى تونس ليكمل دراسته في جامع الزيتونة، ومكث فيها مدة أربع سنوات نال في نهايتها شهادة "العالمية" في العام الدراسي 1911م-1912م وعمره آنذاك ثلاثة وعشرون عاما، ثم أصبح مدرسا في جامع الزيتونة على عادة الطلبة المتخرجين آنذاك حيث يقضي الواحد منهم عاما لتدريس الطلبة في الجامع الأعظم¹، إلا أن الإمام لم يكتف بذلك بل إنظم للدراسة في مرحلة ما بعد التطويع، يطلب العلم ويتعمق فيه بقرائته لأمهات الكتب التي تتضمن الفكر الإسلامي وعلومه، وعقيدته وحضارته، واللغة العربية وفنونها، حتى حصل على زاد علمي وفير من العلوم العقلية والعلوم النقلية²

تأثير أساتذته على تكوينه الثقافي:

لقد إستهلم الشيخ عبد الحميد بن باديس علمه وفكره على يد نخبة جلييلة من العلماء ورجال الفكر، ترك كل منهم أثره الطيب في شحد فكره وصقل روحه وتهذيب خلقه³، وقد كان الشيخ معروفا بين زملائه وأساتذته بالجد والعمل والإجتهد في تحصيل العلم والإقبال على دروسهن، كما إشتهر بين الناس بالإستقامة والخلق السمح وبالمواظبة على أداء الفرائض الدينية في أوقاتها⁴.

ومن أهم أساتذته الذين أخذ عنهم نذكر:

الشيخ محمد المداسي: حفظ الشيخ عبد الحميد بن باديس القرآن على يديه، وهو الذي رشحه أن يصلي بالناس صلاة التراويح في احد أكبر مساجد المدينة، وقد كان القرن الكريم بالنسبة له كتاب الحرية الروحية والعقلية، وبعد ذلك الحرية السياسية وفي ذلك يقول ابن باديس: " الحياة حياتان حياة

¹ - تركي رابح عمارة: الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، ط5، وحدة الطباعة روية، الجزائر: 2008م، ص ص: 155، 156.

² - المكان نفسه.

³ - بن خليف مالك: المرجع السابق، ص 89.

⁴ - تركي رابح عمارة: الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، المرجع السابق، ص 156.

الروح وحياة البدن والحرية كذلك، وحياة الروح وحريتها هما أصل حياة البدن وحريته، وشرائع الإسلام منتظمة لذلك كله. ومما شرعه الله لتحصيل حرية الروح صوم هذا الشهر المبارك شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن...، ثم يقبل على تلاوة القرآن بتدبر فينير قلبه وروحه ويحرر عقله من ربة الجهل وقيود الخرافات، فما يأتي عليه الشهر إلا وقد ذاق طعم الحرية الروحية والعقلية...، وإذا حررنا أرواحنا وعقولنا فقد حررنا كل شيء" وهنا يقصد بكلامه "كل الشيء" حرية الأوطان من أيادي الغاصبين¹. والحقيقة أن للقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة أثر كبير في الإتحاد السياسي للشيخ عبد الحميد بن باديس وهما مصدرا فكره السياسي.

الشيخ حمدان لونيبي: وهو الأستاذ الذي تلقى على يديه دراسته الابتدائية في اللغة العربية والثقافة الإسلامية بمدينة قسنطينة قبل أن يسافر إلى الحجاز عام 1908م²، وقد حاول الشيخ بن باديس إلتحاق بأستاذه لكن والده منعه³، وكان الشيخ حمدان لونيبي قد أوصى والده محمد مصطفى قبل أن يغادر مدينة قسنطينة، بأن يرسله إلى جامع الزيتونة بتونس ليكمل دراسته ويشفي علته وبطفي حرارته حسب تعبير لونيبي كما تدخل في هذا الأمر الشيخ محمد المداسي⁴، وشاء القدر أن يلتقي به مجددا أثناء أدائه لفريضة الحج، حيث كان الشيخ أحمد آنذاك يدرس بالمسجد النبوي وكان من أعلام المذهب المالكي وتوفي رحمه الله عام 1920م⁵، وقد أثر الشيخ لونيبي تأثيرا كبيرا في عبد الحميد بن باديس وبقي يذكره إلى آخر حياته، وقد أوصاه "أن يقرأ العلم للعلم لا للوظيف ولا

¹ - بن خليف مالك: المرجع السابق، ص 90.

² - تركي رابح عمارة: الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، المرجع السابق، ص 157.

³ - بن خليف مالك: المرجع السابق، ص 90.

⁴ - عبد العزيز فيلاي: صور ووثائق للإمام عبد الحميد بن باديس، المرجع السابق، ص 13.

⁵ - بن خليف مالك: المرجع السابق، ص 91.

للرغيف " وأخذ عليه عهدا غليظا أن لا يقرب الوظائف الحكومية عند فرنسا أبدا حتى لا تكبله بقيودها¹.

الشيخ محمد النخلي: (1862م-1924م) ولد بالقيروان وتوفي بتونس وهو أستاذ بجامعة الزيتونة، كان متأثرا بمدرسة عبده والأفغاني ويذكر ابن باديس فضل هذا الشيخ عليه، حيث رسم له منهجا يتلقى من خلاله العلم الصحيح وفي ذلك يقول ابن باديس²: "...وأذكر للثاني محمد النخلي كلمة لا يقل أثرها في ناحيتي العلمية عن أثر تلك الوصية في ناحيتي العملية، وذلك أنني كنت متبرما بأساليب المفسرين وإدخالهم لتأويلاتهم الجدلية وإصطلاحاتهم المذهبية في كلام الله، ضيق الصدر من إختلافهم فيما لا إختلاف فيه من القرآن الكريم، وكانت على ذهني بقية غشاوة من التقليد وإحترام الرجال حتى في دين الله وكتاب الله، فذاكرت يوما الشيخ النخلي فيما أجده في نفسي من التبرم والقلق فقال: "إجعل ذهنك مصفاة لهذه الأساليب المعقدة وهذه الأقوال المختلفة...، يسقط الساقط ويبقى الصحيح وتستريحن فوالله لقد فتح بهذه الكلمة القليلة على ذهني آفاقا واسعة لاعهد له بها".

الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور: (1879م-1973م) ولد بتونس وهو من كبار علماء الزيتونة، وقد تأثر به عبد الحميد بن باديس من الناحية العلمية والأدبية وكان من أهم أساتته بعد الشيخ محمد النخلي، وكانا يجبذان آراء الأستاذ محمد عبده في الإصلاح ويناضلان عنها³.

الأستاذ البشير صفر السياسي⁴: من علماء جامع الزيتونة درس فيه وفي المدرسة الخلدونية، وتقلد عدة مناصب علمية وسياسية في تونس وقد تلقى العلم في أوروبا له ثقافة واسعة ويعرف عدة لغات، ويصرح عنه ابن باديس⁵: "وأنا شخصا أصرح أن كراريس البشير صفر الصغيرة الحجم الغزيرة العلم

¹ - تركي رابح عمامرة: الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، المرجع السابق، ص 157.

² - بن خليف مالك: المرجع السابق، ص 92.

³ - المرجع نفسه، ص ص 92، 93.

⁴ - تركي رابح عمامرة: الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، المرجع السابق، ص 157.

⁵ - بن خليف مالك: المرجع السابق، ص ص 93، 94.

هي التي كانت لها الفضل في إطلاعي على تاريخ أمتي وقومي والتي زرعت في صدري هذه الروح التي إنتهت بي اليوم لأن أكون جنديا من جنود الجزائر".

وقد تلقى العلم مشافهة على يد أساتذة آخرين هم: الأستاذ محمد لخضر بن الحسين الذي

درس عليه في الزيتونة وفي منزله قبل أن يهاجر إلى الشرق العربي ويستقر به، بالإضافة إلى محمد الصادق النيفر الزيتوني، الشيخ السعيد العياطي الجزائري المصلح والمجدد، الأستاذ محمد بن القاضي أستاذ بجامع الزيتونة، والأستاذ أبو محمد بلحسن بن الشيخ المفتي الأستاذ بجامع الزيتونة¹.

أما القسم الثاني من الأساتذة هم الذين لم يتلق على يدهم العلم بطريق مباشر، وإنما تتلمذ عليهم عن طريق آثارهم وكتابتهم أمثال:

الشيخ الطاهر الجزائري*: ويرجع له الفضل في تكوين فكره منذ أن كان صغيرا إلى أن أصبح كبيرا وكان يدعوه "شيخيا"، وقد كتب عنه دراسة طويلة في مجلة الشهاب تحت عنوان "شيخيا" جاء فيها قوله: " هو الذي ربى عقلي وهو الذي حبب إلي هذا الإتجاه الفكري، منذ أن كنت صغيرا إلى أن صرت رجلا"، وقد تأثر هذا الشيخ بأفكار محمد عبده وأرائه الإصلاحية عن طريق مجلة "المنار"².

الشيخين محمد عبده ورشيد رضا: تأثر عبد الحميد بن باديس بالشيخ محمد عبده من خلال مانشره في مجلة المنار التي إقتبس منها مقالات ونشرها، أما الشيخ رشيد رضا، فكان يرأسه ويأخذ منه الرأي والمشورة وقد ذكر ابن باديس عنه أنه رجل جمع بين علوم الكتاب والسنة، فكان فقيها في الدين وعالما بأسرار التشريع، وكذلك كان شأن الشيخ عبد الحميد بن باديس فقد استلهم تفكيره السياسي من رافدين أساسيين هما:

¹ - تركي رابح عمارة: الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، المرجع السابق، ص158.

* - هو طاهر صالح بن أحمد موهوب السمعوني الجزائري هاجر والده إلى ديار الشام وتولى قضاء المالكية وفيها ولد ابنه الطاهر، أنظر: (بن خليف مالك: المرجع السابق، ص96).

² - تركي رابح عمارة: الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، المرجع السابق، ص162.

الأول: فقه الشريعة الإسلامية التي تمثل ميراث الإسلام كله: الفكري والروحي والأخلاقي والحضاري.
الثاني: إحاطته بواقع شعبه الجزائري بكل أمراضه ومشاكله وتحلفه، ثم بعد ذلك واقع أمتة الإسلامية والعربية¹.

الإمام أبو بكر بن العربي: وقد أشار عليه الأستاذ محمد النخلي في كتابه العواصم من القواصم، وقد طبعه ابن باديس في جزأين، وكتب له مقدمة هامة ويظهر تأثير أبو بكر العربي في الشيخ عبد الحميد بن باديس في كتابه "العقائد الإسلامية" الذي لم يسلك فيه مسلك الفلاسفة بل نصح فيه نصح القرآن الكريم في الاستدلال والحجج².

محمد بخت المطيعي: وهو من علماء الأزهر ومفتي الديار المصرية وشيخ علماء الإسكندرية وأحد تلامذة الشيخ جمال الدين الأفغاني وزميل الإمام محمد عبده، وقد كتب الشيخ محمد بخت إجازة* بخط يده عام 1913م ولما توفي كتب عليه الشيخ بن باديس في مجلة الشهاب بمناسبة وفاته عام 1935م³.

والحق أن البيئة العلمية التي نشأ فيها الشيخ عبد الحميد بن باديس وفرت له جوا تربويا وعلميا سليما، فكان لهؤلاء الأساتذة التأثير الكبير عليه طوال حياته ويقول الشيخ في ذلك⁴: "إن

¹ - بن خليف ماليك: المرجع السابق، ص ص: 96، 97.

² - تركي رابح عمارة: الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، المرجع السابق، ص 162.

* - وطريقة الإجازة معمول بها في العالم الإسلامي منذ القديم وهو أن يجيز العالم للعالم المجاز أن يروي عنه علومه، وهي نوعان، مطلقة ومقيدة: فالأولى هي التي تشمل كل العلوم، والثانية هي التي تتناول فنا معينا، أنظر: (محمد الصالح الصديق: المصلح المجدد الإمام بن باديس لهذا حاولو إغتياله، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر: 2009م، ص 24).

³ - تركي رابح عمارة: الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، المرجع السابق، ص 162.

⁴ - تركي رابح عمارة: الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، المرجع السابق، ص ص

الفضل يرجع أولاً لوالدي الذي رباني تربية سالحة ووجهي سالحة... ثم لمشايخي الذين علموني وخطوا لي مناهج العمل في الحياة."

كان الشيخ عبد الحميد بن باديس صحفي قدير وظف قلمه لبلوغ مآربه في إيقاظ الحس الوطني والديني، ومجاهد كبير جابه الإستعمار الفرنسي دون خوف، وهو شاعر مرهف الإحساس يتدفق شعره بالمعاني الجليلة والحكم السياسية، وهو أديب كبير إمتلك أسلوباً ومكانة عالية، كما كان خطيباً مفوه يشد إليه السامعين ومفسراً لكتاب الله تعالى له نظرات موفقة في إدراك أسراره وفهم معانيه¹.

وما إن عاد الشيخ ابن باديس إلى قسنطينة في ربيع 1914م بعد أدائه لفريضة الحج في الحجاز، ومروره بمصر، أين إلتقى بعلماء المنطقتين رجع إلى قسنطينة ليستأنف التدريس بعزيمة قوية، ونشاط متقد وإجتهد مميز، وليس له في ذلك دافع يدفعه إلا أمران إثنان: أولهما ينتظره من الله عزوجل من أجر وثواب، والثاني رغبته الشديدة في إيقاظ أمته وتوعيتها والسعي بها نحو الحرية والرخاء، فإهتم بتعليم الكبار والصغار على السواء لإعتقاده أن الجهل مرض يجب أن يعالج، فكان الشيخ عبد الحميد بن باديس يلقي دروس عامة التي منها التفسير والحديث في الجامع الأخضر والدروس للطلبة بمسجد سيدي قموش، أما الصغار تلاميذ الكتاتيب القرآنية فكان يلقي عليهم الدروس في كتابين: كتاب سيدي فتح الله برحبة الصوف، وكتاب الزاوية القادرية سيدي عبد المؤمن بوسط المدينة القديمة، وهدف الشيخ من تدريسه للصغار أن يغرس فيهم ملكة التفكير الصحيح لخدمة الدين والوطن².

وبعد أن إكتمل نظام التعليم المسجدي وبدأ يعطي ثماره الأولى رأى الشيخ بن باديس أن هناك واجباً آخر ينتظره ضمن مشروعه التربوي والإصلاحي، وهو تعليم الأطفال الذين بلغوا السن

¹ - محمد دراجي: المرجع السابق، ص8.

² - محمد الصالح الصادق: المرجع السابق، ص ص24، 25.

القانوني للتعليم ولم يجدوا مكانا لهم في المدارس الحكومية، فأسس سنة 1926م أول نواة للتعليم الإبتدائي الحر في مسجد سيدي بومعزة، وأسندت إدارة هذه المدرسة إلى أحد تلامذته مبارك المليي بعد تخرجه من جامع الزيتونة، وكان النشاط التعليمي الذي جعل منه ابن باديس مدخلا حيويا لتحقيق أهداف الحركة الإصلاحية لم يكن نشاطا تعليميا عاديا بل يهدف إلى بناء جيل جديد يحمل الفكر الإصلاحي ويدافع عنه¹.

إعترف عبد الحميد بن باديس قبل وفاته بفضل أساتذته عليه، والذين كانوا يتميزون بكفاءات عالية، وقد إستفاد من أساتذته ومنهجهم العلمي الذي ساهم بشكل كبير في إتجاهه السياسي فكانت له مبادئ دافع عنها.

التكوين السياسي للشيخ عبد الحميد بن باديس:

يعد العلامة عبد الحميد بن باديس في مقدمة الأعلام المصلحين والمفكرين، الذين ساهموا بتقديم وتأسيس أعمال ونظريات وطنية للنهضة بتكريس حياته لخدمة الإسلام والوطن، لأن الشيخ بن باديس يملك رؤية نهضوية إصلاحية تدافع عن كرامة الإنسان وحقوقه في الوطن وفي العالم العربي والإسلامي والإنسانية جمعاء، وقد إكتسب الشيخ من دراسته للقرآن الكريم ومن إتصالاته بعلماء النهضة والإصلاح في إطار رحلته لطلب العلم، والإطلاع على حركات التحرر في العالم العربي والإسلامي والحركات الوطنية التي بدأت تظهر على الساحة الجزائرية².

من أبرز الجوانب التي تلفت نظر الباحث لشخصية إبن باديس هو جانب المفكر السياسي، فقد كان يهتم بالمشاكل السياسية ويتناقش فيها ويتحدث إلى الجماهير عنها، لكنه لم يكن يقتصر على تناولها

¹ - عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان: المرجع السابق، ص43.

² - عبد العزيز فيلاي: البيت الباديسي مسيرة علم ودين وسياسة، المرجع السابق، ص5، 6.

فقط بل يشترك في تحليلها مع باقي المثقفين الجزائريين، فيصوغها صياغة تصلح معها أن تكون منهاجا كاملا وليس مجرد مقال عابر أو خطبة سياسية¹.

وقد تأثرت شخصية عبد الحميد بن باديس بعدة ظروف جعلته يختار الإتجاه الإصلاحي كمنحى سياسي له.

تأثير الأوضاع الداخلية والخارجية على التفكير السياسي للشيخ ابن باديس:

تعتبر شخصية ابن باديس شخصية متعددة الجوانب ومتنوعة المواهب فقد توفرت لها مؤهلات من النادر أن تجتمع في شخصية واحدة، ومن يتتبع حياته ويدرس شخصيته يلمس بوضوح هذه الجوانب المختلفة، فهو يجمع إلى جانب القدرة على الكتابة الهادفة والخطابة المؤثرة وقول الشعر الوطني، والزعامة في النضال السياسي والإصلاح الديني والإجتماعي، وزاد ابن باديس هذه المفاهيم تحديدا ووضوحا بسلوكه المثالي وتفكيره المتزن والمتوازن وبحكمته وحنكته مع التوفيق الإلهي الذي كان يسند حركته².

الأوضاع السياسية الخارجية التي أثرت في ابن باديس:

لاحظ ابن باديس أن العلة الأولى في تخلف المسلمين عامة والجزائريين خاصة، هي فساد الحكم وسلوكيات العلماء وعدم قيامهم بواجبهم الشرعي المتمثل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويتمثل واجب العلماء في مهمتين أساسيتين:

مهمة تعليمية: يتوجهون بها إلى عموم الأمة بالتعليم والإرشاد والتثقيف.

¹ - محمد الملي: ابن باديس وعروبة الجزائر، صدر الكتاب عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية: 2007م، ص 21، 22.

² - عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان: المرجع السابق، ص 57.

مهمة سياسية: النصح للحكام قياما بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر¹.

شهد العالم الإسلامي في القرن الثامن عشر ميلادي (18م) تدهورا وإنحطاطا في مختلف مجالات الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والدينية، ولم يبق في العالم الإسلامي آنذاك سوى الحكومات المستبدة، كسلطان تركيا وأواخر أمراء المغول في الهند وشاه إيران في بلاد فارس، وأخذ الكثير من الولاة والأمراء يستقلون عن الدولة وينشئون حكومات مستبدة، فكثرت السلب والنهب وفقد الأمن، وكسدت التجارة وأهملت الزراعة، أما الدين فكثرت فيه البدع والخرافات، هكذا إنطلقت أول حركة إصلاحية من قلب شبه الجزيرة العربية، تدعى بالحركة الوهابية نسبة إلى محمد بن عبد الوهاب الذي تأثر بفقهاء الحنابلة المشهورين بتمسكهم بالسنة ونفورهم من البدع، ودرس في مدن إسلامية عديدة كالبصرة وبغداد وكردستان وهمدان وأصفهان... وهكذا كانت الحركة الوهابية أول رد فعل ديني اتجه مفسد المجتمع العربي في العصور الحديثة، فساهمت في بعث الجمود الديني والفكر الإسلامي، لكن عنفها وتصلبها وعدم تسامحها أمام بعض الطقوس والعادات التي توارثها المسلمون في العصور المتأخرة صدم المسلمين، لهذا لم تحرز نجاحا أمام أهل السنة الذين إعتبروها زندقة خارجة عن جادة الإسلام، بالإضافة إلى ذلك مذهب محمد بن علي الشوكاني ومذهب أحمد خان في الهند².

كما يذكر الدكتور عبد الكريم بوالصفصاف في كتابه الفكر العربي الحديث والمعاصر أن الحركة الوهابية وغيرها من الحركات الإصلاحية التي ابن باديس، لكن الإصلاح الذي نادى به محمد بن عبد الوهاب لم يرق إلى مستوى حاجات المجتمع في عصره ولأنه كان إصلاحا دينيا محضاً، أما الإصلاح في المجتمع الجزائري يجب أن يكون دينيا وسياسيا ودينيا واجتماعيا وعلميا³.

¹ - بن خليف ماليك: المرجع السابق، ص 106، 107.

² - عبد الكريم بوالصفصاف: الفكر العربي الحديث والمعاصر، ج1، المرجع السابق، ص 274، 275.

³ - عبد الكريم بوالصفصاف: الفكر العربي الحديث والمعاصر، ج1، المرجع السابق، ص 291، 292.

تأثر عبد الحميد بن باديس من واقع المجتمع الإسلامي المتدهور وهو من أكبر رواد النزعة الإصلاحية التجديدية في العالم الإسلامي الحديث، وقد قرأ عن الحركة الوهابية في الحجاز والسنوسية في ليبيا والمهدية في السودان كما قرأ لجمال الدين الأفغاني وتأثر بحركته وهكذا تكون الرجل تكويننا دينيا وعقليا واقعيا ميزه عن غيره من المصلحين.

كما كانت للصحافة العربية المشرقية دورا كبيرا في بعث اليقظة العربية الحديثة في الجزائر في مطلع القرن العشرين، نذكر منها: مجلة العروى الوثقى التي أصدرها جمال الدين الأفغاني وحمد عبده، وكانت تدعو إلى يقظة العرب والمسلمين وتدافع عن البلاد العربية ضد الإحتلال الأجنبي، وقد حرص بعض الجزائريين المثقفين على قراءتها ونسخها وتداولها بينهم، بالإضافة إلى مجلة المنار التي أصدرها محمد رشيد رضا في القاهرة والتي نشرت مدرسة الإمام محمد عبده، وقد حرص الجزائريون على إقتنائها، وكذا جريدة المؤيد التي أسسها الشيخ علي يوسف في القاهرة والتي عملت على إصلاح الأوضاع الداخلية في البلاد العربية¹.

تأثر عبد الحميد بن باديس كثيرا بأفكار المصلحين في المشرق كبقية المثقفين الجزائريين عن طريق متابعتهم لجرائدهم وحرصهم على وصولها إليهم.

ومما يؤكد أن الشيخ عبد الحميد بن باديس كان متأثرا سياسيا بالأوضاع التي يعيشها العالم الإسلامي من خلال مؤازرته للموقف الذي إتخذه زعماء وأعيان وعلماء طرابلس من بعض المعاهد الإسلامية الكبرى التي لم تناصر أهل طرابلس بعد تعرضها للإستعمار².

الأوضاع السياسية الداخلية التي أثرت في عبد الحميد بن باديس:

¹ - تركي رابح عمارة: الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، المرجع السابق، ص 129، 130.

² - بن خليف مالك: المرجع السابق، ص 116.

يعتبر العصر الذي نشأ فيه عبد الحميد بن باديس وترعرع فيه وأخذ فكره التربوي وإتجاهه السياسي، هذا العصر الذي بلغ فيه الإستعمار الفرنسي ذروته في الجزائر (1871م-1914م)، ولم يتوقف التعسف الإستعماري ضد الشعب الجزائري بتحطيمه عن طريق القضاء على مؤسساته الثقافية والتربوية ومصادرة ممتلكاتها العقارية بالإضافة إلى حرمانه من الوظائف الإدارية، وإعتماد فرنسا سياسة التفجير والتجهيل والتنصير والفرنسة والتجنيس والاندماج في فرنسا، هكذا كانت حالة العصر السياسي الذي ولد فيه عبد الحميد بن باديس¹، وقد تأثر قادة الإصلاح بالسلف الصالح كما ذكرنا في الفصول السابقة، بالإضافة إلى أفكار الحركات الإصلاحية والمصلحين التي ظهرت في العالم العربي والإسلامي، وقد تأثر عبد الحميد بن باديس بتلك الحركات التي كانت قريبة منه ومعاصرة له خاصة في الجزائر، نذكر منهم:

الأمير عبد القادر: (1807م-1883م) ذكر جرجي زيدان² أن حركة الأمير عبد القادر ومقاومته كانت حركة سياسية قبل أن تكون عسكرية، حيث عمل على توعية الشعب الجزائري توعية عقائدية وسياسية، وقد جاء في كتابه "ذكرى العاقل وتنبية الغافل" أنه يجب محاربة روح الجمود والإستسلام للإستعمار الفرنسي من خلال المقولة التي انتشرت آنذاك: "نأكل القوت ونسنى الموت" الشيخ صالح المهنا: الذي قام بعمل كبير في سبيل توعية سكان قسنطينة وذلك في سنة 1898م، ولقد صادرت فرنسا كتبه ومكتباته.

الشيخ عبد القادر المجاوي: كان مصلح إجتماعي قاوم البدع والخرافات وبث دروس الوعي في المجتمع حتى تعرض إلى مضايقات السلطة الفرنسية، وكان مدرسا بارعا وقد تخرج على يديه عدد هام من العلماء منهم: حمدان لونيبي، بن الموهوب، وأحمد تيجاني.

¹ - تركي رابح عمارة: الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، المرجع السابق، ص ص 59، 61، 66، 76.

² - بن خليف مالك: المرجع السابق، ص ص 124، 125.

عبد الحليم سماية: (1866م-1933م) وهو من علماء الجزائر الذي حاول نشر الفكر الإصلاحية في الجزائر وقد إلتقى بالإمام محمد عبده أثناء زيارته للجزائر سنة 1903م.

محمد مصطفى بن خوجة: (1865م-1917م) وهو أكبر علماء الجزائر وكان على إتصال كبير بحركات النهضة في المشرق العربي وهو من المتأثرين بحركة الإمام محمد عبده¹.

مؤازرة زملائه في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين له:

عمل زملاء عبد الحميد بن باديس على مسانדתه ومؤازرته في مشواره وكذا في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من أجل النهضة الجزائرية، فتحملوا معه المشقات والأتعاب، ومن عادة الشيخ أنه كان كالجندي المجهول ينسب الفضل فيما حققه دائما إلى الأمة والوطن بالإضافة إلى إخوانه وزملائه، فكانوا بذلك عاملا من عوامل تكوين شخصية ابن باديس ونذكر منهم على سبيل المثال²:

الشيخ محمد البشير الإبراهيمي: وهو ثاني أهم شخصية في الحركة الإصلاحية وهو نائب عبد الحميد بن باديس في الجمعية ورئيسا لها بعد وفاته³، وقد تعرف عليه الشيخ عبد الحميد بن باديس في المدينة المنورة سنة 1913م، وربطت بينهما صداقة قوية جدا حتى وفاته وقاد الجمعية من بعده بنفس المهرة حتى أدت رسالتها كاملة⁴، لقد كان الإبراهيمي من القلائل الذين مهدوا بثورتهم الفكرية إلى الثورة

¹ - بن خليف مالك: المرجع السابق، ص 126، 127.

² - تركي رابح عمارة: الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، المرجع السابق، ص 169، 170.

³ - عبد الكريم بوالصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائرية وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى - دراسة تاريخية وإيديولوجية مقارنة-، المرجع السابق، ص 89.

⁴ - تركي رابح عمارة: الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، المرجع السابق، ص 170.

المسلحة، فكانت مقالاته الصحفية ومحاضراته حول الجهاد واليقظة وإحياء الإسلام والعروبة في الجزائر لسان حال الجمعية¹.

الشيخ الطيب العقبي: كانت بداية التعارف بين الطيب العقبي وبن باديس فكانت عن طريق رسالة كتبها الأول إلى الثاني من باتنة إلى بسكرة، وقد جاء فيها بعد البسملة:

" العلامة الأديب، الفهامة الأريب، مولانا الأستاذ الشيخ سيدي الطيب العقبي... سيدي لازلت مشتاقا جد الإشتياق إلى رؤيتكم والإجتماع بكم، منذ حللتكم بهذه الديار...، بيننا روابط روحية هي التي جعلتني أحن إليكم هذا الحنين: الإسلام، العروبة، والأدبية والشرقية، والتلمذة للأستاذ الكبير مولانا الشيخ حمدان رحمه الله، كل هذه الروابط كافية لمزج الأرواح مزجا..."، ويذكر الشيخ الطيب العقبي في تقديمه لهذه الرسالة أنها كانت بداية المؤازرة للحركة الإصلاحية بين الشيخين، فكانت بذلك فاتحة تألق وتعارف وجهاد متواصل في سبيل الله ورفع راية الإسلام وخدمة الأمة²، ويعتبر الشيخ الطيب العقبي الشخصية الثالثة بعد ابن باديس والإبراهيمي، وذلك قبل أن ينفصل عن الجمعية سنة 1938م³، وهو صحافي قدير وصاحب جريدة "الإصلاح" الأسبوعية وكان شخصية علمية ممتازة، وكانت دائرة عمله هي العاصمة في نادي "الترقي"، وقد إختلف مع الجمعية قبل الحرب العالمية الثانية في السياسة التي تتبعها الجمعية، حيث رأى ضرورة تأييد فرنسا في هذه الحرب، ومنذ ذلك الحين إستقل بالعمل لوحده⁴.

¹ - عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائرية وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى - دراسة تاريخية وإيديولوجية مقارنة-، المرجع السابق، ص 93.

² - محمد الصالح صادق: المرجع السابق، ص 31، 32.

³ - عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائرية وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى - دراسة تاريخية وإيديولوجية مقارنة-، المرجع السابق، ص 96.

⁴ - تركي رابح عمارة: الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، المرجع السابق، ص 171.

الشيخ مبارك بن محمد الميلي: قضى الشيخ الميلي حياته نائرا ثورة إيجابية، بناءة في خدمة الشعب الجزائري المسلم، وكان عبقريا حقا في وقت كانت فيها البلاد بورا تبحث عن قوة خلافة تخلصها من السنين العجاف¹، وكان عالما كبيرا وصحافيا بارعا ومعلما ومرشدا².

الشيخ العربي بن بلقاسم التبسي: كان أمينا عاما للجمعية وبعد وفاة بن باديس في سنة 1940م عين نائبا لرئيسها البشير الإبراهيمي، ثم مديرا لمعهد الشيخ عبد الحميد بن باديس عام 1947م وكان يمتاز بقوة شخصيته وصلابتها وشجاعته في إبداء الرأي والدفاع عنه، وكان من شهداء الثورة التحريرية الكبرى³.

والحق أن هؤلاء العلماء جميعا كانوا يمثلون المدرسة الحقيقية للوطنية، فكونوا خلال إقامتهم في المشرق رصيذا فكريا وثقافيا عاليا وتشبعوا بروح الإصلاح وبالأفكار المعادية للإستعمار، وأرادوا بذلك الرجوع إلى المنابع الأولى للإسلام، كما تأثروا بمنهج المنار الإصلاحية، والأكثر تأثيرا كان عبد الحميد بن باديس الذي كان دائما يقول "أنه من أتباع رشيد رضا وانه سيتبع منهجه لإحياء الدين الصحيح وجعله متفتحا على القيم الحديثة المعتدلة"⁴.

تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

بعد أن قضى عبد الحميد بن باديس عشر سنوات التي قضها مجاهدا بمفرده يعلم الناس ويرشدهم ويصحح لهم أمور دينهم ويستنهض هم العلماء، الذين تقاعسوا عن واجباتهم في بث الوعي

¹ - عبد الكريم بوالصفاصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائرية وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى - دراسة تاريخية وإيديولوجية مقارنة-، المرجع السابق، ص112.

² - تركي رابح عمارة: الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، المرجع السابق، ص ص 171، 172.

³ - المكان نفسه.

⁴ - عبد الكريم بوالصفاصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائرية وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى - دراسة تاريخية وإيديولوجية مقارنة-، المرجع السابق، ص122.

الديني والوطني، تؤكد أن هذه المعركة لا يمكن أن يقوم بها شخص واحد، وهكذا بدأ يفكر في توسيع خطة الحركة الإصلاحية التي شرع في تنفيذها منذ 1913م بعد رجوعه من الحجاز، فبدأ أول الأمر بتأسيس نواة للعمل الصحافي، وقد تم بإصدار أول صحيفة له "المنتقد" وإنشاء هيئة لتنظيم التعليم الحر والإشراف عليه عام 1930م، كما كان في ذهن ابن باديس إنشاء شبكة من المدارس والمعاهد للتعليم العالي وإرسال البعثات إلى الخارج لكن المنية لم تمهله حتى ينجز كل هذه المشاريع¹.

لقد تم التطرق في الفصل السابق إلى مبادئ وأهداف الجمعية وكانت النتيجة ان الجمعية قد إبتعدت عن السياسة وإهتمت بالدرجة الأولى بالناحية الدينية والتعليمية والإجتماعية، ونكمل في هذا العنصر التكلم عن الجمعية بإعتبارها أهم إنجاز قاده الإمام عبد الحميد بن باديس.

لقد لعب زملاء عبد الحميد بن باديس رفقته دورا نشيطا على غرار الحركات الجزائرية الموجودة آنذاك ففكروا منذ 1924م، في إنشاء جمعية دينية تجمع شملهم وتوحد جهودهم²، ويذكر الشيخ³ في العدد 14 من جريدة المنتقد: "لو إتحد العلماء على حقهم كما اتحد غيرهم على باطلهم لسعدت الأمة ونجت من بلاء كثير"، وفي العدد الثالث من الشهاب التي خلفت المنتقد بعد توقيفها نقراً: "أيها السادة العلماء المصلحون المنتشرون بالقطر الجزائري إن التعاون أساس التآلف، والإتحاد شرط النجاح، فهللوا إلى التعاون والإتحاد بتأسيس حزب ديني محض"، ثم توالت الإجتماعات بين بن باديس والبشير الإبراهيمي تارة في قسنطينة وأخرى في سطيف، ثم قام بإستدعاء المثقفين العائدين من البلدان العربية الشقيقة أمثال البشير الإبراهيمي، ومبارك الملي، والعربي التبسي، ومحمد السعيد الزاهري، ومحمد خير الدين، والذين إجتمعوا برئاسة الشيخ وناقشوا أوضاع البلاد المزرية والقوانين الجائرة ومما اتفقوا عليه:

¹ - عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان: المرجع السابق، ص48.

² - عبد الكريم بوالصفاصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائرية وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى - دراسة تاريخية

وإيدولوجية مقارنة-، المرجع السابق، ص131.

³ - عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان: المرجع السابق، ص51،50.

- 1- إنشاء المدارس الحرة لتعليم اللغة العربية والتربية الإسلامية.
- 2- الإلتزام بإلقاء دروس الوعظ للمسلمين في المساجد الحرة.
- 3- الكتابة في الصحف والمجلات وإنشاء النوادي للإجتماعات وإلقاء الخطب.
- 4- إنشاء فرق الكشافة الإسلامية¹.

وقد فكر ابن باديس في مشروع تأسيس جمعية ينتظم في سلكها علماء قسنطينة، ثم تتسع لتشمل علماء الجزائر، وفي إحدى رحلاته إلى رأس الوادي بسطيف إجتمع بالشيخ الإبراهيمي، وحدثه عن الجمعية وأهدافها، وطلب منه أن يضع لها قانونا أساسيا²، وهكذا تأسست الجمعية يوم 5 ماي 1931م بالعاصمة بخطة بارعة، حيث لم يحظر ابن باديس الإجتماع التأسيسي، ويقول الشيخ خير الدين³ في هذا الشأن: "أسر إلينا ابن باديس انه سوف لا يليق دعوة الإجتماع ولا يحضر يومه الأول حتى يقرر المجتمعون إستدعائه ثانية بصفة رسمية لحضور الإجتماع العام فيكون بذلك مدعوا لاداعيا، وبذلك يتجنب ماسيكون من رد فعل السلطة الفرنسية، وأصحاب الزوايا ومن يتخرجون من كل عمل يقوم ابن باديس"، وهكذا تأسست الجمعية وأخذ الموالمون لحركة ابن باديس أهم المناصب الإدارية فيها ونتيجة هذا الإنتخاب لم ترض الإدارة الإستعمارية التي أرادت إدارة طريقية موالية لفرنسا⁴. وكان شعار الجمعية: "الإسلام ديننا، الجزائر وطننا، العربية لغتنا"، وهنا خلقت في الجزائر كلمات جديدة تحمل معاني قيمة في اللغة العربية وهي: الوطن والشعب والأمة الجزائرية، لكن فرنسا لم تبق مكتوفة الأيدي بل أخذت تكيد للجمعية وكانت الفرصة مواتية عندما تصدى الطيب العقبي في أحد دروسه الأسبوعية للهجوم على الطرفين وكان القاسمي والشيخ بن عليوة من الحاضرين وأدى ذلك إلى

¹ - عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان: المرجع السابق، ص ص51، 50.

² - محمد الصالح الصديق: المرجع السابق، ص 33.

³ - عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان: المرجع السابق، ص ص52، 53.

⁴ - المكان نفسه.

إنفصال شيوخ الطريقة عن الجمعية وأسسوا جمعية "علماء السنة" وعملت فرنسا على مساعدة هذه الجماعة¹.

وقد أدرك الشيخ بن باديس ما للصحافة من أهمية في بناء نهضة الجزائر وإحياء مقوماتها، فتوجه إليها منذ وقت مبكر من حياته النضالية، فشارك في تأسيس جريدة "النجاح" سنة 1919م، ثم أسس جريدة "المنتقد" سنة 1925م وما ذكره الشيخ عن جريدة المنتقد: "برزت جريدة المنتقد تحمل فكرة الإصلاح الديني بتنزيه الإسلام عما أحدثه فيه المبتدعون وحرفه الجاهلون" مضت الجريدة على خطتها حتى قامت الإدارة الإستعمارية بتعطيلها بعد ثماني عشرة عددا، وفي سنة 1925م أنشأ جريدة "الشهاب"، وهي من أشهر المجلات في المغرب العربي ولم تتوقف عن الصدور إلى قبيل وفاة الشيخ بن باديس²، أي قبل الحرب العالمية الثانية هذه الحرب التي كان يراها ابن باديس لا تعني للجزائريين في شيء، "الشهاب" كانت مصدر تاريخي وديني من أهم أبوابها: الباب الأول "مجالس التذكير" الذي انفرد به الإمام فخصه لشرح وتحليل آيات من القرآن الكريم، فكان أول من ختم القرآن الكريم* شرحا في الجرائد الجزائرية³.

إستراتيجية بن باديس ومواقفه:

قاد الشيخ بن باديس معركة الوطن الجزائري بمهارة بالغة، فكان مجاهدا سياسيا بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة، فكانت له إستراتيجية ومواقف اتجه القضايا التي كانت تقف أمامه:

¹ - بسام العسيلي: المرجع السابق، ص ص 114، 115.

² - الزوير بن رحال: المرجع السابق، ص 41.

* - يعد ثاني شخصية تحتم تفسير القرآن الكريم في الجزائر بعد أبي عبد الله التلمساني في 108هـ، رغم مشاغله التعليمية والصحفية والاجتماعية الكبيرة، وقد شاءت إرادة المولى عزوجل أن تهدي الناس لمن يسجل هذا التفسير كتابة نيابة عنه في أثناء الدرس، وينشره على الناس، أنظر: (محمد يحيى الدين سالم: المرجع السابق، ص 35).

³ - محمد قرصوا: عبد الحميد بن باديس نصوص مختارة، منشورات ANEP، الجزائر: 2005م، ص 22.

إستراتيجية بن باديس: تقوم إستراتيجية بن باديس على العمل النشط والمضاد لأهداف السياسة الإستعمارية، والعمل بكل الوسائل من أجل الحفاظ على مقومات الشخصية الجزائرية بكل أبعادها الثقافية والحضارية والروحية، ولكنه لم يتجه إلى السياسة لعدة إعتبارات:

- 1- عدم جدوى العمل السياسي الذي تمثل في الخطب والإجتماعات والتظاهرات فقط، وكان هذا غير مجد في نظر ابن باديس لأنه يؤمن أنه ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة، أما السياسة فتعتمد على الشرعية ولا تؤمن بالقوة.
- 2- عدم جدوى العمل في ظل قوانين الأنديجينا التي كانت تحصي على الأهلي أنفاسه فما بالك بأفعاله.

ونتيجة لذلك كانت إستراتيجية بن باديس تقوم على إحباط خطط فرنسا ضد الكيان الجزائري ولخصها في شعاره المشهور: "الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا"، وهذا لا يعن أنه لم يشارك في السياسة ونشاطاتها، بل ركز بن باديس عمله في البداية على الحفاظ على مقومات الشخصية الجزائرية¹.

عمل بن باديس في النشاط الصحفي، وهي وسيلة من وسائل السياسة، كما إتخذ المؤسسات التربوية للتعليم والتربية، وتكوين القادة وبث الوعي، وهكذا لا نستطيع الفصل بين نشاطه العلمي والسياسي، فهما متداخلان ومتكاملان، والدليل على ذلك تأسيسه لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وهو من قال في أوائل 1940م: "والله لو وجدت عشرة من عقلاء الأمة الجزائرية يوافقوني على الثورة لأعلنتها"².

موقف بن باديس من السياسة الإستعمارية :

¹ - محمد دراجي: المرجع السابق، ص ص 29، 31.

² - محمد دراجي: المرجع السابق، ص 32.

حل الإستعمار الأروبي بالبلدان العربية بوجهين مختلفين، وجه ظاهري وهو الذي إحتل به هذه البلدان بدعوى تحضيرها وترقيتها وتطوير شعوبها (الإنتداب والوصاية والحماية)، والوجه الآخر الذي تميز بالإستغلال وكبت الحريات والتسلط والسيطرة على هذه الشعوب المستعمرة، رغم أن لفرنسا مبادئ نالت إعجاب الشعب الجزائري وهي مبادئ الثورة الفرنسية 1789م المتمثلة في شعارات الحرية، الإخاء، والمساواة، بالإضافة إلى حضارتها وتطورها.

ومن بين الشخصيات التي تكونت لها هذه الصورة المزوجة عن فرنسا الإستعمارية والديمقراطية، والذي يظهر لنا جليا في كتابات الشيخ بن باديس، فالكثير من مقالاته في الشهاب والبصائر ومواقفه تزخر بالأمثلة عن ذلك، حيث قد فرق دائما بين الحكومة الفرنسية في باريس وفي الجزائر، وإن كان موقفه هذا لم يبق ثابتا بل خضع لتطور الزمن، كما تطور مع تطور الحركة الوطنية، وكان ذلك بعد المؤتمر الإسلامي الجزائري جوان 1936م عندها بدأ يشك في الحكومة الفرنسية وصدقها في فرض سيطرتها على مستعمري الجزائر¹.

تعد الفترة ما بين (1935م- 1940م) أخصب المراحل لإبن باديس ومقاومته للإحتلال الفرنسي ويظهر ذلك في كتاباته عن قضايا الساعة والوطن والوطنية والحرية والإستقلال...، فتغيرت لهجته بعد أن تأكد أن الإستعمار وجهان لعملة واحدة، ومن بين ما كتبه: "رغبنا هي الإحتفاظ بكياننا العربي الإسلامي، فوق أرض هي أرض آبائنا وأجدادنا، مع إحترامنا التام للسلطة وخضوعنا لقوانين البلاد"².

سئل الإمام من قبل أحد المعلمين في بجاية أثناء إحتفالهم بالمولد النبوي، إذا كان عدوا للإحتلال الفرنسي فأجابه قائلا: "أحرار فرنسا لا يقولون هذا ولا يعتقدونه، أنا لست عدوا لفرد من

¹ - عبد العزيز فيلالي وآخرون: البيت الباديسي مسيرة علم ودين وسياسة، المرجع السابق، ص 132، 133.

² - عبد الكريم بوالصفصاف: الفكر العربي الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص 137، 145.

الأفراد، ولا لحزب من الأحزاب، ولا لجنس من الأجناس، ولا لدولة من الدول... وإنما أنا عدو للظلم والإستبداد... أقاوم الظالم ولو كان قريبا مسلما، وأنصر المظلوم ولو كان بعيدا غير مسلم"¹.

ووصف الروح الإستعمارية بالحقد والأطماع والجشع والتوحش، أما المستعمرون فقطعان من الوحوش التي تعيش على الدماء كالبق والقمل والبعوض، أما الروح الإنسانية فهي المحبة والرحمة والسلام، ويقول في هذا المعنى: "إننا نفرق جيدا بين الروح الإنسانية والروح الإستعمارية في كل أمة، فنحن بقدر مانكره هذه ونقاومها، نوالي تلك ونؤيدها"، وعلى هذا المبدأ ظل الإمام عدوا للإستعمار الفرنسي يحارب ظلمه وطغيانه².

موقف ابن باديس من سياسة التجنيس:

كان عبد الحميد بن باديس من أوائل العلماء الذين تطرقوا لمسألة التجنيس، وقد إستغل في أحد أعداد الشهاب للتعليق على كلمة وزير الداخلية الفرنسي للوفد الجزائري الذين شاركوا في حفل إفتتاح مسجد باريس عام 1926م، الذي ذكر: " إن عرضتكم لوزارة الداخلية لها معنى مخصوص، حيث أنها تعتبر دار الفرنسيين، وأنتم تعتبرون منهم"، ويعلق بن باديس على هذه القضية ووضعية الجزائري المسلم منذ صدور قانون 1865م لم تتغير ولم يتمتعوا بحقوق المواطن الفرنسي، لأنهم لم يكونوا ملزمين بكل الواجبات، وقد رفض ابن باديس التجنس بالشكل الذي جاءت به هذه القوانين، ويقول أن بإمكان الجزائري المسلم الحصول على كل حقوقه دون التجنيس، وبالتالي التخلي عن الأحوال الشخصية، وبعد هذا النقاش الذي كان في العشرينات، يعود بن باديس في الثلاثينات للتكلم عن نفس القضية مستغلا بذلك خيبة أمل المتجنسين وإعترافهم بفشل سياسة التجنيس فذكر³: "لقد بات معلوما ضروريا أن رفض أحكام الإسلام هو إرتداد عنه، وما كان أكثر الذين فعلوا هذه الفعلة

¹ - محمد الصالح الصديق: المرجع السابق، ص 88.

² - المرجع نفسه: ص 88، 89.

³ - عبد العزيز فيلاي... وآخرون: البيت الباديسي مسيرة علم ودين وسياسة، المرجع السابق، ص 154، 155.

على قلتهم، عالمين بهذه الحقيقة وما أقدموا على ما أقدموا عليه من رفض الإسلام، إلا ببواعث الرغبة في عرض الدنيا، ودواعي الطمع في نيل الحقوق الفرنسية، كالفرنسويين الحقيقيين. ولكن هذه الرغبة لم تتم، وهذا الطمع لم يتحقق وبقي القوم وباللأسقف معلقين لا من ملة آبائهم ولا من ملة آبائهم ولا من الملة الأخرى"، ومع ذلك فقد فتح ابن باديس الأبواب أمام المتجنسين للعودة إلى مجتمعهم الأصلي لأن الجزائر في حاجة إلى كل الطاقات المثقفة في المستقبل¹.

موقف ابن باديس من تعليم المرأة: اهتم ابن باديس بالواقع التعليمي للفتاة الجزائرية منذ صغرها، حيث اعتبرها ابن باديس قرينة الشاب الجزائري المثقف حتى لا يقترن بالأجنبية، وكذا اعتبرها مربية الأجيال والحارس الأول على قيمها الدينية والخلقية والقومية، ولهذا جعل تعليم البنات مجانيا وذلك بهدف إعداد المرأة من أجل القيام بدورها في الأزمة الجزائرية، فخصص بذلك دروسا للنساء في المسجد الأخضر وغيرها من مساجد قسنطينة وقد عزم الشيخ بن باديس على إرسال مجموعة من الطالبات اللاتي أتمن دراستهن في مدرسة جمعية التربية والتعليم بقسنطينة إلى مدرسة جمعية دوحه الأدب السورية².

وفاة بن باديس وآثاره:

صمم ابن باديس منذ أن وطأت أقدامه أرض الجزائر بعد رحلته إلى المشرق أن يحافظ على وطنه ودينه ولغته، ويحارب الإستعمار الذي احتل بلاده ونشر فيها الفقر والجوع والقهر وشوه دينها بالبدع والخرافات، وأمات لغتها وشوه تاريخها.

وأدرك المستعمر الفرنسي خطورة بن باديس على وجودهم ومصالحهم، فحاربوه بشدة وكانوا له بالمرصاد في كل عمل يعمله، فمنعوه من إلقاء الدروس والمحاضرات في العديد من المناسبات، وعاش الكثير من رجال جمعيته تحت الرقابة، كما دبروا له المؤامرات الدنيئة، لم يكن المستعمر لوحده يحارب

¹ - عبد العزيز فيلاي وآخرون: البيت الباديسي مسيرة علم ودين وسياسة، المرجع السابق، ص 154، 155.

² - بن خليف مالك: المرجع السابق، ص 365، 366.

بن باديس، بل ساعدهم في ذلك رجال الطريقة الذين حاولوا تخدير الشعب الجزائري بالخرافات التي نشرها¹، لكن الصحافة الإصلاحية وخاصة الشهاب كانت لها بالمرصاد، فشنت حملات ضد هذه الأباطيل وضد المبتدعين والمضللين، وكتب عنهم مجموعة من العلماء وكان أشدهم عنفا على الطريقة العلوية وشيخها كاتب يمضي مقالاته بإسم البيضاوي، فحاول العلويون معرفته لكنهم فشلوا، بالإضافة إلى ما كان يكتبه عنهم الشيخ بن باديس، وهكذا تحرك غيظ العلويين فقرروا الفتك بابن باديس فعدوا إجتماعا في مستغانم واتفقوا أن يغتالوه²، وقام المدعو "ميمي محمد الشريف" وهو من قرية بومسعدة، بلدية الجعافرة دائرة مجانة ولاية برج بوعريج بالسفر إلى قسنطينة لأداء المهمة وبعد تتبع الشيخ ومعرفة أوقات دخوله وخروجه من المنزل، وفي يوم 14 ديسمبر سنة 1926م، أقدم الجاني على محاولته واستطاع أن يصيب الشيخ في رأسه، لكن هذا الأخير أمسك به وطلب المساعدة، فقبض على الجاني وأبى الشيخ إلا أن يكون في مستوى ما يتصف به خلق المسلم الكامل، فعفا عنه بعد أن منع الناس من الفتك به³، وصدر في شأنه الحكم بخمس سنوات سجن رغم أن ابن باديس قد عفا عنه في المحكمة، ولكن الزبير بن باديس المحامي (شقيق المعتدى عليه) الذي دافع عنه أبى إلا أن يعاقب الجاني على عمله⁴.

كان الشيخ زاهدا متقشفا عزوفا عن زخرف الحياة، منقطعاً لخدمة العلم والدين والوطن، مكتفياً بالقليل من الطعام وغالبا ما يكون غذاءه من الخبز واللبن، وإذا دعي إلى بعض محبيه وأصدقائه يكتفي بالأكل من نوع واحد، وقد ذكر عنه السيد عمرو الشريف الذي عاصر الإمام وعاشره، أنه في أحد الأيام وهو خارج من جامع سيدي قموش يريد شراء بعض اللبن فرآها عمرو الشريف في فرصة لإكرامه فأخذ له صحناً من اللحم المختار المشوي، فغضب الشيخ ورد عليه: "ألا تعلم

¹ - محمد الصالح الصديق: المرجع السابق، ص 112، 113.

² - عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان: المرجع السابق، ص 52، 53.

³ - محمد الصالح الصديق: المرجع السابق، ص 118.

⁴ - عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان: المرجع السابق، ص 53.

أنني ابن المصطفى ابن باديس، وأن أنواعا مختلفة من الطعام الشهى تعد كل يوم في بيته،... ولكن ضميري لا يسمح لي بذلك وطلبتني يسيغون الخبز بالزيت"¹.

وبعد جهاد مستميت يحركه الإيمان، آن الأوان للجسم المنهوك أن يستريح، فكان أن نزل به المرض الذي قاومه في البداية، ولم يحرم تلامذته من الدروس، ولكنه اضطر إلى تركها وملزمة الفراش قبل وفاته بثلاثة أيام، ولم يكن في حسابان أحد أنها النهاية، وكان مما يردده وهو في آخر أيامه قول أيوب عليه السلام: "رب أي مسني الضر وأنت أرحم الراحمين"، وكان آخر ما خطه بيده رسالته لصديقه البشير الإبراهيمي في منفاه في آفلو².

توفي عبد الحميد بن باديس مساء يوم الثلاثاء 16 أفريل 1940م، وقد ذكر عبد الحق بن باديس سبب وفاة الإمام بن باديس نافيا وفاته بالسم، كما ذكر البعض أنه دس له من طرف الإستعمار الفرنسي بعد أن صرح أنه يريد إعلان الثورة على فرنسا، وإنما مات ميتة طبيعية، حيث كان نحيف الجسم ولم يعطي لنفسه قسطا من الراحة، فيومه يبدأ مع صلاة الصبح ولا ينتهي إلا في ساعة متأخرة من الليل، وهذا لمدة خمس وعشرين سنة قضاها بأيامها ولياليها في التدريس والتفسير وإلقاء المحاضرات والخطب والصحافة، فالإرهاق والتعب والزهد في الحياة، وثقل المسؤولية التي كان يحسها اتجاه الأمة الجزائرية هي السبب المباشر لوفاته³.

وكانت الفاجعة أليمة أدمعت لها العيون، وشيعت جنازته في موكب رهيب حشدت له آلاف من أبناء هذا الوطن الذين توافدوا من مختلف الأقطار لإلقاء النظرة الأخيرة⁴، أما الإستعمار الفرنسي فشعر بالراحة والإطمئنان والدليل على ذلك مقاله أحد الغلاة: "إن موت ابن باديس أهم عندنا من

¹ - محمد الصالح الصديق: المرجع السابق، ص ص 195، 196.

² - المرجع نفسه: ص ص 199، 200.

³ - الزوير بن رحال: المرجع السابق، ص 121.

⁴ - محمد الصالح الصديق: المرجع السابق: ص 201.

كسب الحرب القائمة ضد ألمانيا¹، وفي أحد المراجع أنه كان تحت الإقامة الجبرية في بيته في قسنطينة بعد أن رفض تلبية طلب فرنسا في مساندةها في الحرب العالمية الثانية، وقد دفن في روضة العائلة الباديسية في ساحة الشهداء بقسنطينة، وقام بتأبينه رفيقاه في الجهاد العلمي: الشيخ مبارك الملي، والشهيد العربي التبسي، وكذلك محمد الصالح بن جلول².

توفي ابن باديس وعمره خمسون سنة وأربعة أشهر لكن حياته كانت حافلة بالأعمال والإنجازات، ومعظم آثاره تلك التي نشرها في الصحافة سواء التي ظهرت في بعض الصحف الوطنية والإصلاحية، أو بصحيفته المستقلة لسان الحركة الإصلاحية التي قادها ومنها: الشهاب والبصائر، كما وسع ابن باديس دائرة نشاطه التعليمي مخاطبا الشعب الجزائري في دروس لتفسير القرآن الكريم والتي جمعت في كتاب "مجالس التذكير" والذي كتبه تلميذاه محمد الصالح وتوفيق محمد وطبعا الكتاب ونشراه في سنة 1948م، أما في مجال الكتابة والتأليف، فكفاحه المتواصل ضد الإستعمار الفرنسي حال دون ذلك وإن صدر له بعض الكتيبات باسم "الدرر الغالية في آداب الدعوة"، و"العقائد الإسلامية على منهج السلف"، و"مبادئ الأصول"، فضلا عن تحقيق وتقديم لكتاب الإمام أبي بكر محمد بن العربي "العواصم والقواصم" وطبعه في جزئين على نفقته الخاصة عام 1928م.

بقت الجزائر تحتفل بيوم 16 أفريل بعد الإستقلال كيوم علم تكريما لأعمال ومجهودات الفقيه العلمية في سبيل تحرير الجزائر من المغتصب.

المبحث الثاني :

التكوين الإجتماعي والثقافي والوطني لمصالي الحاج

¹ - الزوبر بن رحال: المرجع السابق، ص 120.

² - دار النفيس: المرجع السابق، ص ص 111، 112.

كان مؤرخوا الحركة الوطنية الجزائرية يرون في نجم شمال إفريقيا أول ممثل للإتجاه الثوري في تاريخ الأحزاب السياسية الجزائرية، وخاصة منذ سنة 1927م، حيث طالب لأول مرة بالإستقلال التام للجزائر في مؤتمر بروكسل، ولكن عريضة الأمير خالد الهاشمي* التي قدمها للرئيس الأمريكي ويلسون سنة 1919م، والتي تطالب بمنح الجزائر حق تقرير المصير، مما يمكن الوصول إليه أن الإتجاه الإستقلالي والثوري كان ممثلا رسميا بحزب نجم شمال إفريقيا، الذي أسس كما سبق الذكر في شهر فيفري سنة 1926م، والتي كانت قيادته الأولى على يد أحد التونسيين المغتربين المدعو الشاذلي خير الله، وكان يشاركه فيها السيد حاج علي عبد القادر غير ان هذا الأخير كان منشغلا بالتجارة فخلفه السيد مصالي الحاج¹.

ولهذا سنقوم في هذا المبحث بمعرفة مسار حياة مصالي الحاج، والبيئة التي ترعرع فيها والتي ساهمت بشكل واضح في إتجاهه الإستقلالي الثوري، أما إشكالية المبحث هي: كيف كانت حياة مصالي الحاج؟ وماهي أهم العوامل الإجتماعية والثقافية والوطنية التي ساهمت في بناء شخصيته؟.

مولد مصالي الحاج ونشأته:

ولد مصالي الحاج يوم 16 ماي 1898م* بدار قادري بالدرب الفوقي نهج باب الجياد** الآن بتلمسان*** عمالة وهران¹، وهو حجي ولد أحمد بن حجي بن سي بوزيان بمصلي، وهو مسجل في

*- نشرت هذه العريضة لأول مرة من قبل الأستاذ أجرون (Ageron) سنة 1980م وعربها الأستاذ المرحوم أبو القاسم سعدالله ودعمها بوثائق أخرى جديدة عام 1981م. أنظر: (يوسف مناصرة: المرجع السابق، ص5).

¹ - المرجع نفسه، ص ص5، 71.

*- يذكر محمد قناش أنه ولد في 17 ماي 1898م، أنظر: (محمد قناش: ذكرياتي مع مشاهير الكفاح، المصدر السابق، ص9).

الشجرة العائلية لبلدية تلمسان²، وأمه فاطمة ساري علي حاج الدين³، ويقول مصالي: "كنا في العائلة ستة أولاد: طفلان وأربع بنات، وكان الأكبران بنت وطفل أكبر مني بكثير، كانا ثمره الزواج الأول لأبي من امرأة لم تكن سوى خالتي (الزوجة الأولى لأب مصالي الحاج ماتت وهي نفسها عند ولادة أختب خيرة)، كنا كلنا نسكن حي باب الجياد في منزل هو ملك لجدتي، ماما بن قلفاط وترعرعت في هذا الحي وعشت فيه إلى غاية سنة 1918م، يعني بلوغ سن العشرين أين بدأت فيه الإعتماد على نفسي"⁴.

أما والده فكان يسكن بضريح الشيخ عبد القادر الجيلالي الذي كان قيما عليه من سنة 1922م، بعد ما كان فلاحا صغيرا في قرية "الصفصيف" توفي الوالد في مارس 1938م عن عمر يناهز المائة سنة، وقد كان يردد على مسامعنا حينما نسأله عن مولده بأنه ولد وقت دخول الفرنسيين لمدينة تلمسان⁵.

يذكر مصالي الحاج في مذكراته أنه باستثنائه وأخته الصغيرة زليخة فإن جميع إخوته قد تزوجوا خلال السنوات التي سبقت الحرب العالمية الأولى، وقد سمحت لهم هذه الزيجات من عقد تحالفات جديدة ورباطات عائلية جديدة⁶.

** - حومة باب الجياد وتضم حي "الرحيبة" وحي "سيدي الوزان" وعرصة "ديدو" وحي "مصطفى" هذه الأحياء كانت مداخلها مختلفة ولكن سطوحها متقاربة ومتشابكة. أنظر: (المكان نفسه).

*** - وتقول بعض المراجع أنه ولد ببلدة مغنية من أحواز تلمسان غرب الجزائر، أنظر: (عبد الكريم بالصفصاف وآخرون: معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج2، المرجع السابق، ص316).

¹ - محمد قناش، محفوظ قداش: نجم الشمال الإفريقي (1926م-1927م)، المصدر السابق، ص70.

² - محمد قناش: ذكرياتي مع مشاهير الكفاح، المصدر السابق، ص9.

³ - أحمد الخطيب: حزب الشعب الجزائري، المرجع السابق، ص118.

⁴ - بن يامين سطور: مذكرات مصالي الحاج 1898م-1938م، ترجمة: محمد المعراجي، منشورات ANEP، الجزائر: 2007م، ص9.

⁵ - محمد قناش: ذكرياتي مع مشاهير الكفاح، المصدر السابق، ص9.

⁶ - بن يامين سطور: المصدر السابق، ص9.

دخل الكتاب بجامع سيدي الوزان وحفظ عدة أحزاب من القرآن الكريم¹، وفي السابعة من عمره أدخله أبوه مدرسة "ديسيو" (Descieux) الكائنة في حي "صهريج مهدي" لتعليمه الفرنسية²، لكنه إضطر لمغادرتها في سن مبكرة، درس منذ صغره تاريخ الجزائر وجغرافيتها³، حيث كان يتردد في صغره على طبيب أسنان أروبي لم يكن لديه أبناء فكان يعده كإبنه فقدم له المكتبة الثورية التي كانت بحوزته ليطلعها ويحدثه عن الحركات الثورية في العالم⁴.

مارس مهنة الحلاقة والإسكافية "حذاء"، إلتحق بالخدمة العسكرية في نهاية شتاء 1918م، رحل إلى فرنسا على متن باخرة "سيدي ابراهيم" في شهر أفريل، وبعد إنهاء خدمته العسكرية عاد إلى مسقط رأسه فتوالت عليه العروض من طرف والده وأصدقائه، حيث طلب منه والده أن يشتغل في أرض الصفصاف وأن يساعده في خدمة ضريح سيدي بومدين شعيب أبو الغوث، أما أصدقاؤه قد حثوه على الزواج والإستقرار، لكنه غادر إلى فرنسا مرة أخرى ووصل إلى باريس في يوم 23 أكتوبر 1923م، وهنا انتظمت حياته وسط الجالية التونسية والمغربية والأفارقة وجالية الهند الصينية، وهناك اشتغل في مصنع النسيج ثم في مؤسسة لصهر المعادن، ثم أصبح بائعا للقبعات، وفي سنة 1925م عمل في الفنادق الكبرى، ثم مارس مهنة تاجر متجول لبيع الجوارب في الأسواق، إنخرط في الحزب الشيوعي ثم ترأس نجم شمال إفريقيا بعد مؤتمر بروكسل سنة 1927م، ثم حزب الشعب سنة 1937م، ثم حركة إنتصار الحريات الديمقراطية⁵.

¹ - محمد قنانش، محفوظ قداش: النجم الشمال الإفريقي 1926م-1937م، المصدر السابق، ص70.

² - أحمد الخطيب: حزب الشعب الجزائري، المرجع السابق، ص118.

³ - عبد الكريم بوالصفصاف وآخرون: معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج2، المرجع السابق، ص316.

⁴ - محمد قنانش، محفوظ قداش: النجم الشمال الإفريقي 1926م-1937م، المصدر السابق، ص70.

⁵ - عبد الكريم بوالصفصاف وآخرون: معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج2، المرجع السابق، ص

كان لمصالي الحاج دور فعال في الحركة الوطنية وفي الإلتجاه الثوري الإستقلالي حتى لقب ب "والد الحركة الوطنية".

التكوين الإجتماعي لمصالي الحاج:

تلعب الأسرة دورا كبيرا في التأثير على شخصية القادة السياسيين، وهذا ما كان بالنسبة لمصالي الحاج وبقية الزعماء.

أما أسرة مصالي الحاج فكانت أسرة فقيرة تعمل في الفلاحة في قطعة أرض صغيرة لا تفي بحاجاتهم، وبعد الحرب العالمية الأولى، أصبح يعمل مقدما في ضريح سيدي عبد القادر الجيلالي¹، ويقول مصالي الحاج عن والده في مذكراته: "إن تزويج أخي وأخواتي تميز بإحتفالات متواضعة، لكنه تكلف كثيرا لأبي لأنه كان يواجه المصاريف وحده وكان في هذه الفترة قد تقدم في السن. ولم يعد قادرا على الأعمال الشاقة التي كان يقوم بها في الحقل...، كان أبي تلمسانيا قديما منذ عدة أجيال وكان عاملا بسيطا في الأرض يعيش في عزلة، ولهذا كان السكان يحبونه في مدينتنا، وعليه فقد تمت مساعدته فصار مقدما في ضريح سيدي عبد القادر الجيلالي. ولم يكن لهذا المنصب راتب شهري وكان صاحبه يعيش على الهدايا العينية والنقدية لرواد سيدي عبد القادر الجيلالي"².

كان مصالي الحاج يقضي عطلة الصيف في قطعة أرض في الريف تدعى "الصفصاف" كان أهلها يملكونها شراكة مع عائلات تقرهم أهمها عائلة الممشاوي، وقد تأثر مصالي كثيرا في صغره بما كان يرويه والده عن هذه الأراضي المجاورة للصفصاف، فوكان يشير إلى الأراضي المجاورة التي هي ملك للمعمرين حيث يقول: "هذه الأراضي كانت جميعها للجزائريين وقد اغتصبت منهم، ونحن الآن

¹ - محمد قناش، محفوظ قداش: النجم الشمال الإفريقي 1926م-1937م، المصدر السابق، ص70.

² - بن يامين سطورة: المرجع السابق، ص9، 10.

مهددون بنفس المصير لأن الكولون يحاصروننا من كل جانب، ولكن الله لن يجعلهم يجردوننا من قطعة أرضنا الصغيرة هذه"¹.

ويذكر مصالي الحاج في مذكراته عن تلك الأيام الصيفية التي كان يمضيها مع عائلته وأقربائه والتي كانت بالنسبة له سبب الفرحة الكبيرة، فتلتف العائلة حول الأب الذي يعتبر أكبرهم سنا أثناء الوجبتان فتتحول إلى مجلس عائلي بدون جدول أعمال، بالإضافة إلى إجتماعهم حول عبد القادر الممشاوي*، الذي تمتع بنفوذ كبير في عائلتنا وهو صانع عربات متدين جدا كان يكلمنا عن جمال وعظمة الإسلام بعد وجبة المساء، ويحدثنا عما يحدث في المدينة وفي المغرب وفي العالم²، ورغم صغر سن مصالي الحاج لكنه تذكر هذه الإجتماعات العائلية التي أثرت فيه وبقي يتذكر تلك الكلمات التي رسخت في ذهنه: الإسلام، الله، مكة، سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، الشام ويقصد بها هنا دمشق، بالإضافة إلى رجال تلمسان الصالحين³.

أما الأم كما ذكر فيما سبق أنها الزوجة الثانية فكانت تنتمي إلى عائلة فيها سبع بنات وأبوها قاضيا وباعتبار هذه الوضعية المتواضعة فإن أولاده لم يكونوا بؤساء، ولكن المساعدة التي كان يوفرها لهم انتهت بوفاته⁴.

أما الأخ الأكبر لمصالي الحاج وصهره "عبد القادر الممشاوي" ووالده وعمه كانوا يمتنون في بعض الأحيان صنع براميل الماء للبادية في الصيف وأعواد الحرث في الخريف، وكل ما يهم الفلاحة في باقي السنة، وكان أخوه الغوثي شريكا لعمه الغوثي في صنع القببات لشرب الماء في المدينة من لوح

¹ - أحمد الخطيب: حزب الشعب الجزائري، المرجع السابق، ص: 118، 119.

* - وهو صهر مصالي ومقدم الطريقة الدرقاوية المنتسبة للشيخ الحاج بن يلس، أنظر: (محمد فنانش: ذكرياتي مع مشاهير الكفاح، المرجع السابق، ص: 9، 10).

² - بن يامين سطوره: المصدر السابق، ص: 22.

³ - المكان نفسه.

⁴ - المرجع نفسه، ص: 9.

العرعار ذو الرائحة الطيبة، وبعد وفاة والده خلفه على ضريح الشيخ عبد القادر الجيلالي وعاش إلى سنوات الثمانين¹.

كانت حياة مصالي الحاج في صغره حياة معاناة وفقر وعذاب، فالغرفة التي كان يسكنها مع أهله في تلمسان اضطروا إلى تركها لأن جدته (ماما بن قلفاط)، كانت قد باعتها قبل وفاتها، فانتقل والده للعمل في مزرعة أحد المعمرين خارج تلمسان، حيث قدم لهم مسكنا صغيرا، ولكنهم عادوا ثانية إلى الرحبية بمساعدة أهل والدته، وكان والده آنذاك يعمل في النقلات بين الحنايا والرمشي². في هذه الأثناء كان ينتقل مصالي الحاج للعمل وهو ما يزال صغيرا فعمل صبي حلاق ثم في الإسكافية³، انفصل عن أهله في سن العاشرة ليعمل بقالا في بلدة تقع على بعد 10 كم من تلمسان في الحنايا، ثم عاد إليها في إحدى المناسبات الدينية وعمل بمصنع التبغ يلصق الطوابع على العلب والسجائر والأكياس⁴ وهذا المصنع يخص "آل سوريانو" يمضي فيه مدة عام وهنا بدأ يحس بقيمة العمل الجماعي⁵.

وقبل انتقاله إلى فرنسا من أجل التجنيد الإجباري ألحق بالفيلق العشرين بوهران، وتم تعيينه في المقتصدية العسكرية، وهو متجه إلى فرنسا كان يحس بإجحاف العالم والناس المحيطين رغم أنه كان متحمس لمعرفة المجتمع الفرنسي، وكان عمره آنذاك لم يتجاوز العشرين⁶، ويذكر مصالي الحاج⁷ في مذكراته: "إن الذهاب إلى فرنسا الذي كان كل الناس يتحدثون عنه بدون إنقطاع كان لا يخيفني، كان يسوؤني من اجل تخوفات عائلتي التي كانت تخشى أن تفقدني، كنت أريد أن أبقى في حياتي وفي

¹ - محمد قنانش: ذكرياتي مع مشاهير الكفاح، المصدر السابق، ص 10.

² - احمد الخطيب: حزب الشعب الجزائري، المرجع السابق، ص 119.

³ - المكان نفسه.

⁴ - عبد الكريم بوالصنصاف وآخرون: معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج 2، المرجع السابق، ص 316.

⁵ - احمد الخطيب: حزب الشعب الجزائري، المرجع السابق، ص 119.

⁶ - محمد قنانش، محفوظ قداش: نجم الشمال الإفريقي 1926م-1937م، المصدر السابق، ص 70.

⁷ - بن يامين سطوره: المصدر السابق، ص 77.

علاقتي مع أمثالي في اتفاق تام مع المبادئ الإسلامية التي كانت بالنسبة لي شيئاً مقدساً، لكن لا شيئاً يعني من أن أشعر براحتي، فقد لاحظت أن الناس الذين أعيش معهم في الثكنة يكونون لي الإحترام والتقدير والمحبة، كنت أحب الحياة، كنت أحب القراءة والتعلم والسماع والفهم، كنت أفكر بأن الحياة ستعجبني في فرنسا، كنت أتهيأ أن أكتشف الكثير من الأشياء وأن أستول على محبات جديدة"، وبعد إنهاؤه للخدمة العسكرية عاد إلى تلمسان ومالبث أن عاد إلى فرنسا مرة أخرى وهذه المرة من أجل العمل، حيث عمل في شركة "رونو" للسيارات ثم بائعاً متجولاً¹.

وما يمكن قوله أن مصالي الحاج عاش كغيره من الجزائريين حياة الكفاف في أوضاع الشقاء، وهذا جعله يتصل بالطبقات العاملة الفرنسية ويحتك بها².

كل هذه المهن ساهمت في التكوين الإجتماعي لمصالي الحاج حيث تعلم العمل في الإطار الجماعي، كما أن مهنة البائع المتجول في فرنسا جعلته يحتك بالمجتمع الفرنسي بكل طبقاته من جهة ومن جهة أخرى، كان له الوقت الكافي فيما بعد لأداء عمله الساسي والإتصال بمختلف شرائح الجالية الجزائرية في فرنسا.

إتصل مصالي الحاج في فرنسا بطبيب أسنان كان يعرفه والذي قام بتعريفه على عائلات أخرى كانت تجمعهم "كومونة" باريس وأفكاره الثورية الذين شارك فيها أجدادهم، وعذبوا لأجلها ومن بينهم تعرف على المرأة التي ستقاسم معه حياته وقد كانت له خير عون وشجعتة في أيامه الأولى وفي ظروفه العصيبة التي كانت تجتاحه³.

وجد مصالي نفسه وحيدا بعد وفاة أمه ثم زواج أخته الصغرى زليخة فقرر الذهاب إلى فرنسا، وكان ينوي الإنتقال من هناك إلى سوريا، وبالفعل وجد نفسه في شهر أكتوبر 1923م في باريس،

¹ - محمد قناش، محفوظ قداش: نجم الشمال الإفريقي 1926م-1937م، المصدر السابق، ص70.

² - جوان غليسي: المصدر السابق، ص56.

³ - جوان غليسي: المصدر السابق، ص70، 71.

وهناك أثناء إحدى زيارته للسيدة "كواتو" التي كانت تعطف عليه مثل أمه، التقى بـ "إميليا بيسكان" (Emilie Basquants) والتي أصبحت فيما بعد زوجته وأم لولديه: علي وجانينة، ورفيقة نضاله الطويل¹.

أما دور المرأة في حياته فيمكن أن نتحدث عن تأثير أمه التي كان يتكلم عنها بكل فخر وإعزاز وحب وإجلال، والتي توفيت بعد رجوعه من الخدمة العسكرية سنة 1922م، أما زوجته فكانت تنتمي إلى عائلة عمالية جاءت من الحدود الألمانية الفرنسية، والتي ساندهت وتقاسمت معه الأحزان قبل الأفراح، فكانت تقوم بدور الوسيط بين المناضلين وبينه حين يكون في السجن أو المنفى أو الإبعاد، لقد أقامت السيدة مصالي في تلمسان مدة تسعة أشهر وقامت بدورها السياسي على أكمل وجه فكانت تتبع الأحداث الدولية من الصحف خاصة، ما كان يحدث بين الفاشية والنازية من جهة والحرب الأهلية بإسبانيا كل هذا كان يندرج بإنجاز قريب، أما دورها الاجتماعي فكان بإتصالها بعائلات المناضلين ومساعدتهم على تبني الأساليب الحديثة في تربية أبنائهم².

كما وقفت معه في مختلف الاجتماعات مثل إجتماع وفد المؤتمر الإسلامي الجزائري أثناء زيارته لتلمسان، وكان من المفروض أن يحضر مصالي نفسه ولكنه تعطل في المواصلات، وذهبت في غياب زوجها إلى سيدي بلعباس لتعيين المناضلين لأخذ الكلمة وانتقاد المؤتمر فيما يخص إلحاق الجزائر بفرنسا، فكانت تمارس السياسة بحرية تامة كما اعتادت على ذلك في فرنسا دون أي تردد، كما ظهرت بجانب زوجها في مظاهرات 14 جويلية 1934م تحت العلم الوطني التي صنعته بنفسها في فرنسا، كما كانت نعم العون لمصالي ورفاقه في السجن³.

لم تكن زوجته ذات مشرب حزبي معين ولم تنضم إلى النجم ولا إلى حزب الشعب، إلا أنها كانت تقوم بأعمال حزبية هامة حيث أنفقت من مالها على جريدة الأمة التي أصدرها النجم، أما

¹ - أحمد الخطيب: حزب الشعب الجزائري، المرجع السابق، ص 122.

² - محمد قنانش: ذكرياتي مع مشاهير الكفاح، المصدر السابق، ص 31، 32.

³ - محمد قنانش: ذكرياتي مع مشاهير الكفاح، المصدر السابق، ص 34، 36.

عن الخلاف الذي دب بينها وبين مصالي، فيقول أنه بدأ منذ عام 1946م، بعد عودته من منفاه في البرازافيل حيث كانت تريد أن تحيا حياة هادئة وكان ذلك مستحيلا بسبب نشاط مصالي الذي تزايد في تلك الآونة¹.

كانت أسرة مصالي الحاج وأسرته واغترابه في فرنسا وزواجه من إيميلي من الأسباب التي أثرت على تكوينه الإجتماعي وشخصيته المطالبة بالإستقلال لبلاده وتبنيه فكرة التحرر التي نادى بها منذ بداياته الأولى في حياته السياسية.

التكوين الثقافي والوطني لمصالي الحاج:

ذكرنا في الفصول السابقة أن مناضلي التيار الإستقلالي لم يكونوا من كبار النخبة المثقفة في الجزائر وسنتطرق إلى نموذج مصالي الحاج باعتباره القائد الأول لهذا التيار.

تعليمه:

وقد ذكر أنه التحق كباقي الأطفال إلى الكتاب بجامع سيدي الوزان، رغم أن أمه كانت تريده أن يتعلم إحدى الحرف التي تنفعه في حياته كباقي التلمسانيين، ولكن أبوه هو الذي دفعه إلى التعليم²، ويذكر مصالي³ في مذكراته: "...وفي تلمسان هناك أربع أو خمس مساجد مفتوحة على مدار السنة للمؤمنين، أضف إلى هذا أن كل حي فيه مسجد صغير يستعمل كمدرسة للأطفال..." حيث يذكر أن المجتمع التلمساني معروف بتدينه وتأثره بالمبادئ الإسلامية كما يسير حياة كل مسلم.

¹ - أحمد الخطيب: حزب الشعب الجزائري، المرجع السابق، ص: 122، 123.

² - محمد قناش، محفوظ قداش: نجم الشمال الإفريقي 1926م-1937م، المصدر السابق، ص70.

³ - بن يامين سطوره: المصدر السابق، ص ص12، 13.

كما كان يتردد على زاوية الشيخ الشيخ بن يلس الذي هاجر إلى سوريا في عام 1912م وخلفه الشيخ بن عودة برصالي، وكانت الزاوية الدرقاوية عصرية تعتمد على التعليم¹، ويذكر مصالي أن مهمة هذه الطرق تمثلت في إرشاد المؤمنين في ممارستهم الإسلامية، ولعبت دورا هاما في تلمسان منها القادرية والتيجانية والطيبية والدرقاوية، التي تنتمي إليها أغلب عائلة مصالي ولهذا أسست الزاوية الهبرية* في تلمسان في فترة ميلاد الحاج، ثم أصبح الشيخ بن يلس قائدها، لقد كانت عائلة مصالي كلها تنتمي إلى الطريقة الدرقاوية بما في ذلك عائلة أمه فتربى على مبادئها وحافظ طوال حياته على ذكريات ممتازة عن هذه التربية وعن الفلسفة البسيطة للطريقة التي مفادها أنه ينبغي محاربة المنكر والدفاع عن الخير، وقد ساعده ذلك على مواجهة كل الصعوبات التي اعترضته خلال حياته النضالية²، وكثيرا ما كان يتكلم عنها في سجنه خاصة الطريقة الدرقاوية التي عاش معهم فترة من عمره في محبة وإخاء ومودة، فيذكر أن هذه الطريقة وغيرها لها تربية دينية قائمة على التضامن بين الطبقات الغنية والأخرى الفقيرة، فقاموا بتربية أجيال من المؤمنين العاملين ويشبههم بالأحزاب العمالية الذين لا يجيدون عن مبادئهم ويقول عنهم: "إن الزاوية كانت مرحلة بين القبلية المتأخرة والنظام السياسي الجديد ولا يمكن الإستغناء عنها، إن الزاوية مبنية على محبة الله ومحبة خلقه والفناء في محبته، وهذه الخصلة التي هي المحبة هي التي تنقصنا الآن"³

التحق بمدرسة فرنسية على الرغم من والدته التي أرادت أن يكمل تعليمه باللغة العربية⁴، وكانت حجج والده في إرساله إلى المدرسة الفرنسية كي يكون ترجمانا بين الفرنسيين وبين عائلته

¹ - محمد قنانش، محفوظ قداش: نجم الشمال الإفريقي 1926م-1937م، المصدر السابق، ص70.

* - نسبة إلى قائدها الحاج الهبري والذي كانت تحكى عليه أساطير كثيرة من بينها أنه يستطيع قطع آلاف الكيلومترات في رمشة عين لهذا لم تستطع الإدارة الفرنسية الإمساك به، هذه الطريقة رأت النور في منطقة بني سنان على الحدود الجزائرية المغربية، وقد انتشر صدى قائدها إلى كل شمال إفريقيا وحتى إلى المشرق، أنظر: (بن يامين سطوره: المصدر السابق، ص13).

² - المصدر نفسه، ص ص14، 15.

³ - محمد قنانش: ذكرياتي مع مشاهير الكفاح، المصدر السابق، ص53.

⁴ - أحمد الخطيب: حزب الشعب الجزائري، المرجع السابق، ص118.

وللدفاع عن نفسه، كما أن دراسته الفرنسية ستجعل فرصه في العمل أكبر من دراسته للغة العربية وتبقى اللغة العربية هي لغته الأصلية التي لن يتخلى عنها أبداً، كان هذا النقاش بين الزوجين حول مستقبل إبنهما الشيء الذي جعله يرسخ في ذاكرة الطفل الحاج والذي أثر كثيراً في نفسه وشخصيته، وبعد دراسته لمدة عامين توقف نتيجة تغيباته المتكررة وعمل في عدة مهن¹، عاوده الحنين إلى المدرسة فعاد إليها مثقلاً بالسنوات التي ابتعد بها عن التعليم، محاولاً بذلك تحصيل مافاته رغبة منه في الحصول على الشهادة الابتدائية ولكنه في سنة 1916م فشل في الحصول عليها لضعفه في مادة الحساب، وعلى ما يبدو أنه تأثر في مرحلته الابتدائية بمعلمه المدعو "محمد أبو عياد" الذي كان يحدث تلامذته عن رحلاته إلى فرنسا وعن مشاهداته في الخارج وكان دائماً يحثهم على العمل المنظم، وكان يردد على مسامعهم العبارة التالية: "من لم يكن منظماً سيصبح حتماً خادماً للمنظم"².

لكنه لم يتخلى عن حب المعرفة محاولاً أخذ مختلف الثقافات فبمجرد وصوله إلى فرنسا أصبح يتردد على مسرح "بورديو"، فأعجب بالفن المسرحي واكتشف في نفسه حب للمسرحيات التراجيدية والهزلية وأعجب بالثقافة الفرنسية فأصبح كثير المطالعة، ثم قرر تسجيل نفسه في جامعة "بورديو" كمستمع حر كي يتسنى له تعلم اللغة العربية، فكان يتردد دائماً لسماع هذه المحاضرات وكان عمره عشرون عاماً³، وبعد رجوعه من الخدمة العسكرية زاد في مطالعته بتاريخ العرب والمسلمين فطالع كتاب "إثنان وثلاثون عاماً عبر الإسلام" للمؤلف ليون روشي (Léon Roches)، وكتاب "حضارة العرب في إسبانيا" لجوستاف لوبون (Gustave Le Bon)، وانضم إلى جمعية أصدقاء الكتاب حيث تعلم أصول الكلام والخطابة⁴.

¹ - بن يامين سطور: المصدر السابق، ص 20، 22.

² - أحمد الخطيب: حزب الشعب الجزائري، المرجع السابق، ص 120.

³ - عبد الكريم بوالصنصاف... وآخرون: معجم الأعلام في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج 2، المرجع السابق، ص 317.

⁴ - أحمد الخطيب: حزب الشعب الجزائري، المرجع السابق، ص 121.

كان مصالي يشتكي من دروس اللغة العربية التي كان يتلقاها مع مفدي زكرياء والمبينة على النحو وذكر محمد قنانش رغبته في التعلم بطريقة أسهل من ذلك فساعدته هذا الأخير بطريقة القراءة وشرح المعاني واستنتاج الأفكار الأساسية للنصوص، ويذكر محمد قنانش عن أيام السجن وكيف كان السمر في أوقات العشاء، حيث يبدأ النقاش في أمور السياسة لينتقلوا إلى الفكاهة ثم إلى بعض الأغاني الشعبية والأندلسية، وأما عن الكتب والكتاب فكان يسرد ماقرأه فيتحدث عن تولستوي (Tolestoy) وموريس بوريس (Moriss Toriss) وهنري بوردو (Henri Bordeaux) وكان يستدل في أحاديثه بشخصياتهم¹.

التكوين السياسي لمصالي الحاج:

كان المجتمع الجزائري، بعد الحرب العالمية الأولى يعيش في ضيق إقتصادي وإجتماعي، وقد أسكت صوت الأمير خالد الذي كان ينتظر منه الكثير ونفي إلى سوريا مأسوفا عليه، ولم يبق إلا بصيص أمل كان يأتي من الريف المغربي، ومن زعيمه عبد الكريم الخطابي قبل أن تتكالب عليه إسبانيا وفرنسا لتحطيمه ونفيه، هنا ظهر ميول مصالي الحاج السياسي الطي نادى منذ الوهلة الأولى بالثورة ضد النظام الإستعماري المستبد².

تأثير الهجرة على مصالي الحاج:

أثرت الهجرة إلى فرنسا في المسار السياسي لمصالي الحاج، خاصة وأن تلمسان كانت مقر الهجرة الكبرى لعام 1911م³، حيث شارك مصالي في مظاهرة ضد الخدمة العسكرية للمسلمين الأهالي وعمره ثلاثة عشرة سنة، ففوجيء بالعزم الذي كان يحرك المشاركين من الجامع الكبير إلى النيابة العامة، ثم استمع لخطاب "جلول شلي" الذي دعا التلمسانيين للهجرة إلى البلدان الإسلامية،

¹ - محمد قنانش: ذكرياتي مع مشاهير الكفاح، المصدر السابق، ص 52.

² - المصدر نفسه، ص 11.

³ - جوان غليسي: المصدر السابق، ص 56.

ومن اتبع رأيه الشيخ "محمد بن يلس" شيخ الطريقة الصوفية التي ينتمي إليها مصالي الحاج، وكان أول إفتراق له عن وطنه هو أثناء تجنيده وذلك في أبريل 1918م¹، وكان مطلعاً على ما يجري في هذه الحرب، والتي من أجلها بعثت المقولة الدعائية: "الحرب من أجل الحق والحضارة"، هذا ما كان يسمعه من جانب الإدارة الإستعمارية، أما السكان فرأوا وجوب اغتنام الفرصة للثورة واسترجاع الحرية، وبقيت تركيا هي مركز الإهتمام بالنسبة للجزائريين²، فكان مصالي يجتمع بالشبان في الزاوية ويسرد عليهم أحداث العمليات الحربية وخصوصاً ما يتعلق بالدولة العثمانية ثم قيام مصطفى كمال وكان ينادي بحياته في كل مناسبة³، أما ما حدث أثناء الثورة الروسية فق التجأ مصالي الحاج إلى السيد "كويتو" ليشرح له ذلك لكنه لم يستطع آنذاك الوصول إلى تصور الاشتراكية وأهدافها⁴.

في فرنسا بدأ إحتكاك مصالي بالفرنسيين الذين كانت معاملتهم مختلفة عنها في الجزائر، وهذا زاد في سروره وتقبله العيش فيها، ثم انتقل من بوردو إلى بكلام وهنا تعرف على رئيسه السيد "أليس" (Alice) وهو ضابط فرنسي وسيصبح فيما بعد مستشاره وصديقه الذي كان محباً للإسلام والأترك فوجهه للقراءة لكتاب فرنسيين أمثال: ألفراد دي موسي (Alfred De Moussé) وبيار لوتي (Pierre Lotti) الذين كتبوا عن تركيا وروايات أخرى⁵.

تابع مصالي عن قرب مفاوضات الوفاق مع ألمانيا التي أدت إلى الهدنة في 11 نوفمبر 1918م⁶، وكانت خيبته كبيرة أمام سقوط تركيا التي مثلت الإسلام والمسلمين في مختلف بقاع العالم.

¹ - عبد الكريم بوصفصاف... وآخرون: معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج2، المرجع السابق، ص316.

² - بن يامين سطوره: المصدر السابق، ص72.

³ - محمد قنانش، محفوظ قداش: نجم الشمال الإفريقي 1926م-1937م، المصدر السابق، ص70.

⁴ - بن يامين سطوره: المصدر السابق، ص72.

⁵ - بن يامين سطوره: المصدر السابق، ص86.

⁶ - عبد الكريم بوصفصاف... وآخرون: معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج2، المرجع السابق، ص317.

وبعد رجوعه إلى تلمسان وجد نفسه يفكر في كيفية التغلب على أوضاع العمال المأساوية في الجزائر حيث لا توجد أجرة محددة ولا ساعات عمل معلومة، ولا إجازة أسبوعية أو سنوية معروفة، الأمر الذي كان يثير سخطه ويخيب أمله إلى حد لعتته، وهنا بدأ ميوله نحو الطريقة الثورية في المسائل الاجتماعية، أما ترك فيه التأثير الكبير وجعله يطلع على الحركة الإصلاحية الناشئة التي تبناها "الأمير خالد الهاشمي" زيارة هذا الأخير مدينة تلمسان سنة 1922م¹، ولأول مرة في إحدى المقاهي التلمسانية* التي كانت عامرة بالسواح الإنجليز والأميريكان وجد نفسه يصعد فوق كرسي ويهتف: "يحيى كمال مصطفى" وهنا بدأت المضايقات الفرنسية وعلى إثرها سافر إلى فرنسا مرة أخرى².

شعر مصالي أن باريس يمكن أن توفر له ولغيره إمكانية الإطلاع العلمي والسياسي، وهناك قاسى مع غيره من العمال الجزائريين مرارة الهجرة وقساوة الفقر والبؤس فمارس أعمالا كثيرة، كان آخرها بائعا متجولا ثم تفرغ لأعمال النجم وتولى الحزب الشيوعي دفع تعويضاته³.

الشيوعية في حياة مصالي الحاج:

عندما بدأت الأفكار الشيوعية تتسرب إلى تلمسان عام 1922م حاول الإطلاع على أهدافها دون التأثير بها، وقد أعجب بدفاع الشيوعيين عن مصالح العمال والفلاحين وبتأييدهم للشعوب المستعمرة، حتى أنه فضل خطاب المحامي الشيوعي "كوتريي" (P.V.Coutrier) على خطاب الأمير خالد الذي ألقاه في تلمسان سنة 1922م، وكان خلالها محاطا بطبقة البرجوازية للمدينة، ولم يتسنى لفقراء المدينة التحدث معه، كان مصالي خلال هذه الفترة ينهل من العلم والمعرفة

¹ - المكان نفسه.

* - مقهى المشور بتلمسان كانت مقصدا لبعض المهاجرين العائدين من الآستانة بتركيا، أنظر: (المكان نفسه).

² - محمد قناش، محفوظ قداش: نجم الشمال الإفريقي 1926م-1937م، المصدر السابق، ص70.

³ - أحمد الخطيب: حزب الشعب الجزائري، المرجع السابق، ص124.

فقد خالط الطلاب وتردد على النوادي الأدبية، وحضر عدة محاضرات في السوربون وفي كليات اللغات الشرقية، وانغمس منذ وصوله إلى باريس في التيار السياسي الذي كان يثير إهتمام المهاجرين في العاصمة الفرنسية، فكان يحضر إجتماعات العمال في المقاهي وانضم إلى جمعية "الأخوة الإسلامية"¹، وشارك مصالي الحاج في جريدة "لوباريا" التي كان يصدرها هوشي منه وتعرف في هذه الفترة إلى الأمير خالد وعلي عبد القادر الحاج علي الذي كان صديقا حميما له، وقد دعاه هذا الأخير للدخول إلى الحزب الشيوعي ليساعده في مقترحاته، لكنه رفض ولم يدخل الحزب الشيوعي إطلاقا بشهادته²، ويذكر أحمد الخطيب³ في كتابه حزب الشعب الجزائري: أن عبد القادر الحاج علي كان يعد لإنضمام مصالي الحاج إلى الحزب فأخذ يشرح له معنى الأهمية الشيوعية وإيديولوجياتها، وقام بإسناد له مهمة رصد ردة فعل الجزائريين تجاه الشيوعية، وبالفعل كان التقرير مشجعا وهنا نصحه بضرورة الإلتحاق بالحزب الشيوعي الفرنسي كمتعاطف، وبالفعل انضم إلى الخلية الشيوعية في شارع بلفور واستمر يحضر الإجتماعات والمناقشات إلى غاية إنسحابه في سنة 1927م.

وقد إنقطعت كل الإتصالات بين مصالي الحاج والحزب الشيوعي الفرنسي في خريف 1927م، حيث أوقفت المساعدات المالية التي كانت تقدم إلى النجم ومنها مخصصات مصالي، ويعلل مصالي هذا بقوله: "خامربي شعور منذ مدة طويلة بأن الحزب الشيوعي لا يجديني مناسبا لذوقه" وتبين أن الحاج علي عبد القادر لم يساند مصالي، وتوضح أنه لم يكن سوى أداة في يد الحزب الشيوعي الفرنسي، وكان مأخذه مصالي عن الحزب الشيوعي أن هذا الأخير يتخذ العمال كقوة ضاغطة لتحقيق مكاسبه على الصعيد الفرنسي فقط⁴.

¹ - أحمد الخطيب: حزب الشعب الجزائري، المرجع نفسه، ص ص121، 125.

² - محمد قناش، محفوظ قداش: نجم الشمال الإفريقي 1926م-1937م، المصدر السابق، ص71.

³ - أحمد الخطيب: حزب الشعب الجزائري، المرجع السابق، ص ص125، 126.

⁴ - احمد الخطيب: حزب الشعب الجزائري، المرجع السابق، ص124.

أما مواقف مصالي ضد الفاشية والنازية لا جدال فيها ولهذا أطلق عليه الشيوعي، فقد شارك في مظاهرات 12 فيفري 1934م، ضد الديكتاتورية في فرنسا وشارك في تأسيس التجمع الشعبي الذي أصبح سنة 1936م الجبهة الشعبية، وكان عضوا في رئاسة "أمستردام بليل" "ضد الفاشية" وأخذ الكلمة أمام "عصبة الأمم" بجنيف ضد السطو الإيطالي على الحبشة، وكانت مواقفه دائما ضد الدكتاتورية سواء كانت من اليمين أو من اليسار، ولهذا كان ينعت بالشيوعي، أما النازية فله معها معارك فقد وصله وهو في سجن الحراش سنة 1938م، بأن جماعة من مسؤولي الحزب بباريس وفي العاصمة اتصلوا بألمانيا وحاولوا جر الحزب معهم، وبعثوا له بمن يستميله إليهم، ولكنه وقف منهم موقفا حازما، فقد طلب منهم الإبتعاد عن الحزب والمناضلين، وأوقف المغامرة في حينها وإلا كانت ستودي بالحزب إلى مايمد عقباه¹.

أما علاقات مصالي مع الشخصيات السياسية مثل شكيب أرسلان والذي تعرف عليه سنة 1932م عن طريق الأستاذ محمود سالم، الذي كان يسكن بباريس بعدما كان قاضيا دوليا بمصر وهو صاحب مبادرة المؤتمر الإسلامي الأوروبي بجنيف سنة 1935م، وقد استفاد مصالي الحاج من تجربة هذه الشخصيات كما أفادها بتجربته النضالية في إطار التنظيم الجماهيري، منها إياهم أن سياسة النخبة المعتمدة على التصريحات والمقابلات قد فات أوانها، كما لفت نظرهم إلى إمكانية استغلال الأحزاب اليسارية كتلها لل ووصول إلى بعض الحريات التي تساعد الشعوب العربية في السير إلى أمام، ويمكن القول أن زيارة الأمير إلى باريس كانت من تأثير مصالي الحاج، حيث التقى به وشرح لهم وضعية الجزائر السياسية والاجتماعية والتي كانوا يجهلون عنها الكثير، وقد جاءته رسائل من بعضهم يطلبون بعض².

¹ - محمد قنانش: ذكرياتي مع مشاهير الكفاح، المصدر السابق، ص 63.

² - محمد قنانش: ذكرياتي مع مشاهير الكفاح، المصدر السابق، ص 23، 24.

المعلومات وقد أرسل إلى شكيب أرسلان ورفيقه إسعاد الجابري، وصحفي الكبير علي الغاياتي وغيرهم¹.

أما عمله في السياسة فكان منظماً تنظيماً كبيراً، فقد دخل عليه في أحد الأيام وجده يملي على زوجته مقالا بعنوان "على هامش المؤتمر الإسلامي الجزائري"، وأوله: أيها الشعب الجزائري إذا أردت أن تحيا وتفوز: نظم نفسك. وقال: "لو كنت معلماً حريصاً، وكان تلميذي الشعب، لطلبت منه أن يصرف فعل نظم نفسك، في جميع الحالات وبمختلف النبرات"²، وبعد إنتهائه من كتابة مقاله خرجنا إلى السوق لشراء بعض الملابس الوطنية، فرأيت كيف كان الناس يتحاشون التسليم عليه خوفاً من الإدارة الإستعمارية، وبينما نحن كذلك حتى إلتقينا بأحد معارف مصالي والذي سأله عن مطلب الإستقلال وأراجد تعجيزه متحججا بالرجوع إلى التخلف الأول إذا تركتنا فرنسا فأجابه: هناك ضمان حضاري وهو وجود الأروبيين معنا على أرض الجزائر وهذا يدعوننا إلى السير إلى الأمام معهم ويجنبنا رجوع البدو إلى المدن للقضاء على المكتسبات الحضارية، أما عن اللغة الفرنسية فذكر أنها مكسب حضاري لا يمكن الإستغناء عنه وهو باب الدخول إلى العصر³.

وقد ذكر مصالي الحاج أثناء عقد أول إجتماع لإدارة فرع تلمسان للنجم، وقد بدأ حديثه بالكلام عن الحركة التي تعتبر حركة كفاح مستمر أما الهدنة التي نعيشها الآن فهي مؤقتة وللعمل في إطار النجم يجب أخذ بعين الإعتبار مايلي كما ذكر مصالي:

- 1- توخي الحذر من الشرطة الإستعمارية التي ستكون دائما بجانب كل مناضل، تحاول استدراجه إلى أن يقع في الخطأ.
- 2- أهمية الإتصالات في العمل السياسي وأن يكون للمناضل الحدس في تصنيف الأشخاص.

¹ - المصدر نفسه، ص 24.

² - المصدر نفسه، ص 17، 18.

³ - المكان نفسه.

3- مطالعة الصحافة أمر ضروري للمناضل لتقييم الأخبار وتحليلها.

4- الإتصاف بروح المبادرة والذكاء للخروج من المأزق.

تطرق مصالي الحاج إلى موضوع الثورة التي رآها أمرا بديهي وحتمي لا يحتاج إلى مناقشة وتفسير والثورة يجب أن تكون شمولية: سياسية وثقافية وإجتماعية، وتحرر من التخلف واللاحاق بالركب الحضاري¹.

قاد مصالي الحاج الحركة الوطنية من 1926م-1954م، حيث ترأس خلالها أربعة أحزاب: نجم شمال إفريقيا في الفترة ما بين (1926م-1937م)، حزب الشعب الجزائري في المرحلة العلنية (1937م-1939م)، حزب الشعب الجزائري في المرحلة السرية (1939م-1946م)، حركة إنتصار الحريات الديمقراطية (1946م-1954م)، وبعد إعلان الثورة ترأس الحركة الوطنية بين (1954م-1958م)، سجن مرات عديدة في فرنسا وفي الجزائر ونفي إلى برازافيل في إفريقيا. اختلف مع مناضلي الحزب حول مسألتين:

أ- تعجيل تفجير الثورة الذي كان ينادي به المناضلون الشباب في حين أراد مصالي تأجيله.

ب- مناداة المناضلين الشباب بالقيادة الجماعية للثورة، لكنه رفض ذلك إذ أصبح في بداية الخمسينات رجل يتبركون به وبتنف شعرة من لحيته².

ولا شك أن مصالي الحاج كان يبحث عن الزعامة السياسية، وكانت وجهة نظر المناضلين أن الثورة في حاجة إلى غطاء سياسي أي إلى زعامة ذات رصيد والتي نجدها في شخص مصالي الحاج، ولكنه سيحتاج إلى حماية وحراسة وإلا سيكون من السهل القضاء عليه وبالتالي القضاء على الثورة،

¹ - محمد قنانش: ذكرياتي مع مشاهير الكفاح، المصدر السابق، ص 15، 16، 17.

² - عبد الكريم بوالصفصاف... وآخرون: معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرون، ج2، المرجع السابق، ص: 319، 320.

أما إذا قرر التخلص من الزعامة الفردية وتحقيق الزعامة الجماعية، فمن السهل القضاء على مصالي وهو الذي سيساعد على إتهامه بالخيانة¹.

ونتيجة لذلك ستفتح الأبواب لجميع الأفراد والجماعات بصرف النظر عن معتقداتهم وخاصة أولئك الذين حاربوا الاتجاه الثوري، وعند إنتهاء الثورة التحريرية ويتم تحقيق الإستقلال فإن الرجال الذين يبقون على قيد الحياة، سيجدون أنفسهم على الهامش وعندها ستكون مقاليد الحكم في أيدي الناس الذين حاربوا فكرة الإستقلال، ويقول الأخ بن الميلي: بلغت هذه النظرية بكاملها للأخ بوضياف، فأجاب قائلا: " إن مصالي الحاج يقول أنه حان الآوان للدخول في مرحلة العمل المسلح ... وصحيح أن اللجنة المركزية تقول بأنه لم يحن الآوان المناسب للدخول في مرحلة العمل المسلح لكننا سنسبق مصالي الحاج في الزمن ونعلن الثورة وسيتركه كل أو جل المناضلين الذين هم على إستعداد لرفع السلاح...، ولن يبقى معه إلا القليل ممن يقدسون زعامته وستخلص من زعامة مصالي الحاج الفردية، وترسخ دعائم القيادة الجماعية، وستبقى الثورة المنتصرة باسم الشعب"².

وفاته وآثاره:

اتهم مصالي الحاج بتعطشه للسلطة مما جعله يخرج عن مساره الوطني سنة 1954م، وفي 4 ماي أراد أن يعيد توحيد حزب جبهة التحرير الوطني والحركة الوطنية لكنه فشل، ولما رفض حزبه الجديد الإقتراع في يوم 1 جويلية 1962م لتقرير المصير، خرج مصالي الحاج من الجزائر ولم يعد إليها حتى وفاته يوم 3 جوان 1974م وهو يوم ميلادهن نقل جثمانه برا إلى مرسيليا ثم بالطائرة إلى وهران ليدفن في مسقط رأسه في تلمسان، ومن آثاره بعض المقالات في صحف الحركة الوطنية الجزائرية التي كان يصدرها وهي:

¹ - عمار نجار: المرجع السابق، ص ص39، 40.

² - المرجع نفسه، ص ص 40، 41.

- 5- جريدة الأمة 1930م.
- 6- جريدة البرلمان الجزائري 1939م.
- 7- جريدة المغرب 1947م.
- 8- مجلة صرخة الشعب الجزائري 1962.
- 9- ومذكراته "أصول الحركة الوطنية الجزائرية" توقفت أحداثها سنة 1936م¹.

المبحث الثالث:

التكوين الإجتماعي والثقافي والوطني لفرحات عباس

إن دراسة شخصية فرحات عباس كنموذج لقادة النخبة الجزائرية وقد ساهم في تطور الحركة الوطنية بأطروحاته السياسية في الجزائر إبان الفترة الكولونيالية، وهذا يفرض على الباحث العودة إلى بيئته الإجتماعية والثقافية التي نشأ فيها فرحات عباس وكيف أثرت هذه الأخيرة في تكوينه².

¹ - عبد الكريم بوالصنصاف... وآخرون: معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرون، ج2، المرجع السابق، ص 322، 323.

² - عباس محمد الصغير: فرحات عباس من الجزائر الفرنسية إلى الجزائر الجزائرية (1927م-1936م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الحركة الوطنية، إشراف: الجمعي الخمري، 2006م-2007م، ص2.

إن القراءة المتأنية والواعية لمسار فرحات عباس النضالي تضعنا أمام رجل ذو فكر سياسي جزائري له دور عظيم في المجتمع والتاريخ وكل ماله علاقة بالثقافة، وعلى خطى الامي خالد الهاشمي وحركة الشبان الجزائريين كان فرحات عباس يسعى للحصول على اعتراف الإستعمار بالأهالي، كمواطنين متساوين في الحقوق والواجبات مع المعمرين الذين رفضوا مثل هذه الأطروحات¹.

كان فرحات عباس شخصية متميزة ومشروع سياسي جيد في الجزائر الكولونيالية، ولهذا سنحاول أن نقف عند أهم ما أثر على حياة هذه الشخصية، وستكون إشكالية المبحث: كيف كانت البيئة التي ترعرع فيها فرحات عباس؟ كيف كان تكوينه الإجتماعي والثقافي والوطني؟

مولده ونشأته:

ولد فرحات عباس في 24 أكتوبر 1899م* في منطقة بني عافر** التابع لدوار الشحنة التابعة لبلدية الطاهير بجيجل حاليا وإلى قسنطينة سابقا، وهي تعتبر من القرى الأربعة التي تم بناؤها في

¹ - حميد عبد القادر: فرحات عباس رجل الجمهورية، دار المعرفة، الجزائر: 2008م، صص 6، 7.

* - يوجد في بعض المراجع أنه فرحات عباس المكّي ولد يوم الخميس 24 أوت 1899م، أنظر: (عز الدين معزة: فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الإستقلال (1899م-1985م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: عبد الكريم بوالصفصاف، 2004م-2005م، صص 28).

** - هي منطقة جبلية معزولة تقع على حواف سلسلة جبال الباور المطلّة على سهل جيجل الشرقي المتميز بالضيق، والذي يخترقه واد جن جن الذي ينبع من جبال الباور حيث يصب في البحر الأبيض المتوسط، هذه المنطقة الذي ولد فيها فرحات

حدود 1875م قرب سهول جيجل¹، استقر فيها مستوطنون معظمهم من منطقة الألزاس^{***} بعد مصادرة الأراضي من أصحابها إثر مقاومة المقراني والحداد سنة 1871م، والتي امتدت إلى جيجل حيث حاول قبائل المنطقة الانتقام من الجنرال "سانت أرنو" (Saint Arnaud) سنة 1851م-1852م حين ارتكب جرائم في حق سكان المنطقة وغيرها من المناطق التي كلف بالقضاء على المقاومات الشعبية هناك²، وكانت سياسته تهدف للحرق والقتل وتخطيط ممتلكات الجزائريين المسلمين، وقد كان "سانت أرنو" (Saint Arnaud) يفتخر بكل وقاحة ووحشية في مذكراته بأنه محا من الوجود عدة قرى، وأقام في طريقه جبالا من جثث الموتى³.

نشأ الطفل فرحات عباس في أسرة كثيرة العدد ومحافظة تتكون من إثني عشر فردا سبع بنات وخمسة ذكور، وإلى جانب الأم والأب يوجد الجد والجدة وهما حجر الأساس في بناء هذه الأسرة⁴، ويقول فرحات عباس أن جده قد شارك مع قبيلة بني عمران التي ينتمي إليها ضد "سانت أرنو"، كما شارك في ثورة المقراني والحداد، وبانهزامهم صودرت أراضيهم ومنحت للمستوطنين من الألزاس واللورين بعد هزيمة فرنسا في حربها مع بروسيا سنة 1870م، وعاقبت فرنسا قبيلة بني عمران بتهجيرها قسرا إلى منطقة "فج مزالة" وقد وجدوا صعوبة في التأقلم مع مناخ تلك المنطقة فأدى بعضهم إلى الرجوع

عباس يسميها سكانه بـ "أحجار الميس" أو "بوعفرون"، تتميز هذه المنطقة بمناخ البحر الأبيض المتوسط وتكثر فيها أشجار الصنوبر الحلبي والفلين، أنظر: (عز الدين معزة: فرحات عباس والحبيب بورقيبة دراسة تاريخية وفكرية مقارنة 1899م-2000م، أطروحة لنيل درجة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: عبد الكريم بوالصنصاف، 2009م-2010، ص82).

¹ - علي تابلت: المرجع السابق، ص3.

^{***} - ولهذا سميت إحدى القرى هناك باسم Strasbourg وقد أقيمت لتقف أمام القبائل العربية النائرة ضد المستوطنين، أنظر: (المكان نفسه).

² - عز الدين معزة: فرحات عباس والحبيب بورقيبة دراسة تاريخية وفكرية مقارنة 1899م-2000م، المرجع السابق، ص83.

³ - عز الدين معزة: فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الاستقلال (1899م-1985م)، المرجع السابق، ص29.

⁴ - عباس محمد الصغير: المرجع السابق، ص2.

لأراضيهم بعد أن اشتروا جزء منها من المستوطنين الفرنسيين الذين لم يستطيعوا التأقلم مع الوضع، وقد كان والد فرحات عباس يعمل في أراضي المعمرين مدة 15 ساعة يوميا مقابل أجر زهيد لا يتعدى 15 فرنك يوميا لتوفير قوت أهله¹.

كان والده السعيد بن أحمد عباس وأمه معزة مسعودة بنت علي* وهم من وسط فلاحية متوسط الحال، ويتحدث فرحات عباس² عن طفولته قائلا: "إنني من سلالة فلاحية... أولئك الفلاحين الذين لا ينال الفقر من شجاعتهم ولا من انفتاحهم، نشأت في دوار وضيع من بلدية متوحشة جرداء أين قضيت طفولتي كلها وأنا في نعومة أظفاري في وسط مجتمع وضيع وساذج لكنه كريم".

عين والد فرحات قايد على بلدية ستراسبورغ "الأمير عبد القادر حاليا" والتي تحولت إلى بلدية كاملة الصلاحيات، ونقلته إدارة الإستعمار إلى بلدية الطاهير لأنها كانت تواجه مشاكل لرفض سكانها قياد المنطقة لقساوتهم، أما والده فكان يجمع بين اللين والقساوة وبقي يمارس مهامه فيها "بوعفرون" إلى غاية 1889م، ثم رقي إلى منصب آغا شرقي لبلدية الطاهير المختلفة، أحيل على التقاعد سنة 1928م، تتكون عائلة فرحات من سبع بنات هن: فاطمة، البهجة، ظريفة، يمينة، زكية، عائشة، وحوورية وخمسة ذكور هم: عمار، أحمد، فرحات المكّي، محمد الصالح، وعبد الحميد³ أما عمار فخلف والده وأصبح قايد ثم ترقى إلى منصب آغا، أما الإبن الثاني فقد عمل في إدارة البلدية، وعبد الحميد فالتحق بكلية الحقوق بجامعة السربون بعد المرحلة الثانوية بالجزائر لكنه مات عام

¹ - عز الدين معزة: فرحات عباس والحبيب بورقيبة دراسة تاريخية وفكرية مقارنة 1899م-2000م، المرجع السابق، ص ص 83، 84.

* - تذكر بعض المراجع أن اسم أمه مقابنت علي، أنظر: (حميد عبد القادر: المرجع السابق، ص 18).

² - عباس محمد الصغير: المرجع السابق، ص ص 2، 3.

³ - عز الدين معزة: فرحات عباس والحبيب بورقيبة دراسة تاريخية وفكرية مقارنة 1899م-2000م، المرجع السابق، ص ص 85.

1931م بمرض عضال، وحضر جنازته جمع كبير من الطلبة المسلمين من أنحاء العالم، وكانت هذه الظاهرة الأولى في تاريخ تضامن الطلبة المسلمين بفرنسا¹، أما محمد الصالح فتلقى تكويناً مهنيًا في الفلاحة².

نشأ فرحات عباس في بيت مبني بالحجارة والطين يتكون من مطبخ وثلاث غرف أرضية ضيقة المساحة، وكان والد فرحات عباس يجب مخالطة المتعلمين وملتزمًا بأداء الشعائر الدينية فتعرف على أحد المستوطنين الفرنسيين الذي يدعى "دانيار دي فيجي" (Dasnière de Figie)، الذي كان مستشارًا عامًا في البلدية فتشاركًا في تجارة الأبقار، والتي مكنته من شراء أراضي فلاحية في منطقة بوحمدون وواد سقان، وبهذا أصبح تاجر عقار والذي مكّنه من تحسينه ظروف معيشته وانتقل للعيش في المنطقة العمرانية في مدينة الطاهير، حيث بنى منزلين وغير مقر سكنه، ثم أدى فريضة الحج في عام 1917م وأصبح من أعيان مدينة الطاهير³.

أما أصول عائلة فرحات عباس فيقال على الألسن أن أحد الرجال القادمين من المغرب والمدعو "اخلف بن حسان"، يكون قد سكن المنطقة في القرن 16م بعد أن هرب من الأتراك إثر قتله لأحد جنود فرقة الأوجاق، ومنذ ذلك الحين استقرت العائلة في المنطقة الهادئة والهامة من جيجل، أما فرحات عباس فهو دائم الإفتخار بعائلته والتي يقول عنها أنها من أصول عربية، جاءت من بلاد الرافدين وأن أجداده هم العباسيون، فاعتزازه بالعروبة والإسلام طبع مشواره السياسي والنضالي وتجسد ذلك في مطالب حركته⁴.

¹ - علي تابلت: المرجع السابق، ص3.

² - عز الدين معزة: فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الإستقلال (1899م-1985م)، المرجع السابق، ص28.

³ - عز الدين معزة: فرحات عباس والحبيب بورقيبة دراسة تاريخية وفكرية مقارنة 1899م-2000م، المرجع السابق، ص86.

⁴ - عباس محمد الصغير: المرجع السابق، ص3.

التكوين الإجتماعي لفرحات عباس:

ينحدر فرحات عباس من أسرة فلاحية كانت تسمى "بن داوي" استقرت منذ قرنين في بلدية "الطاهير"، وفي سنة 1881م أصر جد فرحات على تغيير لقبه إلى "عباس" تيمنا بالبطل المحلي الشجاع بالمنطقة، وذلك مع بدء تسجيل الجزائريين الأهالي في الحالة المدنية، أما والده فكان أميا لكنه تمتع بذكاء فطري وفطنة خاصة فأتقن الحديث باللغة الفرنسية وكثيرا ماخالط العلماء فتشبت فكره بالتقاليد الإجتماعية الإسلامية، كما اشتهر بالتقوى والتضامن في طباعه واللين في معاملته¹.

فتح فرحات عباس عينيه في بيئة تأثرت بالهجمات العسكرية الشرسة والتي تركت آثارا تمثلت في مصادرة أراضي الأهالي وكان جده من بينهم، ناهيك عن الفقر والعوز والتفاوت الطبقي الذي كان بينهم وبين المعمرين النازحين²، وقال عباس³ بخصوص هذا الوضع: "عندما ولدت كان تجريد الجزائريين من ممتلكاتهم قد تحول إلى حقيقة واقعة، وكان نظام الإستعماري مهيمنا على الجزائر، سكانها يعيشون الفقر المدقع يحاولون تضييد جراحهم، والإفلات من قبضة الفناء المادي، والإنحلال المعنوي، وكان الفلاحون يتشبثون بالأرض بشكل يائس ويبنون تحت عبء البؤس والإضطهاد... كان الشقاء يقرع الأبواب غالبا ليستقبله الفلاح الجزائري بذات الدعاء: لنصبر فهذا كله من عند الله، والصبر هنا لا يعني الإستسلام الأبله، لأن الصبر هو المقابل الوحيد الذي وجده الفلاح ضد اليأس"، لقد احتفظت ذاكرة فرحات بعض المشاهد التي لم تفارقه كيوم جمع الضرائب والتي أثرت فيه حالة الفقراء الذين لا يستطيعون الدفع، حيث كانوا يجلسون لمدة يوم كامل تحت أشعة الشمس وأيديهم مكبلة ورؤوسهم عارية عقابا لهم، وكان يسأل رئيس المشتى عن هذا المشهد فيجيبه لأن والده لم يرق بعمله فكان فرحات يبادر بسرقة بعض النقود من والدته ويمنحها للفلاحين الذين ينقصهم

¹ - نفيسة دويذة: تطور فكرة الوطنية الجزائرية عند فرحات عباس (1927م-1955م)، إشراف: عمار بن سلطان، 2005م، ص ص7، 8.

² - عباس محمد الصغير: المرجع السابق، ص4.

³ - نفيسة دويذة: المرجع السابق، ص10.

بعض الفرنكات للدفع، وكم حز في نفسه هذا المشهد، وذات يوم استفزه أحد الفرنسيين بقوله¹:
 "من دون فرنسا كنت سترعى الأغنام في الدوار"، لكن عباس² رد عليه: "قبل مجيء فرنسا كنا نأكل
 حتى الشبع، وجدي كان يملك حقلا وقطيعا، لكن أنت هل تقول لي ماذا فعل أبواك في مالطا؟ أليس
 البؤس هو الذي دفعكم للهجرة إلى الجزائر".

ويصف فرحات عباس فتنه الإجتماعية التي ينتمي إليها بقوله: "أنا من العامة الذين سلبت
 حقوقهم، وظهورهم مقوسة إلى الأرض تبحث عن الخبز المفقود مغطاة بالجراح والثياب الرثة...، أن
 منبوذ وسط المنبوذين"، وكان دائم الحديث عن وسطه الإجتماعي الذي جاء منه فلم ينس أن والده
 كان فلاحا معدوما وفقيرا³.

يمكن القول أنه رغم الطفولة الخالية من الذل والإهانة والفقير التي عاشها فرحات عباس
 باعتباره ابن القايد، إلا أنه تأثر بمحيطة البائس، وظل يردد في مناسبات عدة أنه خرج من دوار
 المساكين⁴، كان فرحات عباس يعترف دائما بهذه الحقيقة عكس ابن حبليلس، الذي ذكر في كتابه
 "الجزائر الفرنسية كما يراها الأهالي" والذي عبر عن انغماسه الكلي في الحضارة الغربية وتعالى عن
 الوسط الذي جاء منه وراح يشيد بما قدمته فرنسا من رقي وتقدم، ومما كتبه: "أن الفلاحين البؤساء
 لن يخسروا شيئا إذا ما أصبحوا فرنسيين واستغنوا عن أحوالهم الإسلامية لأنهم سيحظون بامتيازات
 أخرى"⁵.

1 - المكان نفسه.

2 - المكان نفسه.

3 - عز الدين معزة: فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الإستقلال (1899م-1985م)، المرجع السابق،
 ص34.

4 - نفيسة دويذة: المرجع السابق، ص9.

5 - حميد عبد القادر: المرجع السابق، ص7.

كثيرا ما تكلم فرحات عباس عن مشاكل هذه الطبقة، رغم أنه استطاع أن يحقق الإرتقاء الإجتماعي بمنصب والده (قايد)، وهي الوظيفة التي لا يتكلم عنها فرحات عباس بفخر وحماس، بل وصل به الأمر أن يصف والده بالإقطاعي الذي لا يرحم الفقراء ويعاقبهم، ويقول عن والده: "إنه لم يكن من طراز هؤلاء الرجال العظماء الداعين إلى تحسين وضعية الفلاحين، بل كان مجرد مالك أراضى يرتدي برنوسا أحمر يفتخر به كثيرا، ولا تهمه إطلاقا وضعية فلاحية"، هنا يظهر الإختلاف بين فكر فرحات عباس ووالده الذي كان من الموالين للإدارة الإستعمارية، والتي منحتهم جزءا من الإمتيازات، هذه البيئة التي نشأ فيها فرحات عباس الذي تحدى أولا والده وثانيا الإحتلال حيث تأثر بمبادئ الثورة الفرنسية (حرية- مساواة- إخاء)¹.

نقلت الأسرة المتعاونة مع الإحتلال صورة حسنة عن فرنسا، وكان تأثير الأسرة الإجتماعي هاما في أفكار النخبة وميولاتهم السياسية، لأنها لم تكن تنظر لفرنسا نظرة الحقد والكراهية، حيث كان والد فرحات يرى فيها أنها صاحبة الفضل في كل ما وصل إليه من ثروة وجاه ومنصب إجتماعي².

رغم أن علاقة فرحات عباس مع والده كانت متوترة ومتناقضة منذ البداية فكان عكس ذلك بالنسبة لجده التي كان مرتبطا بها كثيرا، وكانت حكاياتها خاصة حول دخول الفرنسيين إلى الجزائر ومقاومة الشعب لها خاصة قبائل بني عمران التي ينتمي إليها، فشكلت بذلك حجر الأساس في التماسك العائلي ودعوتها المتكررة للتمسك بالدين الإسلامي³.

في 22 سبتمبر 1934م احتفل فرحات عباس بزواجه من ابنة سي حسن بن خلاف، أحد رواد حركة الشباب الجزائري ومن نفس منطقته وقد حضر الحفل 4000 شخص، لكنه سرعان ما طلقها، وبعد استقراره في سطيف تزوج من زوجة الطبيب المحلي بعد طلاقها منه، وتدعى "مارسيل

¹ - عز الدين معزة: فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الإستقلال (1899م- 1985م)، المرجع السابق، ص35.

² - المرجع نفسه، ص36.

³ - عباس محمد الصغير: المرجع السابق، ص6.

بيريز " (Marcelle Perez) رغم معارضة عائلتها وهي من أصل ألساسي ومن عائلة كولونياوية قديمة سجن في أيام الإبادة (8ماي)، ووضعت في سجن الحراش لمدة شهر، ثم نقلت لمعتقل آقبو إلى غاية غلقه في جانفي 1946م بعدها وضعت تحت الإقامة الجبرية في غليزان حتى أطلق صراحها في 16 مارس 1946م، وبعدها لم تعرف أي إهانة إلا في عهد الرئيس الراحل بن بلة¹.

أظهر فرحات عباس حبه للطبقة الفقيرة المعوزة والتي تمثل عامة الشعب الجزائري، رغم أنه كان من الطبقة البرجوازية الريفية المتوسطة ذلك لم يمنعه من تقاسم عناء وبؤس الفلاحين الفقراء، كما أنه كان يحترم والده الذي استطاع أن يوفق بين عمله كقايد موالي للإستعمار من جهة وتمسكه بمبادئ وقيم الدين الإسلامي.

التكوين الثقافي لفرحات عباس:

كان والد فرحات عباس أميا لكنه كان متحمسا لتعليم أبنائه، لهذا فقد تولى إرسال جميع أبنائه إناثا وذكورا إلى المدرسة القرآنية المجاورة لمنزله ببوعفرون، وكان يقول لهم أن العلم هو أحسن إرث يتركه الإنسان لخلفه، وأحسن صديق للإنسان²، وقد تعلم القرآن الكريم على يد معلمه محمد بوكفوس والذي تميز بمعلوماته المحدودة كبقية معلمي الكتاتيب القرآنية، وكان محترما في الأوساط وقد تعلم منه فرحات التواضع واحترام الناس والصبر والتحمل، وكان فرحات محبوبا بين زملائه ولم يتميز عنهم باللباس³.

كان الإعتقاد السائد آنذاك هو أن اللغة الفرنسية هي لغة المستقبل والتقدم، وكان والد فرحات عباس ينتمي لهذه الطبقة المهوسة بالرقى العائلي، حيث اعتقد أن التعليم الفرنسي هو الوسيلة

¹ - علي تابلت: المرجع السابق، ص24.

² - عز الدين معزة: فرحات عباس والحبيب بورقيبة دراسة تاريخية وفكرية مقارنة 1899م-2000م، المرجع السابق، ص99.

³ - عز الدين معزة: فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الإستقلال (1899م-1985م)، المرجع السابق، ص39.

الوحيدة القادرة على منح أبنائه فرص الرقي، كما كان يظن أن دراسة القانون والعلوم هي المهمة والباقي يبقى ثانويا، ولهذا غادر فرحات عباس مسقط رأسه عندما بلغ سن العاشرة سنة 1909م، وتوجه للدراسة في الطاهير في المدرسة الفرنسية الأهلية التي حرم منها غالبية الفقراء، وابتعد عن جدته التي كانت مصدر إلهامه الوطني واحتك باللغة الفرنسية التي ستكون فضائه الوحيد¹، وبعد عامين من الدراسة التي أبدى فيهما الطفل فرحات عباس تفوقا كبيرا فنقله والده لإتمام المراحل الابتدائية، وقال فرحات عباس عن هذه المرحلة: "كنا نتعلم كيفية التفكير والفعل داخل المدرسة"، في هذه المدرسة تعلم الطفل عباس فلسفة الأنوار التي كانت تدعو إلى تحطيم عبودية القرون الوسطى، التي وضعتها الكنيسة²، هكذا احتك فرحات عباس بهذه المدينة التي مارست سحرها عليه، كما انتقلت إلى ذاكرته نفس أفكار المقاومة والدفاع عن الذات، قرأ فرحات عباس الكثير من الكتب المدرسية التي قدمت له فرنسا كنموذج للحرية، هذا ما جعله يعتقد أن لفرنسا نية حسنة في الجزائر وهذا لا يعني أن هذه المدرسة قد خلت من السلبيات فكثيرا ما كان العرب ينعنون بصفات ساخرة ك"الجبين الأحمر" لأنهم يضعون شاشيات حمراء على رؤوسهم، كما همشت هذه المدارس اللغة العربية وشوهت تاريخ الجزائر حيث علمت العرب أن أجدادهم هم الغولوا³.

ومن جيجل انتقل إلى مدينة سكيكدة ليكمل دراسته في المتوسط حيث رفقة عشرون تلميذا عربيا من النظام الداخلي، وكذا رفقة 60 تلميذا داخليا أرويبا⁴، وكان معظم التلاميذ معه من الأهالي من أبناء القياد، مثله وكان حلمهم بعد التعليم المتوسط هو الحصول على وظائف إدارية وترقية إجتماعية، أما فرحات عباس فكان حلمه أكبر من ذلك وهو انقاد أمته من الضياع، ثم تحصل على الشهادة الأهلية سنة 1918م، وبعدها انتقل إلى مدينة قسنطينة، وهنا بدأت تتكون شخصية فرحات

¹ - حميد عبد القادر: المرجع السابق، ص ص25، 26، 27.

² - عباس محمد الصغير: المرجع السابق، ص7.

³ - حميد عبد القادر: المرجع السابق، ص ص27، 28.

⁴ - عز الدين معزة: فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الإستقلال (1899م-1985م)، المرجع السابق،

الوطنية حيث تأثر بتاريخ المنطقة ومقاومات النوميديين ضد الإحتلال الروماني ومقاومة الحاج أحمد باي ضد الإحتلال الفرنسي، بالإضافة إلى أن هذه المنطقة في هذه الفترة كانت تعرف نشاطا إصلاحيا كبيرا من خلال العلماء المصلحين¹، تحصل على شهادة البكالوريا سنة 1921م، ثم أدى الخدمة العسكرية في الجيش الفرنسي، وعمل ككاتب للتسيير في مستشفى قسنطينة، ثم مساعد صيدلي في جيجل ورغم أنه رقيب إلا أنه لاحظ التمييز بين الجزائريين والفرنسيين فندد بتلك الفوارق وطالب بالمساواة في أول مقال نشره سنة 1922م²، وفي 1923م التحق بجامعة الجزائر فرع الصيدلة ولم يكن مسجلا في هذا الفرع سوى ثمانية طلاب مسلمين جزائريين ولم يكن في الجامعة سوى خمسين طالبا مسلما وألفين طالب أروبي، أما عن أسباب اختياره لهذا الفرع لكي يسمح له بعد تخرجه من ممارسة الأعمال الحرة، وألا يكون مرتبطا بإدارة الإحتلال التي لا تمنح مناصب المسؤولية للجزائريين المسلمين، وفي سنة 1931م تخرج من الجامعة بعد أن تحصل على دبلوم صيدلي من الدرجة الأولى³.

والحق أن الوسط الجامعي أعطى الطالب فرحات عباس فكر سياسي معاد للكولونيالية وثقافتها العقيمة والمجردة من الحقيقة والتي عملت على ادلال الشعب الجزائري، فكان يسعى لتأسيس مرحلة يكون فيها المجتمع الجزائري بكل فئاته السكانية متجانس خالي من العبودية والعنصرية⁴.

أما المؤثرات الثقافية التي استمد منها ثقافته فتتمثل في الدين الإسلامي حيث يقول: "أن الإسلام سيبقى الغذاء والحرك الأساسي للمقاومة الجزائرية" هذا الدين الذي استمده من بيئته، كما تأثر بالثقافة الفرنسية وفهم أسرارها وعناصر قوتها، وكان يحضر محاضرات الأستاذ "غوتيه" التي تتكلم عن تاريخ الجزائر منذ دخول القرطاجيين إلى الوقت الحالي، وقد استنتج أن الإسلام يقلق الغزاة

¹ - عز الدين معزة: فرحات عباس والحبيب بورقيبة دراسة تاريخية وفكرية مقارنة 1899م-2000م، المرجع السابق، ص 100، 101.

² - نفيسة دويبة: المرجع السابق، ص 11.

³ - عز الدين معزة: فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الإستقلال (1899م-1985م)، المرجع السابق، ص 43.

⁴ - عباس محمد الصغير: المرجع السابق، ص 11.

الأوروبيين لأنه المحرك الأساسي للمقاومات، كم اطلع على أدباء كبار من عصر التنوير أمثال "شاتو بريان" ومؤلفاته مثل محاولة حول الثورة، وعبقري المسيحية، والشهداء...، وقد قال عنه بنيامين سطورا: "رجل ذو ثقافة مزدوجة واحدة داخلية خاصة مسلمة والأخرى عامة سياسية جمهورية"¹.

التكوين السياسي لفرحات عباس:

بدأ عباس حياته السياسية صغيرا جدا عندما كان طالبا، وكان من مؤسسي جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا في الجزائر، حيث كان طالبا وعمل صحبة الأمير خالد²، حيث أنه لم يتقيد بالمدة المخصصة لدراسته والمقدرة بست سنوات، وذلك لإنشغاله بالكتابة الصحفية والعمل الطلابي وأنهى دراسته في ثمانية أعوام، حيث اهتم بالأدب الفرنسي وتوجه لمطالعة كتب التاريخ، لقد استهوته الصالونات الأدبية والمقاهي الثقافية الراقية فأخذ يتعمق في الثقافة الفرنسية ومنها بدأ يغوص في الحياة السياسية بعد أن اقتنع أنه في الدرجة الثانية من الإنتماء وأنه لن يصنف في الدرجة الأولى مهما فعل³.

يرجع نضال فرحات عباس السياسي إلى الحالة المزرية التي كان يعيشها الجزائريون المسلمون نتيجة سياسة الإستعمار المفروضة بالقوة والسيوف، ولهذا نقد النظام الكولونيالي وهو في الجامعة عن طريق مقالاته التي كانت تنشر باللغة الفرنسية في صحيفتي الإقدام وهمزة وصل، والتي جمعها فيما بعد في كتاب عنوانه "من المستعمرة إلى المقاطعة الشاب الجزائري"، وبالرغم من ان دعوته كانت إدماج الجزائر بفرنسا ويقصد بذلك ليس ربط الجزائر بفرنسا بل المساواة بين الجزائريين المسلمين والفرنسيين في الحقوق والواجبات وإلغاء كل القوانين الإستثنائية التي فرضتها سياسة فرنسا⁴.

¹ - عز الدين معزة: فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الإستقلال (1899م - 1985م)، المرجع السابق، ص46.

² - علي تابلت: المرجع السابق، ص3.

³ - دويذة نفيسة: المرجع السابق، ص13.

⁴ - عز الدين معزة: فرحات عباس والحبيب بورقيبة دراسة تاريخية وفكرية مقارنة 1899م - 2000م، المرجع السابق، ص137.

والحق أن فرحات عباس يعتبر من الأوائل الذين ثاروا ضد الإستعمار وسياسته، وناشد فرنسا ان تعيد الكرامة للجزائريين، وكان هذا يندرج ضمن المطالب العامة للشبان الجزائريين المتأثرين بأفكار الأمير خالد، والدكتورين بن تهامي ومحمد صوالح والذين نادوا برفع القوانين الجائرة والجزرية، مثل قانون الأهالي والمحاكم الجزرية والضرائب¹، وتوضح ذلك جلياً بع إعلان الرئيس الأمريكي "ولسن" في مؤتمر السلم المنعقد بباريس سنة 1919م، عن مبادئه الأربعة عشر والتي من بينها حق تقرير المصير للشعوب المستعمرة، وقد كون وفد جزائري وأرسل إلى المؤتمر وسلمت رسالة الأمير في 19 ماي إلى الرئيس "ولسن"²، وهكذا سار فرحات عباس على درب الأمير خالد فعمل على دمج فرنسا في الجزائر دمجاً كلياً مع المحافظة على أحوالهم الشخصية³.

حاول فرحات الدفاع عن حقوق المسلمين الأهالي خاصة فيما يخص التفاوت الموجود في الأجور في العمل داخل الورشات 15 فرنكا يومياً لليهود، و5 فرنكات فقط للمسلمين، زهده المطالب ألح عليها في العشرينات، وبالتالي المساواة حيث يقول: "يوجد سبعة ملايين ينتظرون نصيبهم في وطنهم بعد قرن من الحيرة والقهر، ومن أجلهم دخلنا النضال السياسي"⁴.

بدأ فرحات عباس كتاباته السياسية وهو في الخدمة العسكرية وكان يناقش التمييز العنصري الذي مارسته فرنسا مع المجندين في الرتب، وحالة الشاب الجزائري المثقف وغيرها من المواضيع والتي نشرت في جريدتي "الإقدام" و"همزة وصل" وكان يكتب باسم مستعار وهو "كمال بن سراج"، وأسباب إختياره لهذا الإسم المركب حيث أن الجزء الأول منه وهو "كمال" استمدته من حاكم تركيا "كمال أتاتورك" والذي كان عدواً لفرنسا، وقاد ثورة تحريرية قضى فيها على الإستعمار البريطاني

¹ - عباس محمد الصغير: المرجع السابق، ص ص 21، 27.

² - عز الدين معزة: فرحات عباس والحبيب بورقيبة دراسة تاريخية وفكرية مقارنة 1899م-2000م، المرجع السابق، ص ص 138، 139.

³ - عز الدين معزة: فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الإستقلال (1899م-1985م)، المرجع السابق، ص ص 46.

⁴ - عز الدين معزة: فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الإستقلال (1899م-1985م)، المرجع نفسه، ص ص 47.

واليوناني وألغى الخلافة الإسلامية سنة 1924م، فكان فرحات عباس يرى أن الأفكار الكمالية التقدمية نموذجاً صالحاً لإيقاظ البلدان المغاربية من سباتها، أما اختياره لإسم "بن سراج" فقد استمده من قراءته لرواية "شاتو بريان" (Château Briand) بعنوان "المغامرات الأخيرة لابن سراج" التي نشرها سنة 1826م، وابن سراج هذا هو آخر ملوك العرب بالأندلس* والذي طرده الإسبان سنة 1492م حيث بكى كثيراً على ضياع حكمه، ولقي إهانة من أمه لأنه لم يدافع عن حكمه دفاع الرجال، والملاحظ أن هذا الإسم المستعار يجمع بين شخصيتين إسلاميتين متناقضتين، الأولى دافعت عن أرضها وعرضها وحررتها من الغزاة والثانية تمثل السلبية وعدم القدرة على المواجهة، ومن هذا هل أراد فرحات عباس أن يكون أتاتورك الجزائر؟ أو أنه ذو شخصية متناقضة من الضعف بيني القوة؟ على كل حال فقد وصفه صديقه "أكلي زياتي" بقوله: "إن شخصية فرحات عباس متناقضة"¹.

ويتحدث عنه أحمد توفيق المدني الذي التقى به في مقهى النجمة بالجزائر العاصمة: "...وكلي شغوف للتعرف على هذا الرجل الذي أفضى مضاجع الإستعمار بكتاباته الحارة وبأسلوبه البليغ، ووجدت في انتظارنا رجلاً لا يزال في مقتبل العمر طويل القامة أسمر اللون يضع على رأسه غطاء من نوع (الكولباك) الروسي الأسود الرفيع، وقد جلس جلسة المعتد بنفسه، المعتمد على قوته، الشاعر بمسؤوليته، وبعد تحية بسيطة جلست إليه، فبادرني قائلاً بلسان فرنسي فصيح، ولم يكن يتكلم العربية إطلاقاً: صباح الخير يا عزيزي أنا مسرور جداً بالتكلم مع رجل مؤمن مقتنع قاوم الإستعمار بشدة وصلابة، فتغلب عليه الإستعمار وأخرجه من البلاد، قلت وأنا سعيد بالتعرف على هذا الشاب النابه الذي أمعن في فضح الإستعمار، وبين آلام الشعب، وأفضح عن ظلامته: أننا نتبعنا ونحن بتونس مقالات "كمال بن سراج" وعلمنا أنك كاتبها..."².

* - وهو عبد الله الصغير آخر ملوك دولة بني الأحمر (غرناطة) والذي قالت له امه:

ابك بكاء النساء ملكاً ضائعاً لم تحفظه حفاظ الرجال

¹ - عز الدين معزة: فرحات عباس والحبيب بورقيبة دراسة تاريخية وفكرية مقارنة 1899م - 2000م، المرجع السابق، ص 101، 102.

² - علي تابلت: المرجع السابق، ص 35، 36.

أما عن مطالب فرحات عباس فهي لا تختلف عن مطالب الأمير خالد، حيث لم يتحدث باسم الدين بل باسم مبادئ الثورة الفرنسية وديمقراطيتها وحقوق الإنسان التي أعلنتها الثورة الفرنسية، وقد تأثر بهذه المطالب:

- 1- تمثيل المسلمين في البرلمان الفرنسي بنسب متعادلة مع النواب الأوروبيين الجزائريين.
- 2- إلغاء القوانين الإستثنائية وتطبيق القانون العام العادي.
- 3- التساوي في الحقوق والواجبات الجارية على الفرنسيين في الخدمة العسكرية.
- 4- تقلد الجزائريين المناصب المدنية والعسكرية دون تمييز.
- 5- تطبيق القانون المتعلق بالتعليم الإلزامي على الأهالي مع حرية التعليم.
- 6- حرية الصحافة والجمعيات.
- 7- تطبيق فصل الدين الإسلامي عن الدولة.
- 8- العفو العام.
- 9- تطبيق القوانين الإجتماعية والعمالية لفائدة المسلمين.
- 10- الحرية التامة للعمال الجزائريين في الدخول إلى فرنسا¹.

كان فرحات عباس يهدف إلى المساواة عكس ما اعتقد عنه أنه يسعى للإدماج الكلي في فرنسا خاصة بعد أن كتب يقول في مقال صدر له 23 فيفري 1936م، بجريدة (L' entente) بعنوان "فرنسا هي أنا" حيث أنكر وجود وطن اسمه الجزائر، لكنه يقول فيما بعد أنها مرحلة من مراحل الجزائر كان لابد منها، وهذا التصريح - ذكر في الفصول السابقة - يمثل من جهة تمزق النخبة بين الإلتواء للحضارة العربية الإسلامية التي تمثل الجزائر والإلتواء للحضارة الفرنسية التي ملأت عليهم وجودهم، ورغم أن فرحات عباس قد عدل عن رأيه فيما بعد وتحول إلى الوطنية الجزائرية بعد أن ينس من الوطن الفرنسي وقد ذكر عنه جان لاكوتير (Jean La côtier) بأن كل حياة فرحات عباس

¹ - عز الدين معزة: فرحات عباس والحبيب بورقيبة دراسة تاريخية وفكرية مقارنة 1899م-2000م، المرجع السابق، ص140.

(هي تاريخ البحث عن وطن في فرنسا) وكان يعتبر أن النزاع القائم بين فرنسا والجزائر هو نزاع في عائلة واحدة¹.

والواقع أن فرحات عباس تغيرت مطالبه وأرائه من الإدماج الكلي إلى المطالبة بالإدماج مع المحافظة على الأحوال الشخصية واتجه نحو رعاية مصالح بني جلدته، فدافع عن الطيب العقبي بعد إعتقاله في 8 أوت 1936م، ودافع عن مصالي الحاج بعد اعتقاله 27 أوت 1937م، وبعدها أسس جمعية أحباب البيان والحرية، ثم أسس حزب الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، بعدما أطلق سراحه من السجن في 16 مارس 1946م (حيث اعتقل بتهمة التحريض لمظاهرات 8 ماي 1945م)، انضم إلى الثورة في 21 جوان 1955م، أعلن في القاهرة عن قيام الحكومة الجزائرية المؤقتة عا في 19 سبتمبر 1958م².

وفاته وآثاره:

كان فرحات عباس يعاني من مرض ضيق في التنفس وهذا المرض بدأه عند ابعاده من قبل بن بلة إلى أدرار، وزيادة على مرض السرطان الذي كان السبب في وفاته، لكنه لم يعطي أهمية كبيرة للمرض فتفرغ للكتابة، توفي في 24 ديسمبر 1985م.

ومن آثاره:

- 10- تشريح حرب 1980م.
- 11- الإستقلال المصادر.
- 12- الشباب الجزائري.
- 13- ليل الإستعمار.
- 14- بعض المقالات في الصحف والجرائد.

¹ -علي تابلت: المرجع السابق، ص 36، 37.

² - عبد الكريم بوالصفصاف... وآخرون: معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، المرجع السابق، ص 211، 212.

المبحث الرابع:**التكوين الإجتماعي والثقافي وعمار أوزقان**

ظهر الحزب الشيوعي الفرنسي مباشرة إثر الحرب العالمية الأولى، وكان قد ربط دعوته في البداية بشخص الأمير خالد الهاشمي، وترجع جذوره الأولى إلى ميلاد الإتحاد الثقافي للعمال الجزائريين الذي تكون سنة 1902م بفرنسا وصار أعضاؤها من من أبرز العاملين ضمن الحزب الشيوعي الفرنسي وقد تأثر هذا الإتجاه بالماركسية عكس اللينينية الذي لم يهتم بمسألة الجزائر إلا عرضا عكس ماركس وإنجلز، ومنذ سنة 1926م أصبح الحزب الشيوعي أكثر تنظيما بفضل عضوية بعض العناصر الجديدة فرنسية وجزائرية ونادى بالعمل من أجل استقلال الجزائر الكامل والغاء النيابات المالية وانشاء برلمان جزائري ومحاربة الإمبريالية الفرنسية وإقامة الصراع الطبقي ضد البرجوازية الرأسمالية¹، وستكون إشكالية هذا المبحث: كيف كان مولد عمار أوزقان وتكوينه السياسي؟

التكوين الإجتماعي والثقافي لعمار أوزقان:

ولد عمار أوزقان بالجزائر العاصمة في مارس 1910م وتوفي في 5 مارس 1981م، في عائلة ميسورة الحال كانت تملك أراضي شاسعة قبل مصادرتها من طرف السلطات الإستعمارية، تلقى تعليمه الأول، بالمدرسة القرآنية بمسقط رأسه، ثم بالمدرسة الفرنسية واشتغل منذ صغره ك"بائع صحف" ثم ب"مصلحة البريد"².

كانت الحالة الإجتماعية لعمار أوزقان كباقي أفراد المجتمع الجزائري، رغم أنها كانت ميسورة الحال إلا أنها تعرضت لاضطهاد المستعمر والتي صودرت أراضيهم بالكامل، فعاشوا حياة البؤس والشقاء مثل بقية الأهالي المسلمين، ويمكن أن تكون هذه الحالة ساعدت على ميول عمار أوزقان السياسي.

¹ - يوسف مناصرة:الإتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحريين العالميتين، المرجع السابق، ص ص21، 22.

² - (http://zoui-lycee.mam9.com/t537-topic#ixzz1wSoHWb8W)

وكمعظم القادة السياسيين درس عمار أوزقان في المدارس القرآنية وحفظ القرآن الكريم ثم التحق بالمدرسة الفرنسية ، ثم عمل كـ "بائع صحف" هذه المهنة التي مكنته من الإطلاع الواسع على مقالاتها وأهم ما يحدث في الساحة السياسية في العالم عامة وفي الجزائر خاصة، ثم في مصلحة البريد.

التكوين السياسي لعمار أوزقان:

لا ننكر تأثير الجزائريين إجمالاً بالأمر خالداً لأنه كان يطالب بالإستقلال الكامل للجزائر، ولهذا طالب الحزب الشيوعي بإستقلال الجزائر ليكسب الجمهور من الشعب الجزائري، ولكن مفهوم الإستقلال بالنسبة للحزب الشيوعي هو استقلال العامل الجزائري في الإطار الشيوعي العالمي أي يجب أن يكون العامل الجزائري مرتبطاً بمنظمات نقابية تدافع عنه وتسهر على تطبيق القوانين المعتمدة في البلاد عليه¹.

وكان من الأهداف التي تكلم عنها عمار أوزقان في هذا الحزب "انقاذ الجزائر من الدمار والإنحطاط والموت" وفي نظره لا يكون إلا بتحرير العامل والفلاح من ظلم الكولون². ويتضح مما جاء في هذا البيان أن الحزب الشيوعي الجزائري يهدف إلى تحرير العامل والفلاح الفرنسي والجزائري من استبداد البرجوازية والإقطاعية، سواء كانت في الجزائر أو في فرنسا، ولا يهدف بتاتا إلى استقلال الجزائر التام، ولعل ذلك جاء واضحاً في عبارته " لكننا لسنا من أنصار المبدأ الخاطيء: "الكل أو لا شيء" وهو يعني بذلك المطالبين باستقلال الجزائر الكامل دون قيد أو شرط³. ومن آراء عمار أوزقان والتي تعبر عن آراء وأفكار عمار أوزقان قوله: " الجزائر أمة في طور التكوين، وشعبها سيكون خليطاً، من عناصر ذات أصول أوروبية، وبربرية، وعربية، هؤلاء الذين

¹ - مناصرة يوسف: الإتجاه الثوري في الحركة الوطنية بين الحربين العالميتين، المرجع السابق، ص 22، 23.

² - (<http://zoui-lycee.mam9.com/t537-topic#ixzz1wSoHWb8W>)

³ - مناصرة يوسف: الإتجاه الثوري في الحركة الوطنية بين الحربين العالميتين، المرجع السابق، ص 27.

انصهروا في جيل جديد، ولكن هذه الأمة لم تنضج بعد لتكوين وطن، الحزب الشيوعي هو الوحيد الذي بقي مرتبطا بسياسة الإندماج" فحزب الشيوعي الجزائري بقي مرتبطا بسياسة الإندماج¹.

خاتمة الفصل:

تمثلت الحركة الوطنية في الجزائر في أربع إتجاهات قادها رجال كانت لهم هبة ومكانة في الجزائر، نذكرهم الشيخ عبد الحميد بن باديس وهو عالم ورع وفقه مجتهد في أمور الدين، مساهم لمقتضيات العصر ومتطلبات الحياة، ومن يتتبع مسار حياته يلمس بوضوح جوانب شخصيته فهو ذلك العالم الورع الذي جمع بين الكتابة والتدريس والخطاب والنضال السياسي، والإصلاح الإجتماعي، يميزه عمق التفكير ومتانة الخلق والإستقامة في السلوك، فاستطاع أن يصحح مفاهيم الحياة التي شوهدت بسبب الإستعمار الفرنسي حيث ساد الجهل والجمود، وانتشرت الخرافات...، وهكذا كان ابن باديس الرجل الذي أجمع الجميع على حبه وتقديره حتى أعدائه.

أما مصالي الحاج قائد التيار الإستقلالي الملقب بـ "أبو الأمة" وهو الذي حمل على عاتقه النضال السياسي والتحضير للثورة المسلحة، حيث يرى المؤرخ عمر كارلبي² أن شهرة مصالي الحاج مؤسس أول حزب وطني جزائري مناهض للاستعمار اكتسبها ليس فقط من أفكاره الثورية التي كان يدافع عنها، وإنما كذلك بفضل شخصيته البارزة التي تسمح له بالتعبير عن آرائه والظهور على الساحة، وكذا أعماله القائمة على العاطفة والعقل في نفس الوقت، حيث تحول شاب مهاجر عصامي إلى محام يدافع عن حقوق شعب استطاع أن يتصدر صفوفه، عن طريق البلاغة والحنكة السياسية، فاستطاع بذلك أن يفرض نفسه كزعيم.

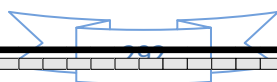
¹ - عز الدين معزة: فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية (1899م- 1995م)، المرجع السابق، ص 169.

² - عمر كارلبي: شهرة مصالي الحاج في صورة الزعامة التي تجلّى بها، جريدة صوت الأحرار، العدد 4357، ليوم 9 جوان 2012.

وقائد تيار الإدماج هو فرحات عباس كان من النخبة المثقفة الفرنسية الذي لم يتكلم بالعربية قط، وهو رجل ومفكر وأديب وسياسي، آمن بضرورة الدفاع عن أبناء وطنه وأن إحترام الإنسان لأخيه يمكننا من بناء وطن تسوده العدالة الإجتماعية، كان من المتأثرين بالثقافة الفرنسية ومبادئ الثورة الفرنسية (الحرية - المساواة - الأخوة)، كما تأثر بطفولته وبجالة الشعب الجزائري المزرية فنسي الطبقة التي ينتمي إليها ودافع عن طبقة المحرومين والفقراء.

قائد الحزب الشيوعي الجزائري عمار أوزقان الذي كان حزبه يدافع عن الحالة الإقتصادية للبلاد خاصة محاولا القضاء على الإقطاعية الفرنسية، والدفاع عن حقوق العمال مع بقاء الجزائر قطعة فرنسية وقد تمثل ذلك في مطالب حزبه، وهذا يرجع إلى الحالة التي كان عليها في طفولته حيث كانوا من ملاك الأراضي والضياع التي سلبت منهم بعد الإحتلال الفرنسي.

خاتمة البحث



خاتمة البحث ونتائجه:

حاولت من خلال هذه الدراسة أن أبحث عن تأثير المجتمع على الطبقة السياسية في الجزائر، وكذا مختلف التأثيرات الثقافية والسياسية على هذه الفئة خلال الفترة الممتدة من 1925م-1954م، التي ساعدت في تحديد ميولاتهم السياسية وتبلور الفكر الوطني، وبالتالي تكوين الأحزاب السياسية بمختلف إتجاهاتها، وقد توصلت إلى نتائج أهمها:

أولاً: أن الظروف والأوضاع السيئة التي عاشها الشعب الجزائري، والتي فرضها عليه المستعمر على كل الأصعدة السياسية والاجتماعية والثقافية، وهي نفس الظروف التي نشأ وترعرع فيها قادة الحركة الوطنية، بداية بسلب الأراضي، وسن القوانين الزجرية، ومحاولة محو مقومات الشخصية الجزائرية العربية الإسلامية.

ثانياً: الأوضاع المزرية التي عانى منها الشعب الجزائري خاصة بعد الثورات الشعبية، وما نتج عنها من إبادة للقبائل ومجاعات وأمراض وأوبئة...، والتي ساهمت بقسط وافر في دفع النخبة الجزائرية إلى تغيير نظرتها اتجاه السلطة الإستعمارية، وبالتالي ظهور مواقف جديدة والتي مثلتها هذه الفئة معتمدين في ذلك على أسلوب الحوار، من أجل حصول على تعديلات من النظام الإستعماري.

ثالثاً: بدأت التجربة السياسية في الجزائر بالنوادي والجمعيات والتي كانت ممهدة لظهور الأحزاب الوطنية والزعامات السياسية.

رابعاً: أما من الناحية الاجتماعية، فقد توصل البحث إلى معرفة تنوع وإختلاف الأصول العائلية والاجتماعية للقادة السياسيين عموماً، وحتى إختلاف تكوينهم الاجتماعي في الحزب الواحد، عكس الذي كان متداولاً على سبيل المثال أن قادة التيار الإدماجي كانوا من الطبقات الثرية في المجتمع، ولهذا كانت ميولاتهم السياسية مرتبطة بفرنسا، فلم يكن الثراء أو الطبقة الاجتماعية عامل لتحديد الميول السياسي، ودليل ذلك أن زعيم التيار الديني الإصلاحية عبد الحميد بن باديس، كانت أسرته من الطبقات الثرية والعريقة في مدينة قسنطينة.

خامسا: مساهمة العمال الجزائريين المقيمين بفرنسا أو الطبقة الكادحة بقدر كبير في التغيير والمطالبة بالإستقلال بعد إحتكاكهم بالمجتمع الأروبي، حيث كانت ظروف الحياة أفضل وهناك تزايد وعيهم السياسي من خلال التنظيمات والأحزاب التي تشكلت في فرنسا.

سادسا: قابلية الشعب الجزائري في إستيعاب مختلف الثقافات المشرقية والغربية مع إحتفاظه الدائم بمقومات شخصيته الجزائرية وثقافته المحلية التي ورثها عن آبائه وأجداده العرب والبربر، فرغم الإحتلال الفرنسي إلا أن الثقافة الجزائرية لم تعرف التحجر والجمود رغم المؤثرات المختلفة.

سابعا: تأثر القادة السياسيين بالثقافة المشرقية نتيجة وحدة الدين واللغة والأفكار، فتأثروا بأفكار بعض أئمة الأمة العربية آنذاك أمثال: جمال الدين الأفغاني، الشيخ محمد عبده، ورشيد رضا...، وشكيب أرسلان وغيرهم، هذه الأفكار القائمة على الإصلاح والرجوع بالدين الإسلامي والثقافة العربية إلى منابعه الأولى مع الأخذ بأفكار المجددين من أجل الخروج من دائرة الجهل والامية والبدع والخرافات، وبالتالي التخلص من السيطرة الإستعمارية.

ثامنا: كما تأثر الزعماء السياسيين بأفكار وثقافة الشخصيات العربية الإسلامية البارزة على الساحة السياسية والثقافية، حيث أخذوا من الجرائد والمجلات والكتب المشرقية التي حملت أفكار إصلاحية، والتي كانت حافزا لتطور الصحافة العربية الجزائرية، كما تأثر قادة التيار الإصلاحي بالرعييل الأول من المصلحين في الجزائر، أمثال: عبد الحليم بن سماية، وعبد القادر المجاوي، وحمدان لونيبي وغيرهم.

تاسعا: الدراسة في الجامعات العربية المغربية والمشرقية مثل: جامع الزيتونة وجامع القرويين والأزهر الذين كان لهم دور الأساس في الأخذ بكلام الله وسنة نبيه الكريم.

عاشرا: أما النخبة المثقفة بالثقافة الغربية الفرنسية، والتي أخذت بتعاليم المدرسة الفرنسية التي كانت تهدف إلى محو الثقافة العربية الإسلامية في المجتمع الجزائري، ودجمه في الحضارة الفرنسية الغربية، حيث كانت العربية ثقافة التخلف والإنحطاط والفرنسية ثقافة الحضارة والتطور والإزدهار،

كما حاولوا التأكيد على الأصل الأروبي للجزائريين، وبالتالي تشويه التاريخ الوطني وظهور الفتنة عن طريق مشاكل عرقية.

إحدى عشر: فشل الإستعمار الفرنسي في القضاء على مقومات الشخصية العربية عن

طريق نشر الثقافة الغربية في أوساط المجتمع، ونجاح الثقافة العربية الإسلامية في الرجوع بالدين الإسلامي إلى منابعه الأولى والنهوض بالثقافة العربية من الجمود والتحجر عن طريق الإصلاح، وهنا تم الحفاظ على الشخصية المغربية العربية الإسلامية.

إثني عشر: اختلاف اتجاهات الأحزاب السياسية في المطالب والأهداف حسب مبادئ

كل حزب وجمعية، وتتمثل في أربعة تيارات وهي: التيار الإصلاحي المتمثل في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. التيار الإستقلالي ويتمثل في نجم شمال إفريقيا ثم حزب الشعب الجزائري وحركة انتصار الحريات الديمقراطية. الاتجاه الإدماجي وحزبه هيئة النواب والمنتخبين المسلمين. وأخيرا الاتجاه الشيوعي ويمثله الحزب الشيوعي الجزائري.

ثلاثة عشر: الاتجاه الإصلاحي كانت مطالبه دينية تتمثل في العودة بالدين الإسلامي إلى

صفائه الأول وتخليصه من البدع والخرافات وتوعية وتثقيف أبناء هذا المجتمع، لكن هذا لا ينفى طابعها السياسي التي كانت تحفیه عن الإدارة الإستعمارية وقد تأثر قادتها بالمبادئ السياسية لجمال الدين الأفغاني والجامعة العربية وأفكار محمد عبده وغيرها من المصلحين في المشرق العربي خاصة وأنها رأت أن التغيير السياسي لا يكون إلا بإصلاح أحوال المجتمع المتدهورة.

أربعة عشر: يبقى تأثير القادة السياسيين للحزب الإستقلالي متمثلا في الشيوعية التي تأثروا

بها لأنها كانت تنادي باستقلال الشعوب المستعمرة والمضطهدة لكن الحالة الإجتماعية والثقافية والسياسية للبلاد هي أهم ما تأثر به القادة السياسيين لهذا الحزب خاصة وأن جلهم من الطبقة العامة العاملة بفرنسا والتي تأثرت بحق الشعوب في تقرير مصيرها التي نادى بها ولسن وشاركت بحرية في مختلف النقابات في فرنسا واحتكت بالحياة السياسية هناك.

خمسة عشر: تأثر قادة الحزب الإدماجي بالثقافة الفرنسية الغربية فأرو في فرنسا بلد الحضارة والتقدم وأن الجزائر قطعة منها كما فصلوا الدين عن الأمور السياسية وحاولوا وطالبوا بحقوقهم الإجتماعية والسياسية المتمثلة في الإنتخاب والترشح وغيرها من الحقوق.

سادسة عشر: أما الحزب الشيوعي الجزائري المتأثر بأفكار لينين فإنه حاول في البداية المطالبة باستقلال الجزائر من أجل كسب القاعدة الشعبية ثم رأى أن الإستقلال الذي يقصده هو استقلال العامل والبلاد من الرأسمالية كما ان قادة هذا الحزب كان جلهم من الفرنسيين ثم أصبح جزائريا خالصا منذ 1936م، وبقيت مطالبه مجهولة إلى حد ما امام الشعب الجزائري لجهله بمبادئه وأهدافه.

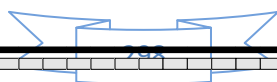
سابعة عشر: أما الشيخ عبد الحميد بن باديس فكان أبرز قادة التيار الإصلاحى التجديدي في الجزائر، والذي ساهم عن طريق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في نشر العلم والمعرفة بين كثير من أفراد الشعب الجزائري الذي طالما عانى من الجهل، رغم أن ابن باديس من طبقة برجوازية لها مكانتها الإدارية والسياسية لدى السلطات الفرنسية، لكن هذا لم يمنعه من مقاسمة شعبه الفقر والجوع والحرمان، ولعل أهم مآثر في شخصيته إحتكاكه في المشرق العربي بكبار العلماء أثناء أدائه لفريضة الحج سنة 1913م، الشيء الذي أسهم في توجهه العربي الإسلامي واهتمامه بالإصلاح والتجديد في بلاده، فكان من أبرز الشخصيلت العلمية والسياسية في الجزائر في تلك الحقبة.

ثمانية عشر: أما مصالي الحاج قائد التيار الإستقلالي فانتماؤه إلى أسرة فقيرة ومحافظة سلبت منها أراضيها، فعاشوا حياة البؤس والشقاء كباقي أفراد المجتمع الجزائري وأهم مآثر في ميوله هذا القائد، كما أثرت عليه الهجرة إلى الخارج واحتكاكه بالمجتمع الفرنسي وبما يجري في العالم والتحاقه بالخدمة العسكرية في فرنسا كما ساعدته الحرية السياسية فيها على المطالبة بالإستقلال الكامل في الجزائر متأثرا بالأمير خالد الهاشمي.

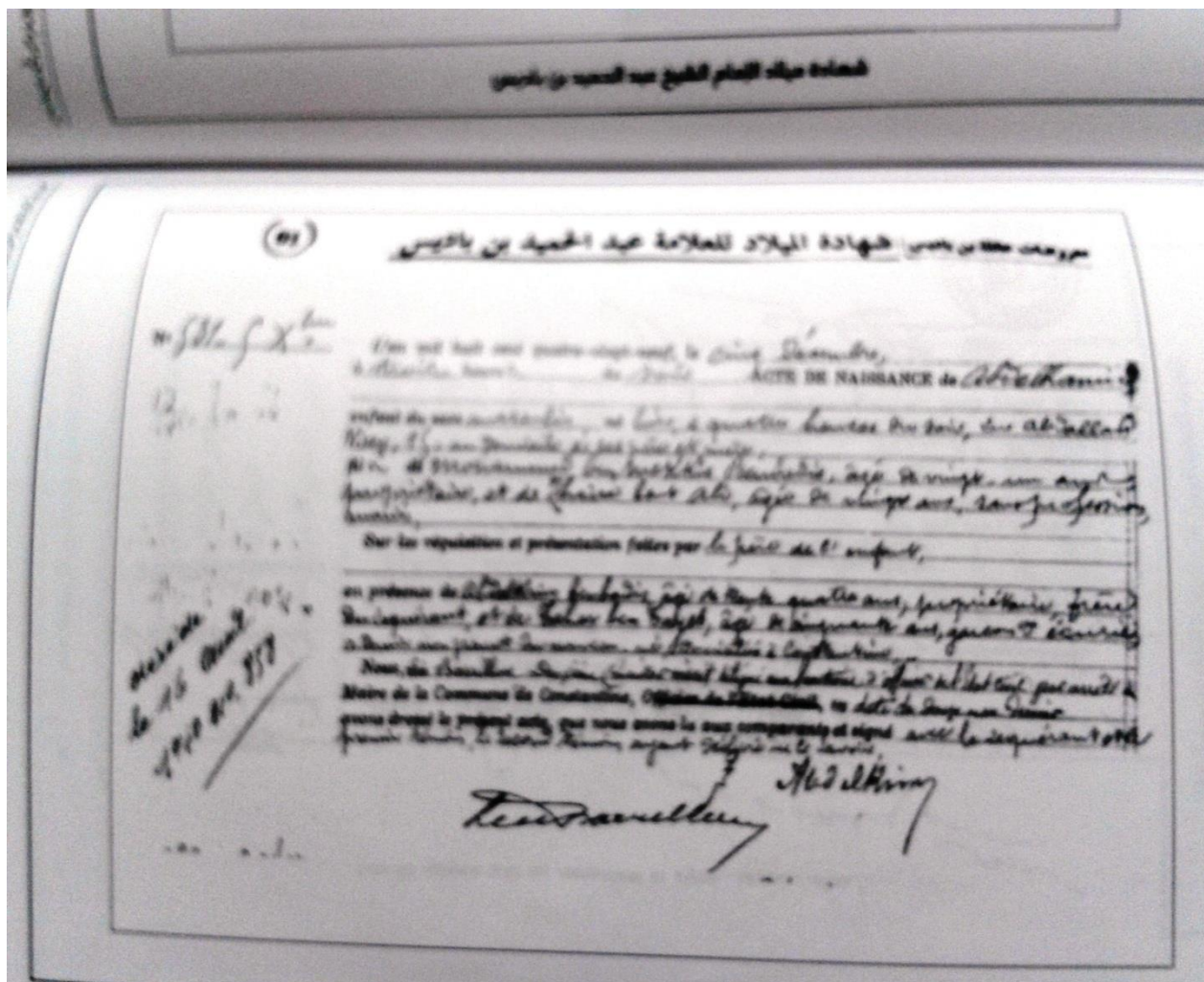
تسعة عشر: أما فرحات عباس التخلص فإنه لم يستطع أن يتخلص من تأثير وسطه الاجتماعي الذي ضل يتحدث عن بؤسه وشقائه في كتاباته وخطبه حيث كان له الأثر الكبير على شخصيته ونضاله السياسي، داعيا إلى الإهتمام بهم وتحسين وضعيتهم لأن إهمالهم في نظره خيانة وعمل غير مقبول، فالأمة لا تتطور إلا بالنهوض بهؤلاء الفلاحين الفقراء، كما بقي ذلك الشاب ذو الثقافة الفرنسية متعلقا بدينه الإسلامي وتاريخ أجداده، متأثرا بالمدينة الغربية وريقيها وحضارتها، لكنه سرعان ما اقتنع بعدم جدوى المطالب التي طالما رفع عقيرته مناديا بها، ثم تغيرت قناعته بالهوية الفرنسية.

عشرون: اما اعمار أوزقان فقد كان تأثره بمبادئ لينين الاشتراكية تأثرا عميقا من الناحية السياسية والإقتصادية لا من الناحية الإقتصادية حيث شوهده في سنة 1941م يؤدي فريضة الصيام، إذ حاول جاهدا النهوض بالعامل الجزائري والإقتصاد الأهلي وانحصر استقلاله في الجزائر من الناحيتين الإجتماعية والإقتصادية فقط.

ملاحق البحث



الملحق رقم 01: شهادة ميلاد العلامة عبد الحميد بن باديس¹



¹ - عبد العزيز فيلاي: صور ووثائق للإمام عبد الحميد بن باديس، المرجع السابق، 30.

الملحق رقم 02: أساتذة العلامة عبد الحميد بن باديس¹



الشيخ بشير صفر (1856م - 1917م)



الشيخ محمد لخضر بلحسين



الشيخ محمد النخلي (1867م - 1924م)



الشيخ طاهر بن عاشور

¹-عبد العزيز فيلاي: وثائق جديدة عن جوانب خفية في حياة الإمام عبد الحميد بن باديس الدراسية، ص 46، 47.



الشيخ محمد الجيزاوي



الشيخ محمد بنحيت المطيعي (1854م- 1936م)

الملحق رقم 03: عبد الحميد بن باديس وهو تلميذ¹



¹ - عبد العزيز فيلاي: وثائق جديدة عن جوانب خفية في حياة الإمام عبد الحميد بن باديس الدراسية، ص 46، 47.

الملحق رقم 04 : جامع الزيتونة¹



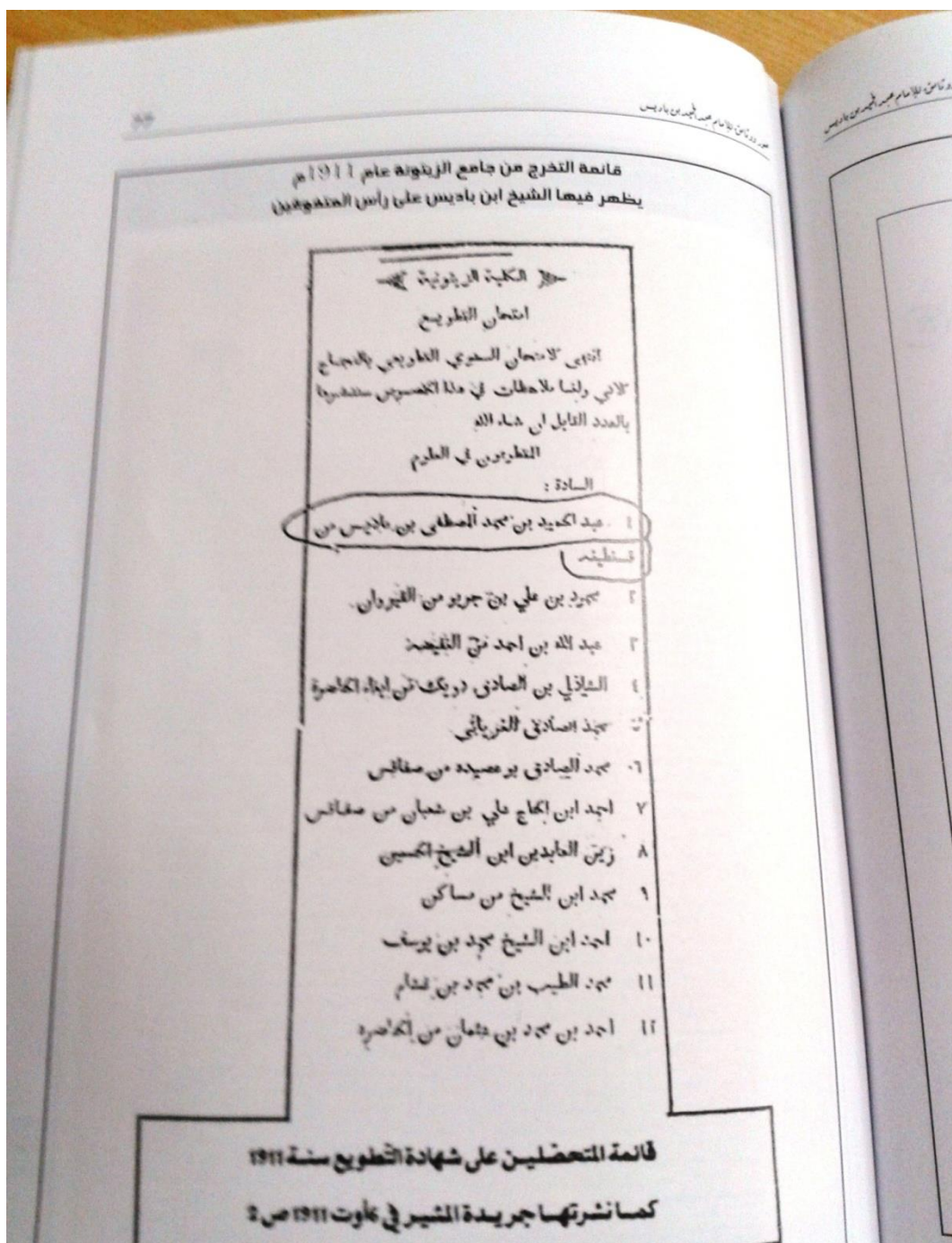
الملحق رقم 05: تشييع جنازة الإمام عبد الحميد بن باديس في شارع زيغود يوسف²



¹ - عبد العزيز فيلاي: وثائق جديدة عن جوانب خفية في حياة الإمام عبد الحميد بن باديس الدراسية، ص ص 46، 47.

² - عبد العزيز فيلاي: صور ووثائق للإمام عبد الحميد بن باديس، المرجع السابق، 30.

الملحق رقم 06: قائمة لمتخرجين من جامع الزيتونة¹



تصدر الشيخ بن باديس قائمة الناجحين في إمتحان التطويح من جامع الزيتونة في عام 1911م دليل واضح على نجابته وحبه للعلم، كما ان جامع الزيتونة كان من الجامعات المعترف بها عربيا في التدريس، وقد نشر هذا الملحق في جريدة المشير في أوت 1911م ص 2.

¹ - عبد العزيز فيلاي: صور ووثائق للإمام عبد الحميد بن باديس ، ص 33.

الملحق رقم 07: عبد الحميد بن باديس وكبار أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

الجالسون من اليمين إلى اليسار: محمد السعيد الزاهري- العربي التبسي- البشير الإبراهيمي-محمد

إبراهيم الكتاني

عبد الحميد بن باديس- الطيب العقبي- عبد القادر بن زيان-مبارك الميلي.

الواقفون من اليمين إلى اليسار: محمد العيد آل خليفة-فرحات الدراجي-باعزيز بن عمر-مصطفى

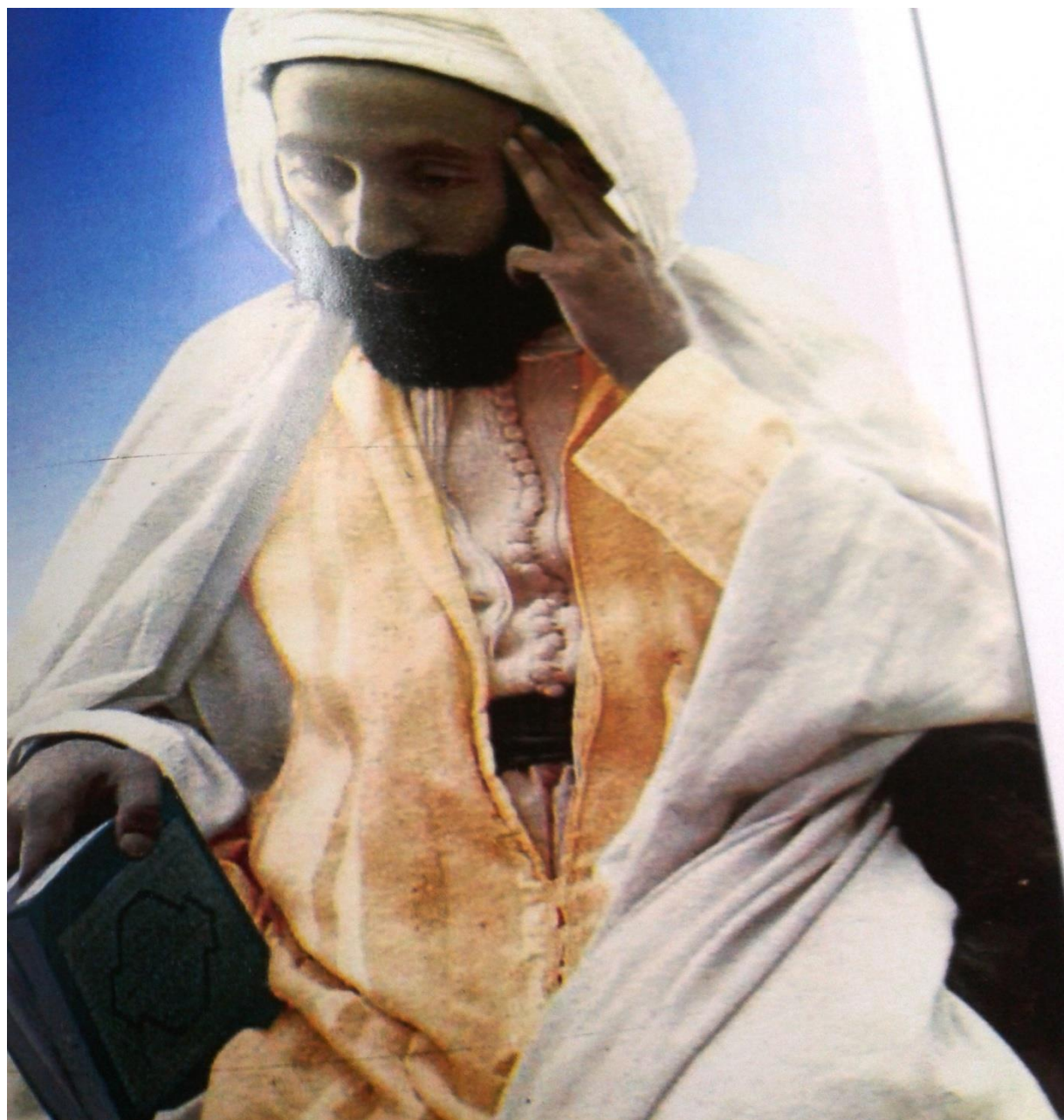
حلوش- محمد خير الدين-علي الخيار- أبو اليقظان¹

5



¹ - عبد العزيز فيلاي: صور ووثائق للإمام عبد الحميد بن باديس ، ص35.

الملحق رقم 08: عبد الحميد بن باديس¹



¹ - عبد العزيز فيلاي: صور ووثائق للإمام عبد الحميد بن باديس، المرجع السابق، ص 40.

الملحق رقم 09: بقايا منزل فرحات عباس في بوعفرون¹



الملحق رقم 10: الكتاب الذي درس فيه فرحات عباس²



¹ - عز الدين معزة: فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية والإستقلال، المرجع السابق، ص 30.

² - المرجع نفسه: ص 40.

الملحق رقم 11: شهادة ميلاد فرحات عباس¹

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

ولاية جرجل
دائرة الطاهر
بلدية الطاهر

شهادة الميلاد
نسخة كاملة

في يوم 1 الرابع والأربعين أوت عام ألف وثمانمائة
وسبعة وتسعين وثمانين على الساعة السابعة ليلية ليلياً
وُلِدَ 2 : عباس فرحات هكلي بالسنجينة
الجنس ذكر ابن: الدهيبدين أحمد
و ابن: حفزة عائشورة
الشاكيتين بالسنجينة
حُرِّفَ في 1 الرابع والأربعين أوت عام ألف
وساكنة وثمانين وثمانين الساعة
ياغلان أذلي به السيد 3 الرب المدكور أعلاه

الحالة المدنية
رقم 0729

التاريخ 18.09.1947
رقم 1947
مدرسة الطاهر
مدرسة الطاهر

حزب طيفنا السجل الأصلي
بلدية الطاهر المنطقة السابق

الإضاءات

أرئيس المجلس الشعبي البلدي
و بتفويض منه

نسخة مطابقة للأصل
حزب الطاهر يوم 17 أوت 2004

الكثبانة السابقة للإشيع واللفب
ABBAS FERHAT
ج. م. 12 - النسخة الرسمية
ΠΕΚΚΙ

1 يكامل الحروف
2 إنتم ولقب الولد
3 الأبن، الطيب، أو الفالبة، أو غيره معن شهادة الولادة

¹ - عز الدين معزة: فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية والإستقلال، المرجع السابق، ص

الملحق رقم 12: بطاقة فنية لجرائد ومجلات فرحات عباس¹

La république algérienne الجمهورية الجزائرية	L'Egalité المساواة	L'Entente franco musulmane الوفاق الفرنكو-إسلامي	الاسم الكامل المعلومات الكاملة
الفرنسية + ملحق بالعربية أحيانا		الفرنسية	اللغة
ثمانية	أربع ثم ثمانية	أربع	عدد الصفحات
فرحات عباس		بن جلول	المدير العام
عزيز كسوس		عزيز كسوس ثم فرحات عباس	المدير المساعد
أسبوعية			نوعها
بيان الشعب الجزائري		فديرالية النواب المسلمين الجزائريين	لسان حال
مساواة الإنسان ، الشعوب ، الأجناس		أحب الجريدة لأنها لك، أقرأها فهي تهتمك ، ساعدها لأنها تدافع عنك ،أهمها لكي تتقدم	الشعار
1948/02/13	1944/09/15	1935/08/29	تاريخ الصدور
الجزائر العاصمة		قسنطينة	مكان الصدور
أفريل 1955	1948/02/06	مع بداية الحرب العالمية II	تاريخ التوقف

كان للتيار الإدماجي 3 جرائد تمثلت في الوفاق الفرنكو- إسلامي، المساواة، الجمهورية الجزائرية،

ورؤساء تحريرها بن جلول وفرحات عباس، وهي جرائد أسبوعية، لها شعارها الخاص.

¹ - دويذة نفسية: المرجع السابق، ص 111.

الملحق رقم 13: بطاقة فنية لمؤلفات فرحات عباس (1931م-1984م)¹

العنوان الكامل المعلومات الكاملة	من الممثلة مرة إلى المقاطعة الشاب الجزائري - De la colonie vers la Provence : Le jeune algérien	حرب الجزائر وثورتها لؤلؤ الامتعمار : révolution d'Algérie : La nuit coloniale	تشريح حرب : الفجر Autopsie d'une guerre : L'aurore	الاستقلال المصادر L'indépendance confisquée
سنة التأليف	1929-1922	1962	فيفري 1973	مارس 1976 - ماي 1983
اللغة الأصلية	الفرنسية	الفرنسية	الفرنسية	الفرنسية
اللغة المترجمة	/	العربية	/	/
الطبعة	01	02	/	/
دار النشر	Garnier La jeune parque	Juliaid	Garnier	Flammarion
باد النشر	Paris France	Paris France	المحمدية المغرب	Paris France
سنة النشر	1931	1962	1980	1984
عدد الفصول	/	04	12	05
عدد الملاحق	/	/	/	04
عدد الصفحات	150	237	283	227

كان لفرحات عباس 4 كتب وهي مصادر هامة لتاريخ الجزائر وهي: الشاب الجزائري، ليل الإستعمار، تشريح الحرب، الإستقلال على التوالي، كتبت كلها باللغة الفرنسية وهي ثقافة هذا القائد، نشر كتاب الشاب الجزائري في الحقبة الإستعمارية 1931م، أما البقية فبعد الإستقلال.

¹ - نفيسة دويذة: المرجع السابق، 129.

الملحق رقم 14¹: صورة لفرحات عباس



الملحق رقم 14²: صورة مصالي الحاج وعمره 25 سنة

التقطت هذه الصورة سنة 1923م، أي بعد أداء مصالي الحاج للخدمة العسكرية، 1918م،
وانتهاء الحرب العالمية الأولى ورجوعه مجددا إلى فرنسا.

¹ -google.image.ferhat abass.

² -google.image.massali hadj.



الملحق رقم 14¹ : صورة لمصالي الحاج

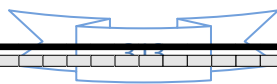


¹ -<http://www.google.dz>.



¹ - المرجع نفسه.

بيبلوغرافيا البحث



- 1- أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، ط2، دار المعارف، الجزائر: 1963م.
- 2- أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر، منشورات مخبر الدراسات العليا التاريخية والفلسفية، قسنطينة: 2008م.
- 3- جان بول سارتر: عارنا في الجزائر، ترجمة: عايدة سهيل إدريس، ط2، دار الآداب، 1958م.
- 4- جوان غليسي: الجزائر الثائرة، تعريب: خيري حماد، ط1، منشورات دار الطليعة، بيروت: 1961م.
- 5- سعد زغلول فؤاد: الجزائر في معركة التحرير، ط1، توزيع دار الكتب الشرقية، تونس: 1957م.
- 6- فيليب رفله: الجزائر، إشراف عز الدين فريد، ط2، مؤسسة المطبوعات الحديثة، دت.
- 7- أحمد توفيق المدني: مذكرات حياة كفاح (1925م-1954م)، ج2، دار البصائر، الجزائر، 2009م.
- 8- عثمان حمدان خوجة: المرآة، ترجمة محمد العربي الزبيري، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر: 1982.

9- عمار طالبي: آثار ابن باديس، المجلد 01، ط1، دار ومكتبة الشركة الجزائرية،
1968م.

10- فرحات عباس: الشباب الجزائري: الجزائر من المستعمرة إلى

الإقليم 1930م، ترجمة: أحمد منور، تقديم: أبو القاسم سعد الله، صدر عن وزارة

الثقافة، 2007م.

11- فرحات عباس: حرب الجزائر وثورتها (1): ليل الاستعمار، نقله إلى العربية:

أبو بكر الرحال، المحمدية، المغرب: دت.

12- فضيل الورتلاني: الجزائر الثائرة، دار الهدى، الجزائر: 1991م.

13- محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام الإبراهيمي، ج5، جمع وتقديم: أحمد

طالب الإبراهيمي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت: 1997م.

14- محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (1929-

1940م)، ط1، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان: 1997م،

15- محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، "عيون البصائر" (مجموع المقالات التي

كتبها في إفتتاحية جريدة البصائر الخاصة)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر:

دت.

- 16- محمد البشير الإبراهيمي: في قلب المعركة (1954م-1964م)، جمع وتقديم: أبو القاسم سعد الله، ط1، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر: 1994م.
- 17- بن يامين سطورا: مذكرات مصالي الحاج 1898م-1938م، ترجمة: محمد المعراجي، منشورات ANEP، الجزائر: 2007م.
- 18- محمد قنانش: آفاق مغاربية "المسيرة الوطنية وأحداث 8ماي 1945م"، منشورات دحلب، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر: 2009م.
- 19- محمد قنانش: ذكرياتي مع مشاهير الكفاح، دار القصة للنشر، الجزائر: 2004م.
- 20- محمد قنانش: الحركة الإستقلالية في الجزائر ما بين الحربين 1919م- 1939م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر: 1982م.
- 21- محمد قنانش، محفوظ قداش: نجم الشمال الإفريقي 1926م-1937م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر: 2009م.
- المراجع باللغة العربية:
- 1- إدريس خضير: البحث في تاريخ الجزائر الحديث 1830م-1962م، ج1، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، دت.

2- إبراهيم مهديد: بعض عناصر التفكير لمقارنة الهجرة الجزائرية المعاصرة مشرقيا

ومغربيا - الهجرة الجزائرية إبان الإحتلال 1830م-1962م، منشورات وزارة

المجاهدين، الجزائر، 2007م،

3- أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج5، دار البصائر، الجزائر:

2007م.

4- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية 1900-1930م، ج1، ط4، دار

الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان: 1992م.

5- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية 1930-1945، ج3، ط4، دار المغرب

الإسلامي، بيروت، لبنان: 1992م.

6- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، ط1، دار الغرب الإسلامي،

بيروت، لبنان: 1998م.

7- أحمد الخطيب: حزب الشعب الجزائري جذوره التاريخية والوطنية ونشاطه

السياسي والإجتماعي، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر: 1986م

8- أحمد الخطيب: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في

الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر: 1985م.

9- أحمد صاري: شخصات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر، تقديم: أبو

القاسم سعد الله، المطبعة العربية غرداية، الجزائر: 2004.

- 10- أحمد محساس: الحقائق الاستعمارية والمقاومة، دار الهدى، الجزائر: دت.
- 11- أحمد مريوش: الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، ط1، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م،
- 12- أميمة عميراوي: فواصل من الفكر والتاريخ، دار البعث للطباعة والنشر، الجزائر: 2002م.
- 13- إدوارد دو نوفو: الإخوان دراسة إثنولوجية حول الجماعات الدينية عند مسلمي الجزائر، ترجمة وتحقيق: كمال فيلاي، دار الهدى، الجزائر: 2003.
- 14- إسماعيل العربي: المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر: دت.
- 15- أنور الجندي: الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة: 1965م.
- 16- بريم روبيرت: المثقفون والسياسة، ترجمة: أحمد عاطف فؤاد، دار المعرفة، القاهرة: 1985م.
- 17- بسام العسيلي: عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية، دار النفائس للطباعة والنشر، الجزائر: 2010م.

- 18- بوعلام بسايح: أعلام المقاومة الجزائرية ضد الإحتلال الفرنسي بالسيف
والقلم 1830م-1954م ، صدر عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة
العربية، 2007م.
- 19- تركي رابح عمامرة: الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح
الإسلامي والتربية في الجزائر، ط5، وحدة الطباعة روية، الجزائر، 2008م.
- 20- تركي رابح عمامرة: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية
1931-1956 ورؤساؤها الثلاثة، المؤسسة الوطنية للكتاب، دت.
- 21- جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية: الشيخ محمد البشير الإبراهيمي
العلامة المصلح والداعية الأديب، بمناسبة تخرج الدفعة الثانية والعشرون، جويلية
2009م.
- 22- جلال يحي: المغرب الكبير الفترة المعاصرة وحركات التحرر والإستقلال،
ج4، دار النهضة، بيروت، لبنان: 1981م.
- 23- جمال قنان: قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات
المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر: 1991م.
- 24- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين
الجزائريين، دار المعرفة، الجزائر: 2009م.

- 25- جيلالي صاري... (وآخرون): سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، هجرة
الجزائريين نحو أوروبا، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، منشورات المركز الوطني للدراسات
والبحث في الحركة الوطنية وثورة 1 نوفمبر 1954، دت.
- 26- حميد عبد القادر: فرحات عباس رجل الجمهورية، دار المعرفة، الجزائر،
2008م.
- 27- خليفة الجنيدي: حوار حول الثورة، المركز الوطني للتوثيق، المؤسسة الوطنية
للفنون المطبعية، الجزائر: 1986م.
- 28- دار النفيس: سلسلة المشاهير الوطنية: الإمام عبد الحميد بن باديس،
الجزائر: 2007م.
- 29- الزبير بن رحال: الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية
والفكرية (1889م-1940م)، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر،
دت.
- 30- زهور أسعد: ثورة العلم من ابن خلدون إلى ابن باديس، دار هومة للطباعة
والنشر والتوزيع، الجزائر: 2012م.
- 31- شارل روبير أجرون: تاريخ الجزائر المعاصرة من إنتفاضة 1871 إلى إندلاع
حرب التحرير 1954، ج2، ط1، دار الأمة، الجزائر: 2008م.

32- شرفي عاشور: قاموس الثورة الجزائرية (1954-1962)، محمد الصالح

بن جلول، ترجمة: عالم مختار، دار القصبه للنشر، الجزائر: 2007م

33- صاري الجيلالي، محفوظ قداش: الجزائر في التاريخ: المقاومة

السياسية 1900م-1954م الطريق الإصلاحى والطريق الثورى، ترجمة عبد

القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر: 1987م.

34- صالح فركوس: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر (1830م-

1925م)، مديرية النشر لجامعة قلمة، قلمة: 2010م.

35- عبد الحميد زوزو: الدور السياسى للهجرة إلى فرنسا ما بين الحربين

1914م-1939م (نجم شمال إفريقيا وحزب الشعب)، ديوان المطبوعات

الجامعية، الجزائر: 2007م.

36- عبد الرحمان بن إبراهيم العقون: الكفاح القومى السياسى من خلال

مذكرات معاصر، الفترة الأولى 1920م-1936م، ج1، منشورات السائحي،

الجزائر: 2008م.

37- عبد الرحمان محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج4، ط7، ديوان

المطبوعات الجامعية، الجزائر: 1994م.

38- عبد الرشيد زروق: جهاد ابن باديس ضد الإستعمار الفرنسى في

الجزائر (1913م-1940م)، ط1، دار الشهاب ، بيروت، لبنان: 1999م.

39- عبد العزيز فيلاي: صور ووثائق للإمام عبد الحميد بن باديس ، دار الهدى

للطباعة والنشر، الجزائر، 2013م.

40- عبد العزيز فيلاي، أحمد صاري، الطاهر بوناني: البيت الباديسي مسيرة

علم ودين وسياسة، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، 2012م.

41- عبد القادر جغلون: الإستعمار و الصراعات الثقافية في الجزائر، ترجمة:

سليم قسطون، ط1، دار الحدائة، بيروت، لبنان: 1984.

42- عبد القادر جغلون: تاريخ الجزائر الحديث دراسة سوسولوجية ، ترجمة:

فيصل عباس، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م.

43- عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان: إمام الجزائر: عبد الحميد بن

باديس، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر: 2010م، ص24.

44- عبد الكريم بوالصفصاف: تاريخ الفكر العربي الحديث والمعاصر محمد

عبده وعبد الحميد بن باديس نموذجا، ج1، دار الهدى، الجزائر: 2005.

45- عبد الكريم بوالصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في

تطور الحركة الوطنية الجزائرية (1931م-1945م)، ط1، الجزائر، 1981م.

46- عبد الكريم بوالصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها

بالحركات الوطنية الأخرى 1931-1945م، دراسة تاريخية وإيدولوجية مقارنة،

دار المداد، الجزائر: 2009م، ص 387.

- 47- عبد الكريم بوصفصاف، ... وآخرون: معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ط1، ج1، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية جامعة منتوري، قسنطينة: 2002.
- 48- عبد الكريم بوصفصاف، ... وآخرون: معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ط1، ج2، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية جامعة منتوري، قسنطينة: 2002.
- 49- عبد الله حمادي: الحركة الطلابية الجزائرية (1871-1962) - مشارب ثقافية وإيديولوجية-، ط2، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر: 1995م.
- 50- عبد الله شريط، محمد الميلي: الجزائر في مرآة التاريخ، ط1، مكتبة البعث، قسنطينة: 1965م.
- 51- عبد المالك مرتاض: أدب المقاومة الوطنية في الجزائر (1830م-1962م) رصد لصور المقاومة في النشر الفني، ج1، سلسلة منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر: 2009م.
- 52- العشيراتي سليمان: إبن باديس "التحول من برزخية القول إلى حضور الفعل ملامسة لفقهاء سياسة الإصلاح وإصلاح السياسة"، ج2، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر: 2010م.

- 53- علي تابلت: فرحات عباس رجل دولة، منشورات ثالة الأبيار، الجزائر: 2007م.
- 54- علي مراد: الحركة الإصلاحية في الجزائر (بحث في التاريخ الديني والإجتماعي 1925-1940)، ترجمة: محمد يحياتين، دار الحكمة، الجزائر: 2007م.
- 55- عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية لغاية 1962، ط3، دار البصائر، الجزائر: 2008.
- 56- عمار عمورة: موجز في تاريخ الجزائر، ط1، دار الريحانة للنشر والتوزيع، الجزائر: 2002م.
- 57- عمار قليل: ملحمة الجزائر الجديدة، ج1، ط1، دار البعث، قسنطينة: 1991م.
- 58- عمار هلال: أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830م- 1962م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر: 1995م.
- 59- كمال بوقصة: مصادر الوطنية الجزائرية إلى منابع الوطنية الجزائرية "الشعبوية"، ترجمة: د. ميشيل سطوف، المراجعة اللغوية: صادق بخوش، دار القصة للنشر، الجزائر: 2005م.

- 60- كمال عجالي: الفكر الإصلاحى فى الجزائر الشيخ الطيب العقبي بين الأصالة والتجديد، صدر عن وزارة الثقافة، 2007م)
- 61- ليون فيكس: الجزائر حتف الإستعمار، ترجمة: محمد عيتاني، ط2، مكتبة المعارف، بيروت: دت.
- 62- مالك بن خليف: الفكر السياسى عند الإمام عبد الحميد بن باديس، ط1، دار طليطلة، الجزائر: 2010م.
- 63- محفوظ قداش: تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية (1919م-1939م)، ترجمة: أحمد بن البار، ج1، ط1، دار الأمة، الجزائر: 2008م
- 64- محفوظ قداش: جزائر الجزائريين 1830-1954م، ترجمة: محمد معراجى، الجزائر: 2008م.
- 65- محمد الصالح الصديق: المصلح المجدد الإمام بن باديس لهذا حاولو إغتياله، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009م.
- 66- محمد العربى الزبيرى: الثورة الجزائرية فى عامها الأول، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر: 1984م.
- 67- محمد العربى الزبيرى: المتقفون الجزائريون والثورة، منشورات المتحف الوطنى للمجاهد، المؤسسة الوطنية للإتصال والنشر والإشهار، الجزائر: 1995م.

- 68- محمد العربي الزبيري: تاريخ الجزائر المعاصرة، ج1، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق: 1999م.
- 69- محمد المليي: إبن باديس وعروبة الجزائر، صدر الكتاب عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007م، ص ص: 21، 22.
- 70- محمد بهي الدين سالم: إبن باديس فارس الإصلاح والتنوير، ط1، دار الشروق، مصر: 1999م.
- 71- محمد دراجي: عبد الحميد بن باديس في عيون معاصريه، ط1، عالم الأفكار، المحمدية، الجزائر، 2008م.
- 72- محمد طمار: الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية، الجزائر: 1983م.
- 73- محمد قرصوا: عبد الحميد بن باديس نصوص مختارة، منشورات ANEP، الجزائر، 2005م.
- 74- محمد منيع: قصص من فضائح الإستعمار في الجزائر، منشورات مكتبة دار الكتاب البلدية: الجزائر: دت.
- 75- مصطفى الأشرف: الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة: حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب: الجزائر: 1983م.

- 76- مصطفى الطلاس، بسام العسيلي: الثورة الجزائرية، ط1، دار الشورى، بيروت: 1982م.
- 77- منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة 1 نوفمبر 1954: منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية 1830م-1954م، وزارة المجاهدين، المطبعة الرسمية، الجزائر: 2007م
- 78- منشورات وزارة المجاهدين: أعمال الملتقى الوطني حول الهجرة الجزائرية إبان مرحلة الإحتلال 1830م-1962م، المنعقد بفندق الأوراسي يومي 30-31 أكتوبر 2006م، الجزائر: 2007م
- 79- نادية طرشون... وآخرون: الهجرة الجزائرية نحو المشرق العربي-أثناء الإحتلال - سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، 2007م
- 80- نصوص الملتقى الأوراسي: الفكر السياسي الجزائري 1830م-1962م، 26/25 سبتمبر 2005م، المؤسسة الوطنية للإتصال، روية، الجزائر: 2010م.
- 81- يحي بوعزيز: الإتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه (1912م-1948م)، دار البصائر، الجزائر: 2009م.

82- يحي بوعزيز: السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب

الجزائري (1830م-1954م)، دار البصائر، الجزائر: 2009م.

83- يحي بوعزيز: سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية من

1830م إلى 1954م، دار البصائر، الجزائر: 2009م.

84- يوسف مناصرية: الإتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين

العالميتين (1919م-1939م)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1988م.

المراجع باللغة الفرنسية:

1- Charles Robert Ageron: Histoire de l'Algerie

contemporaine , t2, P.U.F, Paris:1977.

2- Charles Robert Ageron: Les Algériens

Musulmans et la France,

3- Pierre Bourdieu: Sociologie de l'Algérie Que

sais je?, éditions PUF, Paris: 1980.

الرسائل الجامعية:

1- بشير فايد: قضايا العرب والمسلمين في آثار الشيخ البشير الإبراهيمي

والأمير شكيب أرسلان -دراسة تاريخية وفكرية مقارنة-، تحت إشراف الأستاذ:

عبد الكريم بوصفصاف، رسالة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، ج1،
السنة الجامعية: 2009 / 2010م.

2- أحمد مريوش: الحركة الطلابية الجزائرية ودورها في القضية الوطنية وثورة

التحرير 1954م، تحت إشراف: ناصر الدين سعيدوني، السنة

الجامعية: 2005/2006.

3- عباس محمد الصغير: فرحات عباس من الجزائر الفرنسية إلى الجزائر الجزائرية

(1927م-1936م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الحركة

الوطنية، إشراف: الجمعي الخمري، 2006م-2007م.

4- عز الدين معزة: فرحات عباس والحبيب بورقيبة دراسة تاريخية وفكرية مقارنة

1899م-2000م، أطروحة لنيل درجة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث

والمعاصر، إشراف: عبد الكريم بوصفصاف، 2009م-2010.

5- عز الدين معزة: فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الإستقلال

(1899م-1985م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر،

إشراف: عبد الكريم بوصفصاف، 2004م-2005م، ص28.

6- قريبي سليمان: تطور الإتجاه الثوري والوحدوي في الحركة الوطنية الجزائرية

(1940م-1954م)، بحث لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر،

تحت إشراف: مناصرية يوسف، السنة الجامعية: 2010م-2011م.

7- نفيسة دويده: تطور فكرة الوطنية الجزائرية عند فرحات عباس (1927م-)

1955م)، إشراف: عمار بن سلطان، 2005م.

الموسوعات:

1- م روزنتال وآخرون: الموسوعة الفلسفية، ترجمة: سمر كرم، ط5، دار الطليعة

للطباعة والنشر، بيروت: 1985.

المجلات والجرائد:

1- مجلة المعيار: العدد 10، سبتمبر 2005م.

2- عمر كارليي: شهرة مصالي الحاج في صورة الزعامة التي تجلى بها، جريدة

صوت الأحرار، العدد 4357، يومية، ليوم 9 جوان 2012

3- مجلة الأمير عبد القادر: العدد 11، دار البعث، قسنطينة: سبتمبر 2002.

المواقع الإلكترونية:

1- <http://alhiwar.com>

2- <http://almaany.com>

3- <http://ar.aljasad.com>

4- <http://zoui-lycee.mam9.com/t537->

[topic#ixzz1wSoHWb8W](http://zoui-lycee.mam9.com/t537-topic#ixzz1wSoHWb8W)

5- <http://ar.wikipedia.org>.

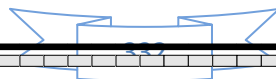
فهارس البحث

فهرس الأعلام

فهرس الأماكن

فهرس الأحزاب والجمعيات والنوادي

فهرس الموضوعات



- (أ)
- أبو بكر الصديق: 71.
- أبو بكر بن العربي: 233.
- أبو العباس حميدة: 222.
- أبو القاسم الحفناوي: 165.
- أبو محمد بلحسين بن الشيخ: 232.
- أبي يقضان: 134، 153، 169.
- أطفيش: 163.
- إبراهيم بن عبد الله: 143.
- إبراهيم البيوض: 66، 90، 98، 110، 119، 153.
- ابرهيم الفاتح: 136.
- ابن الموهوب: 51.
- إبن تومي: 65، 135، 136، 143.
- ابن تيمية: 148، 159.
- ابن خلدون: 148، 153.
- ابن القيم: 148.
- أحمد إينال: 109.
- أحمد باي: 2، 47، 282.
- أحمد بن حجي: 254.
- أحمد بهلول: 56.
- أحمد بوضرية: 85، 102، 104.
- أحمد توفيق المدني: 36، 65، 97، 108، 150، 152، 159، 286.
- أحمد خان: 171، 237.
- أحمد عباس: 275، 276.
- الأخضري: 86، 105.
- أخلف بن حسان: 277.
- أطفيش: 130.
- إسماعيل بن باديس: 222.
- إسماعيل حامت: 40، 158.
- أكلي الزناتي: 286.
- ألبيير سارو: 18.
- ألفرادي موسي: 266.
- الأمير خالد الهاشمي: 43، 56، 57، 58، 64، 86، 87، 88، 97، 134، 143، 154، 192، 199، 200، 201، 206، 210، 211، 212، 215، 217، 253، 254، 265، 267، 270.
- الأمير خوجة: 89.
- الأمير عبد القادر: 2، 22، 47، 62، 86، 106، 239.
- الأمير عبد الكريم الخطابي: 62، 209، 264.
- الأميرة بديعة: 106.
- الأمين العمودي: 21، 97، 113، 118، 140، 159.
- آيت طوردت: 105.
- إيفور محمد: 105.
- إيميلي باسكان: 260، 261.
- (ب)
- باشطارزي: 86، 92، 136.
- بانون آكلي: 106، 111، 215.
- البتول بن باديس: 221.
- بديعة الحسيني: 87.
- برنار: 23.
- بريمو: 43.
- البشير صفر السياسي: 231.
- بن المليي: 271.
- بن بلة: 281، 288.

- بن بوعلي: 993.
 بن تامي: 108.
 بن تھامي: 56، 201، 155، 285.
 بن سراج: 286، 287.
 بن عليوة: 244.
 بن عودة برصالي: 262.
 بن لفقون: 93.
 البهجة عباس: 276.
 بوجو: 16.
 بوديشون: 5.
 بوزيد شعال: 69.
 بوعلام خالفة: 82، 100.
 بوعمامة: 2، 47.
 بوضياف: 271.
 بوكردنة: 86.
 بلكين بن زيري بن مناد: 222.
 بيار لوتي: 265.
 بيروطن: 67.
- (ح)
- الحاج عمر قندوز: 136.
 الحاج صالح: 86.
 الحبيب التونسي: 151.
 حسن الطرابلسي: 66.
 حسن بن خلاف: 280.
 حمدان خوجة: 124.
 حمدان لونييسي: 87، 131، 144، 151، 159،
 223، 229، 230، 299.
 حورية بن شيكو: 85.
 حورية عباس: 276.
- (خ)
- خدوجة: 88.
 خليل بن إسحاق: 120.
 خير الدين: 182، 112.
- (د)
- دانيار دي فيجي: 276.
 دوغول: 67.
 دومان: 102.
 دي بورمون: 42.
- (ج)
- الجاحظ: 147.
 جلول شليبي: 265.
 جمال الدين الأفغاني: 120، 128، 129، 131، 133،
 135، 157، 161، 165، 167، 169، 174،
 175، 183، 188، 233، 238، 299، 300.
- (ر)

- راجف بلقاسم: 129.
 رشيد رضا: 120، 128، 129، 157، 160، 161،
 162، 165، 175، 232، 238، 242، 299.
 رضا حوحو: 155.
 ريبيل: 154.
 رين: 196.
 (ز)
 الزين بن ثابت: 86.
 زغلول: 200.
 زكية عباس: 276.
 زليخة مصالي: 255.
 زهيرة بن جلول: 221.
 الزوبير بن باديس: 222.
 زيدان الشنقيطي: 151.
 (س)
 سانت أرنو: 274، 275.
 سعدان: 86، 113.
 السعيد الزهيري: 151.
 سليم بن باديس: 221.
 سي الجيلاني محمد السعيد: 105، 155.
 سيدي بومدين: 86،
 سيرفي: 55.
 (ش)
 شاتو بريان: 284، 286.
 شارل دي جلان: 136.
 الشادلي خير الدين: 156.
 الشريف بن حليس: 85، 107، 132،
 شبيلة الجيلالي: 105.
- شكيب أرسلان: 174، 175، 178، 189، 268،
 269، 299.
 شكيبكن: 86.
 شوان: 108.
 الشوكاني: 159.
 شهاب الدين الألويسي: 173.
 الشيخ أحمد: 230.
 الشيخ الحداد: 75، 274، 275.
 الشيخ الطاهر الجزائري: 232.
 (ص)
 الصادق دندان: 143.
 الصادق هجرس: 82.
 صالح باي: 41، 85.
 صالح بن مهنا: 128، 161، 238.
 الصديق الحافظي الأزهري: 66.
 (ط)
 الطاهر الغمري: 83.
 الطنطاوي: 160.
 الطيب العقبي: 66، 91، 92، 96، 118، 134،
 145، 137، 149، 150، 159، 169، 187،
 188، 189، 190، 240، 243، 288.
 (ظ)
 ظريفة عباس: 276.
 (ع)
 عائشة عباس: 276.
 عباس حمانة: 10.
 عبد الحليم بن حسين خوجة: 88، 89.
 عبد الحليم بن سماية: 51، 127، 131، 135، 145،
 159، 164، 169، 176، 240، 299.

- عبد الحق بن باديس: 221.
- عبد الحميد (السلطان): 94، 164، 190.
- عبد الحميد بن باديس: 61، 65، 66، 120، 123، 126، 131، 133، 145، 146، 147، 149، 150، 151، 153، 157، 158، 162، 168، 219، 220، 221، 222، 223، 224، 225، 226، 227، 228، 229، 230، 231، 232، 233، 234، 235، 236، 237، 238، 239، 240، 241، 242، 243، 244، 245، 246، 247، 248، 249، 250.
- عبد الحميد عباس: 276.
- عبد الرحمان الكواكي: 175.
- عبد القادر القاسمي: 66.
- عبد القادر المجاوي: 51، 130، 135، 136، 145، 159، 163، 169، 239، 299.
- عبد القادر الممشاوي: 257، 258.
- عبد القادر حاج علي: 18، 210، 214، 104، 105، 154.
- عبد الله بلقاسم: 43.
- عبد الله بخلخال: 59.
- عبد المليك بن باديس: 220.
- العربي بن باديس: 220.
- العربي التبسي: 90، 111، 136، 145، 150، 158، 189، 241، 242.
- علي بوخرط: 206.
- علي بومنجل: 68.
- علي شريف: 169.
- عليوة: 197.
- عمار أوزقان: 65، 82، 207، 211، 219، 289، 290، 291، 292، 302.
- عمار عباس: 276.
- عمر أوصديق: 82.
- عمر إسماعيل: 68.
- عمر بوضرية: 59.
- عمر راسم: 130، 133، 176.
- عمر بن قدور: 39، 131، 165، 168.
- علي بن أبي طالب: 87، 134.
- علي بومنجل: 57.
- علي رضا: 173.
- علي الشريف: 135.
- علي يوسف: 133، 167، 175، 238.
- (غ)
- غاندي: 194.
- (ف)
- فاطمة الزهراء: 86.
- فاطمة عباس: 275.
- فرحات عباس: 69، 70، 71، 107، 132، 142، 190، 192، 193، 194، 218، 271، 272، 274، 275، 276، 277، 278، 279، 280، 281، 282، 283، 284، 285، 286، 291، 301.
- فريد وجدي: 127.
- (ق)
- قاستون دومارق: 66.
- قدور بن مراد التركي الرودوسي: 121.
- قدور فار: 105.

- (ك)
- كاردينال لافيغري: 65، 66.
- كمال أتاتورك: 285.
- كمال بن سراج: 284، 285.
- (ل)
- لابوش ديرون: 19.
- لوبو: 193.
- (م)
- ماسوني الحاج: 87.
- ماما بن قلفاط: 253، 257.
- مالك بن نبي: 159.
- مبارك المليبي: 67، 96، 112، 138، 146، 150.
- 151، 234، 242.
- مبروك بلحوسين: 82.
- محمد بلحاج: 152.
- محمد أبو جمعة القلي: 147.
- محمد أبو القاسم البوحليلي: 147.
- محمد أبو عياد: 262.
- محمد بنحيت المطيعي: 232.
- محمد البشير الإبراهيمي: 65، 66، 67، 90، 96.
- 112، 137، 145، 146، 147، 148، 149.
- 150، 152، 151، 159، 182، 187، 188.
- 190، 216، 240، 241، 243.
- محمد العيد آل الخليفة: 150.
- محمد الصالح بن جلول: 84، 102، 103، 112.
- 142، 138، 153، 154، 220.
- محمد المكّي الإبراهيمي: 145، 146.
- محمد بن أحمد بن محمد المدني: 86.
- محمد بن رحال: 11.
- محمد السعيد بن زاوي: 161.
- محمد إقبال: 159.
- محمد بن خوجة: 158، 176، 240.
- محمد بن علي السنوسي: 178.
- محمد بن علي الشوكاني: 236.
- محمد بن محمد: 179.
- محمد بن يلس: 261، 264.
- محمد بوكفوس: 280.
- محمد عبد الوهاب: 119، 147، 149، 168، 171، 236، 237.
- محمد خير الدين: 136.
- محمد عبده: 120، 125، 126، 127، 129.
- 128، 131، 133، 134، 135، 148، 150.
- 152، 153، 157، 158، 159، 160، 162، 161، 164، 165، 169، 174، 175، 176.
- 183، 188، 221، 231، 232، 233، 238.
- 240، 299، 300.
- محمد فريد: 177.
- محمد قروف: 83.
- محمد السعيد بن زكري: 136.
- محمد الشوكاني: 172.
- محمد الصادق النيفر الزيتوني: 231.
- محمد الصالح عباس: 275.
- محمد صوالح: 284.
- محمد الطاهر بن عاشور: 230.
- محمد لخضر بن حسين: 231.
- محمد المداسي: 222، 226، 228، 229.
- محمد المصطفى بن باديس: 135، 223، 225، 229.
- 250.

- محمد معروف: 104، 207،
 محمد نجيب: 172،
 محمد النخلي: 230، 232،
 محمود بن باديس: 220،
 مصالي الحاج: 19، 23، 24، 103، 104،
 127، 190، 200، 207، 211، 214، 218،
 253، 254، 255، 256، 257، 258، 260،
 261، 263، 264، 266، 267، 268، 269،
 270، 271، 290، 301،
 مصطفى الحاج موسى: 11،
 مصطفى بن الكبابي: 88،
 مصطفى بن خوجة: 131، 164،
 مصطفى كمال: 174، 264، 265،
 مفدي زكرياء: 19، 263،
 المقراني: 3، 273، 274،
 مقدوش: 104،
 معزة مسعودة بنت علي: 274،
 المعز لدين الله بن باديس: 221،
 مولاي الشريف: 20،
 مولود بن باديس: 220،
 المولود بن موهوب: 135،
 موريس توريز: 81، 207، 263،
 موريس فيوليت: 24، 112،
 مولاي بن الشريف: 21،
 الميللي: 21، 62،
 ميمي محمد الشريف: 249،
 نفيسة بن باديس: 220،
 هارتمورت ألسنهانس: 183،
 هتار: 22،
 هنري بوردو: 263،
 (و)
 ويلسون: 11، 197، 198، 252، 300،
 (ي)
 اليامنة بن باديس: 220،
 يمينة عباس: 275،
 يوسف الدجوي: 178،
 (ن)
 (هـ)

- فهرس الأماكن
- (أ)
- أربعاء إيراثن: 104.
الأردين: 98.
الأصنام: 104.
الأغواط: 104، 149.
أمريكا الشمالية: 55.
أوروبا: 69، 212.
إفريقيا: 15، 269.
أقبو: 98.
اسبانيا: 259، 263.
أستراليا: 102.
اسطح: 90.
الإسكندرية: 94، 232.
إكس بروفنس: 19، 106.
ألمانيا: 21، 23، 93، 143، 251، 265، 267،
انجلترا: 22.
الأندلس: 148، 285.
الأوراس: 3، 5، 84.
إيران: 235.
الإيزن: 98.
إيطاليا: 93، 94.
- (ب)
- باتنة: 11.
با دي كالييه: 97، 98، 99.
بجاية: 98، 146.
- باريس: 55، 98، 99، 100، 105، 106، 132،
139، 153، 154، 200، 205، 210، 213،
267، 268، 284.
برازافيل: 260، 269.
برج بوغيرج: 249.
بروسيا: 274.
بريكة: 11.
برينوي: 105.
بسكرة: 68، 85، 91، 118، 154.
بغداد: 172، 221، 236.
البصرة: 236.
بني عافر: 272.
بلاد فارس: 235.
البلقان: 143.
البليدة: 23، 85، 104.
بوحمون: 275.
بوزريعة: 66، 80.
بوعفرون: 275.
بوسعادة: 68، 104، 118، 119، 149، 153.
بيروت: 94، 178.
- (ت)
- تبسة: 90.
تركيا: 4، 93، 235، 264، 265، 284.
تونس: 86، 93، 94، 95، 120، 121، 122،
125، 131، 146، 147، 148، 149، 150،
151، 152، 188، 206، 209، 218، 224،
226، 227، 229، 230، 233.

- تلمسان: 4، 6، 7، 50، 94، 108، 126، 129، 253، 259، 264، 265، 266، 269، 271.
- تيزي وزو: 98.
- تيطاوين: 129.
- (ج)
- الجزيرة العربية: 169، 236.
- الجلقة: 149.
- جيجل: 23، 104، 273، 276، 281، 282.
- (ح)
- الحبشة: 267.
- الحجاز: 4، 121، 122، 147، 148، 168، 173، 186، 226، 229، 233، 242.
- الحراش: 53، 65، 267.
- الحنايا: 257.
- (خ)
- خراطة: 24.
- الخروب: 104، 223.
- خنشلة: 104.
- (د)
- دهلي: 170.
- دمشق: 85، 123، 147، 153، 186.
- دراع الميزان: 98.
- دوار مزالة: 89.
- (ر)
- رأس الوادي: 88.
- الرمشي: 257.
- روسيا: 22.
- (س)
- الساماريتان: 105.
- سانت آتيان: 98.
- ستراسبورغ: 275.
- سطيف: 22، 23، 24، 75، 88، 94، 150، 186، 190، 242، 243.
- سعيدة: 23.
- الجزائر العاصمة: 4، 5، 6، 19، 22، 23، 31، 40، 50، 51، 53، 54، 65، 66، 86، 87، 126، 128، 134، 153، 197، 199، 203، 204، 243، 282، 285، 288.
- الجزائر: 1، 2، 3، 5، 6، 10، 12، 13، 14، 15، 16، 17، 18، 22، 23، 24، 25، 26، 27، 28، 30، 31، 33، 34، 38، 39، 41، 42، 45، 47، 48، 49، 52، 54، 55، 59، 62، 63، 64، 68، 69، 72، 74، 78، 79، 81، 82، 83، 85، 86، 87، 88، 92، 93، 94، 95، 96، 97، 100، 101، 102، 106، 107، 109، 110، 111، 114، 116، 117، 118، 119، 120، 121، 122، 124، 125، 126، 128، 131، 130، 132، 133، 134، 138، 139، 141، 142، 144، 146، 147، 148، 150، 151، 152، 153، 161، 163، 167، 173، 174، 175، 177، 178، 180، 182، 184، 186، 190، 192، 196، 198، 201، 206، 209، 212، 214، 215، 216، 218، 219، 221، 226، 230، 244، 248، 251، 264، 268، 269، 271، 281، 283، 286، 289، 300، 301.

السعودية: 123.	فاس: 146،
سكيكدة: 52، 281.	فرجيوة: 85
السودان: 179.	فرنسا: 1، 3، 5، 7، 8، 11، 13، 14، 15، 17،
سوريا: 4، 13، 94، 122، 144، 186، 200،	18، 21، 22، 24، 25، 27، 30، 31، 32، 33،
261، 259.	34، 37، 39، 42، 44، 45، 47، 48، 49، 54،
سيدو: 94.	57، 62، 63، 64، 65، 66، 68، 78، 79،
سيدي بلعباس: 23، 52، 85، 259.	81، 82، 85، 93، 96، 97، 98، 100، 101،
سيدي فوج: 16، 61،	104، 105، 106، 107، 109، 110، 111،
سيدي عقبة: 90، 150.	112، 114، 116، 122، 132، 137، 138،
سيدي عيش: 104.	140، 142، 143، 154، 155، 167، 190،
سين: 97.	193، 194، 196، 198، 199، 201، 210،
(ش)	211، 220، 223، 229، 237، 242، 246،
الشام: 93، 96، 121، 147، 148، 186،	259، 260، 261، 262، 264، 265، 268،
(ط)	269، 274، 277، 279، 283، 284، 286،
الطاهير: 272، 276، 281.	297، 300.
طرابلس: 93	فج مزالة: 274.
(ع)	(ق)
طنجة: 129.	القاهرة: 22، 130، 132، 146، 172، 174،
العراق: 148، 172.	237.
عناية: 23.	القبائل: 2، 68، 80، 94، 98، 114، 118،
العلمة: 104.	قريش: 179.
عين الحمام: 104.	قسطنطينة: 6، 16، 23، 43، 50، 52، 53، 54،
عين تيموشنت: 52،	63، 75، 84، 86، 90، 99، 118، 126، 129،
(غ)	135، 149، 150، 153، 203، 218، 219،
غليزان: 104، 205، 280،	220، 221، 223، 226، 227، 229، 233،
غرداية: 88، 53،	242، 243، 248، 249، 251، 273، 281،
غرونوبل: 106،	282، 298.
(ف)	القل: 129.
	قالمة: 23، 85،

وهران: 40،44 ، 53 ، 85 ، 94 ، 203 ، 253 ،
271 ، 259 .

(ي)

اليمن: 171 .

القبروان: 148 ، 230 ،

(ل)

لبنان: 173 ،

ليبيا: 179 .

(م)

المارن: 98 .

مالطا: 277 .

المدينة المنورة: 149 ، 150 .

مرسيليا: 97 ، 98 ، 99 ، 271 .

معسكر: 104

المغرب: 84 ، 93 ، 96 ، 120 ، 129 ، 131 ، 143 ،

167 ، 206 ، 209 .

مستغانم: 85 ، 249 .

مصر: 93 ، 95 ، 96 ، 120 ، 122 ، 127 ، 131 ،

148 ، 167 ، 168 ، 173 ، 221 ، 233 ، 267 .

مكة: 173 .

موسكو: 207 .

مليانة: 94 .

مونبلييه: 106 ، 154 .

ميلا: 149 .

(ن)

نجد: 173 .

(هـ)

الهند: 168 ، 169 ، 170 ، 235 ، 236 .

(و)

واد زناتي: 223 .

واد سقان: 275 .

الولايات المتحدة الأمريكية: 22 ، 55 ، 198 ،

- فهرس الجمعيات والنوادي والأحزاب
- (أ)
- الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري: 24، 288
- (ت)
- تركيا الفتاة: 10
- (ج)
- جبهة التحرير الوطني: 183، 271.
- الجهة الشعبية: 267.
- جمعية الأخوة الإسلامية: 266.
- جمعية التربية والتعليم: 248،
- الجمعية التعاونية: 134.
- الجمعية التوفيقية: 135.
- الجمعية الرشيدية: 134.
- جمعية الطلبة المسلمين الجزائريين: 109.
- جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا: 283.
- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: 67، 68، 61، 76،
- 87، 162، 174، 180، 181، 182، 183،
- 184، 186، 189، 200، 215، 239، 240،
- 242، 243، 245، 225.
- الجمعية الوطنية الفرنسية: 24.
- (ح)
- حركة أحباب البيان: 184، 205، 287.
- حركة الإتحاد المنتخبين المسلمين: 19، 299.
- حركة البعث العربي الإسلامي: 132
- الحركة السنوسية: 178.
- حركة الشبان الجزائريين: 9، 10، 76.
- الحركة الوهابية: 167، 168، 170، 172، 173،
- 188، 189، 236.
- حركة انتصار الحريات الديمقراطية: 24، 255، 269.
- حزب الإستقلال: 200.
- الحزب الشيوعي الجزائري: 81، 82، 112.
- حزب الجزائر الفتاة: 9
- الحزب الدستوري التونسي: 189، 200.
- الحزب الراديكالي: 85.
- حزب الشعب الجزائري: 109، 269، 299.
- الحزب الشعب الفرنسي: 85، 102.
- الحزب الشيوعي الجزائري: 17، 203، 204، 206،
- 207، 210، 255، 265، 266، 267، 289،
- 290، 291، 299.
- الحزب الشيوعي الفرنسي: 17، 205، 207، 208،
- 209، 210، 211، 266، 267، 288.
- (ل)
- اللجنة المركزية للوحدة والعمل: 82.
- (م)
- مصر الفتاة: 10.
- منظمة العمل العمالية: 85
- (ن)
- نادي الترقى: 20، 136،
- نادي ريتشارد الباريسي: 109.
- نجم شمال إفريقيا: 18، 19، 72، 83، 102، 104،
- 109، 110، 111، 112، 164، 200، 205،
- 208، 210، 211، 212، 216، 269، 252،
- 260، 265، 269، 299.
- (و)
- وحدة النواب المسلمين: 17، 164.

فهرس الموضوعات

أ- ح	مقدمة
1	<u>الفصل الأول: الأوضاع العامة في الجزائر 1925م-1954م</u>
2	<u>المبحث الأول: الأوضاع الاجتماعية في الجزائر</u>
19	<u>المبحث الثاني: الأوضاع الثقافية في الجزائر</u>
46	<u>المبحث الثالث: الأوضاع السياسية في الجزائر</u>
71	خاتمة الفصل
73	<u>الفصل الثاني: التكوين الاجتماعي لأبرز قادة الحركة الوطنية</u>
74	<u>المبحث الأول: النشأة الأولى لقادة الحركة الوطنية</u>
84	<u>المبحث الثاني: أسر القادة</u>
93	<u>المبحث الثالث: تأثير الهجرة على الحالة الاجتماعية للقادة السياسيين</u>
112	خاتمة الفصل
115	<u>الفصل الثالث: التكوين الثقافي لأبرز قادة الحركة الوطنية</u>
117	<u>المبحث الأول: تأثير الثقافة العربية الإسلامية على القادة السياسيين</u>
138	<u>المبحث الثاني: تأثير الثقافة الفرنسية الغربية على القادة السياسيين</u>
146	<u>المبحث الثالث: قادة الحركة الوطنية بين التقاليد الوطنية والتأثيرات الفرنسية</u>
157	خاتمة الفصل
162	<u>الفصل الرابع: التكوين الوطني لأبرز قادة الحركة الوطنية</u>
166	<u>المبحث الأول: التكوين السياسي لقادة الإصلاح</u>
191	<u>المبحث الثاني: التكوين السياسي لقادة التيار الإدماجي</u>
201	<u>المبحث الثالث: التكوين السياسي لدعاة التيار الشيوعي</u>

المبحث الرابع: التكوين السياسي لقادة الحزب الاستقلالي.....	210
خاتمة الفصل.....	216
الفصل الخامس: نماذج من شخصيات الحركة الوطنية.....	219
<u>المبحث الأول: التكوين الاجتماعي والثقافي والوطني للشيخ عبد الحميد بن باديس..</u>	<u>219</u>
<u>المبحث الثاني: التكوين الاجتماعي والثقافي والوطني لمصالي الحاج.....</u>	<u>253</u>
<u>المبحث الثالث: التكوين الاجتماعي والثقافي والوطني لفرحات عباس.....</u>	<u>272</u>
<u>المبحث الرابع: التكوين الاجتماعي والثقافي والوطني لعمار أوزقان.....</u>	<u>288</u>
خاتمة الفصل.....	290
خاتمة البحث.....	293
الملاحق والصور.....	299
بيبلوغرافيا البحث.....	314
الفهارس.....	332

ملخص

تأثر قادة الأحزاب السياسية الجزائرية بالأوضاع العامة التي عاشتها الجزائر بعد تعرضها للإحتلال الفرنسي (أوضاع إجتماعية، ثقافية، وسياسية) كما لعبت الطبقات الإجتماعية التي ينتمي إليها هؤلاء المناضلون دورا في ميولهم السياسي، فرغم إنتمائهم إلى طبقات برجوازية فهذا لا يعني أنهم موالون لفرنسا والعكس صحيح، كما تأثر الزعماء السياسيون بالهجرة الخارجية سواء إلى المشرق العربي أو فرنسا حيث أدى إحتكاكهم بمجتمعات أخرى إلى زيادة الوعي الوطني.

وفي الأخير يعود تكوين الأحزاب السياسية من قبل هذه النخبة السياسية إلى تكوينهم الاجتماعي والثقافي والوطني الذي ساهم في إبراز ميول كل اتجاه محاولين الوصول بالمجتمع الجزائري إلى التخلص من الإستعمار والأوضاع التي خلفها كل بطريقته.

Résumé

Les présidents des partis politique algerins sont affectés par les situations générale de l'algerie après l'occupation française (situations sociaux. culturel. Politique); ses présidents qui appartiennent à des classes bourgeoise mais ça ne veux pas dire qu' ils sont avec la direction française et vice versa et les militants politique sont aussi affectés par l'immigration vers l'orient arabe ou vers la france. leur contact avec d'autre population a resulté l'augmentation de l'esprit patriotisme.

Finallement la création des partis politique par cette groupe politique a leur formation sociale culturel et politique et qui a contribué a surligné les tendances de chaque partie ont essayant l'arrivée de la population algerien pour élimination de la colonisation française chaqu' un ça méthode.

Summary

the presidents of the political parties algerins are affected by general situations in Algeria after the French occupation (social situations. cultural. policy) its presidents belonging to bourgeois classes but that does not mean that they are with the French leadership and vice versa; their political militants are also affected by migration to the Arab East or to France. their contact with other people resulting augmentation the spirit of patriotism. finally the creation of political parties in this policy group their cultural and social education policy and has contributed to highlight the trends of each Party trying the arrival of the Algerian population for disposal of French colonization